يهود كردستان

إريك براوَر - رافائيل پاتاي

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل- كُردستان العراق

ص.ب رقم: ١

www.araspublisher.com

يهود كردستان

تأليف: إريك براور

أكمله وأصدره: رافائيل پاتاي

نقله الى العربية

شاخوان كركوكي و عبدالرزاق بوتاني

اسم الكتاب: يهود كردستان - دراسة إثنولوجية
تأليف: إريك براور
أكمله وأصدره: رافائيل پاتاي
نقله الى العربية: شاخوان كركوكي و عبدالرزاق بوتاني
من منشورات ئاراس رقم: ١٦٧
التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
التنضيد والتصحيح: المترجمان
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الأولى: مطبعة وزارة التربية - اربيل ٢٠٠٢
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في اربيل: ٤٩٧ / ٢٠٠٢

المحتويات

القسم الرابع: الأوضاع الإقتصادية

القسم الخامس: التنظيم الإجتماعي والتعليم

القسم السادس: الأعياد

تقديم

إعادة الحياة الى كتاب براور بعد حوالي خمسين سنة، يعد بالنسبة لي بمثابة العودة الى أيام شبابي، والرجوع بعجلة الزمن الى أيام كانت فيها القدس مختلفة عما هي عليه، وآلت اليه في السنوات الأخيرة. فخلال السنوات التي تخللت هذه الفترة تحولت القدس الى عاصمة لإسرائيل وطرأت تغييرات كبيرة على معالمها، بل أنها تطورات لتصبح مركزاً لنشاطات بحثية منوعة في مجالات علمية كانت في بداياتها الأولى في الأربعينات. من قبيل دراسة المجتمعات اليهودية التي إنخفضت اعدادها سريعاً وبشكل مثير خاصة بسبب عمليات الإبادة النازية (هولوكوست)، وبسبب تجمعها في إسرائيل.

كان براور، خلال الثلاثينات، الإثنولوجي الوحيد (حسب تصنيفه هو) الذي يقوم بدراسة مجتمع يهودي؛ وكان الوقت الذي أتيح له غير كافٍ سوى لتأليف كتاب واحد والفراغ منه (وهو عن يهود اليمن) والإشراف على الإنتهاء من إكمال كتابٍ ثانٍ (عن اليهود الكرد).

فبينما كان براور يعمل في هذا الكتاب تعرفتُ عليه، وكان له تأثيره، وإن كان جزئياً، في تحول إهتمامي من الفولكلور التاريخي لحقب الكتاب المقدس والتلمود الى دراسة الأنثروبولوجيا المعاصرة للشرق الأوسط عامة ومجتمعاته اليهودية خاصة. وبعد وفاته المبكرة ألفيت نفسي وحيداً في مواجهة خارطة ضخمة مجهولة المعالم لالأنثروبولوجيا اليهودية المعاصرة؛ وقد استنفد الأمر مني سنتين قبل أن أتوصل الى قرار ألزم به نفسي لمباشرة وتنظيم البحث في هذا الحقل. في العام ١٩٤٤ أنشأت معهد فلسطين للفلكلور والإثنولوجيا الذي بدأ بعد فترة قصيرة العمل لإكمال النسخة العبرية وترجمة المسودة الإنگليزية لكتاب يهود كردستان الذي تركه براور وراءه. عند إلقاء نظرة على هذه السنوات، أشعر أن أحد أهم منشورات المعهد كان هذا الكتاب الذي ظهر الى حيز الوجود في العام ١٩٤٧[١].

خلال العقود التي مرت منذ ذلك التاريخ، خضع الكثير من مظاهر حياة اليهود

١- ڤارن إريك براوَر (*يهودي كُردستان: ميهكار إثنولوجي*)، إعداد وترجمة رافائيل پاتاي، دراسات في الفلكلور والإثنولوجيا، العدد ٢، القدس ١٩٤٧.

الكرد للدراسة والبحث من جانب عدد من الباحثين:

كتب أي. بن يعكوف عن تاريخهم[٢]، وكتب جَي. ديڤلين عن أشعارهم المتناقَلة شفاهاً[٣]، وإديث گيرسن-كيوي عن موسيقاهم[٤]، وإيرين گاربل عن لغتهم[٥]، ويونا سابار (يهودي كردستاني) عن أدبهم الشعبي[٦]... الخ. وقد خصصنا أنا وإسحق بن-زيڤي (راعي المعهد وثاني رئيس لإسرائيل) أجزاء من كتبنا ذات الطابع المسحي العام لليهود الكرد[٧]. لكن، ورغم كل هذه البحوث، ظل كتاب براور فذاً لايمكن أن يحل محلّه بحث بين البحوث الحديثة، كما لم تقل أهمية نشره بالإنگليزية. فهو يضع دراسة إثنولوجية فريدة في متناول عدد أكبر من طلاب العلم، وفي الوقت نفسه يمثل خدمة وذكرى عالمٍ لم تتعد شهرته حدود دائرة ضيقة من الانثروپولوجيين الذين يقرأون العبرية.

في تقديمي الأول، الذي كتبته في ١٩٤٦، قلت ما كنت أشعر بأنه ينبغي أن يقال عن حياة وعمل إريك براور والظروف التي أحاطت بتأليفه كتابه حول الكرد والذي قمت بإكماله ونشره. وفي هذه المقدمة الثانية أجد نفسي مطالباً بتقديم بيانات قليلة أعتبرها مهمة لإغناء كتاب براور، الى جانب بعض متابعات تتعلق برؤيتي الحالية - بعد خمسين سنة من كتابتها - حول قيمة الكتاب وحدوده. فلنبدأ ببعض بيانات إحصائية متوفرة حول اليهود الكرد.

أظهرت الدراسات الديموغرافية التي أجراها أبراهام بن يعكوف قبيل قيام إسرائيل (عام ١٩٤٨) وجود ١٨٧ مجتمعاً (تجمعاً سكنياً) كردياً يهودياً منها ١٤٦ في كردستان العراق، و١٩ في كردستان إيران، و١١ في تركيا، و١١ في سورية ومناطق أخرى. أما بالنسبة لعدد السكان في تلك المجتمعات فإن الإفتقار الى بيانات إحصائية يجعلنا نلجأ الى التقديرات التي تخمن المجموع الاجمالي بما يتراوح بين

٢- أبراهام بن يعگوڤ: *قأُهيلوت يهودي كُردستان* [المجتمعات اليهودية في كردستان]، ١٩٦١ (أعيد طبعه في القدس سنة ١٩٨١).

٣- جوزيف جَي. ريڤلين، *شيرات يهودي با* تورگوم [أشعار يهود التارگوم]، القدس ١٩٥٩.

٤- إديث گيرسن-كيوي (الموسيقى عند يهود كردستان) يو*ڤال*، العدد ٢ (١٩٧٢)، الص ٥٩-٧٢.

٥- ايرين گاربل (اللهجة الآرامية الحديثة لليهود في أذربيجان الفارسية: دراسة لغوية ونصوص فلكلورية)، لاهاي ١٩٦٥.

٦- يونا سابار (الأدب الفلكلوري لليهود الكردستانيين: دراسة أنثولوجية)، نيو هيڤن ١٩٨٢.

٧- إسحق بن زيڤي (المُبعَدُ والمُعادُ)، فيلادلفيا ١٩٦١. رافائيل پاتاي (إسرائيل بين الشرق والغرب: دراسة في العلاقات الإنسانية) فيلادلفيا ١٩٥٣، مادة (اليهود الكرد).

٢٥ و٣٠ ألفاً. وقد توفرت إحصائيات قليلة، يشك في دقتها، حول العراق فقط تبيّن أن عدد اليهود الذين كانوا يعيشون في محافظة (لواء) أربيل في العام ١٩٤٧ كان ٣١٠٩، وفي محافظة (لواء) كركوك ٤٠٤٢، وفي محافظة (لواء) الموصل ١٠٣٤٥، وفي السليمانية ٢٢٧١، وفي ديالى ٢٨٥١، وبهذا يبلغ المجموع الكلي لليهود في كردستان العراق بأكملها ٢٢٦١٨. وقد نُشرت هذه الأرقام ضمن مادة كردستان في (إنسايكلوپيديا جودياكا)[٨] الذي ألفه بن يعكوف، والذي يعطي مع اچ. جَي. كوهن أرقاماً مختلفة في الموسوعة نفسها فيما يتعلق بالعراق[٩] ونقلاً عن الإحصاء الرسمي العراقي عينه. إذ أن كوهن يذكر أنه في ١٩٤٨ «كان ثمة حوالي ١٩ ألف كردي يهودي يعيشون في العراق» وهذا الإختلاف بالنسبة لعدد اليهود في العراق، حيث الإحصائيات «الرسمية» متوفرة، يعكس مدى صعوبة تقدير عدد اليهود الكرد خارج العراق خلال الفترة ذاتها.

بدأت هجرة اليهود الكرد الى فلسطين في القرن السادس عشر وكانت تتجه الى (صَفد) في (الجليل) والتي كانت حينها أهم مركز للقَبَلائية (صفة دينية سرية عند أحبار اليهود مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً صوفياً – المترجم). وليس ثم معلومات تدل على أية حركة يهودية من كردستان بأتجاه فلسطين خلال القرون الثلاثة اللاحقة. ثم وخلال الفترة بين عامي ١٩٠٠ و١٩٢٦ هاجر حوالي ١٩٠٠ كردي الى فلسطين، وفي العام ١٩٣٥ لحق بهم ٢٥٠٠ آخرون. وتبع قيام دولة إسرائيل إعتقال المئات من اليهود الكرد في العراق. إلا أن السلطات العراقية خففت موقفها فيما بعد وسمحت بالهجرة اليهودية، وكما هو معلوم فإن كل المجتمع اليهودي العراقي تقريباً – والذي يقدر بحوالي ١٢٥ ألفاً – نقل الى إسرائيل جواً خلال العامين ١٩٥٠–١٩٥١، وكان بين هؤلاء غالبية يهود كردستان العراق. وبهذا تم صهر الشتات اليهودي في العراق (الذي تعود جذوره الى العصور الآشورية والبابلية)، كما انتهت ستة وعشرون قرناً من التاريخ اليهودي في بلاد مابين النهرين.

وفي إسرائيل بدأ فجأة إندماج اليهود في الحياة والظروف الإسرائيلية، وبدأ يضيع طرازهم الثقافي اليهودي المميز الذي تمتد جذوره الى عهود الكتاب المقدس والتلمود. وبسبب هذه التطورات (التي من المؤكد أنها لم تكن متوقعة في بداية الأربعينات) أضحى كتاب براور، الذي عني بمجتمع يهودي ذي صدى وفريد من

٨- إنسايكلوپيديا جودياكا (القدس ١٩٧٢)، ١٢٩٦:١٠.

٩- إنسايكلوپيديا جودياكا، ٨:١٤٤٩.

نوعه، خلال سنوات قليلة مَعلماً – بل المعلم الوحيد – الذي يتحدث عن مجتمع مازال حياً لكنه دفع لقاء بقائه ثمناً باهظاً هو خسارة جزء هام من خصوصيته الثقافية.

فما الذي يمكن أن نستقيه من كتاب براور؟ قبل كل شيء يجد الدارس للحياة اليهودية في الشرق الأوسط نفسه مشدوهاً أمام العلاقات الداخلية الوثيقة التي تربط اليهود المتحدثين بالآرامية بجيرانهم المسلمين في قرى ومدن كردستان. وتظهر المعلومات التي إستخلصها براور من أفواه اليهود الكرد في القدس، حول حياتهم في كردستان قبل الحرب العالمية الثانية، بوضوح شديد مدى المشاركة الحية للمسلمين الكرد في الحياة الثقافية لليهود الكرد، ويتضمن ذلك بالدرجة الأولى المشاركة في المناسبات الدينية اليهودية. ويشمل كتابه على العديد من الأمثلة التي تحكي مشاركة المسلمين. وأن العديد من الطقوس اليهودية كانت تجري بمشاركة المسلمين الكرد ومن بينهم زعماؤهم (كالآغوات والپشميرات) وكانت هذه المشاركة محل تقدير. ومن جانبهم حرص الكرد المسلمون على مثل هذه المشاركة لقناعتهم بمنافع الطقوس الدينية اليهودية التي يمارسها اليهود وأنهم أيضاً سينالون جزءً من ثواب تلك الشعائر. وكما أشرت الى وجود مثل هذا التضامن الديني بين المسلمين واليهود في المغرب[١٠]. فإن هذا الكتاب يبيّن وجود تشارك مماثل بين اليهود والمسلمين في كردستان.

وهذا لايعني، بالطبع، أن اليهود سواء في المغرب أو في كردستان لم يتم التقليل من شأنهم (إحتقارهم)؛ كما أنه لايعني أنهم لم يتعرضوا للإهانة والإستغلال بل وحتى لأعمال وحشية مارسها ضدهم المسلمون. لكن إنطباعي هو أن اليهود والمسلمين، بصورة عامة، تعايشوا تعايشاً حسناً وأن السلف أوجدوا طريقة للتعايش معاً بخلاف الخلف.

إن مزودي براور بالمعلومات (كما كان الحال معي لخمس سنوات بعد ذلك) أوضحوا بجلاء أن اليهود الكرد، في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، كانوا يتعاملون مع بعضهم البعض بفظاظة وخشونة وعنف سواء في الجد أو في الهزل، فالقوي يضرب الضعيف، والمتنفذ يضرب من هو أدنى منه، والمعلم والوالدان يضربون التلميذ، والنساء يُضربن من قبل بعولتهن، والمذنبون من قبل من مسك عليهم دليلاً – هكذا كانت الحال. والسرقة والتخريب، اللذين تحرمهما التقاليد في

١٠- رافائيل پاتاي (بذرة أبراهام: اليهود والعرب في تماس ونزاع)، سولت ليك ستي ١٩٨٦، الص ٣٧–١٣١.

العادة، كانا من الأمور العادية. وباتت متعة اليهود الكرد منصبة على الجنس والدعارة. وقد انتقل البعض من هذه العادات مع المهاجرين الى إسرائيل، حيث انتشرت قصص حول عنف وفظاظة اليهود الكرد، ولكن أيضاً عن شجاعتهم وقوتهم الجسمانية.

ثمة سمة لم يتطرق إليها براور ولم أتطرق إليها في ملاحظاتي التكميلية للكتاب في أواسط الأربعينات، وهي أن اليهود الكرد يشبهون المسلمين الكرد الى حدٍّ بعيد. وبما أن اليهود كانوا قلة والمسلمين الكثرة فيمكن أن نتوصل الى إستنتاج أن هذه السمات التي إتسم بها اليهود الكرد ظهرت كنتيجة لتأثيرات البيئة الثقافية التي تشربها اليهود عن الغالبية المسلمة. إن حقيقة كون اليهود معتمدين على المسلمين بهذا الصدد، تفيد أيضاً بالتأثر بعادات الغالبية من المسلمين الذين باتوا يشعرون بأنهم رعاة لعادات وتصرفات الأقلية اليهودية. أي بمعنى آخر فإن لدينا مجتمعاً يهودياً تشرب بهذه الصفات (الغريبة جداً عن طبائع اليهود) من البيئة الإجتماعية غير اليهودية التي عاشوا ضمنها لأكثر من ألفي سنة.

ومن الأمور البارزة، نجاح يهود كردستان في الإحتفاظ بالعديد من السمات اليهودية المميزة التي حافظت على إستمرار تميزهم عن الآخرين حتى هجرتهم الى إسرائيل. ومن هذه السمات المميزة التعليم، رغم أن التعليم عند اليهود الكرد لم يكن بمستوى تعليم اليهود اليمانيين أو المغاربة، حيث كانوا مجتمعاً متعلماً وسط غالبية غير متعلمة على الأكثر. فإن إرسال طفل الى المدرسة وتعليمه القراءة والكتابة العبرية كان من الصعوبة بمكان بالنسبة لليهود الكرد حيث لم يكن ثم ما يماثل هذا العمل عند الكرد المسلمين، كما أن اليهود الكرد كانوا يحرصون، بخلاف المسلمين، على متابعة العديد من الأمور الدينية. إن هذا الأمر لم يكن سهلاً أبداً وخاصة في صفوف المجتمعات اليهودية الصغيرة والمعزولة في القرى الكردية. إن أوجه التشابه والإختلاف بين الكرد اليهود والمسلمين قضية واسعة ومتشعبة، لكن علينا هنا أن ندع الخوض فيها جانباً.

أعتقد أنه يحق لي القول أن هذا الكتاب وثيقة تاريخية، وذلك من ناحيتين؛ الأولى أنه يوفر صورة عن الحياة والثقافة اليهودية الكردية قبل الحرب العالمية الثانية. لقد أنقطع عمل براور في هذا الكتاب في العام ١٩٤٢ بسبب وفاته. وخلال اللقاءات التي أجريتها في القدس مع اليهود الكرد خلال الفترة (١٩٤٤-١٩٤٦) قمت بإستحصال معلومات من أفراد غادروا كردستان قبل إندلاع الحرب، أي أن معلوماتهم تعبر عن

الفترة ذاتها. وخلال عامي ١٩٥٠-١٩٥١ حيث الهجرة الجماعية لليهود الكرد الى إسرائيل، زال فجأة عالمهم الذي كانوا يعيشون فيه قبل الحرب. لذا فإن هذا الكتاب يمثل سجلاً تاريخياً فريداً يحكي حياة وثقافة مجتمع يهودي اختفى من الوجود في بلد سكن فيه من العصور التاريخية المبكرة ثم شهد تحولاً كلياً بعد أن أستقر في إسرائيل.

والثانية أن هذا الكتاب يمثل وثيقة تاريخية لأنه يزودنا بنتائج أسلوب إثنولوجي في البحث والإستنتاج طغت عليه أساليب البحث الأنثروپولوجي الحديثة. وكما ذكرت في مقدمة الطبعة العبرية من الكتاب، التي كتبت في العام ١٩٤٦، فإن براور كان من أشياع مدرسة الدوائر التراثية التي اختفت من ميدان البحوث الأنثروپولوجية. ورغم أنه لم يشر إلا نادراً الى «الدوائر التراثية» فان مديات وحدود إهتماماته ضمن إطار المجتمع الذي درسه تعكس توجهات أساتذته لوشن *Luschan* وويل *Weule* وگريبنر *Graebner* والآخرين. وبهذا يكون الكتاب نموذجاً تذكارياً لما كان يستطيع «كلتركري» أن يفعله وهو يدرس مجتمعاً عن بعد دون أن يقوم بزيارة الى موطن ذلك المجتمع.

لايمكن للمرء وهو ينظر في كتاب براور، بعد مرور خمسين عاماً على كتابته، إلاّ أن يلمس العديد من النواقص، كغياب فصل خاص باللغة، فرغم أن الكتاب يحوي فيضاً من المواد اللغوية (مثل المصطلحات المفردة، والتعابير المركبة، والأمثال، والأقوال...) التي توضح الى حد بعيد اللهجة العامية كما كان يتحدثها يهود كردستان، إلا أنه لايحاول تقديم تحليل عام وعرض الخصائص العامة للغتهم. وفي هذه الحالة لايتوفر للقارىء تصور عن العوامل اللغوية العديدة التي أسهمت في تشكيل الترجوم (تارگوم: ترجمة آرامية لجزء من التوراة) لليهود الكرد: المستند في الأساس على الآرامية الحديثة، وقد تم إغناؤه بالتعابير الكردية (الكرمانجية) والعربية والتركية والآرامية القديمة والعبرية. وكان الأمر سيصبح مصدر إثارة وزيادة في وقت البحث لو أضيفت إليه قوائم بأنواع المكونات اللغوية معززة بمعاجم للكلمات المقتبسة من كل واحدة من هذه اللغات.

وفي هذا الخصوص، لابد من الإشارة الى الصعاب التي تعترض كتابة الكثير من كلمات تارگوم اليهود الكرد بالأحرف اللاتينية. وبما أن التارگوم لغة محكية، لم تكتب أبداً، فقد كان لزاماً على الطالب أن يعتمد على السماع للتعرف على أسلوب التلفظ ثم يحاول استذكارها لفظياً بأفضل صورة ممكنة. وهو الأسلوب الذي اتبعه

براور، واتبعته أنا عند إكمالي الكتاب واللقاءات مع اليهود الكرد، كما اتبعه جوزيف جَي. ريڤلين أثناء جمعه وكتابته أشعار اليهود الكرد المنقولة شفاهاً[١١]، كما اتبعه آخرون. وهذه العملية أصعب بكثير مما يبدو للوهلة الأولى وذلك لأسباب عديدة. أولها أن هناك إختلافات جمة في طريقة التلفظ عند الناس من مناطق مختلفة، وكذلك وجود تناقض في كلام الشخص الواحد فمثلاً (*غولاما*) و(*خولام*) تعنيان (العبد المملوك)؛ و(*حيتنا*) و(*ختنا*) تعنيان (العريس)؛ و(*سمكا*) و(*سماس*) و(*ساموكسا*) تعني (الحمل بالطفل)؛ و(*شوشيتا*) و(*سيستا*) تعنيان (ظفيرة)؛ و(*چالا*) و(*شآلا*) و(*شالا*) و(*شالو*) تعني (سروال)؛ و(*چهل*) و(*چلكه*) و(*چلقه*) و(*چلي*) تعني (أربعين)؛ و(*شلبيآتا*) و(*شويوئيتا*) و(*شويثا*) كلها تعني (الموت).

كما أن هناك تشعبات عن الآرامية القديمة يميل الطالب في الغالب الى الخطل في سماعها من قبيل تارگوم (*خيڤريه*) أصلها في الآرامية القديمة (*حاڤرايه*)، وتارگوم (*عدا*) أصلها في الآرامية القديمة (*عيدا*)، وتارگوم (*زاعورا*) أو (*زورا*) أصلها في الآرامية القديمة (*زعيرا*)، فالمطلعون في مجال اللغة من الطلبة يعلمون أن هذه الكلمات تضم حرف (حاء) أو (عين) رغم عدم تلفظهما او ضياعهما بمرور الزمن، فيما لايميز ذلك غير المطلعين.

وحتى بالنسبة لأسماء المواقع، فمثلاً يتلفظ (ويكتب الرحالة ورسامو الخرائط) اسم المدينة نفسها بعدة أشكال: أربيل، وأربيلا، وئيربيل، وإربل، وكذلك الحال مع زاخو و زاخوو. ومع نُصيبين، ونيسيبين، ونسّيبين. ومع ديهوك و دوهوك ودهوك. ومع رافاندوز وراواندوز وراواندز.

أضف الى كل هذا، الإختلاف الملحوظ بين الاستعمال العراقي والإيراني للألفاظ وبين منطقة وأخرى وهو ما يمكن أن نلمسه في معظم صحائف الكتاب.

لم يكن عند د. براور من الوقت ما يسمح له بوضع معجم للألفاظ التي يضمها الكتاب، وشعوراً مني بفائدة مثل ذلك المعجم فقد قمت بتنظيم واحد ذيّلت به الكتاب.

كما أن التقاليد الموسيقية لليهود الكرد، تمثل مجالاً آخر لم يتطرق اليه براور في الكتاب. فرغم أنه يأتي على ذكر الآلات الموسيقية لدى تطرقه الى (*موتوربايه*) وما شابه. لكنه لم يكتب شيئاً عن الموسيقى نفسها، وعن الألحان وما يطلق عليه «الدياليكت الموسيقي»، ونسق ألحان معزوفات نصوص التارگوم. وهذه، كما

١١- قارن ريڤلين (*شيرات*). وكذلك: أبراهام بن يعگوڤ (*شيراه و فيّوت شيل يهودي باڤل با دوروت با أحارونيم*)، القدس ١٩٧٠.

إكتشفت إديث گيرسن- كيوي، تدخل في الإطار العام للأسلوب اليهودي الشرقي (*سيفاردي*) المستخدم في تلاوة النصوص العبرية، وبذلك تكون التراتيل (*حازانيم*) الكردية ثنائية اللغة[١٢]. كذلك ذكرت أنه في كردستان العراق، على سبيل المثال، ثمة ما لايقل عن أربعة أساليب موسيقية عند اليهود، يرتبط كل واحد منها بإحدى اللغات: (١) العبرية بالنسبة للطقوس الكنسية الموسيقية؛ (٢) الآرامية الحديثة (تارگوم) للموسيقى الدينية أو المرتبطة بالطقوس الموسيقية في المدارس (*ميدراش*) والـ(*بيشيڤا*) وبعض الشعائر ذات العلاقة بالدراسة والترجمة ومقارنة بعض النصوص الدينية؛ (٣) الكردية للتقاليد التراثية، وبضمنها القصائد الملحمية، والقصائد القصصية، والرقصات، (٤) العربية للأغاني الدارجة المأخوذة من الموسيقى الشعبية المستخدمة فقط في التجمعات والحفلات الإجتماعية[١٣].

وثمة موضوع آخر لم يتطرق اليه الكتاب، ألا وهو النظام العقائدي لليهود الكرد. لقد سجل براور الكثير عن الشعائر الدينية (الرسمية والشعبية على حد سواء) التي ترافق الأعياد الدينية على مدار السنة وطوال دورة الحياة. لكنه مع ذلك لم يذكر سوى بعض الإشارات التي تطلبها السياق حول المعتقدات ذات العلاقة بالمناسبات الدينية والطقوس والعادات. أما فيما يتعلق بالأسئلة التالية: ما هي صفات الله في نظر اليهود الكرد؟ والإعتقاد المتعلق بماهيته سبحانه؟ ما هي المعتقدات المتعلقة بالملائكة، وبالجن، والأرواح وليليث الشريرة؟[١٤] إننا لانحصل على فكرة ذات شأن بخصوص المعتقدات الدينية لليهود الكرد، وأعتقد أن الوقت الآن متأخر جداً لإستدراك هذا النقص.

أخيراً، لم يفرد فصل من الكتاب لعرض رؤى اليهود الكرد المتعلقة بأنفسهم أو بجيرانهم من المسلمين الكرد والنساطرة النصارى. صحيح أن براور يعرض تفاصيل كثيرة عن العلاقة بين اليهود وغير اليهود، لكننا نفتقد خلاصة تحليلية لنظرة اليهود الى غير اليهود الذين كانوا في تماس مباشر معهم وكيف كانوا يقيّمون أنفسهم بالمقارنة مع أولئك. لقد كان من الأهمية بمكان أن نعرف ما إذا كان الإحتقار الأوروپي الشرقي للـ(*گوي*) الذين كانوا يُعتبرون جهلة، أغبياء، متوحشين، سكّيرين له نظيره في صورة اليهود لدى الكرد والنساطرة.

١٢- قارن إديث گيرسن كيوي، في (دراسة موسيقية) العدد ٧ (١٩٦٥): الص ٦١-٧٠.

١٣- المصدر السابق، (كردستان)، إنسايكلوپيديا جودياكا، ١٠: ١٢٩٩-١٣٠٠.

١٤- على سبيل المثال علمنا من التعاويذ الكردية المنشورة في كتاب شراير (التعاويذ العبرية- لندن ١٩٦٦) أنّ اليهود الكرد يؤمنون بليليث وساتان وعدد كبير من الملائكة.

ربما لو إمتدت حياة براور ليكمل الكتاب لكان قد أضاف إليه فصولاً خاصة بهذه المواضيع. وأعتقد أنه يجدر بي أن أذكر أنني لم أحاول الخوض في هذه المواضيع عندما عملت على تكملة الكتاب.

أخيراً ثمّ تفاصيل فنية. لقد تركت نص براور كما هو خلا تغييرات نمطية طفيفة. فكل الإضافات التي زدتها على النص وضعتها بين أقواس مربعة. وأستبدلت بترجمتي الإنگليزية كل الإقتباسات التي اقتبسها براور من لغات أجنبية من لغاتها الأصلية كالعربية والعبرية والفرنسية والألمانية وغيرها.

وحيثما حصلت على ترجمات إنگليزية للأعمال التي اقتبس منها براور اقتبستها بدلاً أن أترجمها الى الإنگليزية. وقد وضعت هذه الترجمات بين أقواس مربعة. وكلما وجدت من الوجيه الإبقاء على إقتباسات في الأصل العبري استخدمت الترجمة الإنگليزية عوضاً عن الكتابة العبرية.

إن براور إستخدم في مواضيع عدة كلمات وتعابير عبرية وتارگومية أو عربية قام بترجمتها الى أبجديته اللاتينية، فرأيت من الأفضل إستبدالها بترجمة يفهمها القارىء بصورة أفضل.

وفي مواضع جد قليلة وجدتني أخالف براور الرأي فيما كتب، وهناك أفصحت عن وجهة نظري من خلال ملاحظات داخل أقواس مربعة.

رافائيل پاتاي
فورست هيلز
كانون الثاني ١٩٩٣

مقدمة الطبعة العبرية

الدراسة الإثنية الأولى قاطبة، عن المجتمع اليهودي، كانت تلك التي كتبها إريك براور عن اليهود اليمانيين والتي نشرت بالألمانية سنة ١٩٣٤ من قبل (*Kulturgeschichtliche Bibliothek*) جامعة هايدلبرگ، أما هذه الدراسة التي تنشر بعد مرور أكثر من عشر سنوات على وفاة مؤلفها براور، فهي الدراسة الأخرى الوحيدة من نوعها والأولى التي تنشر بالعبرية، توخى براور في هذين الكتابين الوسائل الإثنولوجية الحديثة لدراسة المجتمعات اليهودية الشرقية، وبذلك مهّد السبيل أمام باحثي المستقبل لدراسة الموضوع الإثنولوجي اليهودي الشائك[1].

ولد إريك براور ببرلين في ٢٨ حزيران ١٨٩٥. وبعد إكماله الدراسة الإعدادية عام ١٩١٤، إنكبّ على دراسة الإثنولوجيا في جامعات برلين ولايپزيگ، وكان من بين أساتذته ف. فون لوشن و فر. ويل. وفي ١٩٢٣ منح شهادة الدكتوراه من جامعة لايپزيگ عن بحثه الموسوم: *Züge aus der Religion der Herero: Ein Beitrag zur Hamiter Frage* والذي نشر في ١٩٢٥ من قبل معهد فولكركونگه بلايپزيگ، ودرس البحثُ الأفكارَ والإحتفالات الدينية والسحرية واستخداماتها عند القبائل الرعوية في أفريقيا، وقد حظي الكتاب بإهتمام شديد من لدن المهتمين بالدراسات الإثنية والأنثروپولوجية. لكن إهتمام براور كان يتجه الى التركيز على الإثنوپولوجيا اليهودية، وفي نفس العام الذي نشر فيه بحثه سافر الى فلسطين وفي نيّته دراسة المجتمعات اليهودية الشرقية. وفي ١٩٣٠ منحته الجامعة العبرية جائزة اللورد پلومر، التي مكّنته من تمديد فترة إقامته بفلسطين سنة أخرى، ولدى عودته الى المانيا نشر النتائج الأولى لدراساته عن اليهود اليمانيين في صحيفتين طبعتا في ١٩٣١ – الأولى مطولة *Die Frau bei den südarabischen Juden (Zeitschrift für Sexualwissenschaft und Sexualpolitik)* والثانية عرض مقتضب للدراسات التي جرت على اليهود اليمانيين *(Zeitschrift für Ethnologie 63)*. وأتبعهما في ١٩٣٤ بدراسته الشاملة المنوه بها «أثنولوجيا اليهود اليمانيين».

١- فيما يتعلق بالمشاكل الخاصة بالإثنولوجيا اليهودية، أنظر ما نشرته تحت عنوان (مشاكل ومهام الفلكلور والإثنولوجيا اليهوديين)، في مجلة الفلكلور الأمريكي ٥٩، العدد ٢٣١: كانون الثاني- آذار ١٩٤٦، الص ٢٥-٣٩.

ومنذ ١٩٣٤ وحتى وفاته المبكرة في التاسع من أيار ١٩٤٢ – حيث كان يبلغ من العمر ٤٧ سنة فقط – عاد من جديد ليعيش في القدس، حيث كرّس نفسه تماماً للعمل العلمي. ففي الفترة ١٩٣٦–١٩٤٠ عمل كزميل باحث بالجامعة العبرية وكان له الفضل في تشكيل مجموعة إثنولوجية هي الآن من بين ممتلكات الجامعة. كان جامعاً شغوفاً، والى جانب مؤهلاته العلمية كان ذا موهبة في مجالين لايمكن لباحث إثنولوجي الإستغناء عنهما: لقد كان رساماً بارعاً ومصوراً فوتوگرافياً خبيراً بالصنعة. ورغم كون الموارد المالية المتاحة له غير كافية، فإنّه إستغلها أفضل إستغلال فجمع المئات من الأزياء ومواد الزينة والحلي والتعاويذ ومواد أخرى ذات قيمة فلكلورية وإثنولوجية، كما إلتقط آلاف الصور الفوتوگرافية التي تجمع بين الأهمية الأنثروپولوجية والقيمة الفنية. وعزز هذا كلّه بما جادت به ريشته وقلمه من التخطيطات واللوحات والدراسات. والجزء الأكثر أهمية من هذه المادة المصورة غير منشور وقد وضعته أخته السيدة گيرتا هيللر، من پيتاخ تيكڤاه، في خدمة معهد فلسطين للفلكلور والإثنولوجيا الى جانب معروضات جمعت من قبله.

ومع أنّ الزمن لم يسمح لبراوَر بأكثر من تحقيقيْن مصنّفيْن عن مجتمعيْن يهودييْن، هما مجتمعا اليهود اليمانيين والكُرد، فإنّه قام بدراسة مجتمعات يهودية شرقية أخرى ونشر كتابات عن يهود أفغانستان. أما منشوراته الأخرى فقد كان إثنان منها عن الـ(*فلاحين*) الفلسطينيين، وفي ثلاثة نشرت في حياته قدّم بعضاً من نتائج دراساته في مجال الإثنولوجيا والفلكلور الخاص باليهود الكُرد.

إستند براوَر في دراستيْه على بحوث لم تجرِ في أوطان هذين المجتمعيْن بل في فلسطين، أو بالأحرى في القدس. وفي تقديمه لـ(إثنولوجيا اليهود اليمانيين) دافع عن مميّزات مثل هذه الدراسات التي يعتبرها تتجاوز عوائق أكبر، حيث كتب يقول:

> خلال إقامة دامت سنوات في فلسطين، قام الباحث بدراسة اليمانيين الذين كانوا قد هاجروا الى ذلك البلد خلال عقود عدة من الزمن. وبخلاف المعوقات التي تعترض مثل هذا البحث عند إجرائه خارج مناطق إقامة المجتمع موضوع البحث، وهي معوقات يدركها الباحث تماماً، فإنّ الوضع الحالي يوفر فوائد جمة. فمثلاً في اليمن وحتى في الوقت الحالي، يكون الشخص الغريب خاضعاً كلية للإمام الذي لايسمح له إلاّ برؤية الأشياء التي يريد هو أن يريها إياه. ومنذ هاليڤي، لم ينجح أي غريب في القيام بزيارة الى اليمن الشمالي، ويُلزَم غالبية

المسافرين بسلوك طريق الحديْدة – صنعاء. واليهود ايضاً، لايمكن الوصول اليهم في اليمن بسهولة لأنّ الضغوط التي يعانونها هناك تجبرهم على إلتزام جانب الحذر. أما في فلسطين فيمكن الإلتقاء بهم بسهولة. والشباب هم السباقون في إتاحة هذه الحرية التي يهتدي اليها كبار السن من بعدهم. كما يمكن أن يحصل المرء على معلومات من النساء، الأمر الذي هو من الصعوبة بمكان في اليمن حيث التأكيد الشديد على إلتزام الفصل بين الجنسين. والى جانب هذا كله، فالفرصة في فلسطين متاحة للقاء بيهود من كافة أنحاء اليمن، بل وحتى من مناطق مثل صعدة التي لم يتمكن أوروپي واحد من زيارتها الى اليوم[٢].

وبالإضافة الى التبريرات التي أوردها، فإنني أعتقد بصورة شبه جازمة أنّه لم يمنعه عوقه الجسماني – كان براوَر ضئيلاً، نحيفاً، أحدب – فروح الإستكشاف عند براوَر كانت تتغلب بالتأكيد على كل عائق، وإني متأكد أنّه كان سيضع لمساته الأخيرة على دراستيْه عن اليهود اليمانيين والكُرد خلال فترة إقامة مناسبة بين ظهراني هذين المجتمعيْن اليهودييْن.

ومما يجدر بالذكر هنا هو أن براوَر اختار في كلتا الحالتيْن عينات للبحث غير محصورة في يهود مجتمع منفرد ضيق، كبلدة صغيرة مثلاً، بل جعلها تشمل البلد المبحوث بأكمله، فعيناته مأخوذة من تجمعات سكنية مختلفة تظهر بينها أحياناً فوارق كبيرة في العادات وأساليب العيش. ففي حالة اليهود اليمانيين، والى جانب إهتمامه بمراكز اليهود الرئيسية مثل صنعاء، إهتم بأنواع مختلفة من العادات والأعراف الموجودة في اليمن الشمالي من جهة وبتلك التي في عدن من جهة أخرى، واللتيْن تفصلهما مسافة تقدر بحوالي ثلاثمائة ميل.

وفي هذا الكتاب، فإن الإلتزام بالأخذ بمجاميع مختلفة من الأعراف المتبعة في مجتمعات مختلفة موزعة على مساحة شاسعة من الأرض كان أكثر وضوحاً. فكُردستان تمتد على أرض تنتمي سياسياً الى خمس دول: سورية والعراق وإيران وتركيا وروسيا السوڤيتية. وحتى قبل الحرب العالمية الأولى، فقد كانت مقسمة بين ثلاث دول: الإمبراطورية التركية وروسيا القيصرية وبلاد فارس. إن التبعية السياسية تؤدي بالطبع الى التأثر الثقافي الى حدٍّ ما، حتى لو كانت هذه التأثيرات

٢- ترجمة النص من الألمانية هي لي.

القادمة عبر الحدود السياسية ناجمة عن إنغلاق المجتمع موضع البحث. لذا، فهنالك بون شاسع في العادات والأعراف بين اليهود في كل من العماديه وبارزان وألقوش والموصل وأربيل ودهوك وكركوك والسليمانية (وهي كلها تقع ضمن حدود العراق) وبين يهود سنه (سنندج) وشنو ومراغه وأورميه (وكلها في إيران) – وهذه المناطق سيقرأ عنها القاريء في ما سيأتي من الكتاب.

إنّ حقيقة كون يهود كردستان يعيشون في ثلاث مناطق مختلفة من حيث التكوين – منطقة الجبال ومنطقة البحيرة البركانية والمنطقة السهلية – تضيف حصتها من التاثير في الإختلاف الثقافي. وإن الأخذ بوجود العديد من السمات الثقافية المحلية المختلفة تجعل عمل براوَر يشبه عمل الروّاف الى حدٍّ ما، وهذا ما يجعل من الضروري للقاريء أن يركّز لدى قراءته الكتاب للتوصل الى نموذج عام شامل. لقد تهيّأت لي الفرصة لمناقشة براوَر حول التأثير المربك لمثل هذا الأسلوب في التعامل مع المعطيات، وأنّه يجب رسم صورة عامة هي في النهاية الهدف الأساسي من هذا النوع من البحث الإثنولوجي. فطرح براوَر أمريْن يبرران إتباع هذا الأسلوب، بل ويجعلان إتباعه ضرورياً: الأول، تحديد الهوية الأساسية للسمات الثقافية المختلفة في تفاصيلها ولكنها مشتركة بين يهود منطقة الدراسة، كاليمن وكردستان؛ والثاني، الإغفال المؤلم للإثنولوجيا اليهودية، والذي يجعل من مسح شامل للقبائل اليهودية كلها مهمة لها الأولوية اذا ما قورن مثل هذا المسح بدراسة مستفيضة لتجمع منفرد.

وخلال دراسته في الجامعات الألمانية، تاثر براوَر بالمدرسة الإثنولوجية المعروفة بإسم كلتوركرايسليره (نظرية الدائرة الثقافية). ويرجع تاريخ تأسيس هذه المدرسة الى العام ١٩٠٤، عندما كان گريبنر وأنكرمان يلقيان محاضراتهما حول الدوائر الثقافية والأساليب الثقافية في أوسينيا وأفريقيا. وقد برزت أهمية مبدأ الدوائر الثقافية عندما ضمّها پيتر ڤلهلم شميت مع إختلافاتها البسيطة في كتابه (العامل الثقافي التاريخي في الإثنولوجيا). وتقول هذه النظرية إنّ الأجزاء المكونة أو القيم التي تؤلف الثقافات ملتحمة فطرياً وتدور في دوائر "مغلقة"، وعندما تصطدم، على شكل مركّب، بمركّبات أخرى قادمة من مركز آخر فإنّهما إما يمتزجان معاً أو يفسح أحدهما المجال للآخر. أما خارج ألمانيا والنمسا – حيث كانت ڤيننّا موطن مدرسة شميت – لم تلق هذه النظرية الكثير من القبول. وكان أكثر من ناصرها في أمريكا (كلايد كلوكوهن)[3]. أما براوَر فقد ظلّ مخلصاً لكولتوركرايسه حتى نهاية حياته،

٣- قارن مع: كلايد كلوكوهن (بعض الإنطباعات حول نهج ونظرية كولتوركرايسلر)، مجلـــــة =

بل إنّه كان مناصراً شديداً لهذه النظرية. وأذكر أنه في أحد أيام خريف ١٩٤٠، وبعد قراءة المسودة الأولى لكتابي (الإنسان والأرض) سألني: "الى أيّ مدرسة تنتمي؟" وتبع ذلك نقاش ساخن حول المسائل النظرية شرح من خلاله نقاط القوة في مدرسته بقوة ووضوح كبيريْن. وكل هذا ناجم عن تجسد نزعته العلمية الظاهرة في كتابيْه حيث أتمّ كلّ بحث نظريّ بكمال يريح الضمير. أمّا في المجلد الحالي فإنّ مصطلح كولتوركرايسه لايظهر إلا مرة أو إثنتيْن في هوامش ذات صلة. وقد كانت قناعة براوَر أنّ دراسة وصفية من هذا النوع لايمكن أن تقدّم غير الحقائق، كلّ الحقائق، ولا شيء سوى الحقائق.

لم يك إختيار براوَر ليهود كردستان مادةً لدراسته الإثنولوجية الثانية بأقلّ شأناً مما فعل في دراسته الأولى. فبينما كان اليهود اليمانيون، بصورة خاصة، مادة مناسبة لموضوع بحث على أساس عزلتهم النسبية في تطورهم على مدار قرون عديدة، فإنّ يهود كردستان هم من المجتمعات اليهودية المعدودة التي لاتزال تمارس الزراعة بصورة بدائية تقليدية، ولها بلاشك أهمية كبيرة كمصدر لمعيشتهم. إنّ أسلوب الحياة والتراث الفلكلوري لليهود المزارعين يعدّان من الأمور الهامة جداً من منطلق إتمام الصورة العامة للحياة الشعبية اليهودية في كافة البقاع، هذه الأهمية تفوق تلك التي قد تكون للمجتمعات التجارية. أضف الى هذا أنّ يهود كردستان عاشوا على أرض تجاور في جزءٍ منها، بل وتتداخل مع البلد الذي يمكن أن يعتبر الوطن الثاني لليهودية بعد فلسطين – ألا وهو بابل حيث عاش اليهود دون منازع لأكثر من ألفين وخمسمائة عام. فالأدب الثر الموروث من العهود التلمودية والگاوونية يفيدنا بمعلومات جمة حول حياة وتراث الشعب اليهودي في ذلك البلد. وكما نعلم فإن المهن السائدة في العهود التلمودية كانت الزراعة والحرف اليدوية والشحن المائي وهذه المهن هي نفسها لاتزال سائدة عند يهود كردستان.

كما أنّ المرء عندما يقرأ دراسة براوَر يتولّد لديه الإنطباع بأنّ الكثير جداً من الأعراف والمعتقدات، الدينية والدنيوية، قد تمت المحافظة عليها ولازالت حية عند يهود كردستان. ولإثبات صحة هذا الإنطباع يجب إجراء دراسة مقارنة خاصة تعتمد على الكتاب والأدب التلمودي الحالي. فمثلاً يمكن أن نشير الى الضرب

= الأنثروپولوجي الأمريكي، العدد ٣٨ (١٩٣٦) الص ١٥٧-١٩٦. كذلك: ظهور كلوكوهن في كتاب دبليو. شميت (النهج الثقافي التاريخي في الإثنولوجيا) ترجمة أس. أي. سايبَر (نيويورك ١٩٣٩) الص ٦٣-٦٩.

بفروع الشجر في عيد سوكّوت، والرقصات التي يرقصها كبار السن من الرجال (حيث يرفع يهود كردستان السيوف خلالها)، والإعتقاد بأن الأعمدة الخشبية للكُنيسات (كتلك الموجودة في هيكل القدس) هي أشجار حية لها جذورها الممتدة في الأرض، والعديد من الأمثلة الأخرى. لكن براوَر لم يشر الى مثل هذه الروابط التاريخية إلاّ اذا دعت المناسبة لذلك. وفي هوامشي، التي دأبت على وضعها داخل أقواس مربعة، نبَّهتُ الى الكثير من هذه المتشابهات التاريخية. وسيجد القاريء أن معظم هوامشي موجود في الفصول التي تتعامل مع المسائل الدينية.

قبل وفاته بزمنٍ قصير، أعطاني براوَر هذا الجزء من دراسته لأقرأها؛ وقد نبّهتُه الى الكثير من العادات، التي وصفها وذكّرتني بعادات تعرّفتُ اليها من خلال دراساتي التاريخية. وقد رحّب هو بحرارة بمثل هذا الربط، إلاّ أنّ المرض وتدهور صحته حالا دون أن يفيد هو منه.

كما حاولت تعزيز المعلومات التي يعرضها الكاتب بمعلومات إضافية جُمعتْ من اليهود الكُرد في القدس. وقد كان المصدر الرئيس لمعلوماتي هو الحاخام علوان أڤيداني، حاخام العماديه السابق، والذي يتمتع بمعرفة شاملة وإطلاع كامل على الأمور الحياتية لمجتمعه وهو مصدر لم يبخل عليّ بأيّ معلومة طلبتها. ويتبيّن من فهرست المحتويات الذي وضعه براوَر بنفسه أنّه كان ينوي كتابة المزيد من الفصول والفقرات. فمثلاً كان عنوان إحدى فقرات الفصل الخاص بالزواج هو (زي العروس) ولكن لم يكتب ولو سطراً واحداً من هذه الفقرة. وقد قمتُ من جهتي بكتابة فقرة تحت العنوان المذكور وأضفتُ ايضاً فقرة بعنوان (زي العريس) . وقد وضعتُ كل إضافاتي سواء كانت طويلة أم قصيرة داخل قوس مربع.

كما يتضح من فهرست المحتويات الملحق بمخطوطة براوَر أنّه كان ينوي كتابة فصل عن السوماتولوجي*، وآخر عن الإحصائيات المتعلقة باليهود الكُرد. ورغم أنّ الملاحظات التي تركها من ورائه، والتي زودتني بها السيدة هيللر عندما طلبتها منها، أظهرت بعض معلومات قليلة حول قياسات أنثروپومترية**. لكن هذه المعلومات القليلة لاتكفي لكتابة فصل، إذ أنّ كتابة فصل حول هذا الموضوع تتطلّب تحقيقات مستقلة مطوّلة بين ظهراني اليهود الكُرد، وهي مهمة لم أتمكّن من النهوض بها.

كذلك فإنّ المقارنة مع كتاب براوَر حول اليهود اليمانيين تبيّن أنه مع وجود تطابق

* السوماتولوجي: علم يعنى بجسم الإنسان وخاصة في مجال الإنثروپولوجيا (المترجم).
** الأنثروپومترية: فرع من الأنثروپولوجيا يهتم بقياسات أعضاء جسم الإنسان ومميزاتها (المترجم).

عام في بنيتيْ الدراستيْن فإنّ الكتاب المعني باليهود اليمانيين يضمّ فقرتيْن وفصلاً كاملاً يُفتقدُ أمثالها في الكتاب المعني باليهود الكُرد. الفقرتان هما: ألعاب الأطفال والشؤون القضائية، والفصل هو حول السحر. ومع ذلك توجد مواد متعلقة بهذا الموضوع بين طيات فصول الكتاب الأخرى، وربما لو كان الأجل قد أمهل براوَر فترة تكفي لإكمال هذه الدراسة، لكان قد أفرد فقرات خاصة بهذه المواضيع.

وبخلاف الإضافات التي ذكرتها، فإنّ عملي على تحرير الكتاب تضمّن تصنيف بعض من المقتبسات، وتصحيح بعض من المقاطع التي لم تترجم بصورة صحيحة من قبل كتّاب العبرية، وإحلال الصيغة الإنگليزية للمنقول من (بنيامين الثاني) محلّ الألمانية التي ضمّتها مخطوطة براوَر، وإكمال ثبت المراجع، وإضافة إشارات في الأماكن المناسبة لمقارنة السمات التي هي موجودة في مجتمعات شرقية يهودية أخرى وذلك لغرض إبطال الإنطباع الذي قد يقول بأنّ إحدى السمات نادرة ينفرد بها اليهود الكُرد. هذا، ولم أحشر شيئاً في النص في أي مكان، وإن الذي بين يدي القاريء الآن هو نفس ما كتبه براوَر مع تغييرات طفيفة على أسلوب الصياغة فقط.

رافائيل پاتاي
القدس/ كانون الثاني ١٩٤٦

مقدمة الطبعة العربية

صفحات كثيرة من تاريخ وتراث شعب كردستان، تكالبت عليها عوامل مختلفة، أغلبها من صنع الأجانب الغرباء عن هذا الشعب، فطواها النسيان وحالت أسباب كثيرة دون الكشف عن خفاياها ورفع الأستار المسدلة عليها. ومنها كل ما يتعلق باليهود الكرد الذين عاشوا على أرض كردستان منذ عهود، وشاركوا بقية أبناء الشعب الكردي حياتهم الثقافية بمختلف نواحيها الإجتماعية والإقتصادية.

وهذه الصحيفة التي طويت بمجرد اضطرار يهود كردستان الى الهجرة الجماعية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ليستقروا في فلسطين حيث تقمصوا بسرعة الثقافة اليهودية – الإسرائيلية السائدة هناك. واحدة من تلك الصفحات التي لم يحاول أحد أن ينفض عنها الغبار ويفتحها مجدداً ليطلع أبناء كردستان على ما تضم. وهذا الكتاب الذي نقدم اليوم ترجمته الى اللغة العربية يمكن أن يخدم كمرجع ومصدر لأي دراسة إثنولوجية شاملة عن شعب كردستان بمختلف طوائفه وأعراقه وأديانه. لقد انتهى فجأة عالم اليهود الكرد الذي كان قائماً قبل الحرب العالمية الثانية. وهذا الكتاب، بالتالي، يحكي حياة وتراث مجتمع يهودي إختفى من الوجود في بلد عاش فيه هذا المجتمع من عصور موغلة في القدم.

أجرى العالم الأنثروپولوجي إريك براور لقاءات مع عدد كبير من اليهود الكرد ليكتب قبل وفاته في العام ١٩٤٢ هذا الكتاب «يهود كردستان». وجاء رافائيل پاتاي فأكمل المخطوطة التي خلفها براور، وترجمها الى العبرية، ثم نشرها في ١٩٤٧.

وهنا لابد أن ننوه بأن غرضنا من ترجمة النسخة الانگليزية من الكتاب هو ملء فجوة في تراث كردستان أخليت تماماً ولم يتم التطرق إليها. فلم نعد نسمع عن يهود كردستان سوى بعض القيل والقال من أفواه كبار السن الذين عاشوا في فترة وجود اليهود هنا. والكتاب في حلّته الجديدة يضيف جديداً الى المكتبة الكردستانية، ومحاولة لفتح الباب على جزء لفه الظلام من تراث شعب كردستان وهو هدف لا دوافع سياسية أو مادية وراءه. إذا علمنا أنّ «يهود كردستان» وثيقة تاريخية فريدة ترسم صورة لحياة وثقافة اليهود الكرد في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية. بل هي، لحد الآن، الدراسة الوحيدة التي تتناول موضوع اليهود الكرد

وتبحث بصورة شاملة في تراثهم المادي، وأسلوب حياتهم، وطقوسهم الدينية، والحرف التي يمارسونها، وأخيراً علاقاتهم مع المسلمين.

في مقدمته، يعرض رفائيل پاتاي بيانات يعتبرها مهمة لإغناء كتاب براور، الى جانب تعليقات عن قيمة الكتاب ومواطن ضعفه بعد مرور خمسين عاماً على تأليفه من قبل براور. وقد زاد پاتاي معلومات إضافية إستقاها من اليهود الكرد في أورشليم – القدس – وحقق شواهده، وصحّح بعض فقراته التي أُخطئت ترجمتها من العبرية، وأكمل ثبت المراجع، وأضاف المصطلحات المناسبة التي توازي مثيلاتها في المجتمعات اليهودية الشرقية الأخرى.

لقد عاش اليهود على أرض كردستان قروناً عديدة وانخرطوا في العديد من جوانب الحياة الكردستانية، إلا الجانب السياسي الذي يبدو أنهم نأوا بأنفسهم عنه لأسباب لن يكشفها إلا المزيد من البحوث والدراسات عنهم وعن الظروف التي عاشوها.

لكن ثم حقيقة لايمكن أن يغفلها أي كردستاني منصف حين يفتح باب الحديث عن اليهود وهي تبرز جلياً في أيامنا هذه حيث عيون الطامعين تتربص وتتحين الفرص للفوز بحصة لها من ثروات كردستان، هذه الحقيقة هي أن اليهود رغم الفترة الطويلة التي عاشوها في كردستان ورغم أنهم سبقوا الكثيرين غيرهم في الإستقرار على أرض كردستان، فإنهم لم يطمعوا يوماً في الاستحواذ على هذه الأرض وحرمان شعبها الأصيل من حقوقه في أرضه، كالأقليات الطارئة التي باتت اليوم تتشدق بحقوق مزعومة لها في هذه الأرض ما لها من سند ولا دليل. بل أننا لم نسمع يوماً بمذابح أقامها اليهود بالتعاون مع أعداء شعب كردستان ضد هذا الشعب المظلوم كما فعل أولئك الطارئون، الذين مازالوا يتحينون كل فرصة للنيل من هذا الشعب الأصيل محاولين حرمانه من كل حقوقه.

وها نحن اليوم نقدم هذا الجهد المتواضع الى المكتبة الكردستانية وخاصة الباحثين في مجال الانثولوجيا والمهتمين بدراسات حول كردستان وشعبها وقد بذلنا جهدنا في الالتزام التام بنقل مادة الكتاب بكل أمانة ودقة وإن كان ثم مواضع ضعف في عملنا هذا فعذرنا أن هذا أول عمل لنا بهذا الحجم وأن المصادر المتعلقة بموضوعه لم تكن متاحة لنا لندرتها في كردستان. فنرجو أن نكون قد وفقنا فيما أنجزنا.

ولد إريك براور في برلين سنة ١٨٩٥، ودرس الإثنولوجيا في جامعتي برلين

ولايپزيگ. عاش لسنوات عدة في القدس حيث تفرّغ كلياً لعمله العلمي.

ورفائيل پاتاي أنثروپولوجي ومؤرخ ويعد مرجعاً ذا شهرة دولية وهو متخصص في أنثروپولوجيا الشرق الأدنى القديم والشرق الأوسط المعاصر، وإسرائيل واليهود. وقد ألف أكثر من ثلاثين كتاباً، ومن مؤلفاته: (الفكر العربي) و(الفكر اليهودي) و(حول الفلكلور اليهودي) و(بذرة أبراهام).

أخيراً نودّ إطلاع قرائنا على بضع نقاط إتبعناها خلال الترجمة تسهيلاً للفهم:

١- لقد سعينا بجدّ لكتابة الكلمات غير العربية بالإملاء العربي ليتمكن القاريء من معرفة كيفية تلفظها. ولتمييزها كتبناها في الغالب على الأقل عندما ترد الكلمة للمرة الأولى في الكتاب بخط مائل ومختلف عن البقية. وقد إستخدمنا حروف الإملاء الكردي للتعبير عن بعض الأصوات كما تلفظ أصلاً، وعلى النحو التالي:

(پ) ويُلفظ كما يلفظ حرف P الإنكليزي؛

(چ) ويُلفظ كما يلفظ الحرفان CH في كلمة *Child*الإنكليزية؛

(د) ويُلفظ كما يلفظ حرف S في كلمة *Pleasure*الإنكليزية؛

(ڤ) ويُلفظ كما يلفظ حرف V الإنكليزي؛

(گ) ويُلفظ كما يلفظ حرف G في كلمة *Go*الإنكليزية.

وكذلك الهاء في نهاية هذه الكلمات يُقرأ كما تُقرأ الفتحة.

٢- أضفنا الى الكتاب بعض الصور التوضيحية التي إقتبسناها من الترجمة العربية لجزء من كتاب الرحالة الفرنسي (هنري بَنديه Henry Binder) الموسوم (Au Kurdistan, En Mésopotamie et en Perse الى كُردستان، في بلاد مابين النهرين وفارس). وأشرنا الى اقتباسها من الكتاب في مواضعها.

٣- فيما يتعلّق بالهوامش والملاحظات فقد دأبنا على الإلتزام بما ورد في أصل الكتاب إلا أننا أدرجنا الهوامش في أسفل الصحائف بدلنا من إيرادها في الأخير كما في الأصل. أما توضيحاتنا وملاحظاتنا فقد أوردناها حيثما دعت الحاجة وإلتزمنا أن نردفها بكلمة (المترجم) تمييزاً لها.

المترجمان

أربيل/ ١٠ كانون الأول ٢٠٠٢

نتاجات إريك براوَر المنشورة

- *Zuge aus der Religion der Herero: Ein Beitrag zur Hamitenfrage. Institut der Volkerkunde, 1st series (Ethnographie und Ethnologie). Leipzig: R. Voigtlanders Verlag, 1925.*
- *"Die Frau bei den sudarabichen Guden." Zeitschrift fur Sexualwissenschaft und Sexualpolitik 18 (1931): 152-71.*
- *"Forschungen bei den jemenitischen Juden." Zeitschrift fur Ethnologie 63 (1931): 226-32.*
- *"Yehude Teman: Bibliografiya" [The Jews of Yemen: A Bibliography]. Qiryat Sefer 10 (1933/34): 119-30, 236-48, 515-24.*
- *Ethnologie der jemenitischen Juden. Kulturggeschichtliche Bibliothek, 1st series (Ethnologische Bibliothek), vol. 7. Heidelberg: Carl Winter, 1934.*
- *"Fellachen in Palastina." Almanach des Schocken Verlags (Berlin) 1936/37: 100-11-.*
- *"Der heilseme Granatapfelbaum: Nach Ezrahlung eines kurdischen Juden aufgezeichnet." Almanach des Schocken Verlags (Berlin) 1937/38: 164-73. (Included in the present volume in chapter 18.)*
- *"Minhage Yehude Kurdistan ba`Atzirat ha`-Geshamim" [Rites and Customs in Times of Drought Among the Jews of Kurdistan].*
- *Sefer Magnes (Jerusalem) 1938: vii-ix, 50-61.(Included in the present volume as chapter 24.)*
- *"Qivre Qedoshim we-Sifre Torah Scroll `Ose Nifla`ot" [Holy Tombs and Miracle Working Torah Scrolls]. In Yhsrael Yesha`yahu, ed., MiTeman le-Ziyon. Tel Aviv: Massada, 1938, pp. 165-73*
- *Brauche der kurdischen Juden: Kinder und Kindheit." Almanach des Schocken Verlag (Berlin) 1938/39: 105-12.*
- *"the Jews of Afghanistan," Jewish Social Studies (New York) 4 (1942). "On The Folk Museum in Palestine and the Style of Living of the Fellauin." in Ba`ayot (Jerusalem), 1942.*
- *"Yehude Afganistan" [The Jews of Afghanistan]. Sinai (Jerusalem) 7:12 (1944): 324-42.*
- *"Minhage Leda Etzel Yehude Kurdistan" [Birth Customs of the Jews of Kurdistan]. Edoth (Jerusalem) 1 (1946): 65-72. (Translated from English into Hebrew by Raphael Patai.)*
- *Milah we-Yaldut Etzel Yehude Kurdistan" [Circumcision and Childhood Among the Jews of Kurdistan]. Edoth (Jerusalem) 1 (1946): 129-38. (Translated from English into Hebrew by Raphael Patai.)*

القسم الأول

تمهيد



موّره (مريام) طفلة يهودية من العماديه

1

البحث الإثنولوجي

إن العزلة الطبيعية للمرتفعات الكردية والتي تجعل التنقل والإتصالات صعبة، وكذلك الفوضى السياسية السائدة، وخشونة طباع سكان هذه الأرض، كلها عوائق حقيقية أمام أي محاولة لإجراء دراسة علمية حولها. لذا قال الجغرافي كارل ريتر بانّه قبل رحلات سي. آر. ريچ (١٨٢٠) كانت كردستان الأرض المجهولة بكل ما تحمل الكلمة من معنى[١]. وفي الواقع، فإنّ ما نعرفه عن كردستان حتى اليوم هو مجرد معلومات عن الطرق التجارية المارة بها ولم تتجاوز معرفتنا ذلك النطاق.

والذي ذكرنا ينطبق على سكان هذه البلاد كما ينطبق على جغرافيتها. فليست لدينا حتى الآن دراسة إثنولوجية منهجية عن الكُرد. والموقف أفضل نسبياً فيما يتعلق بالنصارى. أما المعلومات المتوفرة عن اليهود الكُرد فهي أقلّ من تلك المتوفرة عن أيّ مجموعة يهودية أخرى، والأوصاف التي قدّمها القليل جداً من تقارير الرحالة هي أكثر المعلومات ضبابية. فقلّما إتصل الرحالة بيهود هذه البلاد، والكثير منهم، بصورة عامة، أغفل أية إشارة الى اليهود في تقاريره. لذا فمن بين العديد من كتب الرحلات، بل ومن بين أهمها، لاتجد مكاناً لمجال البحث الذي نحن بصدده[٢]. فلم يلبث أيّ من الرحالة في البلاد فترة كافية للتعرف عن قرب على اليهود الكُرد، كما أنه ليس هناك عمل عن يهود كردستان يشابه عمل (سافير) عن يهود اليمن.

بنيامين التوديلي وپيتاحيا الراتسبوني

أولى التقارير الموثوقة عن اليهود الكُرد هي لكل من بيامين التوديلي وپيتاحيا الراتسبوني في القرن الثاني عشر الميلادي. كان هذان خاضعيْن تماماً لتأثير الجغرافيين العرب، وكان هدفهما العثور على الأسباط [الأسطوريين] العشرة [لإسرائيل]، وهو الهدف الذي أغرى بالبحث العديدَ من الرحالة غير اليهود، وكذلك من الرحالة اليهود، الى عصرنا الحديث.

١- كارل ريتر، جغرافيا آسيا، المجلد ٩، برلين ١٨٤٠، ص٨.

٢- أقدم مادة حول كردستان وردت في "جغرافيا آسيا" لكارل ريتر، المجلدات ٩-١١، برلين ١٨٤٠-١٨٤٤. وللتعرف على ثبت المراجع أنظر: الإنسايكوپيديا الإسلامية، مادة "كردستان"؛ وإي. بانس، تركيا، الطبعة الثالثة، براونشڤايگ ١٩١٩، الص ٢١-٤١٧.

ترك بنيامين التوديلي وراءه وصفاً لرحلته (١١٦٦-١١٧١) في كتاب شهير بحق[٣]. لكن هذا الكتاب يضمّ معلومات مستقاة من آخرين حول مجتمعات يهودية لم يزر مواطنها بنفسه، وهذه حقيقة لم يوضحها لا المؤلف نفسه ولا الذين نشروا كتابه. لذا فإنّ الكتاب يفتقر الى الدقة، ولم يوفَّق الأكاديميون حتى الآن الى نشر كل يوميات بنيامين الحقيقية[٤]. ورغم هذا فإنّ الأمر المؤكد هو أن بنيامين قد زار فقط حدود أقاليم كردستان دون أن يخترق المناطق الجبلية منها.

إنطلق بنيامين في رحلته من فلسطين الى نصيبين عبر دمشق فحلب فقلعة جابر. ثم سافر الى الموصل من الطريق المار بجزيرة إبن عمر "على قدمات جبال أرارات. على مسافة أربعة أميال من موقع رسوّ سفينة نوح" (ص ٥٢). ويقدم بنيامين وصفاً مفصلاً عن الموصل، التي يسميها آشور (وهي التسمية المتعارف عليها بين اليهود الى يومنا هذا)؛ كما أنه تحدث عن آثار نينوى.

وما يتبع ذلك من النص يعتريه شيء من الخلل، فثمة حلقة مفقودة قبل إنتقاله للحديث عن أربيل، كما أن من المستحيل إثبات كون بنيامين قد زار أربيل فعلاً أم لم يفعل؛ ويبدو من المحتمل جداً أنّه انطلق من الموصل بإتجاه الغرب حتى بلغ الفرات، حيث إستقل كلكاً [الكلك، بالعربية هو طوف مصنوع من قرب منفوخة] متجهاً نحو بغداد والبصرة. وليس من المعقول أن بنيامين ذهب الى أبعد من البصرة. وتقاريره عن المناطق الفارسية (وخصوصاً العماديه) مقتبسة من الآخرين، لكن هذا لايقلل من قيمتها. ويبدو من الرقم المبالغ فيه الذي قدّر به سكان العماديه (وهو ٢٥٠٠٠) أنه لم يزرها قطّ. وربّما يكون هذا نتيجة خطأ من الناسخ[٥]؛ والتقرير بصورة عامة يعطي الإنطباع بأنّ المعلومات التي فيه سماعية أكثر منها معلومات شاهد عيان. ومن

٣- سفر *ماساعوت شيل رابي بنيامين*: مذكرات بنيامين التوديلي، طبعة أم. أن. أدلر، لندن ١٩٠٧، الإقتباسات مستلة من هذه الطبعة. وفيما يتعلق برحلات بنيامين ينبغي أن لاننسى أنّ المبشرين النساطرة، إعتباراً من القرن السابع عشر، توغلوا في البلاد حتى بلغوا الصين. وعلى كلّ حال لم تكن آسيا مجهولة الى الدرجة التي كان الأوروپيون يتصورنها.

٤- فيما يتعلق بمذكرات بنيامين، أنظر مقدمات وحواشي الطبعة المذكورة، وكذلك مؤلف پاول بوركارد، *Der Reiseweg des Rabbi Benjamin von Tudela und des Rabbi Petachia aus Regensburg in Mesopotamien und Persien Ein Versuch," Jahrbuch der judisch-literarischen Gesellschaft 1924: 137-62.* كذلك أنظر: إنسايكلوپيديا جودياكا، مادة "بنيامين فون توديلا" بقلم بوركارد.

٥- المخطوطات كلها تقدر الرقم بخمسة وعشرين ألفاً (ص٧٧). لذا فمن الغريب أن يذكر جوزيف إبن ڤيرگا في مؤلفه "*شيڤيط يهودا*" وجوزيف كوهن في مؤلفه "*إميك ها-باخا*" ألف عائلة فقط.

المعلوم أن بنيامين بعد مغادرته البصرة عاد عن طريق مصر.

أما كتاب رحلات معاصره الرابي (الحَبر) پيتاحيا الراتسبوني[٦] (١١٧٥-١١٩٠)[٧] فلم تبق منه إلاّ نسخة واحدة تعرضت للتلاعب من قبل ناشري الكتاب لدرجة أنّه لم يعد ممكناً التحقق من اليوميات الحقيقية لرحلة پيتاحيا. لقد كان پيتاحيا مراقباً جيداً، وأوصافه أكثر قوة من تلك التي لبنيامين.

لم يدخل پيتاحيا الى ميسوپوتاميا، ولا الى كردستان من الغرب كما فعل بنيامين، بل دخلهما من الشمال، قادماً من روسيا الى جزيرة القرم عابراً البحر الأسود، ليرسو في مكان مجهول لدينا، إنطلق منه الى "أرض أرارات" التي هي أرمينيا: "وفي أرض أرارات سافر حتى نصيبين ومدينة حسنكيف على دجلة" (ص ١٨)[٨].

ومن هناك توجه الى نينوى الجديدة (الموصل) حيث أصيب لفترة غير قصيرة بالمرض (ص ٨). وإستغرق خمسة عشر يوماً للوصول الى بغداد من نينوى الجديدة. ومن هنا تبدأ قائمة بالأضرحة المقدسة، ومن بينها حزقيال في الكفل وناحوم في ألقوش (ص ٣٤) وعيزرا في العزير. وليس معلوماً إن كان قد زار هذه الأضرحة بنفسه أم لا. ومن بغداد توجه الى فلسطين عبر الموصل ونصيبين.

والأوصاف التي نجدها في هذا الكتاب عن الكلك وعن المنّ (منّ السما - المترجم) هي ذات أهمية خاصة بالنسبة لنا (الص ١٠، ٤٨).

ألحاريزي

بعد عهد بنيامين وپيتاحيا ببضع عقود، قام أحد مشاهير اليهود برحلة جاب خلالها هذه الأقاليم - هو الشاعر الإسپاني العبري يهودا ألحاريزي (في حوالي ١١٩٠-١٢٣٥). ترجم ألحاريزي الى العبرية مقامات الحريري، التي أيقظت عنده الرغبة في منافسة الشاعر العربي بعمل مماثل باللغة العبرية. وبهدف جمع ملعومات تفيد هذا الغرض، غادر مدينة توليدو في رحلة طويلة أبلغته أرض الفرات ودجلة (في

٦- *سيبّوڤ ها- رابي پيتاحيا* (عدة طبعات). الإقتباسات من "رحلات الرابي پيتاحيا الراتسبوني" طبع وترجمة أي. بينيش، لندن ١٨٥٦.

٧- يذكر ياكوب أوبَرمايَر أنّ سنة ١١٧٣ هي تاريخ إقامة پيتاحيا في نصيبين، (أرض بابل)، فرانكفورت ١٩٢٩، ص ١٣٠.

٨- كتب أوبَرمايَر أنّ پيتاحيا ["جاء ماراً بمدينة حصن-كيفا المهمة في ذلك الحين (وهذه أفضل صيغة للإسم، وهي الآن قرية بائسة تعرف بحسنكيف)، على شواطيء دجلة، فوق دياربكر، أي الى الشمال من نصيبين" (الترجمة من الألمانية لرافائيل پاتاي)].

حوالي ١٢٢٥). وهناك عاش كشاعر جوّال. وقد تمّ تدوين المعلومات التي جمعها خلال رحلته هذه في مقاماته الموسومة (*تاحكيموني*) (٢ سام ٣:٢٨)، وهو عمل يجمع بين الأهمية الشعرية وأهميته كمصدر تاريخي عن الحياة اليهودية في القرن الثالث عشر الميلادي وعن عادات وتقاليد لم تكن معروفة بصورة كافية[٩]. ولا تعطينا هذه المقامات، غير المرتبة بشكل يحفظ التسلسل التاريخي، فكرة واضحة عن خط سير حاريزي؛ لكن من المؤكد أنه جاء الى ميسوپوتاميا قادماً من حلب. والمدن الكردية التي أتى على ذكرها هي الموصل (التي سماها آشور أو نينوى. المقامات: ٢٤, ٢٩ .١، ١٨. ٨. ٤٦، ٤٧. ٧، ٥٠. ١٢٨) وأربيل (المقامات: ١٨. ٤. ١٤٤، ٢٤. ٣)؛ لكن من الجليّ أنّه زار مستوطنات كردية أخرى رغم أنه لم يذكر أسماءها. ومن بغداد زار أضرحة حزقيال وعيزرا (المقامات: ٣٥. ٢. ٤٩، ٥. ٨؛ ٣٥. ٢. ٢٦، ٥٠. ٩. ١٢١). ولايوفر لنا عمل حاريزي غير القليل من المعلومات عن المجتمعات الكردية، لكن تصويره للحياة العامة والعادات والتقاليد يعدّ مساهمة هامة في مجال تاريخ الحضارة.

يحيى الظاهري

بعد ألحاريزي، لم نسمع لقرون شيئاً عن اليهود الكرد. فالقلاقل التي تسبب بها إجتياح المغول، والدمار الذي رافقه ثبّط الرغبة في الترحال الى تلك المنطقة، حيث مخاطر الطريق كانت عوائق في سبيل الرحلات. ولكن هذا لايعني أنّ يهود كردستان قد إنقطعوا تماماً عن بقية المجتمعات اليهودية خلال تلك القرون. لم يحدث هذا، رغم أنّه بعد ثلاثة قرون من حاريزي، تحدث شاعر عبري آخر عن رحلة مماثلة، مثلما في المقامات. هذا الشاعر هو يحيى (زخاريا) الظاهري (*أڤنر ها- تيماني*) الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وقد جاء من صنعاء باليمن.

ويحمل كتابه عنوان *سفر ها- موسار* (سفر التعاليم)[١٠]. يضم الفصل الثالث

٩- مقامات ألحاريزي، طبعة پاول دي لاگارد، گوتنگن ١٨٨٣. أنظر كذلك: كَي. ألبرخت "*Die im Tahkemoni Vorkommenden Augaben Uber Harizis Leben, Stuien, und Reisen*" گوتنگن ١٨٩٠.

١٠- لم يُنشر من "سفر التعاليم" سوى بعض المقاطع؛ أنظر مؤلف أبراهام ياعري "*شليحيم مي إيريتز يسرائيل لعسيريت ها شيڤاتيم*"، القدس ١٩٤٠، ص ٦، مخطوطات ساسون، رقم ٩٩٥، المكتبة الوطنية العبرية، القدس (المخطوطة العبرية ٨. ٦٣٧)، ومجموعة شوكن، رقم ١٣٢٠٧. ولتفاصيل أكثر حول الكتاب أنظر مؤلف داڤيد سولومون ساسون "*أوهيل داويد*"، لندن ١٩٣٢، ص ١٠٢١ وما بعدها.

منه وصفاً لرحلته من بغداد الى أربيل، ويضم ايضاً زيارته ضريح دانيال ورفاقه في كركوك. ويضم الفصل الخامس رحلته من بغداد عبر الموصل فالرقّة فنصيبين.

الرسل - *الشلحيم*

ثمة ملحمتان تعتبران دليلاً قوياً على أن اليهود الكرد لم يكونوا أبداً منعزلين تماماً. ففي كلّ العصور كان ثمة إتصالات بين فلسطين والشتات الكردي؛ واذا كان عدد الوثائق المكتوبة والتي تتحدث عن مثل هذه الإتصالات قليلاً جداً فإن سبب ذلك يعود الى أنّ معظم الذين زاروا المنطقة لم يكونوا من الكتّاب. فقد كانوا رسلاً (*شلحيم*) من المراكز الدينية الفلسطينية يتم إرسالهم الى يهود الگالوث لجمع الأموال لتلك المراكز. كما كانوا يمثلون حلقة الوصل بين اليهود الفلسطينيين وأخوتهم في المناطق البعيدة.

ومنذ بداية القرن الثامن عشر، هناك دليل موثّق على أنّ الشلحيم من فلسطين زاروا كردستان بصورة منتظمة، لإفراغ الصناديق المخصصة لجمع أنواع الأموال[١١] وكذلك لغرض تقديم الموعظة والنصيحة بالإلتزام بالشريعة. كما كانوا يصدرون القرارات بشأن المسائل القضائية المستعصية، كالطلاق مثلاً.

وتضم الرسائل التي نشرها (مان) إثنتين تتحدثان عن مثل هذه العلاقة مع فلسطين. إحداهما من (سندور) في العام ١٧٠٢ (وهي الرسالة ذات الرقم ١٧)[١٢] وهي معنونة الى ياكوب بنيامين في القدس. حيث يطلب المرسل من بنيامين إرسال بعض الكتب له.

أما الرسالة المرقمة ١١، والمؤرخة في ١٧٦٨ فهي مرسلة من العماديه، فهي تحمل في ظهرها[١٣] رسالة تعريف الى موردخاي سيدون بي. إليعازر الصفدي. وكان موردخاي قد زار المجتمعات في فارس كـ*شالياح* (رسول)، وتم سلبه في طريق

١١- كانت مجتمعات كردستان تدفع الأموال (قوپّوت) الآتية، التي يقوم بجبايتها جباة (*گابابيم*) خصوصيون: قوپه *رابي مير بعل ها- نيس* (العامل المعجزة) في تيبرياس. وقوپه *رابي شيمون ب. جوهاي في صفد*، قوپات عقودات *ها أولام*؛ وقوپات *راحيل إمّينو*.

١٢- ياكوب مان "نصوص ودراسات في التاريخ والأدب اليهوديِيْن"، سينسيناتي ١٩٣١، المجلد الأول، ص ٥٣٧.

١٣- المرجع السابق، الص ٤٨٧ و٥٢٩. إنّ جزءً من الرسائل التي نشرها مان هي نسخ من رسائل كانت قد أرسلت. حيث إعتاد اليهود الكرد الإحتفاظ بنسخة من أية رسالة يبعثون بها، ولأسباب إقتصادية إستخدموا الرسائل القديمة لهذا الغرض.

العودة، ووصل العماديه مجرداً من كل ما كان معه. وتطلب رسالة التعريف منحه الهبات والمساعدات لإعانته في رحلة العودة. كما تشير الرسالة الى أنّ أخاً لموردخاي قد أرسل مرتين الى هذه المناطق كـ*شالياح*.

ونشرت س. أسّاف[١٤] رسائل مماثلة من الرسل الفلسطينيين الى المجتمعات في نيروه وچالا وسندور، وذكر أنها تعود الى سنة ١٧٨٨.

ومن بين الرسل الذين أرسلوا الى كردستان، ر. يهودا بي. أمرام ديوان[١٥] مؤلف مجموعة المواعظ والردود (حوت *ها- مشولاش*): المنظومة الثلاثية، التي نشرت في القسطنطينية في ١٧٣٩. وقد قام حَبر يهودا بعدة رحلات بين عامي ١٧١٠-١٧٤٠ كـ*شالياح* الى مجتمعات صفد والخليل والقدس. وقد ذهب في رحلاته هذه الى كردستان وفارس.

ومن خلال عناوين المواعظ التي جمعها في كتابه يتبيّن لنا أنّه زار كلاً من حلب والموصل ودياربكر وسنه وتبريز وهمدان. ومع ذلك فإنّ (حوت *ها- مشولاش*) لايضيف شيئاً مهماً الى معلوماتنا عن اليهود الكرد[١٦].

وبسبب خطورة الطريق والطبيعة القاسية للبلد، أوكل *الشلحيم* مهمة جمع التبرعات الى ممثلين محليين، حددوا لهم نسبة مما يجبون، بدلاً من القيام بزيارة المناطق النائية بأنفسهم. وكان هذا مبعث إحباط كبير لسكان تلك المناطق، لأن وصول رسول من فلسطين كان على الدوام حدثاً جليلاً مرتقباً بالنسبة إليهم. ولهذا يكتب *شالياح*، من العماديه: "تحدوني الرغبة الى زيارة مستوطنكم؛ لكن الطريق يعد خطيراً للغاية حيث الجبال الوعرة والأنهار والجسور الصعبة الإجتياز، وأنا لا أملك من القوة ما يمكنني من الوصول إليكم، خصوصاً وأنّ الفصل ماطر والبرد شديد جداً"[١٧]. كما أن الرسل هددوا بالعقاب الشديد لمن يرفض تقديم المبلغ المطلوب

١٤- سميحة عساف "المزيد من الملاحظات حول تاريخ يهود كردستان"، *كرِيات سفر* ١٣ (١٩٣٦-١٩٣٧)، ص ٢٦٦. وحول آخر *شلحيم* زار كردستان أنظر مؤلف وولتر فيشل "*إگيروت كردستان*"، سيناي ١٩٣٩، ص ٦ وما بعدها.

١٥- حول ر. يهودا ديوان، أنظر إنسايكلوپيديا جودياكا، مادة "ديوان"؛ *ياعري شلحيم*، ص ١٧ وما بعدها؛ أسّاف "*ناسوفوت لي- تولدوت*"، ص ٨٦. وزار ر. يهودا يهود اليمن؛ أنظر إثنولوجيا اليهود اليمانيين، ص ٨.

١٦- يشير ر. يهودا ديوان الى أن *شلحيماً* آخرين زاروا كردستان قادمين من فلسطين؛ أنظر: يهودا ب. أمرام ديوان؛ القسطنطينية ١٧٣٩، *هوط ها- مشولاش*، تشوڤوت ٤؛ أسّاف "*توسافوت لي- تولدوت*"، ص ٨٦.

١٧- أسّاف "*نوسافوت لي- تولدوت*"، ص ٢٦٩؛ أنظر كذلك فيشك "*إگيروت كردستان*"، ص ٧.

لمثليهم[١٨]. هذا، ولايزال مركز *الشلحيم* ذا أهمية إستثنائية بالنسبة لمجتمعات الأماكن النائية والمنعزلة.

ر. ديڤيد دبيت هليل

ر. ديڤيد دبيت هليل الذي قام برحلته في بدايات القرن التاسع عشر هو أول رحالة أوروپي[١٩] بعد بنيامين التوديلي وپيتاحيا، يورد وصفاً تفصيلياً عن اليهود الكرد ويخترق بنفسه المرتفعات الكردية. لم تجذب مذكراته الكثير من الإهتمام لأسباب تتعلق بالظروف التي إكتنفت نشرها. كان ر. ديفيد من مواطني ڤيلنا. وسكن صفد في ١٨١٥[٢٠]؛ لكنه غادر دياره في ١٨٢٤ "لرؤية العالم" في الظاهر. لكن المؤكد أنّ هدف رحلته، كما هو الحال مع من سبقه، كان العثور على الأسباط العشرة المفقودين – الهدف الذي ربما كان قد عزم على التوصل إليه من خلال تقارير *الشلحيم* الذين زاروا المجتمعات البعيدة قبله أو كانت لديهم معلومات عنها[٢١]. وقد سلك طريقاً عبر سورية وكردستان الى بغداد (١٨٢٧). وأقام هناك عاماً، سافر بعدها الى الهند من البصرة. وجاب الهند طولاً وعرضاً. وفي طريق العودة مكث في (مادراس) حيث أعال نفسه من تعليم طلبة العلوم الدينية الإنگليز اللغة العبرية؛ وكانت هذه الأجواء حافزاً على نشر مذكراته عن رحلته. وهكذا، فإنّ كتابه ظهر في مادراس، حيث فرصة الإنتشار والإشتهار ضئيلة[٢٢].

١٨- وهكذا، فإن رسولاً من الخليل أو القدس يكتب من العماديه الى أحد المجتمعات المجاورة "[اذا لم ترسلوا إشتراكاً مناسباً،] فإنّي سأضعكم تحت حظر هنا في العماديه؛ ولتعلموا أنكم لن تفلحوا في شيء، لأنّكم ستحرمون، في القدس أمام حائط المبكى وفي الخليل أمام كهف ماكپيلا، من الإنضمام لشعب إسرائيل وستصبح مدينتكم منبوذة وسيكون البلاء من نصيبكم في هذا العالم وفي العالم الآخر"، أسّاف "*توسافوت لي– تولدوت*"، ص ٢٦٩.

١٩- سبق جوزيف ڤولف، ر. ديڤيد في زيارة كردستان. ففي ١٨٢٥ زار يهودَ سلماس وأورميه (أنظر الص ٤١-٤٢).

٢٠- حول ر. دبيت هليل، أنظر مؤلف أبراهام ياعري "رحلات ر. داڤيد دبيت هليل"، سيناي ٢: ٤-٥.

٢١- فيما يتعلق بهذا الموضوع، أنظر ايضاً في طلب التبرع الذي نشره ر. ديڤيد في مادراس، وذلك في مؤلف أبراهام ياعري "رحلات ر. داڤيد دبيت هليل" سيناي ٢:٢٤-٣٣، ص ٦.

٢٢- عنوان هذا المجلد النادر هو "رحلات الرابي داڤيد دبيت هليل: من القدس عبر أرض العرب وكردستان وجزء من فارس والهند الى مادراس"، مادراس ١٨٣٢. هذا الكتاب ايضاً لم يكن معروفاً عند كارل ريتر رغم أن المجلد التاسع من كتابه "جغرافية آسيا" الذي يعنى بمنطقتنا لم يظهر حتى العام ١٨٤٠.

وهنا، لايهمنا من أمر رحلته سوى ما يتعلق بكردستان[٢٣]. سافر ر. ديڤيد عن طريق ماردين الى دياربكر ثم عاد الى نصيبين، ومن هناك سلك طريق (سالغا)[٢٤] وفيشخابور الى زاخو، ويقدم وصفاً تفصيلياً لها. ومن زاخو توجه جنوباً، الى الموصل، وزار ألقوش وضريح ناڤي ناحوم، ثم إتجه نحو الجبال الكردية، فزار دهوك وقرية سندور اليهودية والعماديه. ومن العماديه – التي غابت عنه أهميتها بالنسبة لليهود الكرد – عادت به الطريق الى الجبال: الى شوش وسوخو التي ذكر أنها قرية يهودية خالصة[٢٥].

وبعد العودة الى الموصل، زار أربيل[٢٦] وكركوك، ثم رحل متوجهاً الى بغداد التي إنطلق منها الى جنوب وشرق كردستان: السليمانية وبانه وسَقز وسابلاخ[٢٧]، وتازقَلا. وجاب منطقة بحيرة أورميه (أورميه، سلماس) ودخل عمق المنطقة حتى بلغ باشقَلا[٢٨] الواقعة بين أورميه وبحيرة وان – وهذا التوسع في رحلته يجعلها في مستوى رحلات مستكشفي كردستان من قبيل سي. جَي. ريچ. وفي طريق العودة الى سابلاخ، زار ر. ديڤيد مناطق مياندواو وگاروس وسنه وكاسلان وأخيراً همدان في عمق الأراضي الفارسية.

٢٣- نشر وولتر فيشل الترجمة العبرية للجزء المتعلق بكردستان، سيناي – العدد ٦ (١٩٣٩).

٢٤- لابدّ أنها القرية نفسها التي يطلق عليها جوزيف إسرائيل بنيامين (بنيامين الثاني) إسم زلما "ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، من ١٨٤٦ الى ١٨٥٥" هانوڤر ١٨٥٨، ص ٧٤. حيث يقول أنها سمّيت بإسم مؤسسها وهو "يهودي شهير في المنطقة بأسرها، لثرائه، وشخصيته النبيلة، وشجاعته في الحرب". وربما تكون القرية (سالاباغ).

٢٥- يصف ر. ديڤيد قرية سوخو بأنها تتألف من ثلاثين عائلة يهودية، كلها من الفلاحين الأثرياء ويملكون قطعاناً كبيرة من الماشية: "كما وهناك الكثير من أشجار (أدار) البيض، المزروعة حوالي القرية، حيث يقومون بتصديرها الى آشور وبغداد" (الرحلات، ص ٥٩). ويقول ايضاً، إنّ القرية كان يقطنها اليهود وحدهم فيما مضى. ويقول مان إنّ سوخو أو شوخو التي لم يتمكن من تحديد إسمها بالضبط (إختلط عليه الإسم مع زاخو؛ أنظر: النصوص والدراسات، الرسالة رقم ٢، السطر ٢١٤) تقع على مسافة يوم ونصف اليوم من العماديه من طريق باروبلنايا بإتجاه الشرق. واليوم، يعيش في سوخو ٣٥ عائلة يهودية يمتهن أفرادها الفلاحة والحياكة والتجارة. وتوجد في القرية ايضاً عشرون عائلة مسيحية، وعشرون أخرى كردية. ولحد الآن لم يهاجر أيّ يهودي من سوخو الى فلسطين.

٢٦- كتب ر. ديڤيد الأسماء كما كان السكان يلفظونها ويسمعها هو منهم، حيث كانوا يلفظون إسم أربيل كـ(أرڤيل).

٢٧- يكتبها ر. ديڤيد (سابلاغ) وفقاً لتلفظ السكان المحليين من الكرد واليهود.

٢٨- باشقالان التركية.

لاشك أن رحلة ر. ديڤيد كانت إنجازاً عظيماً. إذ أنّ قلة قليلة من الرحالة مثل كير پورتر، أو ريچ[٢٩]، زارت مثل هذه المساحة الشاسعة من أرض كردستان. فبسبب الخوف من هجمات القبائل الكردية على المسافرين، كانت السلطات الحاكمة ترفض منحهم إجازات مرور عبر تلك الأراضي. وبالفعل، فبعد سنوات (١٨٢٩) قتل المستشرق شولتز، من گيسن، على الطريق بين جوله ميرگ وباشقَلا[٣٠]. أما سرّ نجاح ر. ديڤيد في زيارة كلّ تلك المناطق - عبر أراضي القبائل الكردية التي لم تطأ معظمها قدم أجنبية من قبل - فيعود الى أنّه كان قادماً من فلسطين بصفة حاخام، الوسيلة التي ساعدت في نجاح سافير وهاليڤي في اليمن.

المأخذ الوحيد على كتاب ر. ديڤيد هو أنه لم يقضِ إلاّ القليل من الوقت في كل مكان (ولم ينجح في تحديد طول الفترة) ولذلك عجز عن التعرف بشكلٍ وافٍ على أسلوب حياة الناس. ففيما يتعلق بيهود العماديه، على سبيل المثال، كتب الآتي: "يوجد في المدينة حوالي مائتي عائلة من الإسرائيليين يتكلمون نفس لغة إسرائيلي زاخو، ولهم نفس العادات والتقاليد. بعضم تجار أغنياء، وبعضهم حرفيون، وبعضهم الآخر يربون المواشي" (ص ٥٧). إنّ مثل هذا الوصف ليس غير وافٍ فحسب، بل هو من وجهة النظر العلمية يعتبر مضللاً. إعتاد ر. ديڤيد تقييد نفسه بإبراز التشابه بين يهود منطقة وأخرى والقول إنّ يهود المنطقة الفلانية "لهم نفس العادات ويستخدمون نفس اللغة كما هو الحال مع اليهود في بادينان". وعندما يذهب الى قول الشيء نفسه عن يهود منطقة أورميه وسنه (الص ٧٣ و٨٣)، فإنّ المرء يجد نفسه مضطراً الى أن يُسقط من حساباته القيمة العلمية لتقاريره.

ربّما كان هدف ر. ديڤيد كتابة دليل من نوع ما للمسؤولين الإستعماريين الإنگليز في مدراس الذين قاموا بدعم كتابه. لذا فإنّ الكتاب يتجاوز قليلاً مذكرات رحالة، ليعرض بعض معلومات إحصائية والقليل من المواضيع الهامة. وربّما لم يتم بعد الكشف عن المخطوطة الأصلية لكتاب ر. ديڤيد. حيث أنّ تقديمه للكتاب يضمّ إشارة الى أنّ الوصف الكامل لرحلته قد يحتاج الى ستمائة أو سبعمائة صحيفة.

٢٩- حول رحلات كير پورتَر وسي. جَي. ريچ مقيم شركة الهند الشرقية في بغداد، أنظر مؤلف سي. جَي. ريچ "مذكرات مقيم في كردستان"، لندن ١٨٣٦. كذلك أنظر مؤلف ريتر "الجغرافيا"، المجلد التاسع، ص ٤٢٥. ومن دواعي أسفي أنّي لم أتمكن من الحصول على كتاب ريچ.

٣٠- أنظر مؤلف ريتر "الجغرافيا"، المجلد التاسع، ص ٦٤١ وما بعدها.

البعثة النسطورية

تزامناً مع زيارة ر. ديڤيد الى كردستان، بدأ المبشرون النصارى زياراتهم الى النساطرة (الآثوريين = السريان) في منطقة أورميه ومنطقة جوله ميرگ الجبلية. كانت تلك فترة مهمة من فترات إستكشاف أرضنا؛ حيث أنّ هؤلاء الرحالة قدّموا صورة ممتازة للبلاد وسكانها وقاموا الى جانب ذلك بتقديم مادة هامة للمقارنة فيما يخص السوراي (السريان - المترجم)[٣١]، الجيران النصارى لليهود. وتكمن أهمية تقارير تلك البعثات في أنها زودتنا للمرة الأولى بمشاهدات رجال لهم خبرة طويلة حول ما ينبغي أن يوصف لا إنطباعات الضحايا من زائري البلد.

ومن خلال رحلات إيلي سميث و أچ. جِي. أوو. دوايت[٣٢]، اللذين جاءا الى كردستان في ١٨٣٠ ببعثة من اللجنة التحكيمية التابعة للمجلس الأمريكي لمفوضي البعثات الأجنبية تم، إذا جاز التعبير، إعادة إكتشاف النساطرة. وبسبب مقتل شولتز، تجنّب سميث ودوايت الدخول في المنطقة الجبلية واكتفيا بزيارة المناطق المجاورة لبحيرة أورميه. وقد خلقت رحلتهما الحوافز لتشكيل بعثة أورميه من قبل المشيخة الكنسية وإرسال جوستين پيركنس وأساهل گرانت الى هناك.

مكث پيركنس[٣٣] في أورميه من ١٨٣٥ وحتى ١٨٤١، ومن خلال جولات عدة جاب كل منطقة أورميه. ورغم أنّه لم يدخل المنطقة الجبلية فإنّه إتصل بالنساطرة القاطنين فيها. كما أنّ عمله الضخم لايوفر معلومات تفصيلية عن عادات وتقاليد النساطرة. وبينما لايعدّ عمله ذا أهمية بالغة، فإنّه لاشكّ مصدر قيّم، خاصة لدراسة منطقة أورميه.

أمّا الطبيب أساهل گرانت[٣٤] فإنّه وصل الى أورميه في ١٩٣٥ وأقام صداقات في أنحاء البلاد من خلال عمله كطبيب، حيث كان المرضى والمصابون يتوافدون عليه من كلّ حدبٍ وصوب. ومن خلال الأرضية التي تهيأت له بواسطة هذه العلاقات، تمكّن من القيام بزيارات عدة الى منطقة السوراي الجبلية - وكان بذلك أول أوروپي

٣١- [السوراي هم النساطرة].

٣٢- إيلي سميث و أچ. جي. أوو. دوايت: بحوث البعثات، لندن ١٨٣٤. أنظر كذلك: ريتر "الجغرافيا"، المجلد التاسع، ص ١١.

٣٣- جوستين پيركنس: الإقامة ثماني سنوات في فارس بين النساطرة النصارى: مع ملاحظات عن المحمديين، أندوڤر ١٨٤٣.

٣٤- أساهل گرانت: النساطرة، أو القبائل المفقودة.

يزورها[٣٥]. وفي ١٨٣٩، رحل من الموصل الى العماديه ماراً بعقره (ص ٥٩). ويقدم لنا وصفاً مثيراً لأطلال المدينة المهدمة كما يأتي على ذكر اليهود (ص ٦١). ومن العماديه إنطلق الى منطقة هكاري الجبلية وزار البطريرك مار شمعون في معقله الجبلي قودشانيس. وبعد قضاء خمسة أيام مع البطريرك عاد الى أورميه عن طريق باشقَلا وسلماس. وفي رحلة ثانية في أيار ١٨٤٠، إلتقى گرانت بالبطريرك للمرة الثانية ولكن في قلعة الزعيم الهكاري في جوله ميرگ هذه المرة (ص ١١٥).

لاتضم رواية گرانت لرحلاته سوى القليل عن اليهود، لأنّه نادراً ما اتصل بهم. لكنّ أهمية كتابه تكمن في المادة الموثوقة المتعلقة بالنساطرة القاطنين في المنطقة الجبلية المحيطة بالعماديه، إذ ركّز إهتمامه على عادات وتقاليد ذلك المجتمع منطلقاً من وجهة نظره في أنّ ذلك يمكن أن يستخدم كدليل على صحة فرضيته القائلة بأنّ النساطرة هم أحفاد أسباط إسرائيل المفقودين.

وبعد المشيخة الكنسية، بدأت كنيسة إنگلترا نشاطاتها بين ظهراني النساطرة من خلال جمعية تعزيز المعرفة المسيحية. ففي ١٨٤٢ أرسلت الجمعية دبليو. أينسوورث[٣٦]، وأتبعته بجورج پيرسي بادجر الذي قام بدراسة شاملة للمنطقة الجبلية الكردية. وقد زار بادجر، ايضاً، المراكز اليهودية الأساسية وصولاً الى أشيتا، حيث التقى البطريرك مار شمعون. ويعتبر كتابه حول النساطرة عملاً قياسياً لايمكن الإستغناء عنه في أيّ بحثٍ حول اليهود الكرد[٣٧].

العمل التبشيري بين ظهراني اليهود

في هذه الأثناء بدأت جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود، وهي جمعية تابعة لكنيسة إنگلترا، العمل بين ظهراني اليهود في كردستان وميسوپوتاميا. وكان أغلب المبشرين الذين تقوم الجمعية بإرسالهم الى هذه المناطق من اليهود المرتدّين[٣٨].

٣٥- بادجر (أنظر الهامش ٣٧) حيث يصف التغييرات السياسية التي مكّنت گرانت من السفر الى المنطقة الجبلية.

٣٦- ويليام أف. أينسوورث "وصف زيارة الى الكلدان القاطنين في وسط كردستان،مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، العدد ٢ (١٨٤١): الص ٢١-٧٦؛ ما سبق: رحلات وبحوث في آسيا الصغرى وميسوپوتاميا وأرض الكلدان وأرمينيا، لندن ١٨٤٢.

٣٧- جورج پيرسي بادجر: النساطرة وطقوسهم: مع مذكرات بعثة الى ميسوپوتاميا وكردستان، مجلدان، لندن ١٨٥٢.

٣٨- تقارير مبعوثي جمعية لندن مبعثرة في صحائف مجلتها التي حملت في البداية عنوان "المفسِّر اليهودي"، وبعد ذلك وضعت تحت عنوان "معلومات يهودية والتقرير الشهري حول التقدم في =

وكان جوزيف ڤولف[٣٩]، أوّل مبشر إتصل باليهود الكرد، وهو يهودي ألماني يخدم في بعثة لندن ثم نال شهرة عالمية بسبب من رحلته الجريئة الى بخارى. وفي الحقيقة، فإنّه ينبغي أن يسبق ذكره الحديث عن ر. ديڤيد لزيارته في وقت مبكر للمجتمعات اليهودية في غرب آسيا والتي أوصلته الى سلماس وأورميه في الفترة ١٨٢١-١٨٢٦[٤٠]. إلاّ أنّه في رحلته الكبرى ١٨٣١-١٨٣٤ سافر عبر ماردين فنصيبين فالموصل ثم أربيل الى بغداد، وزار منطقة أورميه للمرة الثانية[٤١].

ولاتضم تقاريره معلومات هامة جديدة عن اليهود الكُرد، لأنّه ركزّ بصورة رئيسة على تسجيل مناقشاته التبشيرية التي خاضها معهم.

وخلف ڤولف يهودي مرتدّ آخر هو هنري آرون ستيرن[٤٢]. حيث قررت جمعية لندن فتح بعثة لها في بغداد؛ وفي ١٨٤٤ أرسل ستيرن مع كلّ من موراي ڤيكرز وپي. أچ. ستيرنشس (وهو مرتدّ ايضاً) الى المدينة التي كان بها مجتمع يهودي تعداده ستة عشر ألفاً. وبعد مواجهة بعثتهم الكثير من الصعوبات في أداء مهامها، إنتهز ستيرن وستيرنشس فرصة للعمل بين ظهراني المجتمعات اليهودية المجاورة.

ففي رحلته الأولى (١٨٤٨)[٤٣]، غادر ستيرن بغداد وزار طوز خورماتو وكركوك وأربيل والموصل وألقوش ودهوك (التي يسميها تاهوك) وقرية سندور اليهودية التي يقدم عنها وصفاً تفصيلياً. وبمساعدة يهود محليين، باعهم نسخاً مطبوعة من الكتاب المقدس بثمن بخس، تمكّن من بلوغ زاخو والجزيرة والعماديه. ومن العماديه

= أعمال جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود. ومنذ ١٨٦١ صار للمجلة ملحق بعنوان "السجلات اليهودية".

٣٩- حول الشخصية المغامرة لجوزيف ڤولف أنظر: قاموس الأعلام الوطني، مادة "ڤولف، جوزيف"؛ وكذلك أچ. پي. پالمر "جوزيف ڤولف، حياته ورحلاته الرومانسية، لندن ١٨٣٥. وكان هدف ڤولف الحقيقي من وراء رحلته العثور على الأسباط العشرة لهدايتهم الى المسيحية. وقد زار ڤولف اليمن ايضاً. أنظر إثنولوجيا اليهود اليمانيين، الص ٥-٦.

٤٠- نشرت التقارير الأصلية عن الرحلة الأولى في "المفسّر اليهودي". ثم تمّ جمعها في مؤلف ڤولف "مجلة البعثة ومذكرات جوزيف ڤولف"، ثلاث مجلدات، لندن ١٨٢٧-١٨٢٩. ولم تكن هذه المجلدات بحوزتي.

٤١- جوزيف ڤولف "بحوث وأعمال تبشيرية"، لندن ١٨٣٥، ص ٤٩١.

٤٢- قاموس الأعلام الوطني، مادة "ستيرن، هنري آرون"؛ أي. أي. إسحق "سيرة أچ. أي. ستيرن"، لندن ١٨٨٦، كما زار ستيرن اليهود اليمانيين (أنظر إثنولوجيا اليهود اليمانيين، ص ٦) ويهود الفلاشا.

٤٣- حول رحلة ستيرن، أنظر ايضاً: أچ. أي. ستيرن "أفول النور في الشرق"، ص ٢٠٦ وما بعدها.

ولج منطقة النساطرة حتى بلغ أشيتا، ثم توجه شرقاً الى شوش التي زارها الحَبر ديڤيد ايضاً. ومن شوش عاد الى الموصل. ورغم كون ما ذكره عن هذه الرحلة موجزاً جداً إلاّ أنّه تطرّق فيه الى مسائل هامة.

وفي ١٨٤٨ قام ستيرنشس ايضاً برحلة زار خلالها المجتمعات اليهودية في كردستان، في كركوك وأربيل والموصل. وقام في كل مكان ببيع الكتاب المقدّس: "وأخذ الكثير منه ايضاً الى راڤاندي (رواندز)"[٤٤].

وفي ١٨٥٥ خلف ستيرن وستيرنشس، جَي. أچ. بروهل وجَي. أم. إپشتاين، وهما كما هو الحال مع سلفيهما يهوديان مرتدان. لكن كل اليهود الذين إتصل بهم المبشرون في بغداد كان قد سبق الإتصال بهم، ولهذا بات العمل التبشيري في بغداد غير مجدٍ. وهكذا قام بروهل وإپشتاين بعدة رحلات، فزارا كركوك وكويسنجق والسليمانية وطوز خورماتو[٤٥]. وقد تم إلغاء البعثة في العام ١٨٦٦[٤٦]. ومن المهم البحث في أنشطة هذه البعثة من وجهة نظر يهودية.

جوزيف إسرائيل بنيامين (بنيامين الثاني)

تعدّ معلومات جوزيف إسرائيل بنيامين (ولد في فالتيسيني برومانيا سنة ١٨١٨، وتوفي بلندن سنة ١٨٦٤)[٤٧] حول اليهود الكرد والتي جمعها خلال رحلته، من

٤٤- إنسايكلوپيديا جودياكا ١٨٤٨: ٢٩٥، ٢٩٧-٢٩٨، ٣١٦.

٤٥- حول هذه الرحلات، أنظر: إنسايكلوپيديا جودياكا ١٨٥٩: ص ٢١٢ ("زارت البعثة عدة مدن في فارس وكردستان وآشور السفلى")، ٤٠٥ وما بعدها؛ "مجلة بروهل"، إنسايكلوپيديا جودياكا ١٨٦٤: ٨٩ وما بعدها؛ سجلات يهودية، ت١ ١٨٦٥، ص ٣٨؛ جَي. أم. إپشتاين: زيارة الى كركوك، سجلات يهودية، تشرين الأول ١٨٩٣: ١٦٧ وما بعدها؛ ما سبق من "رحلة الى كردستان"، إنسايكلوپيديا جودياكا ١٨٩٣.

٤٦- أنظر إنسايكلوپيديا جودياكا ١٨٩٣: ١.

٤٧- جَي. جَي. بنيامين، "ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، من ١٨٤٦ الى ١٨٥٥" هانوڤر ١٨٥٨، ص ٣٩٢. وقبل ذلك ظهرت طبعة فرنسية بعنوان "*Cinq annêes en Orient (1846-1851)*" باريس ١٨٥٦؛ لكنها لم تضم غير القسم المتعلق بآسيا. وفي ١٨٥٩ طبعت في لاك (إيلك، پروسيا الشرقية، فيما بعد پولندا) ترجمة عبرية له بعنوان "*سفر مَسّاع يسرائيل*". [هذه الطبعة مختصرة جداً. وكذلك تم نشر ترجمة إنگليزية للمرة الثانية في هانوڤر ١٨٦٣، وتضم هوامش وتصحيحات للمؤلف أجراها أثناء إقامته في أمريكا.] وعن بنيامين الثاني، أنظر صفحة وفيات "المؤرخ اليهودي"، عدد ٣ أيار ١٨٦٤؛ *Allgemeine Zeitung des Judentums 1864: 352*؛ إنسايكلوپيديا جودياكا، مادة "بنيامين، جوزيف جَي." كذلك أنظر الوصف الموجود في مؤلفه: ثلاث سنوات في أمريكا، هانوڤر ١٨٦٣.

أشهر المصادر حول هذا الموضوع. وأطلق بنيامين الذي يعتبر نفسه خليفة بنيامين التوديلي على نفسه لقب بنيامين الثاني (ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، من ١٨٤٦ الى ١٨٥٥، ص ٢٩٠) وقد عُرف بهذا الإسم. (ثم ختم ميندل موخر سيفاريم هذه السلسلة برحلات بنيامين الثالث). ومع أنّه ليس واضحاً تماماً لماذا ترك بنيامين حياته كتاجر أخشاب وهو في السابعة والعشرين وله زوجة وطفل، ليشرع في هذه الرحلة الغريبة، التي تعتبر بكلّ المقاييس رحلة عقيمة. إلاّ أنّ من الواضح أن البحث عن الأسباط المفقودين هو الذي أغراه بها[٤٨].

بدأ بنيامين رحلته في كانون الثاني ١٨٤٥. ووصل الى القدس في آب ١٨٤٧ بعد أن زار كلاً من تركيا ومصر. وقد قضى وقتاً غير قصير في فلسطين، ثم سافر عبر المدن السورية ودخل الأراضي الكردية في أورفا. لكن المؤسف أنّ بنيامين لم يكن موفقاً في تحديد تواريخ دقيقة، بل اكتفى بمجرد القول انه أكمل رحلتيه الى كردستان في خمسة وخمسين يوماً.

ومن أورفا، جاب طوروس (سووَريك، چَرموك) الغربية، ومضى عبر دياربكر فماردين ثم نصيبين الى سالگا (التي يسميها زيلما). وسافر الى "سلسلة جبل سنجاق"، وأمضى بها عشرة أيام في قرية "غالبية سكانها من اليهود، وتعرف من خلال زياراته على الجهل المدقع الذي يعانون". ويزوّدنا بنيامين بوصف مختصر وعام للأيام العشرة التي أمضاها هناك (ص ٧٥)[٤٩].

ومن الجزيرة ذهب الى زاخو، ومكث بها لفترة قصيرة، ثم واصل "رحلته الأولى الى جبال كردستان"، حيث زار سندور ودهوك وبيتنوره (تنوره) وألقوش. وفي ألقوش شارك في عيد *شاڤّوعوت (في الخامس من *سيڤان*** ١٨٤٨).**

٤٨- "[تلبية] لرغبة عالقة ومتعمقة في القلب منذ زمن بعيد، تكوّنت منذ بدايات شبابي... عزمتُ... أولاً، القيام برحلة الى المناطق التي أقام فيها أجدادي يوماً ما وشهدوا فيها أمجادهم وبلاياهم، لذا، وكما في الأطياف، سأقتفي أثر ما تبقى من أسباط إسرائيل العشرة" (ثمان سنوات، ص٧).

٤٩- كتب بنيامين أنّ قرية زلما تقع على بعد ساعتين الى الشمال الشرقي من نصيبين وأنّ سلسلة جبل سنجاق تقع على بعد ساعة من زلما. وهذا الوصف لاينطبق إلاّ على طور عابدين، التي غالبية سكانها من اليعقوبيين الذين يتكلمون لغة قريبة الى تارگوم اليهود. أما الآن فليس ثمة قرية قريبة من طور "يمثل اليهود غالبية سكانها"، وهناك شكوك حول سكنهم بها في زمن بنيامين. وعلى أية حال فإنّ وصف بنيامين لهذه المنطقة غير دقيق.

* شاڤوعوت: عيد يأتي بعد سبعة أسابيع من بدء عيد الفصح، يُحتفل فيه بالحصاد ونزول التوراة على سيدنا موسى؛ ويسمى پينتيكوست، وعيد الأسابيع. *شاڤوس وشاڤوت وشابوت*. (المترجم).

** سيڤان: الشهر التاسع في التقويم المدني اليهودي، والثالث في تقويمهم الاكليريكي. ويقع في =

وبعد ذلك رحل الى الموصل حيث شرع في رحلته الكردية الثانية. و"بعد رحلة دامت ثلاثة أيام عبر صحراء (كذا)"، بلغ عقره، ثمّ إتجه نحو الشمال الغربي في رحلة بعيدة وفريدة من نوعها ليزور قرية بارزان الجبلية[٥٠]. ومكث في بارزان فترة قصيرة جداً لاتكفي للتعرف على حياة الناس فيها، ويتبيّن ذلك من التعليق الآتي: "إنّ الجهل الذي يعانيه إخواننا اليهود هنا كبير لدرجة أنّهم لايقدرون معه على تلاوة صلواتهم؛ وعليَّ الإقرار هنا متألماً، بأنّي لم أرَهم في أيّ مكان في مثل هذا الوضع المزري غارقين في مثل هذا الفساد الخلقي، كما رأيتهم هنا". وهذا بالطبع تجنٍّ على الواقع عند ملاحظة بروز العديد من الحاخامات من بارزان. وتسلّق بنيامين جبل پيرس (الذي يقول إنّ اليهود يسمّونه جبل زيباري والكُرد يسمّونه جبل بارس)؛ وعند قدمات الجبل ألفى أربع عائلات يهودية من الرحّل أكّد له أفرادها أنّه "لم يسبق لهم أبداً أن شاهدوا أو سمعوا عن رحالة يهودي أوروپي في تلك المنطقة" (المصدر نفسه، ص ١٠٦-١٠٧)[٥١].

واصل بنيامين رحلته حتى بلغ سوندو، حيث أصيب بمرض (ربما كان الملاريا) أجبره على المكث بها فترة غير قصيرة، بعدها عاد الى بارزان وهو لايزال يعاني من مضاعفات المرض. وبمساعدة عدد من اليهود والكرد قصد منطقة "قريبة من أورميه في الجبال، على طرف فارس السفلى" (في النصف الأول من تموز ١٨٤٨) (الطبعة الألمانية، الص ٨٠-٨١). وفي اليوم الرابع، قطعت الرحلة بصورة مفاجئة لعدد من الأسباب المختلفة. والمؤسف أنّ بنيامين لايذكر أسماء القرى التي زارها أو التي أرسل مبعوثيه إليها.

عاد بنيامين الى الموصل، وبعد شهر من وصوله إليها (أواسط آب ١٨٤٨) سافر مع قافلة (كاروان) الى أربيل التي إنطلق منها ليشرع في رحلته الكردية الثالثة، فزار رواندز وكويسنجق (ص ١٠٨) وأنهى رحلته في كركوك.

وبما أنّ كتابه كان المصدر الوحيد حول اليهود الكرد، فقد إكتسب سمعة طيبة، وهو تقرير موثوق؛ واعتبر كاتبه واحداً من القلة من الرحالة اليهود البارزين. وكان ينبغي قراءة الكتاب قراءة ناقدة، مع إيفاء محتوياته حقها جزءً بعد آخر[٥٢]. ولا

= شهر أيار وجزء من حزيران من السنة الميلادية. (المترجم).

٥٠- يبدو أن أيّ رحالة أوروپي لم يزر بارزان قبل زيارة بنيامين الثاني لها.

٥١- أي. أچ. لايارد: نينوى وأطلالها، لندن ١٨٦٧، ص ٢٠٠، وهناك ايضاً يتطرق الى وجود اليهود الرُّحَّل في كردستان.

٥٢- شكّك بعض معاصري بنيامين في مصداقية كتابه بينما لا يمكن التشكيك فى أنّه زار فعلاً =

جدال في أنّ ما سجّله بنيامين عن رحلته وثيقة هامة، ودليل جرأة لايُستهان بها من جانبه. وينبغي الأخذ في الحسبان بأنّ مَن شهد مثل ما شهده وعاش في فترة حافلة بأمثلة كثيرة عن كتب الرحلات كان يُفترض به أن يخلّف وراءه وصفاً مختلطاً وغير علميّ لرحلاته. ولاشكّ أنّ الكتاب يحتوي الكثير من المواضيع الهامة، لكنّ مادته لايمكن إستخدامها في العمل العلمي إلاّ بعد إخضاعها لتمحيص منهجي نقديّ.

الرابطة الإسرائيلية العالمية

بدأت الرابطة الإسرائيلية العالمية أعمالها بين اليهود الكرد في وقت متأخر نسبياً. فقد أنشأت الرابطة في ١٩٠٣ مدرسة للبنين والبنات في سنه، ومدارس للبنين في كلّ من كرمانشاه (١٩٠٤) والموصل (١٩٠٧) وخانقين (١٩١١). ولكن قبل إنشاء هذه المدارس، كانت الرابطة تصدر نشرات شهرية تحتوي أخباراً وتقارير حول مختلف المجتمعات اليهودية في وسط كردستان، يعدّ البعض منها مادة قيّمة[٥٣]. وإضافة الى هذا كلّه، كان أساتذة الرابطة وخاصة الذين يدرّسون في مدارس بغداد يقومون برحلات يكتبون عنها وينشرونها في تلك الإصدارات؛ وكانت تقاريرهم تضم في الغالب معلومات تمّ نقلها مباشرة عن اليهود الكرد القادمين من المنطقة الجبلية[٥٤].

الرحلات الأخيرة

التقارير التي صدرت عن الرحالة الذين زاروا كردستان بعد ١٨٧٠، لم تضف شيئاً يذكر الى ما نعرفه عن اليهود الكرد. فحتى بعد حرب ١٩١٤-١٩١٨، ظلّت كردستان تضمّ العديد من المعوقات التي تقف في وجه عمل منهجي يتطلّب إقامة طويلة في البلد[٥٥]. ومع ذلك فثمة أعمال تستحقّ الإشارة إليها بشكل خاص ومنها أعمال هنري بنديه[٥٦]، وأي. أم. هاملتون[٥٧]، ولاميك سعد[٥٨]. وكتابا الأخيريْن

= المناطق التي أتى على وصفها.

٥٣- أنظر: تقارير من كويسنجق (مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ١٨٨٩، ص ٤٨. و١٨٩٦، ص ٥٢)، والسليمانية (١٨٩٥، ص ٦٤)، وأورميه (١٨٩٢، ص ٥٣)، ورواندز (١٨٩٧، ص ٨٤)، وأورفا (١٨٩٦، ص٥٤).

٥٤- أنظر في ثبت المراجع كلاً من أن. ألبالا وجَي باسان وساسون.

٥٥- للتعرف على المراجع حول كردستان، أنظر الإنسايكلوپيديا الإسلامية، مادة "كردستان"؛ بانس "تركيا" الطبعة الثالثة، براونسڤايگ ١٩١٩، ص ٤١٧ وما بعدها.

٥٦- هنري بَنديه "كردستان في بلاد ما بين النهرين وفارس" پاريس ١٨٨٧، وفيه توضيحات ممتازة.

٥٧- أي. أم. هاملتون "طريق في كردستان"، لندن ١٩٣٧. وهاملتون هو المهندس الذي قام بمدّ =

يختلفان عمّا سبقهما في أنّهما ليسا تقارير، تحوي إنطباعات ضحايا ناجمة عن رحلة خاطفة، بل هي متابعات رجال مكثوا في البلد فترة تكفي للحصول على معلومات صحيحة عن البلد وعن سكانه.

وهناك أيضاً عدة رحالة يهود زاروا مواطن اليهود الكرد في السنوات الأخيرة. فهناك أفرايم نيومارك[٥٩] الذي لم يتجاوز في رحلته الموصل، ومساهمته في هذا المجال قليلة. أما دبليو. شور[٦٠] فرحلته تستحق بعض الإهتمام. حيث زار شورأورفا وماردين ونصيبين والجزيرة وزاخو والموصل؛ ويعدّ المسح العام القصير المدى الذي أنجزه (*ماحازوت ها –حاييم*، الص ١٩–٢٣) من أفضل الكتابات التي نشرت حتى حينه، حول اليهود الكرد.

وفي ١٩٣٥ زار أي. جَي. براوَر[٦١] كلاً من خانقين وكرمنشاه وسنه وأطرافها، كما زار وولتر شوارتز قرية سندور اليهودية (Jüdische Rundschau [برلين] ١٩٣٥).

البدء في دراسة البلد علمياً

لحد الآن، سلطنا الضوء فقط على أعمال الإستكشاف الكبرى التي تناولت مما تناولت منطقتنا، وهذه الأعمال تتألف في قسمها الأكبر من تقارير الرحالة عن رحلاتهم. وبخلاف القليل من الدراسات الأقل أهمية حول مواضيع خاصة، فلم يظهر حتى اليوم بحث علمي متخصص حول اليهود الكرد.

يعتبر أي. زت. ايدلسوهن، الذي أجرى دراسة على العديد من المجتمعات اليهودية الشرقية، رائداً في مجالنا هذا من خلال دراساته التي أجراها على اليهود الكرد القاطنين في القدس. فقد نشر، مع مقدمة عامة، مجموعة قصص باللهجة الآرامية من ساودي بلاغ[٦٢] (مهاباد أو سابلاخ – المترجم). وقد كانت مادته لاتزال غير

= طريق أربيل–رواندز ونشر صوراً هامة للأرياف والمدن.

٥٨– لامك سعد *Sechszehn Jahre als Quarantanearzt in der türkei* برلين ١٩١٣.

٥٩– أفرايم نيومارك: "*إريص ها– قدم*" [بالعبرية]، هيعسيف ١٨٨٩: ٣٩–٧٥.

٦٠– زيف ڤولف شور: *ماحازوت ها– حاييم* [مشاهد من الحياة]، ڤينّا ١٨٨٤. وظهرت أولى رواية لرحلته في هاشاهار.

٦١– أي. جَي. براوَر: *مي– پاراشات ماسّاعوتاي بي– فاراس*، سيناي، ستة أعداد، ٩–١٠ (١٩٣٠): ٢٣٩–٢٥٠؛ والعدد ١١ (١٩٣٨): ٤٣٠–٤٣٨.

٦٢– أي. زت. ايدلسوهن: *سيپوريم با– لاشون ها– آراميت ها– حاداشا* [قصص باللهجة =

وافية إذ كان عدد عائلات اليهود الكرد في القدس لايتجاوز في حينه خمساً وعشرين عائلة. كما أخذ ايدلسوهن عن فم الحاخام، العديد من أغاني اليهود الكرد القادمين من ساودي بلاغ[٦٣].

خلف ايدلسوهن في هذا المجال، ألبرت لووي الذي جمع معلومات عن اليهود الكرد من يهودي من أورميه[٦٤]. وتضم الملاحظات التي جمعها مجموعة مواضيع هامة نستغرب عدم إستغلالها من قبل الباحثين في هذا المجال بصورة أفضل بكثير.

وقد ظهرت في السنوات الأخيرة مخطوطات، تتألف في معظمها من رسائل. ونشر ياكوب مان عدداً من النصوص[٦٥] التي تمتلكها مكتبة كلية الوحدة العبرية في سينسيناتي، ونشرت سميحة أسّاف مجموعة من الوثائق القيّمة[٦٦] كان بعضها قد جُمع من قبل وولتر فيشل خلال رحلتيه القصيرتيْن الى كردستان[٦٧].

ومنذ نشر ر. دوڤال ما جمعه من القصص بلهجة سلماس[٦٨]، ظهر ايضاً عدد من الصحائف باللغة اليهودية الكردية – المسماة تارگوم أو جَبَلي، وهي من لهجات الآرامية الحديثة تشبه تلك التي يتحدّث بها النصارى في كردستان – وفي عمله القياسي لدراسة الآرامية[٦٩] تعامل فرانز روزنثال بالتفصيل مع مسألة الآرامية الحديثة وقام بتغطية كل المسائل الهامة المتعلقة بهذا الموضوع.

= الآرامية الحديثة]، *هاشيلوعح* ٢٩ (١٩١٣): ١٢١ وما بعدها؛ ما سبق "اليهود الناطقون بالآرامية"، دي ڤيلت ٣٠ (١٩١٢)، ٧–٩٠٦.

٦٣– اللهجات العبرية–الشرقية، المجلد الثاني، الص ٣١ و ١٢٨–١٤٠.

٦٤– ألبرت لووي: ملاحظات حول اليهود في كردستان، التقرير السنوي السادس للجمعية الأنگلو–يهودية، لندن ١٨٩٧: ٩٤–٩٩؛ "حول نموذج فريد لليشانا شيل إمراني"، أعمال رابطة الآثار التوراتية، لندن ٤ (١٨٧٦): ٩٨–١١٧؛ "حول الفلكلور الكردي في اللهجة الكردية–اليهودية"، أعمال رابطة الآثار التوراتية، لندن ٦ (١٨٧٨): ٦٠٠–٦٠٢.

٦٥– ياكوب مان: نصوص ودراسات في التاريخ والأدب اليهوديين، سينسيناتي ١٩٣١، المجلد الأول، ص ٤٧٧–٥٤٩.

٦٦– سميحة أسّاف '*لي تولدوت ها– يهودين بي– كردستان أُو– شخينوتيها*" [حول تاريخ اليهود في كردستان والدول المجاورة]، زايون ميعاسّيف ٦ (١٩٣٤): ٨٥–١١٢؛ ما سبق، "*نوسافوت لي– تولدوت*" (أنظر رقم ١٤) ص ٢٦٦–٢٧١.

٦٧– وولتر فيشل، حول اليهود في الجبال الكردية، سجلات يهودية، ٨ كانون الثاني ١٩٣٧؛ إنسايكلوپيديا جودياكا، مادة "كردستان".

٦٨– ر. دوڤال: اللهجة الآرامية الحديثة في سلماس، پاريس ١٨٨٣. آي. گوتهَيْل: اللهجة الآرامية اليهودية في سلماس، مجلة المجتمع الشرقي الأمريكي ١٥ (١٨٩٣): ٢٩٧ وما بعدها.

٦٩– فرانز روزنثال: البحوث الآرامية في أعمال تيودور نولدكه، ليدن ١٩٣٩.



نماذج ليهود كردستان

أما جوزيف جَي. ريڤلن فيقوم بدراسة خاصة على لهجات اليهود الكرد، وقد نشر عدداً من النصوص غير الهامة[٧٠]. كما يقوم الآن بتدوين الترجمة الشفاهية للكتاب المقدس لليهود الكرد، وذلك لحساب الجامعة العبرية بالقدس.

٧٠- جَي. جَي. ريڤلين: سيپور *داود ڤي- گوليات بي- لئشون تارگوم* [قصة داود وگوليات بلهجة التارگوم]، زايون ٤ (١٩٣٠): ١٠٩-١٢٠.

2

الموطن

ليس من السهل تقديم تعريف جامع مانع لإصطلاح اليهود الكرد. لكن أفضل تعريف يمكن أنْ نقدمّه هو أنّ اليهودي الكردي هو كلّ مَن يقطن منطقة يشغلها الكرد ويتكلّم الآرامية (التارگوم)؛ ولكن ينبغي أن نضمّ الى أرضنا هذه بعض المناطق المتفرقة حيث يتحدّث اليهود العربية بصورة رئيسة (كنصيبين مثلاً).

إنّ اليهود الكُرد، شأنهم شأن جيرانهم من المسلمين، شعب جبلي. لكن الكُرد شقّوا طريقهم بالتدريج الى السهول بل وحتى الأراضي المنخفضة في ميسوپوتاميا. وبهذا أخضعوا لسيطرتهم أراضي كانت من قبل خاضعة لتأثير التراث العربي؛ وبهذا بات اليهود الذين ينتمون أصلاً الى ميسوپوتاميا داخل دائرة التراث الكردي. وبهذا ينبغي أن يُفهم أنّ إتجاه هجرة الكرد هو من الشرق الى الغرب، أما بالنسبة لليهود فإن إتجاه هجرتهم هو من الغرب الى الشرق؛ لكن إتجاهات هجرة اليهود متنوعة، فاليهود الكرد (وهو ما ينبغي علينا تأكيده) ليسوا بشعبٍ متجانس بل أنّهم جاؤا الى كردستان في موجات عديدة. وعلى أية حال، فإنّك تجد بينهم الآن إتجاهاً قوياً للهجرة من الشرق الى الغرب كما هو الحال مع الكرد. وليس بمقدورنا حالياً التمييز بين موجات هجراتهم المختلفة، فمن الممكن جداً أن يكونوا قد جاؤا الى كردستان من الشمال.

يقع مركز إستيطان اليهود في منطقتي زاگروس وطوروس الجبليتَيْن. وفي الأخيرة يبدأ عدد الكرد بالإنخفاض التدريجي في أرض الأرمن، حيث لاتوجد حالياً مستوطنة يهودية واحدة. وفيما وراء الجبال هناك منطقتا بحيرتيْ وان وأورميه، والمنطقة الثانية هي أرض إستوطنها اليهود في جزءٍ منها. ومن الغرب يمكن إعتبار نهر دجلة حدود منطقة الإستيطان اليهودي. وهكذا يتبيّن لنا أنّ اليهود في كردستان يقطنون ثلاثة أنواع من المناطق حسب طبيعة الأرض: المنطقة الجبلية، ومنطقة البحيرات البركانية، والمنطقة السهلية وصولاً الى دجلة.

والمركز هو (كما ذكرنا) المنطقة الجبلية حيث جبال طوروس شمالاً وجبال زاگروس جنوباً. وطوروس الممتدة من الشرق الى الغرب هي سلسلة جبلية مكوَّنة من الصخور الكريستالية القديمة. والقطاع الجنوبي الشرقي من طوروس، وتدخل منه في نطاق بحثنا منطقة هكاري الجبلية فقط، هو الموطن القديم للنساطرة، وهو منطقة

غنيـة بالمياه أكثر من أي منطقة أخرى في طوروس لذا فـهي أكـثر شـبـهاً بمنطقة زاكروس.

ومن ناحية التكوين، فإنّ زاكروس عبارة عن طيّات جبلية تتكون بالدرجة الأساس من مادة اللايمستون؛ وسلاسلها تمتد من الشمال الغربي بإتجاه الجنوب الشرقي بموازاة نهر دجلة. أما مجاري المياه في هذه المنطقة، والتي تزداد غزارة في الربيع، فإنها تتبع أولاً الوديان الطولية ثم تخترق السلاسل الجبلية متجهة غرباً نحو المضايق العميقة الغور[1]. وهذا التقطيع المفرط للمنطقة الجبلية جعلها تتمنع في وجه الإختراق وهيأت مناطق سكنى كانت قبل أيام التكنيك العسكري الحديث غاية في المنعة. وبهذا تكون هذه المنطقة نموذجاً كلاسيكياً عاشت فيه بقايا العديد من الشعوب والقبائل قروناً بمعزل عن العالم الخارجي وفي أمان.

القطاعان الشمالي والشرقي من الطيات الجبلية تشكلت بفعل البراكين. فأرارات بركان خامد؛ والمادة البركانية المنتشرة في طبقات متراصة فوق التشكيلة كوّنت بحيرتي وان وأورميه اللتين تكوّنتا بفعل غلق ممرات الأنهر بواسطة المواد البركانية.

وعند أسفل هذه المنطقة الجبلية يمتد سهل ميسوبوتاميا، حيث يشق دجلة والفرات طريقهما. لم يتجاوز الكرد في تقدمهم دجلة الذي يمكن ايضاً إعتباره بمثابة حدود لمنطقة الإستيطان اليهودي. وعلى المنوال نفسه، تنتمي ميسوبوتاميا الشرقية جغرافياً – وجيولوجياً بشكل جزئي – الى منطقة طوروس وزاگروس، حيث أنها ليست منطقة منبسطة تماماً بل ترتفع على هيئة موجات بإتجاه زاگروس. وهذه المنطقة مقطّعة في العديد من المواقع بواسطة الأنهار والوديان التي تصب في دجلة. ومع الإتجاه جنوباً تتغير ملامح الأرض: حيث تتسع المسافة الفاصلة بين دجلة والفرات بصورة تصاعدية؛ وتتخذ المنطقة لنفسها ملامح ومناخاً مشابهاً لما تتميز به ميسوپوتاميا.

تنتمي منطقتنا مناخياً الى المنطقة القارية الجافة، وتحتل طوقاً يمتد فوق نصفي الكرة الأرضية على خط العرض ٣٥ تقريباً، حيث الشتاء المطير والصيف الجاف

١- "هذه الوهاد ليست شقوقاً مستقيمة؛ وهي تمتد بشكل يلفت النظر وبتشعبات لا نهاية لها. ورواندز هي أفضل نموذج معروف منها بل وربما أبرزها... ففروعها لاتقل عن خمسة تصب مجاريها الفرعية في نهر رواندز، وكل واحد منها يعتبر بحد ذاته وادياً عظيماً" أي. أج. هاملتون، طريق في كردستان، لندن ١٩٣٧، ص ١١٠. ويشير هاملتون بوضوح الى عدم إمكانية الوصول الى زاگروس؛ فمثلاً عندما يأتي على ذكر بَرسَرين، يقول "كانت ثم مقاطع قليلة يمكن للمرء إجتيازها وهو يمتطي بغلاً" (ص ١٦١).

يميزان هذا الجو. وكانت كردستان ستتحول الى أرض جافة مثل فارس ونجد لولا طوروس وزاگروس اللذين يساعدان في وصول الرياح الرطبة التي تهب من البحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي لتزيد وتكثّف من رطوبتها.

وسلسلة زاگروس، بصورة خاصة، بشتائها القاسي وثلوجها الوفيرة تمثل مخزناً لمياه المنطقة. ولكثرة الينابيع والممرات المائية (الدافقة على مدار السنة) فيها فإنها تغذي بالماء المنطقة بأكملها وصولاً الى دجلة وتروي حتى المناطق التي لاتكون فيها الأمطار كافية[2].

وزاگروس مغطاة الى إرتفاع ١٨٠٠ متر بغطاء أخضر من البلوط القزم الذي يظهر بصور عدة وينتج ثمار البلوط التي تعد من الصادرات الأساسية لهذا البلد. وفي الواقع، تعدّ شجرة البلوط القزم الشجرة الوطنية لكردستان. وهنا فإننا لانتحدث عن غابات حيث أن الموجود هناك هو مجرد أشجار متناثرة على منحدرات الجبال. هذه الصورة هي التي تميّز المنطقة التي طالما وصفت بأنّها منطقة تضم العديد من الوديان العميقة التي يغطي جوانبها غطاء أخضر من البلوط القزم. وبالإضافة الى البلوط، هنالك العديد من أشجار الغابات – خاصة الجوز (ذو الثمار الغالية الثمن) والحور والكمثرى الجبلية.

يعود السبب في غياب الغابات الحقيقية عن هذه المنطقة، بلا شكّ، الى الإفتقار الكلّي لوسائل الصيانة. حيث يتم قطع الأشجار بلا رحمة، لإستخدامها كوقود وعلف للشتاء. فثمة عمل، ينشط فيه اليهود بصورة خاصة، وهو قطع الأغصان التي تحمل أوراقاً في فصل الخريف وبيعه كغذاء للأبقار. والعائق الآخر أمام قيام الغابات هو وجود أعداد هائلة من المواشي التي لاتكتفي بتجريد الأغصان الغضة من أوراقها بل تهاجم جذوع الأشجار لتنزع عنها قشرتها.

الإعتدال النسبي للصيف، بسبب إرتفاع منسوب، ووفرة المياه، وفّر غطاءً نباتياً غنياً[3]. وبفضل تناثر الأشجار عليها، فإنّ منحدرات الجبال تتمتع بحصة جيدة من أشعة الشمس وبالتالي فهي مغطاة بكثافة بالأعشاب والشجيرات (الدفلة وورود الجنيفر البرية). وفي المناطق الأكثر إرتفاعاً، تختفي أشجار البلوط القزم لتحل

٢- لاتوجد أمطار خلال الفترة بين أيار وتشرين الأول. ومعدل الأمطار السنوي هو: زاخو ١٠٢٦ملم، العماديه ١٠٩٧، رواندز ١٠٥٣، عقره ٩٣٦، السليمانية ٨٣٦، أربيل ٤٦٢، كركوك ٣٩٤، الموصل ٣٥٠. دوف أشبل، الخريطة المطرية للشرق الأدنى، القدس ١٩٤٠.

٣- لايوجد في منطقتنا سوى محطتين للأرصاد الجوية، هما بالتحديد محطتا الموصل وكركوك. وفيما يلي جدول بمعدل درجات الحرارة المئوية العليا والدنيا لعامَيْ ١٩٣٨ و١٩٣٩: =

محلها المروج الألپية. وهكذا باتت المنطقة الجبلية تحت هيمنة الرّحّل من الكرد مع مواشيهم. ففي الربيع وبعد رعي مواشيهم في المنطقة السهلية، يتوجّه هؤلاء الى المرتفعات حيث المراعي الجبلية، *الزوزان*. ويتبع هؤلاء خط الثلج صعوداً حتى يبدأ سقوط الثلج والأمطار في الخريف ليجبرهم على التقهقر والعودة نزولاً الى بطون الوديان. ويتم قضاء فصل الشتاء في المناطق الزراعية بالأسفل، حيث المواشي تلتهم ما تبقى من الحقول بعد الحصاد.

إنّ نزول الرحّل في أشهر الشتاء يثير مخاوف لدى المزارعين[٤] الذين يقطنون الوديان غالباً حيث قراهم صغيرة جداً وبدائية قائمة عند قدمات الجبال. وأفضل وسائل الحماية عندهم هو بعدهم عن الطرق الرئيسة. وهذه العزلة هي السبب ايضاً في بقاء العديد من بقايا الأعراق. ويزرع سكان القرى الحنطة والشعير و(في المناطق الأكثر حرارة والأغزر مياهاً يزرعون) الرز والقطن. كما أنّهم يزرعون بكثرة محاصيل للتسويق (في الغالب في المناطق التي تروى بالواسطة) ويشتغلون ايضاً بتربية الكروم. ويزرعون ايضاً أعداداً وفيرة من أشجار الفاكهة والجوز.

ومع أننا نتعامل مع منطقة وعرة، صعبة المنال، فإننا لم نلمس حياة برية عالية الكثافة. حيث أنّ الحيوانات التي تصلح كفريسة قد أبيدت فعلاً. فالدب الذي له دور أساس في قصص الكرد واليهود (يحب اليهود ربط قصص البطولة بمواجهات مع الدببة) لايُشاهد الآن إلاّ نادراً. والمنطقة غنية بطيور الحجل والسناجب (أنظر قصة

=

	تموز ١٩٣٨		كانون الثاني ١٩٣٩	
	الدنيا	العليا	الدنيا	العليا
الموصل	٢٠,٧	٤٢,٤	٢,٨	١٢,٩
كركوك	٢٥,١	٤١,١	٤,٦	١٣,٧

«عن دوف أشبل، التقرير السنوي: مناخ فلسطين والدول المجاورة، تل أبيب ١٩ (١٩٣٨/١٩٣٩)». وعن درجات الحرارة في المنطقة الجبلية، كتب هاملتون "آب أحرّ الشهور في كردستان، وهو يعني هناك ١١٠ درجات (٤٣,٣٣ درجة مئوية) في الظل"؛ وكتب ايضاً "هبّت ريح ثلجية قادمة من تركستان عبر المضيق الأسود فجمّدت كلّ ما لقيته في طريقها" (طريق في كردستان، الص ٢٤٠، ٢٦٣).

٤- هذا صحيح. ولهذا كتب هاملتون يقول "ذات يوم... كنت عائداً من أربيل (الى سپيلك) عندما سمعت عن وقوع مناوشة بين أفراد من قبائل السورچي القاطنة في سپيلك، والهركيين البدو الذين كانوا يخوضون كل عام تقريباً مواجهات مع سكان القرى الواقعة على سفوح التلال. وقد شاركت نسوة في المعركة، حيث أنّهنّ محاربات وماهرات في التصويب مثل الرجال" (المصدر السابق، ص ٩٠).

"ملك السناجب")[٥]؛ لكن أكثر سكان الجبال خطراً، في الواقع، هم العفاريت.

لايختلف سكان القرى الواقعة في المناطق السهلية (كميسوپوتاميا ومنطقة البحيرات البركانية) إختلافاً جذرياً عن سكان المرتفعات، فرغم أن شتاء السهول ليس قاسياً ولاتهب فيه العواصف الثلجية فإنّ القروي يلزم داره ويتخذ إحتياطات صارمة لتوفير طعام الشتاء. واليهودي القروي يحدث تغييراً في نمط حياته في الشتاء حيث يتحوّل الى العمل كحائك داخل بيته.

لايعتمد موقع أية قرية على وجود أرض صالحة للزراعة وكميات كافية من الماء فقط، بل يعتمد ايضاً على عوامل سياسية؛ حيث يتم إختيار المواقع البعيدة عن الطرق الرئيسية. وعلى العكس من هذا فإن المستوطنات الحضرية تنشأ في المناطق القريبة من الطرق الرئيسية والتجارية. وهنا، ومنذ عصور موغلة في القدم مثّلت الوديان الواسعة الطريق من بلاد فارس الى الأراضي المنخفضة في ميسوپوتاميا، وفي هذه المناطق نشأت المستوطنات الحضرية، وهذه الوديان هي وديان الخابور والزابيْن الكبير والصغير.

ومن أهم هذه الطرق، الطريق الذي حوّله هاملتون الى طريق للسيارات. فهو يقع على إمتداد وادي الزاب الكبير، ويمر عبر أربيل فرواندز حتى يبلغ طهران. وبهذا فإنّ هذا الطريق، ومن خلال إرتباطه بالسكة الحديدية في تركيا عبر نصيبين والموصل، يجعل الإتصال ممكناً بين أوروپا الغربية وفارس بدلاً من الطرق الأخرى المحيطة به[٦].

وثمّة طريق آخر هام، يبدأ من الموصل الى دهوك والعماديه، وطوروس (جوله ميرگ، باشقَلا) وحتى بحيرة وان، ويحتلّ الجانب الأعلى من الزاب الكبير.

المستوطنات الحضرية القديمة في المنطقة الجبلية تستمد شخصيتها الجذابة من مواقعها حيث أنها قائمة في مواقع محمية طبيعياً. فهي بالفعل قلاع طبيعية، تتمتع عادة بمصادر مياهها الخاصة بها؛ وإنّ تكنيكنا العسكري الحديث والهجمات

٥- يوجين پرايم وألبرت سوسين، اللهجة الآرامية الحديثة في طور عابدين، گوتنگين ١٨٨١، المجلد الثاني، الفهرست، "Eichhorner".

٦- عند مدّ هذا الطريق، لم يكن لدى العاملين فيه أدنى فكرة عن هندسة الطرق الخارجية؛ بل أنّهم أقاموا نقطة عبور، كلما أمكن، عبر الأراضي التي تحتلها القبائل الكردية المتمردة: "عندما تخترق الطرق الرئيسية منطقة يقطنها أكثر الناس توحشاً، فمن المؤكد أنّ هؤلاء سيتحوّلون ببساطة الى ناس مسالمين من خلال إقتباس النماذج الحضارية للحياة" (هاملتون، طريق في كردستان، ص ٧٣).

الجوية هي وحدها التي تمكنّت من القضاء على حصانتها[٧].

فالعماديه تقع فوق هضبة ترتفع عن وادي الزاب الكبير بحوالي ٣٠٠–٤٠٠ متر (أنظر الصورة التوضيحية في كتاب بَنديه، ص ٢٠٠)* ولايمكن بلوغها إلاّ عبر مسالك وعرة قليلة منحوتة في الصخر.

وقد شدّ الرحالةَ الموقعُ الفريد لرواندز بشكل خاص. فمثلاً كتب هاملتون يقول:

> في هذه الأرض الحافلة بالجبال والأنهار والمضايق والعوائق الطبيعية، لم يكن ممكناً إنشاء المدينة في موقع أكثر إشرافاً على المنطقة. فهي تقع بين هوّتيْن عظيمتيْن على لسان صخريٍّ ضيّق ينحدر من قمة جبل كورَك. هذا اللسان يتحوّل مع إنحداره الى شريط يبلغ عرضه حوالي مائة ياردة فقط ينحدر بشدة حتى يبلغ بقعة صخرية منبسطة على الضفاف البارزة لنهر رواندز الذي ينحني هنا بشدة ليلج الوادي الذي يطوّق البقعة من ناحية الغرب... وفوق المرتفع والشريط الضيّق تجثم بين هوّتيْن سحيقتيْن مدينة رواندز العليا.
>
> (طريق في كردستان، ص ١٩، أنظر أيضاً اللوحتين ١١ و٢٨)

والدرع الأهم للمستوطنات، في الواقع، يتمثل في أنّ الطرق المؤدية اليها – أو المستوطنات نفسها على الأقل – محمية من خلال قلاع الزعماء الكرد. وقد أستخدمت هذه القلاع ايضاً كنقاط إنطلاق لهجماتهم. ويشاهد المرء هذه القلاع مبعثرة في أنحاء البلد؛ لكن أغلبها، خاصة القلاع المشيدة فوق المرتفعات الرئيسة، أصبح الآن مجرد أطلال[٨].

وهناك مستوطنات حضرية ذات طابع مختلف، تلك هي المستوطنات القائمة عند بوابات الوديان المتوسعة. وهي تشبه كثيراً المستوطنات القائمة في السهول. ويقع معظمها في المواقع التي تكون فيها الأنهار صالحة للملاحة بواسطة الأكلاك الكبيرة (الأطواف)؛ وبذلك تحوّلت تلك المستوطنات الى مراكز تجارية. فقد باتت زاخو التي هي في الواقع جزيرة يطوقها الخابور بصورة شبه كاملة، مركزاً لتجارة الخشب. فهناك يتم تجمع الأكلاك الكبيرة لنقل الخشب وتصدير بضائع أخرى الى الموصل.

٧– الشاهد على ذلك هو هجمات القوة الجوية الملكية (البريطانية – المترجم) على رواندز.

* بشأن هذه اللاحقة وكل اللواحق الأخرى، أنظر هوامش الفصل الأول.

٨– أنظر الرسم التوضيحي لهنري بنديه [ودبليو. أي. ويگرام في كتاب بنديه: كردستان في ميسوپوتاميا وفارس (پاريس ١٨٨٧) الذي يقابل الص ٩٦ و٢٠٩].

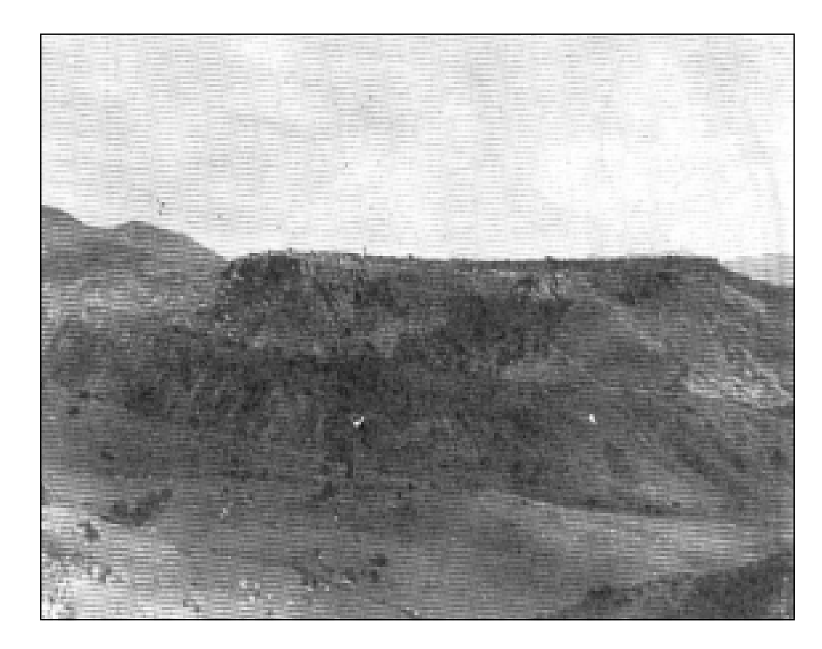
وعلى نحو مشابه، فإن كويسنجق قد إكتسبت أهميتها بسبب موقعها الذي يكون فيه الزاب الأسفل قابلاً للملاحة بواسطة الأكلاك.

أما المدن الواقعة في السهول فهي من بين أقدم المستوطنات الحضرية المعروفة في العالم. فعراقة أربيل على سبيل المثال، تتبيّن بجلاء من مظهرها الخارجي المميّز. حيث تقع على تل يبلغ إرتفاعه مائة وعشرين قدماً (٣٦ متراً تقريباً – المترجم) يبرز وسط المنطقة السهلية... مثل مخروط مبتور القمة كما هو الحال مع بعض البراكين المميزة، وعلى قمته جدران عظيمة من القرميد، وهناك تجثم أقدم مدينة عامرة على وجه الأرض... فمن الذي شيّد الربوة التي تقوم عليها المدينة الحالية؟... لقد نشأت وببساطة من بناء مدينة فوق أخرى إنهارت لتضاف الى إرتفاع الربوة الذي زاد ببطء خلال حقب لاتحصى، لتغدو الربوة أعلى بحوالي الضعف من أي ربوة مماثلة في العالم. (هاملتون: طريق في كردستان، ص ٦٣)

كلّ الطرق تؤدي الى دجلة؛ وهنا نجد الموصل، نينوى القديمة، "مدينة حدودية، وفي الوقت نفسه مركزية الموقع"، وهي المركز الصناعي والروحي لليهود الكرد. وهي في موقع ممتاز للمرور عبر النهر وكذلك من البر.

أمّا لماذا يوجد اليهود في مستوطنة دون أخرى؟ فهذا سؤال لايلقى جواباً واضحاً ومحدداً. فرغم أنّ اليهود الكرد فلاحون وأكثر إلتصاقاً بأرضهم من أغلب اليهود الشرقيين، فإنّ العامل الجغرافي لم يلعب دوراً ملحوظاً في المسألة حتى فيما بينهم. وكردستان كملاذ، وفّرت الملجأ لبقايا اليهود كما هي الحال مع المجتمعات الأخرى؛ وهكذا فقد عاش اليهود هناك. والأكثر من ذلك، فإنّه مما لاشكّ فيه أنّ اليهود إنجذبوا الى مستوطنات معيّنة بسبب أهميتها كمراكز تجارية. كما أنّ من المحتمل جداً أن تكون العوامل السياسية قد لعبت دوراً رئيسياً في ذلك. وبعد الحرب العالمية الأولى، وما نجم عنها من آثار سياسية وإقتصادية، شهدت كردستان تغييرات هامة. حيث أنّ إكتشاف حقول النفط، والإستغلال المتطور لها، وظهور السيارات والطائرات كانت عوامل أدّت الى إزدهار مستوطنات معيّنة وإضمحلال أخرى.

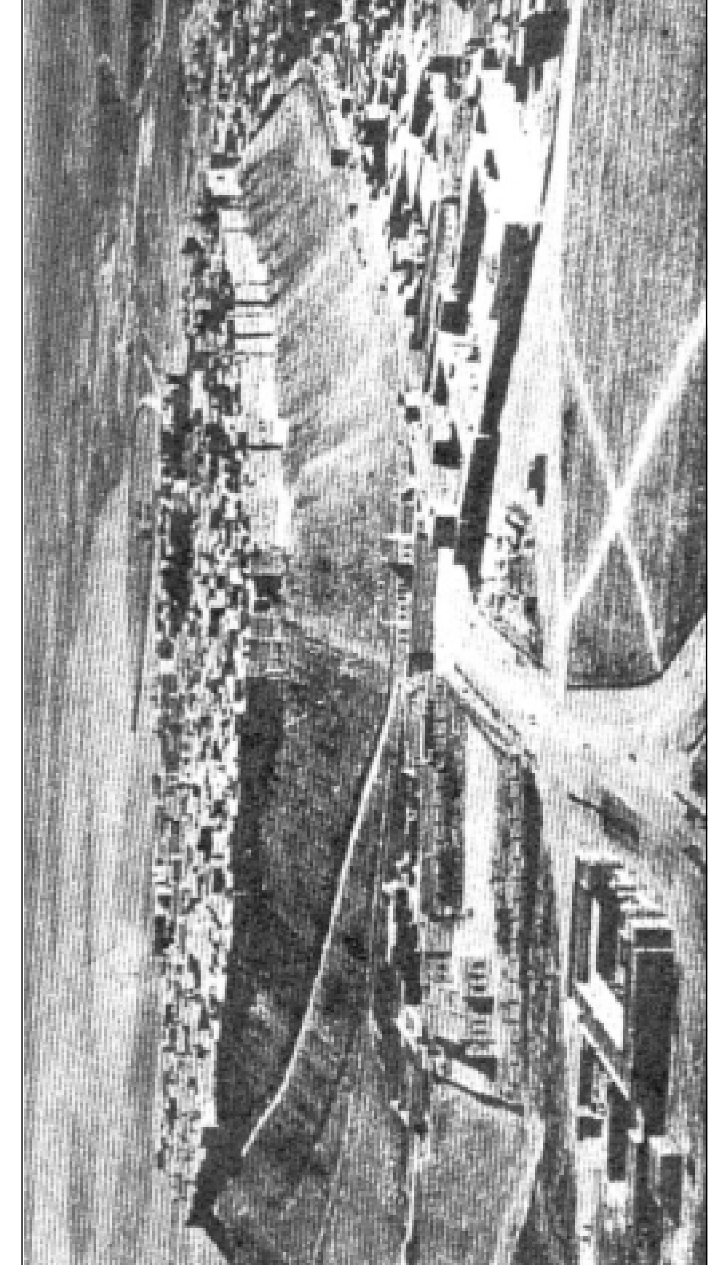
إن حقول النفط تتمركز حوالي خانقين وكركوك والموصل. وقد حازت هذه المدن قوة دافعة فتية، حيث أنّ جزءاً من العاملين في حقول النفط كانوا من سكانها. وعلى نحو مماثل، جاءت السيارات والطائرات بتغييرات عظيمة. إذ إنفتح البلد وصار أكثر أماناً للرحالة، فتحسُّن عملية التنقل، والإتصالات السريعة جعلت اللصوص الذين إعتمدوا على سلب القوافل يفلسون.



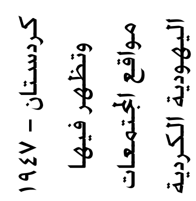
العماديه ١٩٤٠

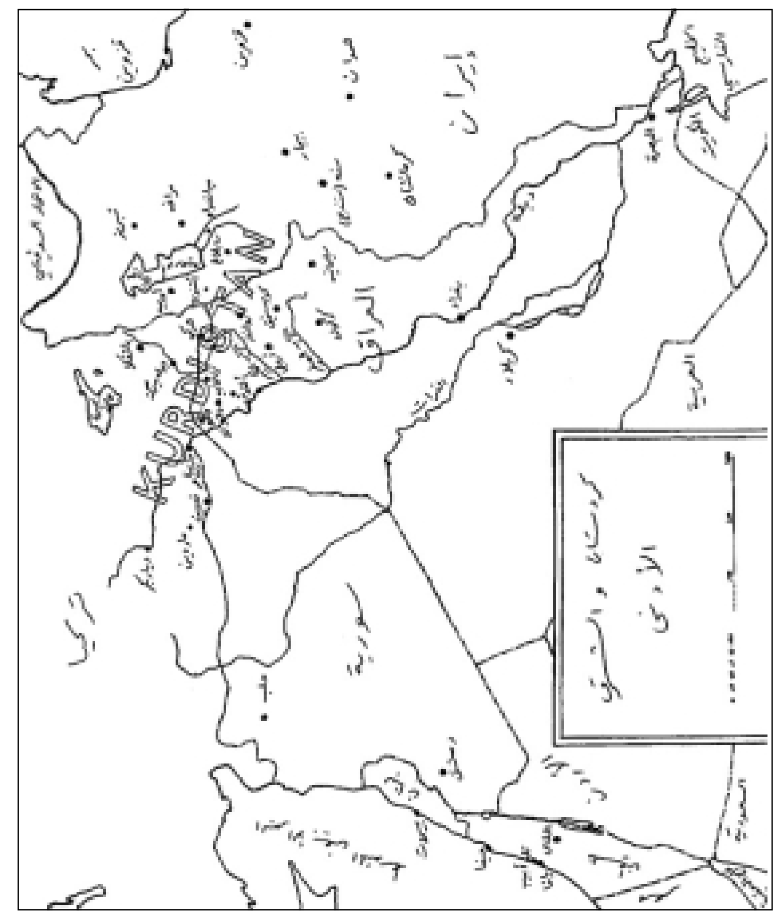


قرية سـنـدور



أربيل ١٩٤٠





3

تاريخ اليهود الكرد

اليهود الكرد الحاليون لايهتمون بالتاريخ قطعاً. وعلى العكس من يهود اليمن، مثلاً، الذين لديهم مثل هذا الإهتمام وأنتجوا العديد من الأعمال التاريخية، لم يخلّف اليهود الكرد على حدّ علمنا أي سجل تأريخي يتعلق بهم. ويرى لووي[١] الخبير، مع معلميه، في اليهود الكرد نفس ما أرى: لا أحد منهم يعرف شيئاً عن التاريخ القديم لشعبه. ولا يتجاوز عمر الأحداث التاريخية التي تحدثوا عنها قرناً أو قرناً ونصف القرن على أكثر تقدير.

والمادة القليلة المتوفرة لدينا لاتمنحنا فكرة وافية عن تاريخ هذا المجتمع. بل هي بالكاد تنفع لتشكيل صورة جزئية. وربما يخدم البحث التاريخي الشامل للبلد الى حدٍّ ما في إستكمال هذه الصورة. لاشكّ أن المستوطنات اليهودية في كردستان عريقة جداً. ومن المثير أن نجد يهوداً يتحدثون بلهجة آرامية (التارگوم أو الجبلي) في منطقة تمثّل مستقراً للمنفيين من إسرائيل ويهودا (الملوك ٢، ٧:١٧، إيساه ١١:١١، ١٣:٢٧) أو تقع قريباً منها بحال من الأحوال[٢]. فهل نحن الآن أمام أحفاد هؤلاء المنفيين؟ رغم أنّه يجب رفض هذه الفكرة عند طرحها بهذا الأسلوب العام، فإنّه يمكن القول مع بعض التأكيد أنّ لدينا هنا يهوداً يضمون بين ظهرانيهم بقايا القاطنين اليهود القدماء. وسوف ناتي ببعض الأدلة التي تدعم هذه النظرية، وذلك في الفصل الإنثروپولوجي من كتابنا هذا[٣].

من خلال نجاح المسيحية والتوسع المثير للنسطرة يتبيّن أن اليهود عاشوا في هذه المنطقة في تاريخ مبكّر جداً. وفي هذه الحالة ايضاً كان اليهود بلاشك أفضل عنصر للدخول في الدين الجديد، وخاصة بسبب إعتناق حكام أديابين (في القرن الأول الميلادي) الدين الجديد ما أسفر عن إجتذاب العديد من غير اليهود الى هذا المجتمع، ودعم الأمراء المهتدين للمستوطنات اليهودية.

ومن الغريب أنّه يندر ذكر كردستان في التلمود، رغم كونها على مرمى حجر من

١– ألبرت لوي، أعمال الجمعية التاريخية للكتاب المقدس، العدد ٤ (١٨٧٥): ٩٨.
٢– حول محاولات تحديد هذه المنطقة أنظر: جَي. أوبرماير، أرض بابل، فرانكفورت ١٩٢٩، ص ١٠ وما بعدها.
٣– [حال الموت دون كتابة الدكتور براوَر لهذا الفصل].

سورا ويومباديتا[٤]. كما ليس هناك أيّ ذكر للموصل (آشور) التي يتبيّن أنها كانت في العهد التلمودي مدينة قليلة الأهمية للغاية. وقد ورد ذكر أربيل (أربيلا) التي هي واحدة من أقدم المدن في العالم وحلّت محل نينوى بعد سقوطها؛ ومن المثير للإستغراب أنّها لم تلقَ في التلمود إهتماماً يذكر. وعن وسط كردستان فإننا لانسمع شيئاً قطّ.

وفيما يتعلق بوضع اليهود في ظلّ الحكم الإسلامي فإننا ايضاً لا نتجاوز التخبّط في الظلام. إذ قلّما يتطرق المؤرخون العرب الى ذكر اليهود. ولكن الإشارات غير الصريحة الى اليهود في المدن تبيّن أن هذه الفترة التي شهدت إزدهار العرب كانت فترة لنمو المجتمعات اليهودية ايضاً[٥].

القرن الثاني عشر: ديڤيد ألروي

إننا مطلعون بصورة أفضل لحدٍّ ما، على وضع اليهود في القرن الثاني عشر. ونعتمد في هذا على المعلومات القليلة التي قدّمها بنيامين التوديلي والحَبر پيتاحيا، اللذين لم يزورا وسط كردستان، كما رأينا من قبل.

في الفترة التي تلت الحملة الصليبية الثانية. شهدت المدن فترة إزدهار جديدة في ظل حكم السلاجقة. وقد إستخلصنا من تقارير بنيامين وپيتاحيا أن اليهود كان لهم دورهم في ذلك الإزدهار. فالموصل "آشور العظمى" التي يسميها پيتاحيا "نينوى الجديدة" كان فيها من اليهود سبعة آلاف، حسب بنيامين (*سفر ماساعوت*، ص ٥٢)، وستة آلاف حسب پيتاحيا (الرحلات، ص ٨). وقد زاد عدد سكان الحواضر بسبب هجرة اليهود القادمين إليها من فلسطين، هرباً من غزوات الصليبيين. وشكّل هؤلاء المهاجرون قوة دافعة جديدة للتقدم العلمي في بغداد وايضاً في الموصل التي إعتبرت نفسها مستقلة عن بغداد ولها حاكمها (*إيكسيلارچ*) الخاص بها[٦]. ولما

٤- حول المواقع التي ورد ذكرها في التلمود، أنظر: أوبرماير، أرض بابل؛ وكذلك: ياكوب مان، نصوص ودراسات، سينسيناتي ١٩٣١، المجلد الأول، ص ٤٧٧ وما بعدها.

٥- أنظر ما جاء عن هذه المادة في أوبرماير، أرض بابل؛ وكذلك: مان، نصوص ودراسات، سينسيناتي ١٩٣١، المجلد الأول، ص ٤٧٧، حيث يحاول شرح تاريخ اليهود في الموصل.

٦- حول إكسيلارچ الموصل، أنظر: ياكوب مان، *Livre d'hommage a la mêmoire du S. Poznanski*، وارشو ١٩٢٧، القسم العبري، ص ٢٣-٢٧. (والإكسيلارچ *Exilarch* هم فرع من الأمراء أو الحكام اليهود في بابل، حكم وفرض الضرائب على اليهود في كلّ البلدان في الفترة الممتدة بين ٢٠٠-١٢٠٠ تقريباً - المترجم).

كانت الموصل حينها المركز الروحي والتجاري لمنطقتنا، فبإمكاننا الإفتراض أنّه كان يوجد من بين العديد من المتعلمين الذين ضمهم الحاكم الى مجلسه، البعض من اليهود الكرد ايضاً.

تمتع اليهود في الموصل بحكم ذاتي. وقد كان لحاكمهم سجنه الخاص به. وكان نصف الضريبة (الجزية) - التي يدفعها اليهود لكونهم ذميين - يذهب الى الدولة، والنصف الآخر الى الحاكم.

وكان يوجد في المدن السهلية ايضاً مجتمعات يهودية لها أهميتها. ففي نصيبين كان هنالك ألف يهودي (بنيامين، *سفر ماساعوت*، ص ٥١) وثلاث كُنَيسات (پيتاحيا، الرحلات، ٢ب، ٧أ). ويذكر پيتاحيا أنّه من نصيبين تبدأ أرض آشور (الموصل) [وأنّ لـ"خَزَريا (أذربيجان) لغة، ولتوگارما (تركيا) لغة أخرى"].

وفي جزيرة إبن عمر كان يوجد مجتمع من أربعة آلاف يهودي (بنيامين، *سفر ماساعوت*، ص ٥١). ولكن بالنسبة لأربيل فليس لدينا أية معلومات وذلك لأنّه (وكما ذكرنا) يوجد نقص كبير في النص عند هذه النقطة.

والأهم الأكثر إثارة من كلّ ذلك، الفقرة التي وردت في يوميات بنيامين التوديلي حول ظهور المسيح الدجال ديڤيد ألروي في العماديه (المصدر السابق، الص ٧٨-٧٩). حيث أنّ هذه الفقرة تعطينا فكرة عن الحياة اليهودية في داخل كردستان. والنتيجة السلبية التي يمكن التوصل اليها من خلال التقرير ليست أقلّ إثارة من الإيجابية: فهذه الإشارة العرضية من لدن بنيامين تبيّن مدى ما فقدنا من المادة التاريخية المتعلقة باليهود الكرد[٧].

يصف بنيامين العماديه على أنّها مدينة تضم مجتمعاً يهودياً يتألف من خمسة وعشرين ألف فرد - وهي مبالغة مفضوحة:

> هذا أول المجتمعات القاطنة في جبال هَفتون، حيث يعيش أكثر من مائة مجتمع يهودي. ومن هنا تبدأ أرض ميديا. وهؤلاء اليهود هم أحفاد أولئك الذين تم سبيهم أولاً من قبل الملك شلمنصر؛ ويتحدثون لغة التارگوم ويوجد بينهم رجال متعلمون. وتمتد مواطنهم من منطقة العماديه[٨] الى منطقة گيلان، التي تقع على مسافة خمسة وعشرين

٧- حول قصة ديڤيد ألروي أنظر مان، *ها تيكوبا*، ٢٤: ٣٤١ وما بعدها؛ وكذلك ما سبقت الإشارة اليه في مجلة الدراسات اليهودية، العدد ٨٧: ٢٥٧.

٨- يكتبها بنيامين (العمارية) عادة، بدلاً من العماديه. وهذا مثال على الخطأ المماثل (الذي =

يوماً من حدود مملكة فارس" (المصدر السابق، الص ٧٦-٧٧)

كان يهود العماديه من رعايا فارس أيضاً، وكان على كلّ ذكر بلغ الخامسة عشرة أن يدفع الاتاوة للدولة الفارسية.

وكما ذكرنا، فإن التقرير المتعلق بالمسيح الدجال ديڤيد ألروي هو أهمّ مادة مفردة نمتلكها حول تاريخ اليهود الكرد. وديڤيد الرويي هذا، كما يسميه بنيامين، درس في معهد بغداد في ظل حكم *الإكسيلارچ* هيسداي *والگاون* علي حلبي، وكان عالماً لا غبار عليه. ومن هذا نستخلص أنّ يهود كردستان، رغم عزلتهم في هذه الفترة، لم ينقطعوا عن مراكز العلم في ميسوپوتاميا. وحديث بنيامين عن نشاطات ألروي هو خليط من الحقيقة والأسطورة. فيكتب أنّه "تبنى فكرة التمرد على ملك فارس وحشد اليهود القاطنين في جبال هَفتون للتقدم وقتال كافة الشعوب والزحف على القدس وإحتلالها" (المصدر السابق، ص ٧٨).

وهذه الحركة كان لها أتباع كثيرون بين اليهود الذين أطلقوا عليه إسم المسيح؛ لذا قام ملك فارس الخائف من الفتن والقلاقل بإستدعاء ألروي وسجنه في طبرستان. ومع ذلك فإنّ ألروي حرّر نفسه بطريقة تشبه المعجزة ووصل الى العماديه خلال يوم واحد فقط، قاطعاً مسافة تستغرق في الحالات العادية عشرة أيام.

عندها طلب الملك من *إكسيلارچ* بغداد، عن طريق خليفة بغداد، وحذّره من أنّه اذا لم يوقف ألروي نشاطاته التحريضية، فإنّه سوف يقتل كل اليهود الموجودين ضمن حدود مملكته. وبدافع من الخوف الشديد، توجّه *الإكسيلارچ* الى نظيره في الموصل[٩] - وهذا يبيّن بوضوح أنّ يهود كردستان كانوا يعتبرون الموصل مدينتهم الرئيسة. وبعدما فشلت كافة المساعي الرامية الى إيقاف ديڤيد عند حدّه، لم يبقَ سوى الغدر به. فأغوي حمو ألروي من قبل أحد أتباع الملك "فدخل بيت ألروي وقتله وهو نائم في فراشه" (المصدر السابق، ص ٨١). هذا، ولم يهدأ الملك حتى دفع له اليهود غرامة قدرها مائة طالن ذهبي.

وظهر في الآونة الأخيرة مصدر هام يدعم يوميات بنيامين. ففي كتاب إفحام اليهود للصموأل ب. يحيى المغربي، وهو يهودي دخل في الإسلام، نجد رواية أكثر واقعية لإنتفاضة ألروي، بغض النظر عن تحامل الكاتب على اليهود.

= إرتكبه الناسخون) فيما يتعلق بإسم ألروي.

٩- يورد بنيامين أسماء الرجال الذين وجّه *الإكسيلارچ* طلبه إليهم مثل ناسي زاكّاي، ور. يوسف برهان الملك [أو الفلك]، المنجّم (سفر مسّاعي [طبعة د. گوردون ١٨٥٩]، ص ٨٠).

وحسب هذا المصدر، فإنّ ديڤيد، الذي يسميه هنا مناحيم ب. شلومو الروحي[١٠]، كان يتمتع بشهرة عظيمة بين اليهود، وأنّ آمر الحصن كان ايضاً يحب لقاءه. ولاحظ الروحيّ خلال اللقاء أنّ هذا الشخص متساهل. فتبنى خطة للإستيلاء على الحصن بمساعدة من اليهود:

> **لذا فقد كتب الى اليهود المتجولين حوالي مدن أذربيجان وما جاورها، ولكونه عالماً أن يهود فارس هم أغبى اليهود جميعاً، فقد أعلمهم من خلال رسالته بأنه بُعِث لينقذهم من أيدي المسلمين... وأبلغهم ايضاً بأنّ من المستحسن أن يحمل كلٌّ منهم عند مجيئه الى هناك، سيفاً أو أيّ سلاح آخر يخبئه تحت ملابسه[١١].**

وعندما توافد اليهود الى هناك، ظنّ الآمر لأول وهلة أنّهم قد جاؤوا لزيارة الروحي إذ أنّه اعتاد مثل هذه الزيارات من قبل اليهود الكرد. لكنه عندما أدرك حقيقة الموقف، قتل الروحي. فذُهل اليهود ذهولاً عظيماً وتفرقوا فارّين في كلّ إتجاه:

> **ولازال يهود العماديه الى اليوم يمجّدون ذلك اليوم في مجالسهم، ويعتبره الكثير منهم المسيح المنتظر. لقد رأيت المجتمعات اليهودية في فارس، في خوي وسلماس وتبريز ومراغه وهم يرددون إسمه بتقديس عظيم. ويهود العماديه هم من أشد اليهود مخالفة للمسيحيين في كلّ شيء يتعلّق باليهود. وفي هذه المدينة توجد جماعة تؤمن بعقيدة دينية، يقول أفراد الجماعة إنّ ذلك الدجال قد جاء بها[١٢].**

ويرى ياكوب مان أنّ مؤامرة ألروي كانت وليدة الأحداث التي أثارتها الحملة الصليبية الثانية. فقد كان السلاجقة في ميسوپوتاميا وسورية يشكلون تهديداً عظيماً للصليبيين؛ وإتمام عمادالدين زنگي أتابك الموصل (ويقال أنّ العماديه سميت

١٠- في مصدر ثالث، المهتدي: ميگيلاّ أوباديا (قارن ي. مان، مهتدي أوباديا، مجلة الدراسات اليهودية، العدد ٧١ (١٩٢٠)، الص ٩٠-٩١) يطلق عليه إسم ألدوگي. والإختلافات الثلاثة ناجمة عن رسم الكتابة العربية أو العبرية. والصيغة دوگي تثير الإهتمام لكونها مشابهة للصيغة دوگا التي هي إسم لعائلة تعيش اليوم في العماديه. ومن بعض الرسائل التي نشرها ياكوب مان (نصوص ودراسات، المجلد الأول، ١٩٣١، الرسالتان ٧ و٨) ندرك أن شخصاً إسمه سيمون دوگا كان زعيم المجتمع اليهودي في العماديه.

١١- ياكوب مان، "*ها*- تعنوعوت *ها*- معشيهيوت"، *ها تيكوفا*، العدد ٢٤ (١٩٢٨) ص ٣٤٥.

١٢- المصدر السابق. ليس هناك شيء قديم عن كون ألروي قد عاش بين اليهود الكرد. وكل ما يعرفونه عنه جاء من مصادر حديثة.

بإسمه) فتح الأديسّه. ويرى مان أنّه في هذه الفترة التي تميّزت بعدم إستقرار سياسي عظيم، خرج ديڤيد ألروي بروحية نبيّ وتبنى خطة قيادة اليهود الى فلسطين.

لكنّي أرى أنّ شرح مان للموقف غير مقنع بما فيه الكفاية. وأعتقد أنّ من الممكن جداً أنّ ألروي إعتبر تلك الفترة مناسبة لمطالبة اليهود بالإستقلال السياسي، الوضع الذي لم يتمكنوا من تحقيقه أبداً الى يومنا هذا. ولفهم الموقف، من المفيد أن نستذكر مواقف مماثلة للمسيحيين: "في ١٣١٠، وفي منطقة ألدجايتو، هُزِم النصارى بعد دفاع بطولي عن أنفسهم ثلاثة أشهر في قلعة أربيل ضد القوات المحاصِرة، المكونة من العرب والكرد والمغول"[١٣]. لقد كانت كردستان دائماً أرضاً خاضعة لسيطرة زعمائها العشائريين، وقد شجّعت غزوات هؤلاء الزعماء ألروي للقيام بمحاولة مماثلة بمساعدة من اليهود ومن أجلهم.

ولغرض البدء بالتحقق من العوامل التي أدت الى ظهور اليهود الكُرد، فإنّ حقيقة قدوم اليهود من أذربيجان الى كردستان (كما يفهم من قصة ألروي) تتمتع بأهمية خاصة. ولم تكن تلك الحادثة الأولى ولا الأخيرة من حوادث دخول العناصر اليهودية- الفارسية الى كردستان. فقد كانت الحدود بين كردستان وبلاد فارس غير مستقرة لقرون؛ ولاشكّ أنّه كان ثمة تبادل فعال للسكان، شارك فيه اليهود ايضاً.

القرن الثالث عشر: الحاريزي

لم تمر بضع عقود على زيارة بنيامين التوديلي المنطقة، حتى زارها الحاريزي (١٢٣٠) الذي يعد تصويره للمجتمعات اليهودية بمثابة تحفة فنية، ومن الصعب التصديق بأن بنيامين التوديلي والحاريزي عاصرا بعضهما. فبينما لانلمس إلاّ نادراً شيئاً عن شخصية بنيامين من خلال نتاجه، فإنّ مقامات الحاريزي تجسّد شخصية كاتبها. وفرانسوا ڤيللو اليهودي هذا يصوّر حياة المجتمعات اليهودية بتهكّم لاذع. فهو يكتشف فيها علامات الإنحلال، رغم كونها لاتزال في الفترة التي سبقت الغزو المغولي الذي دمّر المدن. وليست مقامات الحاريزي معاصرة كشعر فقط، بل أنّها تقدّم صورة عن يهود الحضر لاتختلف إلاّ قليلاً عن حياة اليهود في يومنا هذا.

يولي الحاريزي إهتماماً قليلاً بأربيل[١٤]. ويتبيّنُ الجهلَ الذي كان يختبيء تحت

١٣- الإنسايكلوپيديا الإسلامية. الطبعة الأولى، مادة "أربيل" بقلم ستريك.

١٤- حول أربيل أنظر المقامات: ١٨. ٤. ١٤٤-١٤٦، ٢٠. ٢. ١٥، ٢٤. ٣ (مقامات =

سطحها البراق (المقامات، ٣. ٢٤). وقد تحدّث بصورة شبه كاملة عن الحياة في الموصل[١٥]، ومن خلال الصورة التي رسمها لبغداد يمكننا جمع الكثير مما يهم موضوعنا[١٦].

يصور الحاريزي بانبهار وإعجاب حجم وجمال الموصل وكُنَيْساتها الفخمة ثم يورد وصفاً فنياً مؤثراً للمدينة وهي في حلّتها الشتوية (المقامات، ١. ٢٩)[١٧].

وكشاعر متجوّل يعتمد على صدقات الناس، فإنّه يقسم البشر الى فريقيْن: قساة القلوب وطيبي القلوب. وقد كان نصيب يهود الموصل أنْ ضمّهم الى الفريق الأسوأ، خلا زعيمي ذلك المجتمع وهما *الإكسيلارچ* ر. نسيم، وديڤيد "رئيس *الگالوت*" (المقامات، ١٨-١٩. ٨. ٤٦؛ ومقامات الحاريزي طبعة پول لاگارد، ص ١٧٦). ويصب سخطه وسخريته على هذا المجتمع:

> عندما ذهبت الى هناك، شهدت مجالسهم.
>
> وكان رأس كلٍّ منهم يتدلّى على صدره المفعم بالحماقة، لم يكن ثمة رجل، ولا حتى صوت رجل.
>
> ولكن الأحصنة كانت مربوطة، والحمير مربوطة. [الملوك ٢، ٧:١٠]
>
> وكانت لليهود مثل بئر، يسقط فيه الثور والحمار.
>
> في اليوم الذي تم فيه نفي شعب الصخر [اليهود] من القدس، نُفي الأتقياء الى دمشق ومصر وأسكنوا في هاڤيلا وحتى شور؛ أمّا الرعاع فقد ذهبوا الى آشور. (المقامات ٢٨-٣٢. ٨. ٤٦)

ويبلغ هذا الوصف ذروته في المقامة الرابعة والعشرين الشهيرة حول *كانتور** الموصل، حيث جماعة المصلين الجهلة، و*كانتورهم* الجاهل الذي يفخرون بأدائه، يصوّرهم في هجاء مثير لايزال يحتفظ بإثارته.

= الحاريزي، طبعة پول دي لاگارد [گوتنجين ١٨٨٣]).

١٥- حول الموصل أنظر المقامات ٢٤. ١، ٢٩. ١، ٤٧. ٧، ٤٨. ٨. ١٨، ٥٠. ١٢٨.

١٦- المقامات ٤٦. ٩، ٤٧. ٨، ٥٠. ٤٣-٤٤ و ١٠٧.

١٧- جئت الى الموصل في شهر تيڤيت (كانون الثاني) (ويسمى ايضاً تبت وتبث، وهو الشهر الرابع في التقويم المدني اليهودي والعاشر في التقويم الاكليريكي، ويقع في كانون الأول ويشغل احياناً جزء من كانون الثاني ايضاً - المترجم)، عندما إجتاحت العاصفة البلد.
كان الجو بارداً؛ من الذي يمكن أن يحتمل برودته؟
تجمّعت غيوم المطر، ورفع الثلج راياته على الجبال.

* الكانتور: هو الشخص الذي يرتل الصلوات في الكنيس، ويقود جماعة المصلين عند أداء صلواتهم.

فبعد وصف مقتضب لثراء وروعة المدينة، وبخل سكانها، يروي الحاريزي كيف أنّه ذهب الى كُنيس الموصل في مساء الجمعة. وقد جلس بين الجمهور الى جانب شيخيْن:

لهما لحى طويلة، أقوياء كالبلوط من النوع الذي يستحق الإطراء لكنهما لايستحقانه،

من هادمي المؤسسات الخيرية، لا من بُناتها، رجال طوال القامة، ذوو بطون كأنها أكوام الذرة، ونفوس بغيضة، وعيون تنم عن العجرفة. (المقامات ١٣-١٥. ١. ٢٤).

وحدّثوه بفخر عن حكمة إمامهم في الصلاة وأسلوبه الجميل في الترتيل،

... ويشاهد، ظهور *الكانتور*،

على جبهته عصابة، وعلى رأسه شال، أبيض وجميل، يبلغ طوله مائتي ذراع.

لحيته تبلغ سرته. يغطيها بغطاء.

تمسح حواشيه الأرض وهو يكاد يمشي على الحواشي. (المصدر السابق، ٢٢-٢٦)

وعلى النقيض من هذا المظهر الخارجي يأتي الجهل المطبق *للكانتور*، الذي يرتكب أخطاءً مضحكة؛ فهو لايفهم شيئاً مما يرتل. ويرفق الكلمات التي يرددها بإيماءات غير طبيعية، متصوراً أنّه بذلك يبيّن ورعه. أما بالنسبة لجماعة المصلين:

كان البعض منهم جالساً، والبعض الآخر ممدداً نائماً كالأموات.

وفرّ بعضهم مجدداً ولم يعد، تاركاً دار العبادة.

فرّت الثيران من رعاتها، وفرّت الأغنام والقطعان،

لم يبق هناك سوى أربعة من الحمير، ينعقون وينهقون مع *الكانتور*

معتقدين بأنّهم مغنّون (المصدر السابق، ٥٣-٥٧).

وكأنّ الحاريزي يصف جماعة مصلين كرد في يومنا هذا، حيث لاتتجلى معارف الحاخام إلاّ في عقول جهلاء المصلين. ومن هذا يتبيّن أن يهود ميسوپوتاميا واليهود الكرد ينبغي أن يكونوا قد تلقّوا جرعات مستمرة من الخارج لمجرد البقاء فقط. وبقلمه اللاذع ينقل لنا الحاريزي ايضاً مشاهد من الحياة العامة للشعب. هذه المشاهد تنطبق الى حدٍّ بعيد على العالم الشرقي في يومنا هذا، لأنّه عالم دخل

بالفعل مرحلة الإنحلال. فقصة حيڤر *ها- قيني* والمزارع الفقير في رحبه (*ريهوڤوت*) على الفرات، جنوب الرقّة؛ ومشهد تناول هذين الفقيرين بنهم وجبة الطعام في مطعم بالسوق يمكن أن يتكرر في الموصل أو بعض المدن الكردية الأخرى اليوم مثلما كان في بدايات القرن الثالث عشر.

حازان ديڤيد وحازان يوسف

لم يجر لحد الآن بحث علمي على الأضرحة والأماكن المقدسة والكنيسات في كردستان - ومن شأن مثل هذه الدراسة أن تكشف بلاشك الغطاء عن خفايا العديد من الألغاز في تاريخ اليهود الكرد. هؤلاء الذين كانوا يشاركون جيرانهم المسلمين في مراسيم الزيارات، التي تضم زيارة العديد من الأضرحة المقدسة والمزارات الأخرى التي يحمل بعضها أسماء شخصيات تاريخية أو أسماء اليهود الكرد (الحاخامات)[١٨]؛ ولكن لا يوجد هناك لحد الآن شيء مفيد يمكن أن يُقال عن الدور التاريخي لهؤلاء. وهناك إستثناء في *بي حازان*، الذي يعد واحداً من أشهر المواقع التي يقصدها الناس في زياراتهم. فهذا المزار يقع بجوار كنيس ناڤي يحزقيل في العماديه العليا، وهناك عثرنا على قبري حازان ديڤيد وحازان يوسف.

وبحوزتنا وثيقتان تحكيان قصتي حياة هذين الرجلين، لكنهما تضمان تناقضات جلية. فعلى القبرين توجد رقعة خشبية مكتوبة [مكتوب عليها ما معناه: "حازان يوسف ابن حازان ديڤيد ابن أفرايم ابن يوسف ابن يعقوب".][١٩]. والوثيقة الثانية، التي نشرتها أسّاف[٢٠]، موجودة في سفر *حالوموت* (الذي هو سفر تفسير الأحلام)، المكتوب سنة ١٧٣٨. في هذا الكتاب وفي فقرة هامة جداً بالنسبة لتاريخ العماديه، نقرأ: "يبلغ عمر مستوطنة العماديه اليوم ٥٥٤٨ (أي في عام ١٧٨٨) ٩٩٣ سنة. ويقول البعض: إن السنة التي مات فيها حازان ديڤيد الحكيم كانت الحادية والأربعين بعد المائة من بناء العماديه. وقد مرّت على وفاة ذلك الرجل الحكيم الى الآن ٨٥٢ سنة".

وبناءً على هذا يكون تاريخ بناء العماديه هو ٧٩٥، وتاريخ وفاة حازان ديڤيد ٩٣٦. لكن أصل هذا التقليد غير معروف. والمثير للإستغراب أنّه ورد ذكر حازان ديڤيد

١٨- [أعدّ الدكتور براوَر لنشر صحيفة خاصة حول المزارات اليهودية هذه].
١٩- [حصلت على نص هذه الكتابة من السيد أي. بن يعقوب من القدس.]
٢٠- أسّاف، *"لي تولدوت"*. *زايون ميعاسيف* ٦ (١٩٣٤): ٨٥.

وحده دون أن يُذكر حازان يوسف؛ بينما جرى التقليد الشفاهي على الجمع بين الإسمين كما هو الحال مع قبريهما. ووفقاً لمصادر معلوماتي فإنّ هذا التقليد الشفاهي معروف فقط لدى عدد قليل من المتخصصين. والقصة هي كالآتي:

جاء الأخوان يوسف وديڤيد الى العماديه كدرويشيْن، ولما شاهدا جمال المنطقة طلبا من الپاشا أن يأذن لهما بالإقامة فيها. ولما سألهما الپاشا الى أي قبيلة ينتميان، أجابا "نحن من قبيلة بني إسرائيل". فردّ عليهما الپاشا الذي كان عدواً لليهود قائلاً "لا مكان عندي لكما هنا". فاتجه الأخوان صوب بيبادي. لكنهما مع ذلك، إستخدما في الطريق قواهما السحرية ليسحرا الپاشا، مما أدى الى إصابته بالمرض. ومن جراء معاناته من المرض أرسل الپاشا فرسانه في أثر الأخوين يطلبون منهما العودة ويعدون بتلبية طلبهما. فعادا وعالجا الپاشا وطلبا من الأرض بقعة يمكن أن يضمّها جلد ثور ضخم الجثة، فوافق الپاشا. فبادرا الى أخذ جلد ثور ضخم ونقعاه في الماء عدة أيام لتليينه، وبعد ذلك قاما بتقطيع الجلد طولياً الى شرائط رفيعة. وبواسطة ذلك الشريط قاما بقياس مساحة كبيرة من الأرض بنيا عليها منازل وكنيساً[٢١].

من المؤكد أن حازان ديڤيد وحازان يوسف جاءا من بلاد فارس. ومن المرجح أنهما أقاما في العماديه في أواسط القرن الثالث عشر، حيث أنّ الكنيس المشار اليه هو بلا شك كنيس سيّد يحزقيل. وهذا مثال آخر يوضح العلاقات المتينة التي تربط بين اليهود الكرد وبلاد فارس. أما عن القرنين التاليين فليس لدينا أي تقرير عن منطقتنا. وسبب هذا يرجع بالتأكيد الى الدمار الذي نشر ظلاله في هذه المناطق المغولُ بقيادة جنگيز خان وتيمور، والذي عانت منه المدن أشدّ المعاناة. وهنا ينبغي أن نفترض بأن سكان المناطق الحضرية كانوا ينشدون الأمان في الجبال التي لا سبيل لبلوغها من قبل المغول. ويوازي تاريخ اليهود تاريخ النساطرة، الذين إنسحبوا من مستوطناتهم في السهول الى الجبال وعززوا مواقعهم في قلب كردستان تماماً في هذا الوقت، عندما كانت قواهم تنهار بسرعة في كل مكان آخر (وكانت بعثاتهم قد بلغت الصين في وقت سابق).

٢١- [هذا النوع من القصص الشعبية واسع الإنتشار. قارن ستيث ومپسن، سجل مواضيع الأدب الشعبي (أعاد طبعه بلومينگتن وإنديانا‌پولس، بلا تاريخ طبع، وربما طبع في حوالي ١٩٨٩) المجلد الرابع، ص ٢٥١: "ك ١٨٥. ١. شراء الأرض بخدعة: مقياس جلد الثور... النوع ٢٤٠٠: بيع ما يمكن أن يحاط بجلد ثور من الأرض. وتم تقطيع الجلد الى شرائط رفيعة جداً."]

القرن السادس عشر: يحيى الظاهري ووثائق (رسائل)

بعد هوة إمتدت لقرنين، تجددت سجلاتنا المتعلقة باليهود. لم تخل كردستان أبداً من الأزمات الداخلية، من صراعات بين زعمائها القبائليين؛ وفي القرن السادس عشر تورطت في الحروب الدائرة بين العثمانيين والفرس. وبعد إحتلال تبريز من قبل سليمان الأول وإسترداد بغداد من الفرس، الذين تراجعوا الى ما وراء زاگروس، بات الأتراك يحكمون كردستان كلّها، بإستثناء بعض مساحات ضيقة غير مهمة، وبقيت الحال كذلك الى أيامنا هذه. وهنا ينبغي القول إنّ أسياد الأرض الحقيقيين في هذا البلد كانوا الزعماء الكرد، الذين إستغلوا الصراع الدائر بين العثمانيين والفرس لتعزيز مواقعهم.

وسجلاتنا المتعلقة بهذه الفترة هي عبارة عن مقامات يحيى الظاهري اليماني وسلسلة من الرسائل التي ضمّها مان الى مجموعته.

يصف الظاهري أربيل في القسم الثالث من مقاماته[٢٢]. فقد انطلق من بغداد ليزور كركوك حيث أضرحة دانيال ورفاقه. ويصف يهود كركوك بأنّهم "رجال خطيئة خليعون فاسقون". ومن كركوك توجّه صوب أربيل "المدينة النبيلة": "وصلتُ المدينة بعد عشرة أيام واستأجرت غرفة جيدة في السرداب فيها سرير ومنضدة ومصباح"[٢٣]. وبعد عدة أيام إنطلق في الشوارع يرقب الحياة في المدينة "التي طارت شهرتها في الآفاق". ويذكر كم أنّه كان محظوظاً إذ حظي برفقة من الشباب وكبار السن أدرك بسهولة أنهم طلبة، وأنّه إنضم إليهم بعد الترحيب وإلقاء التحية. كانوا يتناقشون حول الحكمة (*ديڤري حوكما*) وفي النهاية ولجوا في مناقشة مسألة القيم الرقمية للحروف، حيث إنبرى أحدهم ليقول بأنّه سوف يقيم وليمة كبيرة اذا ما تمكّن أحد الحاضرين من نظم أغنية حول موضوع محدد يتعلق بالقيم الرقمية للحروف. واجتمع الرجال في دار المضيف:

في أوائل الليل
وأذهاننا خالية مما يشغلها
إنقسم الرجال فيما بينهم

٢٢- بالنسبة لنصنا هذا، إعتمدنا مخطوطة الجامعة العبرية (صحائف عبرية ٦٣٧).
٢٣- مقتبس من الكتاب المقدس (الملوك ٢، ٤: ١٠). يعد إستخدام هذه الأدوات جديراً بالإهتمام، اذا ما أخذنا بحقيقة أنّ الأسرّة والمناضد لاتستخدم في أربيل في يومنا هذا.

الى فرق ثنائية
ثم إقترعوا فيما بينهم
مع التطبيل والرقص
ولتحضير الطعام وما يتعلق بالوجبة
بالشكل المناسب
صار بعضهم قصاباً
وبعضهم حاكماً وحرساً
وذهب البعض باحثاً عن التوابل
والبعض جمع الخضروات
وبات بعضهم طاهياً
وآخر صار خبازاً
واحدٌ قويّ، وآخر ضعيف
وأصبح آخر عرافاً ومفسر أحلام
باحثاً عن الثروة والسعادة
ثم رست القرعة على *يونا*
أما أنا والمضيف، فكان علينا
أن نغني لهم الأغاني.

لم أسمع في أيّ مكان آخر عن مثل هذه العادة الفريدة، التي تقوم فيها الجماعة بتقسيم المهام المختلفة فيما بينها لإعداد وجبة طعام. وعلاوة على ذلك فإننا نجد اليهود الكرد، الذين يحبون الولائم أكثر من أيّ شيء آخر، يختارون ملكاً للوليمة وحرساً، يكونون رسميين في أحيان كثيرة. [في النصف الأول من القرن السادس عشر، كان التنجيم من خلال القرعة شائعاً بين يهود كردستان. ففي رسالة من يوداه ب. سيمون من العماديه الى يحيى في الموصل، يشير الكاتب عدة مرات الى لجوئه الى القرعة ليتعرف الى ما سيحدث في المستقبل (مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول: الص ٤٨٥، ٥٢٠-٥٢١) ويخبر يوداه مراسله أنّه إقترع ليعرف من الذي سيصبح "ملكاً" (ربّما يقصد الزعيم القبلي في منطقة العماديه)، وأنّ القرعة رست على أحمد بگ؛ إلاّ أن الجو الغائم في يوم إجراء القرعة جعله غير متأكد من صحة نتيجتها. وحامت الشكوك نفسها حول قرعة ثانية تبيّن منها أن وزير أحمد بگ هذا

يواجه خطراً يتهدد حياته. كما بينت القرعة ليوداه أنّ حفل زواج إبنته يجب أن يقام في الرابع عشر أو الخامس عشر أو السادس عشر من الشهر الذي لم يذكر له إسماً. ويتبيّن من فقرة في الرسالة أنّه تم التنبؤ بهذه النبوءات بواسطة آيات من التوراة، وهي طريقة سائدة في العديد من المجتمعات اليهودية الشرقية.]

أما الدليل الوثائقي الثاني، فهو عبارة عن سلسلة من خمس رسائل نشرها مان، الذي نشر معها تواريخها ايضاً (بدايات القرن السادس عشر) من خلال الإشارة الى يهودي أشكَنازي معروف[٢٤]. وتتمثل الأهمية الأساسية لهذه الرسائل في أنّها ترسم صورة جوٍّ لايختلف إلاّ قليلاً عن الأجواء الحالية. ومحتويات الرسائل لاتبيّن بوضوح عمرها. والرسائل مرسلة من مدير مدرسة بالموصل (ر. ياقوب مزراحي) ونوابه في مجتمعات مختلفة في المنطقة الجبلية الكردية، طلباً للدعم المستمر للمدرسة. وقد كان هذا المدير معلماً في مدرسة بالعماديه ولكنه أسس بعد ذلك مدرسة في الموصل لأطفال اليهود الذين قدموا إليها من وسط كردستان. وفي الوقت نفسه، كانت الموصل مركزاً ثقافياً ترسل الطبقة المتوسطة من اليهود الكرد أبناءها إليها لتلقي العلم (نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ١٠٧). وكانت المدرسة تتلقى المنح من وسط كردستان وكذلك من حلب وبغداد ودياربكر ومراغه (على الساحل الشرقي لبحيرة أورميه) (المصدر السابق، ص ٦٩)[٢٥].

وفي هذه الرسائل نجد أولى القوائم الموجودة عن المجتمعات اليهودية في الجبال الكردية. والمجتمعات التي ورد ذكرها هي العماديه وبيتنوره وبارويلنايا وگوهارزه وكارا ومزوريان ونيروه وسندور وشرانش وشوخو (سوخو) وچالا. وهذه المجتمعات المحلية، التي لم يتمكن مان من التعريف بمعظمها، تقع في منطقة العماديه. والعماديه هي الأكثر ذكراً، وتضم إحدى الرسائل قائمة طويلة بأسماء أعيانها (المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ١٦).

وليس في الرسائل إشارة الى أحجام المجتمعات التي ورد ذكرها، والبعض من هذه المجتمعات لا أهمية له اليوم، وبعضها أخلي تماماً من قبل سكانه اليهود (مثل

٢٤- مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٤٨٥.
٢٥- ورد ذكر مراغه - التي هي اليوم مدينة غير ذات أهمية - ايضاً في واحدة من رسائل القرن السابع عشر التي نشرتها أساف، *لي تولدوت*. وزار جوستين پيركنس مراغه في ١٨٥٤ ووجد فيها ١٥-٢٠ ألفاً من السكان المسلمين، وما بين ٢٠-٣٠ عائلة أرمنية؛ ولم يذكر شيئاً عن اليهود. (الإقامة ثمان سنوات في فارس بين النساطرة النصارى؛ مع ملاحظات عن المحمديين)، أندوڤر ١٨٤٣، ص ١٩٦.

گوهارزه). أما بيتنوره التي يقال أنّه كان يقطنها ألف وخمسمائة عائلة يهودية ليس فيها منهم اليوم سوى عشرين عائلة فقط. ونيروه التي كانت ذات يوم مركزاً للتعلم؛ باتت اليوم لا أهمية لها تذكر، وليس فيها إلاّ بضع عائلات يهودية. وفي أغلب المواقع السالفة الذكر لايتجاوز الحضور اليهودي في أيٍ منها عشر عائلات.

وهكذا، بإمكاننا التأكيد بأنّ عدد سكان كردستان من اليهود قد تقلص بشكل كبير جداً مقارنة بعددهم في القرن السادس عشر. والشيء نفسه ينطبق بلاشكّ على المجتمعات اليهودية والمسلمة، التي ربما كانت معاناتها أكبر من الظروف التي سادت كردستان.

وبصورة عامة، ترسم الرسائل صورة للأوضاع التي تمخّضت عنها الظروف الحالية. فنحن مثلاً نلمس ذلك في تفاهة الأمور التي تعاملوا معها. ففي الرسالة الرابعة مثلاً، تتحدث أرملة ر. مزراحي عن طردها من دارها لعجزها عن الوفاء بأحد ديون زوجها، الذي كانت قيمته عشرة قروش (السطر ٥٥ وما بعده). فمن المؤكد أنّ اليهودي الكردي لم يك حينها ولا فيما بعد من طبقة كبار التجار، مثل أولئك الذين في بغداد إن جازت المقارنة. فمن الرسائل تتضح لنا الحياة القاسية التي عاشوها وكذلك ضعف حالتهم المعيشية. هذا وعلينا أن نعود مراراً الى هذه الرسائل اذا أردنا المزيد من البحث والتمحيص.

إنتفاضات القرن التاسع عشر

أتمّ مراد الرابع السيطرة التركية على كردستان من خلال نجاحه في إسترداد تبريز – وكذلك بغداد في ١٦٣٨ – من الفرس. ومنذ ذلك اليوم أخضعت كردستان بشدة لحكم الأتراك. وتم تقسيمها الى ثلاث ولايات – الموصل وبغداد وكركوك – وأخضعت إدارياً لحكم الپاشا في بغداد والذي كان يتم تعيينه بأمر من السلطان.

لكن رغم ذلك، كانت السلطة الحقيقية عملياً بيد الأمراء الكرد شبه المستقلين، ونذكر منهم على وجه الخصوص أمراء العماديه وكويسنجق وراوندز الذين تمتعوا بسلطة وقوة عظيميْن. وكانت المشكلة الإدارية الكبرى التي تعانيها الإدارة التركية تكمن في إخضاع وتهدئة أولئك الزعماء، الذين كان نظامهم للسلب ومخالفاتهم التي ترافق الرحلات الفصلية للرحّل، تجعل المنطقة في حالة هياج دائم.

كانت الهجمات والإنتفاضات، التي لم يكن ممكناً تحجيم بعضها قضية الساعة. وكانت الحكومة التركية تضطر الى إرسال قواتها الى كردستان مرة بعد أخرى.

وبالرغم من كل هذه الجهود ظلت كردستان أقل البلاد أمناً. وبحلول منتصف القرن التاسع عشر، نجحت تركيا أخيراً في القضاء على آخر الأمراء الكرد، ولكن دون أن يكون لذلك أي أثر على وضع القبائل الكردية.

ومن خلال تقارير الرحالة، توفرت لنا معلومات جيدة حول أحداث السنوات ١٨٣٢–١٨٤٧، حيث قامت سلسلة من الإنتفاضات المتتالية، فحشّدت الحكومة التركية كلّ ما أوتيت من قوة في مسعى أخير للتخلص من الأمراء الكرد وإحلال مسؤولين إداريين أتراك محلّهم.

كانت إنتفاضة آغا راوندز، محمد بگ كوره الأعور[٢٦]، الذي عيّن كپاشا من قبل السلطان عبدالمجيد[٢٧]، الأهم في سلسلة الإنتفاضات تلك. تمكّن محمد پاشا من خلال حركة خاطفة ناجحة من بسط سيطرته على أربيل وكركوك والسليمانية وعقره. ثم شنّ في ١٨٣٢ حملة على العماديه، التي هي حصن طبيعي قوي يساعد في مقاومة طويلة الأمد. ولم يتمكن من أخذها إلاّ عن طريق الخيانة من جانب بعض سكان المدينة. وقد حكى اليهود قصة هذه الحملة وسقوط المدينة على هذا النحو:

> عاشت في العماديه عائلة تعرف بعائلة مانوح، وهي عائلة ثرية جداً لدرجة أنها كانت تمتلك منضدة وجرة من الذهب الخالص. وقبل قرنين (كذا) تقدم شيخ معادٍ، ميري كوره "الأمير الأعور"، بإتجاه العماديه وشنّ عليها حملة. عندها ذهب كبير عائلة مانوح، يوسف مانوح، الى شيخ العماديه مير سيودين، وقال له: "لاتخشَ ميري كوره. وشكّل جيشاً. وسأتكفل بطعام الجيش ورواتبه وعدّته".
>
> حاصر ميري كوره العماديه سبع سنوات، دون أن يتمكن من إحتلالها. وخلال تلك الفترة أنشأ بساتين كروم وحدائق حول المدينة. بينما الجوع كان يشتد داخل أسوار المدينة شيئاً فشيئاً. وكان يوسف مانوح يتسلّق سور المدينة كلّ يوم ويشتم ميري كوره ويقول له: "ميري كوره، لماذا هاجمت العماديه؟ إنّك تحاصر مدينتنا منذ سبع سنوات دون أن تتمكن من إحتلالها. سأقاتلك برصاصات مصنوعة من الذهب والفضة".

٢٦– كان محمد أعورا.

٢٧– أنظر: الإنسايكلوپيديا الإسلامية، الطبعة الأولى، مادة "راوندز" (بقلم ب. نيكيتين). وعن الغارات المتواصلة من قبل الكرد، أنظر: الإنسايكلوپيديا الإسلامية، الطبعة الأولى، مادة "كرد" (بقلم ف. مينورسكي).

وبينما كانت المجاعة قد تمكنت من المدينة. أخذت جدة يوسف مانوح آخر ما تبقى لديها من الرز وحلبت كلبة، ثم طبخت الرز بحليب الكلبة. ثم جاءت بحجل (يسميها اليهود كوكوانتا ويربونها في بيوتهم) وطبخته كدجاجة ثم وضعته فوق الرز، وبعثت بذلك الطعام الى معسكر ميري كوره مشفوعاً بالرسالة التالية: "لماذا تقف قبالة العماديه؟ فنحن كما ترى لانزال نمتلك كل شيء: اللحم والرز والحليب". فقال ميري كوره: "إنّ الأمر كذلك فعلاً"، وبدأ يفكر في الإنسحاب.

وكانت في العماديه ساحرة مسلمة متمكنة من فنها لدرجة أنها كانت قادرة على أن تحلب القمر. فذهبت الى ميري كوره، وقالت له: "إنّ ذلك كله كذب. فالمدينة لم يعد فيها طعام". فردّ ميري كوره: "لكنّي لا أستطيع إقتحامها بالقوة، لأنّ الجبال والأسوار تمنعني من ذلك!" فأجابته الساحرة: "احفر ممراً من تحت الأرض!".

وهكذا بدأ ميري كوره يحفر نفقاً تحت السور، وضع فيه مواد متفجرة نسف بها السور، وتمكن من دخول المدينة. ولما صار بداخلها، سأل عن اليهودي الذي كان يشتمه من فوق السور. وأمر جنوده بنهب دار اليهودي، وباع الغنيمة في السوق. إلاّ أنّ يوسف مانوح ظل رغم ذلك يملك من المال ما استطاع به شراء كل ما سلب منه.

عانت المدينة ظروفاً صعبة من جراء الحملة والمعاملة القاسية التي شهدتها بعد سقوطها[28]. وقد كتب گرانت، الذي زار العماديه في ١٨٣٩: "وجدت المدينة شبه خالية من السكان من جراء الحرب التي شنها عليها كرد رواندز؛ فمن بين ألف دار كانت مائتان وخمسون فقط مسكونة، أما الأرباع الثلاثة الأخرى، باستثناء الأسواق العامة، فقد دمّرت أو خُرّبت" (النساطرة، أو القبائل المفقودة، ص ٦٠). كذلك يصف بادجر النكبة التي أصيبت بها المدينة، التي باتت "أفضل بقليل من كومة من الأطلال، أما البقية الباقية فكانت عبارة عن قبور (وليس "مخصصاً للبساتين" كما ذكر أينسوورث)" (النساطرة وطقوسهم، المجلد الأول، ص ١٩٩).

في ١٨٣٦، هُزم ميري كوره وأسر من قبل قوات رشيد پاشا. لكن سكان العماديه

٢٨- كتب أچ. أي. ستيون: "عومل اليهود الذين كانوا يشكلون جزءً كبيراً من السكان معاملة وحشية لا رحمة فيها؛ فهاجر الكثير منهم الى مدن أخرى؛ أما البقية الأقل حظاً فقد أسلموا قيادهم للطاغية" (مغارب النور في الشرق [لندن ١٨٥٤]، ص ٢٢٥).

لم ينعموا بحياة أهنأ في ظل الحكم التركي. وفي الطريق بين الموصل والعماديه، إلتقى بادجر وفداً من يهود العماديه في طريقهم الى الپاشا للشكوى من "ظلم متسلّم العماديه لهم" (المصدر السابق، ص ١٩٨). فقد كان اليهود والنساطرة يئنون من وطأة طغيانه. وكان الكثير منهم يفكر في مغادرة المدينة، لكن الپاشا أصدر مرسوماً يمنع هؤلاء من الهجرة: "وهكذا، أصبح على هذه المخلوقات المسكينة أن تلتصق بهذه الأرض، التي توفر لهم بالكاد لوازم المعيشة؛ ومنازلهم كانت تصلح لإقامة الحيوانات البرية أكثر منها للبشر، دون أن يكون أمامهم أي سبيل للنجاة أقرب إليهم من القبر" (ص ٢٠٣).

وحتى في ١٨٨٦، وجد بَنديه المدينة في وضع بائس[29]؛ فاذا كان الكرد قد نهبوا السكان بطريقتهم، فإنّ الأتراك فعلوا الشيء نفسه وبطريقتهم ايضاً. لم يكن الأتراك يهتمون ببناء المدينة. لذا عينوا لها مسؤولين برواتب قليلة لتجريد السكان مما يملكون دون عمل أيّ شيء من شأنه تطوير المدينة أو تحسين حالتها[30]. والأدهى من ذلك، أنّ الأتراك كانوا يحرضون طوائف السكان ضد بعضها البعض. ولما كان الكرد والنساطرة (السريان) قساة متوحشين فإنّ نتائج هذه السياسية كانت تماماً مثل ما خطط له[31]. فبدأت هجمات كلّ طرف على الآخر (مثل الذي شنّه الآغا الكردي بدرخان في ١٨٤٧) وأسفرت عن خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات في الجانبيْن. ووقف اليهود موقف الحياد بين الطرفيْن؛ وهنا عاد إفتقار اليهود الى تنظيمات سياسية عليهم بالنفع.

ولم يبذل شباب الأتراك (جون ترك - المترجم) إلاّ القليل لصالح الإصلاح الإداري. كما أن إقتصاد البلد تضرر كثيراً بدخول الأتراك في الحرب في ١٩١٤؛ وبذلت تركيا، التي كانت بحاجة لجبال هكاري ذات الأهمية العسكرية الكبرى، الكثير من الوعود للسريان. ولما بدأت مذابح النصارى الأرمن في الفترة نفسها تقريباً، إنضمّ السريان في أيار ١٩١٥ الى جانب الحلفاء. ولا مجال هنا لذكر تفاصيل ما آل

٢٩- هنري بَنديه، كردستان في ميسوپوتاميا وفارس (پاريس ١٨٨٧)، الص ١٩٧-١٩٨. كذلك أنظر: الإنسايكلوپيديا الإسلامية، الطبعة الأولى، مادة "كرد" (بقلم ف. مينورسكي).

٣٠- بهذا الصدد يعد كتاب لاميك سعد *Seschzehn Jahre als Quarantanearzt in der Türkei* برلين ١٩١٣، الذي يصف الأوضاع السائدة في حوالي العام ١٨٨٠، أكثر المصادر غنى.

٣١- في كتابه الممتاز "مأساة السريان"، كتب ر، أس. ستافورد: "ليس هناك ما يدعو للإعتقاد بأنّ السريان كانوا أكثر إحتراماً لأرواح الناس وممتلكاتهم من الكرد، ولا للإعتقاد بأن الكرد عموماً كانوا ذوي معايير أدنى مستوى في تصرفاتهم - الخشنة عادة - في غاراتهم ومعاركهم من السريان"، ص ٢٢.

اليه مصير ذلك التحالف. فقد إنتهى بالنزوح المأساوي لسبعين ألفاً من السريان من أورميه الى الجنوب، حيث أعمل فيهم الأتراك والكرد تقتيلاً. ووصل منهم الى همدان خمسون ألفاً فقط.

كردستان في ظل الدولة العراقية (حتى ١٩٣٩)

خلال عملية إعادة رسم خارطة المنطقة بعد الحرب، فرضت إنكلترا إنتدابها على العراق لخمس وعشرين سنة. وفي عام ١٩٢١ صار العراق دولة، وفيصل ملكاً. ومع ذلك، فقد ظل الإنتداب ساري المفعول. وتم تقسيم العراق الى محافظات (ألوية) يديرها متصرفون. وقسّم كلّ لواء الى أقضية يدير كلاً منها قائمقام، ونواح يديرها مدراء نواح. والألوية الكردية هي الموصل وأربيل وكركوك والسليمانية وديالى.

وبات مركز الحكم في بغداد، حيث يعقد البرلمان ايضاً إجتماعاته. ويذكر هاملتون أنّ هذا البرلمان قد أختير عن طريق "ما يسمى" بإنتخابات (طريق في كردستان، الص ٢٩٧–٢٩٨). وكانت الحكومة حكومة القوميين العرب، الذين عارضوا فيصل وسياسته الموالية لبريطانيا كما كانوا معادين للكرد وللمسيحيين. وكانت سياساتهم لاتقبل بالتطور السلمي للبلد وتعاني من تخبّط مستمر. فبدلاً من تسخير طاقات البلد للبناء الإقتصادي، ألزمت الحكومة نفسها ببناء جيش قوي يمكنه تحقيق سياستها القومية.

ليس من شأن دراستنا هذه توجيه النقد الى سياسة إنكلترا في العراق. لذا نكتفي بالقول إنّه بعد إنضمام العراق الى عصبة الأمم في ١٩٣٢، وجدت إنكلترا اللحظة المناسبة للتخلي عن الإنتداب. وكانت إقامة الدولة العربية وعلى رأسها فيصل عامل إحباط شديد بالنسبة للكرد، الذين كانوا يتطلعون الى الإستقلال السياسي. ورغم ذلك فإننا نستشف من التقارير الحديثة عن كردستان (التي كتبها ويليام ر. هاي، وأي. أم. هاملتون، ور. أس. ستافورد) أن قوة الزعماء العشائريين قد انهارت دون سبب معقول. والإنتفاضات العديدة التي ميزت هذه الفترة تشهد على ذلك[٣٢]. لقد كان إخفاق الكرد في إحراز موقع قوة لهم ناجماً عن إفتقارهم الى وحدة الصف؛ فلو أنّ الكرد كانوا موحَّدين، الى جانب موقعهم الستراتيجي وفقر

٣٢- ومن الأمثلة عليها، إنتفاضات الشيخ سعيد النقشبندي في ١٩٢٥ ضمن الحدود التركية؛ والشيخ محمود في السليمانية في ١٩٣٠؛ وإنتفاضتا الشيخ أحمد في بارزان، ونوري في رواندز، وكلاهما في ١٩٣٢.

الجيش العراقي كقوة عسكرية، لصاروا قوة تُؤخذ في الحسبان. وللتأكيد على ما قلنا فإنّ القوة الجوية وحدها تمكنت من تغيير الوضع – وهي الحقيقة التي إكتشفها الكرد أنفسهم.

إنّ خلافاتهم الداخلية، وما نجم عنها من صدامات مستمرة، أضعفت الكرد كأمة؛ كما أن الأطماع الشخصية لزعمائهم دفعتهم الى التضحية بكل الكرد في سبيلها. فمثلاً قتل نوري – نتيجة عداء دموي – رجلاً قديراً وتقدمياً، إسماعيل بگ الرواندزي (أنظر: هاملتون، طريق في كردستان، ص ٢٧٠ وما بعدها).

والى جانب مشكلة الكرد كانت هناك مشكلة النساطرة، أو السريان، التي كانت سبباً لإستمرار الغليان في البلد وعرقلة تقدمه. وكانت مشكلة السريان هذه مصيرية بالنسبة لليهود ايضاً.

بدا الخلاف الحدودي بين العراق وتركيا وكأنّه مشكلة لا حلّ لها. فقد كان الأتراك يطالبون بجزء هام من شمال كردستان، وفي ١٩٢٥ أصدرت عصبة الأمم قرارها لصالحهم. وبفضل ذلك القرار آلت مرتفعات هكاري الى تركيا[٣٣]. وبذلك فقد السريان كلّ أمل لهم في العودة الى المنطقة الجبلية التي كانوا يعتبرونها موطن آبائهم وفيها يقيم زعيمهم الروحي مار شمعون[٣٤]. وهكذا لعب السريان، الذين شعروا بأنّ جذورهم قد اجتُثّت، دورهم في إضافة المزيد الى المشاكل القائمة. إنّ من الخطأ القول بأنّ النساطرة كانوا يتفوقون على الكرد والعرب أخلاقياً لمجرد أنّهم مسيحيون. فقد ثبت في حالات عديدة أنّ مستواهم الأخلاقي لم يكن عالياً. وقد كتب ستافورد: "بالتأكيد ليس ثَمّ داع للإعتقاد بأنّ السريان كانوا يقدرون حرمة حياة الإنسان أكثر من الكرد، أو أنّ الكُرد كانوا، ... في غاراتهم ومعاركهم في مستوى سلوكيٍّ أدنى من مستوى السريان" (مأساة السريان، ص ٢٢)[٣٥].

بعد رفع إنكلترا الإنتداب، وجدت الحكومة العراقية في وقت مبكر فرصة مناسبة لتخليص نفسها من هذه الأداة غير المرغوب فيها، خصوصاً وأنّ الجيش العراقي

٣٣- [يمر خط الحدود بين العراق وتركيا الى الشمال قليلاً من العماديه، بإتجاه شمالي غربي لحوالي ٢٥٠ كيلومتراً.]

٣٤- تحدث ر. أس. ستافورد المفتش الإداري بوزارة الداخلية العراقية في ١٩٢٧–١٩٣٣، بالتفصيل عن مسألة السريان وذلك في كتابه "مأساة السريان".

٣٥- [الرأي المتصلب لجورج پيرسي بادجر عن اليعاقبة (النساطرة وطقوسهم مع مذكرات بعثة الى ميسوپوتاميا وكردستان، [لندن ١٨٥٢]، المجلد الأول، الص ٤٤، ٦١ وما بعدها) وپرايم سوسين "طور عابدين"، المجلد الأول، ص ×].

كان حينها قادراً على إحراز النصر في بعض المناوشات السهلة. لذا بدأ بتقتيل السريان الذي توّج بمذبحة سميل ودهوك في ١٩٣٣ (المصدر السابق، ص ١٧٧). وبهذا تقلص عدد السريان في العراق من مائة ألف قبل الحرب الى ٢٠٠٠٠- ٢٥٠٠٠.

بين هاتين القوتيْن عاش - ومازال يعيش - اليهود. وبدا أنّ الأمر الذي لم يكن في صالحهم أبداً - وهو عدم تمتعهم بوضع يرقى الى وضع الأقلية كما كان الحال مع النساطرة - صار في هذه المرحلة الفاصلة في صالحهم تماماً. فكون اليهود بلا قوة سياسية جعل الكرد والعرب ينظرون إليهم على أنّهم لا يمثلون أيّ خطر عليهم[٣٦]. لذا بات السريان كبش الفداء. أما اليهود فلم يمسسهم سوء تقريباً، لكنهم ايضاً تأثروا في النهاية بحالة التوتر العامة وإنتشار الروح القومية.

كانت مشكلة السريان ذات أهمية بالنسبة لليهود لأن مشكلة الحدود التركية العراقية التي أسفرت عن خسارة مرتفعات هكاري وإنسحاب السريان، حرمتهم من منطقة ريفية هامة جداً (العماديه وزاخو) ودفعتهم الى الحدود الشمالية. ووآلت السيطرة على بعض المجتمعات اليهودية الموغلة في القدم كچالا ونيروه الى الأتراك؛ فهاجر منها اليهود الذين لم يكونوا يحبذون العيش في ظل الحكم التركي[٣٧]. ففي چالا التي كان يقطنها خمس وعشرون عائلة يهودية قبل الحرب لم يبق سوى خمس عائلات. أما البقية فقد غادر معظمها الى بيتنوره أو الى الموصل، والبعض منهم الى فلسطين.

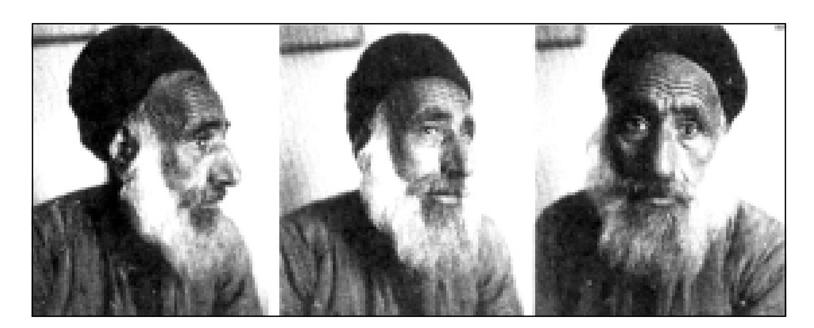
إنعكست آثار القلاقل التي شهدتها فلسطين في ١٩٢٩ و ١٩٣٦ والسنوات التالية على اليهود الكرد. فقد إستغلت الحركة القومية العربية تلك الأحداث للدعاية ضد اليهود. وبينما كان اليهود الكرد يهاجرون الى فلسطين فرادى، منذ ١٨١٢ تقريباً، لدوافع دينية[٣٨]. فإنّ هذه الهجرة باتت الآن ذات طابع جديد وهام[٣٩]. وبتأثير من الرسائل التي كانوا يتلقونها من المهاجرين، الذين كانوا يصورون لهم الوضع في

٣٦- مما يسترعي الإنتباه أنّ ستافورد لايذكر أي شيء عن اليهود.

٣٧- السبب في هذا حسب ما ذكر اليهود هو أنّ تركيا كانت تمنع الهجرة الى فلسطين وأنّهم، أي اليهود، رفضوا العيش في مثل ذلك البلد.

٣٨- كتب إسحق بن زڤي في "*أوخلوسينو با- أريتز*"، القدس ١٩٢٩، المجلد الأول، ص ٦٧، أنّ الكرد كانوا أول اليهود الشرقيين الذين إستقروا في فلسطين. وكان ذلك في ١٨١٢.

٣٩- خلال الفترة بين عامي ١٩٢٠ و١٩٢٦، هاجر ألف وتسعمائة يهودي كردي الى فلسطين (المصدر السابق، ص ٦٧).



يهودي من أربيل

فلسطين بالألوان الوردية[٤٠]، أشبع اليهود الكرد بالرغبة في الإنضمام الى إخوانهم في وطنهم التليد وقد نفذوا رغبتهم تلك مع *الگالوث*[٤١].

أما اليوم فلا يُعرف إلاّ القليل عن الوضع الحالي لليهود في كردستان، فالتقارير التي يتم تلقيها من المهاجرين الكرد في فلسطين ليست موثوقة بما فيه الكفاية. ولكن تمرد القوميين بقيادة رشيد عالي والمذابح المنظمة لليهود في بغداد، والتي تلت الإطاحة به، توضح الوضع بصورة لا لبس فيها. كما أورد تقرير صحافي نبأ مقتل العديد من اليهود في قرية سندور. ويمكن القول بأنّ الإحتلال البريطاني للعراق أسفر عن إقتصار الحكم على المناطق الوسطى، وعلى الأقل [فإنّ أحلام الفاشيين قد تحطّمت الآن].

أما عن الشكل الذي سيؤول اليه مصير اليهود الكرد بعد الحرب، فإنّ هذا يعتمد على التطورات السياسية. ولايزال ينبغي بذل كل الجهود لحماية المجتمع اليهودي الكردي في كردستان؛ حيث أنّ هؤلاء مرتبطون بالأرض، وسيكون إجتثاثهم خطأً قاتلاً. ومن خلال تحسين النظام التعليمي ودعم الحرف اليدوية المحلية يمكن أن تتحول المستوطنة اليهودية الى جزء هام ذي طاقات كامنة من إقتصاد البلد.

٤٠- مرت أيام كان فيها اليهودي الكردي يجني جنيهاً أو جنيهيْن إسترلينيين يومياً من عمله كسايس، وهذا مثال على إحدى الدعوات التي إتبعوها في كردستان. حيث لم يكن اليهودي الكردي قد سمع بمثل هذا المبلغ من المال. وبما أن مصاريفهم قليلة، فإنّهم سرعان ما كانوا يجمعون مائة جنيه ليشتروا بها بطاقات يانصيب، ويبنوا بيوتاً لهم.

٤١- فعلى سبيل المثال، هاجر السكان اليهود لقرية بَرَشه القريبة من العماديه، جماعياً الى فلسطين وبنوا لأنفسهم كنيساً هناك.

القسم الثاني

التراث المادي

4

السكن

بالرغم من أنّ اليهود الكرد يعيشون الآن (١٩٤٠) حياة أكثر حرية – وربما عاشوا في الماضي ايضاً حياة أكثر حرية – من يهود اليمن أو فارس، الذين يخضعون (كما كانوا في العصور السابقة) للقوانين الإسلامية المتعلقة بالذميين، فإنّ وضعهم يشبه أوضاع اليهود اليمانيين ويهود فارس في إشغالهم أحياء يهودية منعزلة. لكن هذه العزلة عزلة إرادية – في الوقت الحالي على الأقل. فاليهودي عندما يعيش بين أبناء شعبه وفي جوار معبده، يستطيع أداء شعائر دينه بحرية أكبر. ونحن نسمع التعبيرات نفسها يتداولها مختلف المجاميع العرقية في مدن مثل لندن أو نيويورك[١].

الحي اليهودي ليس محاطاً بسور بل هو ملاصق للحي المسلم الكردي. بل أنّ هناك من الكرد من يسكن في الحي اليهودي (كما هو الحال في سنه)[٢]. وأسماء الأحياء اليهودية في مختلف المدن الكردية هي كالآتي:

المدينة	الإسم الكردي	الإسم بلغة التارگوم
أربيل	حارَت تعجيل	—
زاخو	محلاً جوهيا	ماخاليت هوزيعه
العماديه	مَحلَت جوا	ماخاليت هودَي[٣]
أشنويه	گَرَكي جولَكه	ماخاله هودي
سنه (سنندج)	محله موساييَكان	ماخاله هوداي

١– حتى في القدس، يقطن اليهود أحياء حسب مناطقهم أو أصولهم. واليهود من كل منطقة كردية شيدوا لأنفسهم كنيساً يعيشون الى جواره.

٢– على النقيض من هذا، يعيش النصارى في أماكن تبعد عن مساكن المسلمين الكرد لمسافة ما. ولهذا نجد قرية گوزارَش (وليس گوزارك كما ذكر بَنديه) الكردية تقع على مسافة خمسين متراً من قرية گوندك النسطورية (بَنديه، كردستان، ص ١٨٢). وهذا ينطبق ايضاً على قرية جيسي الكردية وقرية بيرج النسطورية (ص ١٨٦). وفي العماديه هناك عدد غير قليل من الكرد يسكنون في البيوت اليهودية دون دفع إيجار. وعوضاً عن دفع الإيجار يؤدون عن اليهود الأعمال الضرورية في أيام السبت.

٣– يوجد في العماديه حيان يهوديان، أحدهما في العماديه العليا والآخر في العماديه السفلى: شيعوثا *إليتا* [الحي العلوي] وشيعوثا *كيتيثا* [الحي السفلي].

وتتم عادة تسمية شوارع الحي اليهودي بعد أن تسكنها العائلات التي تمتلك معظم أملاك الشارع. وثمة عائلات قديمة تمتلك كل أزقة الشوارع. لذا فإنك تجد في زاخو حوالي خمسة عشر شارعاً يحمل كل منها إسم أقدم عائلة فيه، مثل *مخاليت بي زاكين*، و*ماخاليت بي أڤو بي ڤاردي*، و*ماخاليت بي هوجه*[٤]. وينطبق الشيء نفسه على العماديه، فهناك مثلاً كنيس حزقيل في *كولانا بي شامو* [شارع عائلة سموئيل]، وكنيس عيزرا هاسوفر في *كولانا بي داوريكا* في أسفل المدينة.

بيوت اليهود

في كردستان العراق يمتلك كلّ يهودي تقريباً داراً، وهذه الدار تنتقل ملكيتها وراثياً من جيل لآخر. وهناك عدد قليل جداً منهم يستأجر بيتاً للسكنى، ويسكن جزء من هذا القليل في دور تابعة للكنيس، الذي يمتلك بيوتاً عن طريق الهبة أو الوصية. فقد كان كنيس ناڤي حزقيل في العماديه يملك خمسة عشر داراً وضعت في خدمة الوافدين الجدد. وبما أنّ الدور لاتساوي الكثير، فإن اليهود الكرد الذين يغادرون البلد لايحصلون على سعر ذي بال لقاء بيع دورهم. لذا إتخذ هؤلاء كقاعدة، عادة ترك ديارهم وراءهم دون بيعها[٥].

وفي العديد من المناطق لاتجد الأرض ذات الأبنية سوقاً رائجة مهما كانت. بل انّ المزارع وبساتين الكروم، وخاصة الحقول المروية هي التي يمكن بيعها. والشخص الذي يريد بناء دار له في العماديه بإمكانه أن يستقطع لها ما شاء من الأرض[٦]. وفي أسوأ الأحوال، يأتي الإعتراض من جاره اذا كان هذا الجار يريد تلك الأرض لتوسيع داره. ولكن العكس هو الصحيح في زاخو، فالأرض غالية وينبغي أن يشتريها المرء ليبني عليها، فزاخو تقع في جزيرة والأرض المتاحة للبناء فيها محدودة.

وليس في كردستان قوانين تخص البناء. والمساعي التي بذلها البريطانيون الراغبون في تشريع تلك القوانين راحت هباءً. وأجرة إكتراء دار قليلة بصورة غير

٤– [هو "شارع بيت زَين"، إلخ.].

٥– باع مصدر معلوماتي وهو من العماديه داره التي تقدر قيمتها بمائة جنيه إسترليني، بعشر جنيهات فقط.

٦– يقول بنديه عن يومه الذي قضاه في العماديه العليا: "La ville n'est qu'un monceau de mines, dans lesquelles vegete une miserable population" (كردستان، ص ١١٧؛ أنظر الصور التوضيحية، الص ٢٠٢، ٢٠٧).

عادية. ففي زاخو والعماديه يمكن أن يستأجر المرء داراً بجنيه استرليني واحد سنوياً، أما في سنه فتتراوح هذه الأجرة بين جنيهين وثلاث جنيهات.

بيوت اليهود، وكما هو الحال مع بيوت الكرد، بدائية جداً. ولاتختلف عن بيوت المسلمين من الكرد لعدم خضوع اليهود هنا الى قوانين تفرض عليهم جعل بيوتهم مميزة كما هو الحال مع أهل الذمة في اليمن[٧].

معظم البيوت، وخاصة في المستوطنات الصغيرة ذو طابق واحد. وفي مناطق التلال يجاور كلّ منزل منزلاً آخر فوقه، وبهذا فإنّ بمقدور من يريد تسلق السفح أن يتسلقه سقفاً فسقفاً كما لو أنّه يصعد سلماً. وتتألف منازل القرية في الغالب من غرفة واحدة فقط.

المادة الأساسية المستخدمة في البناء في السهول وبعض مناطق التلال (مثل رواندز) هي اللّبِن. أما في أربيل وسنه فيتم إستخدام الطابوق في البناء (في أربيل: كَرپووج، وفي سنه: *آجوره*)، وفي التلال يتم إستخدام الحجر[٨] كيپت *كيلشا*. وتتمركز صناعة اللّبِن (في زاخو: *لوبن*، وفي رواندز: *لكبن*، وفي سنه: خشت، [وفي العماديه: *لبني*]) بصورة رئيسية في يد اليهود الذين يتنقلون من قرية الى أخرى لصنع ما يحتاجه السكان منه. وهذا العمل تقوم به النساء في الغالب[٩]. وأخيراً، فهناك نوع من المساكن اليهودية يسمى *تانك* [يوجد فقط في القرى المحيطة بالعماديه] وهي ذات جدران من الأغصان المنسوجة المغطاة بالطين (تينه) وخاصة في المناطق الريفية[١٠].

٧- حول المنزل الكردي، أنظر باسيل نيكيتين: الحياة العائلية الكردية، مجلة إثنوگرافيا التقاليد الشعبية، الص ٣٣٤-٣٣٥. ولكن هذه الفقرة ايضاً ليست دقيقة الى حدٍّ بعيد. وعن البيوت في زاخو كتب لاميك سعد: "الفقر شائع، والقذارة هي بدرجة لاتصدّق؛ كما أنّ البيوت مبنية بشكل يثير الشفقة" (١٦ سنة، ص٢٥٤) [يصف ر. ديڤيد دبيت هليل بيوت زاخو كما يلي: "البيوت مبنية من صخور مكسرة؛ ومظهرها مجرّد، والشوارع والأسواق ضيقة" (وولتر فيشل، ترجمة، *مسّاع ل كردستان* [بالعبرية]، سيناي، العدد ٣ [١٩٣٩]: ٢١٨.

٨- توجد صور جيدة لبيوت العماديه القديمة، وهي مبنية من الحجر (يعود تاريخها الى العام ١٨٨٦)، في كتاب بَنديه، كردستان، الص ٢٠٢، ٢٠٧؛ كذلك أنظر الص ١٦٨، ١٨٢.

٩- حول صناعة اللبن في القرى الآرامية حوالي دمشق، أنظر: أس. ريچ، القرى الآرامية في آنتي لبنان، دمشق، ص ٥٦.

١٠- يذكر بنيامين الثاني أنّ البيوت في كردستان، تتألف في أغلبها من الأغصان المنسوجة: "البيوت المبنية من الأغصان المنسوجة ذات مظهر مجرد، وهي قليلة الإرتفاع، ومؤلفة من طابق واحد، وتطلى من الداخل ومن الخارج بنوع من الملاط". (ثمان سنوات، ص ١٣٠).

واليوم، أصبحت كل البيوت ذوات سقوف مستوية (*قاره*)[١١] مشيدة من عوارض متصالبة مغطاة بطبقة من الأغصان (تسمى في زاخو والعماديه: *تاريا*) ثم بطبقة من التراب.

بناء البيت

كلّ البنّائين في سنه هم من الكرد، ولكن يوجد في العماديه وزاخو يهود يشتغلون في البناء. بل أنّ اليهود في زاخو يعتبرون أحسن عمال بناء البيوت باللبن. ويُعهد بأمر كلّ بناء الى مشرف (يسمى في زاخو والعماديه: *ماعاميرَينا*). ويطلق على العمال الذين يشرف عليهم إسم *پاله*. وهذا *الماعاميرَينا* يوجّه *الپاله* خلال العمل بالغناء كما يأتي:

هالن لوبنا: إجلبوا اللبن

طينا باب: الطين لأبيكم

هالن واصلا: إجلبوا قطعة (من اللبن)

هالن طينا: إجلبوا الطين. (ويتشابه الغناء في زاخو مع العماديه)[١٢]

وبإنتهاء عملية حفر أساس البناء (يسمى في زاخو والعماديه: *إساس*)، يدعو المالك أقاربه وأصدقاءه والحاخام الى مأدبة إحتفالية يتم فيها تقديم فطيرة الجوز (*كليچه*). [إلاّ أن مصدر معلوماتي، وهو من العماديه، قال إنّ هذه الفطيرة تسمى *كاده*، وإنّ هناك نوعاً آخر مشابهاً من الفطائر تتم تحليته بحلويات هو الذي يسمى *كليچه*]. ثم يقوم الحاخام بذبح ديك أبيض ويجعل دمه يصب في الأساس المحفور. ويوضع رأس الديك تحت صخرة في الأساس، ثم يضع المالك حجر الزاوية (يسمى في زاخو: كيپت *بينيزا*، [وفي العماديه: كيپت *إساس*])، ويضع تحت الحجر قطعة نقدية ذهبية أو فضية. ثم يبدأ العمال ببناء جداريْن متوازيين من الصخر، ويلقي كل واحد من الضيوف بحجر في الأخدود الموجود بين هذين الجدارين. ويُمتّع العمال بتقديم العرق و*المزّه* لهم ويقوم سيد البيت بتوزيع النقود على الفقراء (هذا التقليد سائر في العماديه).

أما في زاخو فيجري ذبح ديك أبيض داخل (*سويا*) [وهي غرفة مركزية] في الجانب الغربي (حيث القدس) من غرفة النوم. ويضع الحاخام القليل من التربة

١١- الأبنية القديمة كانت ذات سقوف من النحاس، كما في بي حازان بالعماديه.

١٢- قارن الأغنية نفسها عند اليهود اليمانيين، إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراوَر، ص ٧٣.

المبللة بالدم في الزوايا الأربع *للسوبا*، ويرمي فيها قطعة نقدية ذهبية أو فضية، ثم يضع سيد أو سيدة البيت حجر زاوية (كيبت *إساس*) في كل زاوية ويدعو بالبركة. وفي سنه ايضاً، تذبح دجاجة ويصب دمها في الأساس المحفور، ويوزع لحمها على الفقراء.

أما بناء السقف، فهو عادة عمل جماعي، وهذه العملية عادة شائعة في الشرق. والليلة التي تتم فيها هذه العملية تسمى *ليل زباره* [في العماديه]. ولهذا الغرض يستدعي المالك حوالي خمسين من الشباب. يقومون بنقل التراب ومزجه مع التبن [في العماديه: *تبن*، وفي لغة التارگوم: *تونا*] ثم يرفع الى السقف، ويفرش عليه بواسطة آلة تسمى *ماندورتا* [في العماديه]. ويرافق هذا العمل رقص وغناء. وبحلول منتصف الليل يكون العمل قد تم، فيجلس الجميع الى المائدة لتناول الوجبة التي أعدها لهم المالك (في زاخو والعماديه).

للبيت ذي الطابق الوحيد في زاخو باحة (*حُوش*، وبالكردية: *حَوش*). وعلى أحد جوانب الباحة توجد شرفة (*بيربانكه*، وبالكردية: *بَرسفكه*) ذات سقف مدعم بجذوع من الخشب. ومن *البيربانكه* يلج المرء في غرفة طويلة واسعة (*سوپا*، وبالكردية: *سيك*) وهي الغرفة الرئيسة في الدار وفي أحد الجوانب هناك فرن (*كانون*). و*السوپا* ليس فيها أي شبّاك؛ أما الضوء فيدخلها من الباب أو من خلال فتحة في السقف (*كوا*، وبالكردية: *كولاك*)، وثمة باب صغير في *السوپا* يؤدي الى غرفة المخزن (*مَنزَله*)[١٣].

ويوجد في العماديه بعض من البيوت ذات الطابقيْن (*بختايا*، *بعيلايا* [الطابق الأرضي والطابق الثاني على التوالي])[١٤]. يتألف الطابق السفلي من غرفة المخزن واسطبل، والطابق العلوي من غرفة صيفية (*مَنزَر كيتا* [أو *مَنزَل كيتا*]) وغرفة شتوية (*بيثت سوسوا*). ولكل غرفة حمام منفصل، يستخدم عادة للإغتسال بعد الجماع. [وفي بعض البيوت غرفة يكون سقفها أدنى من مستوى الشارع (قبو – المترجم). وفي هذه الغرفة التي تسمى *سَرداو*، يقضي أهل البيت ساعات إشتداد الحر في الصيف].

١٣– يقدم وولتر شوارتز وصفاً لدار في قرية، يشبه بصورة عامة بيوت زاخو، تحت عنوان *Bey den Kurdischen Juden*، في *JR*، ١٢ تموز ١٩٣٥.

١٤– كانت في السابق ذات طابق واحد، ودون باحة، وبدلاً من الباحة كانت ذات شرفة كيدَينه يستند سقفها الى دعائم خشبية.

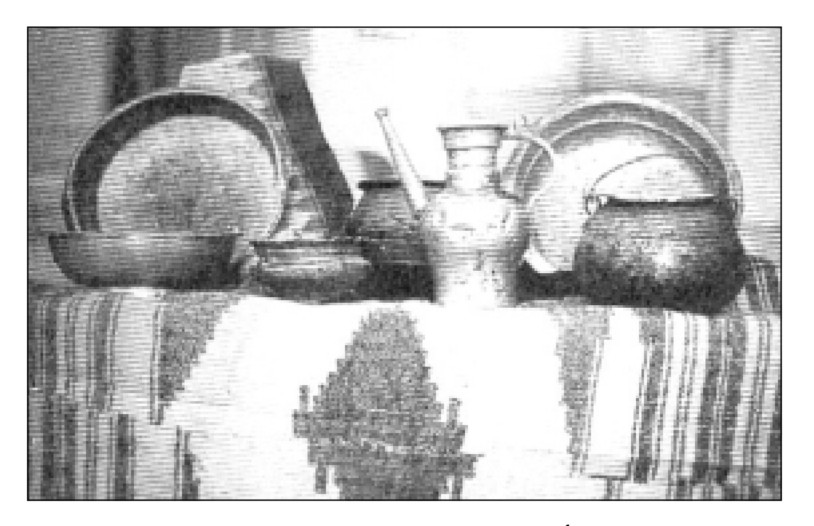
ليس في البيوت مطبخ مستقل. ففي الصيف تقوم سيدة المنزل بالطبخ والخبز في الباحة أو في *البيربانكه*، أما في الشتاء فتجري هذه الأعمال في *السوپا* أو حيث يتواجد الفرن في أي مكان آخر من الدار.

لغاية قدوم البريطانيين، لم يكن في دور اليهود الكرد مراحيض؛ بل انهم الى يومنا هذا يقضون الحاجة في الباحة – وليس داخل الدار، كما هو الحال مع الكرد. ولغاية العام ١٩١٤، كانت العادة الشائعة أن يذهب الشيوخ والشباب الى النهر صباحاً لقضاء الحاجة. ويصف بنيامين الثاني هذه العملية بالتفصيل ويذكر كيف أنه كان يُعقد خلالها الصفقات التجارية وتُسوّى الخلافات (ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، الص ٦٤–٦٥). وللإغتسال – وخاصة غسل اليدين – فإنهم يستخدمون وعاءً (يسميه الكرد في العماديه وزاخو: *مَسينه*، [وبلغة التارگوم في العماديه: *كورازا*] وفي سنه: *آفتابه* وإناءً (يسميه الكرد في العماديه وزاخو: *داشو* [والأصح هو *دَستشو*؛ وفي لغة التارگوم: *كاپا*؛] وفي سنه: *لَگَن*)؛ أنظر الرسم التوضيحي رقم ١٦؛ العينة ٤٦:٣٧ ضمن مجموعة براوَر في الجامعة العبرية.

أثاث الدار

وبالنسبة للأثاث فهي بدائية كما هي الحال مع الدار. فاليهودي في هذا المجال، هو في نفس مستوى جاره شبه البدوي، الذي بإمكانه وبسهولة حمل كلّ حاجياته الثمينة على ظهر بغل. والبدوي، أو شبه البدوي لايهتم إلاّ بحاجيات من قبيل البُسُط وأواني الشرب والأسلحة. والأمر نفسه ينطبق الى حدٍّ بعيد على اليهود الذين فقدوا آخر إحساس فني لهم بسبب الدمار الذي شمل البلد في الفترات الأخيرة.

الغرف بأكملها غير مؤثثة. وأفضل المقتنيات من الملابس يحفظ في خزانات (في العماديه: *صندوق*، [بالكردية: *سَبَتكه*]، وفي سنه: *بيگدان*) أو في كوة في الجدار (في زاخو: *كُوا*، وفي سنه: *تاق*). ويفترش أهل البيت الحصران (في زاخو ودهوك والعماديه وسنه: *هَسيرا* [أو *حَصيره*]) أو البسط (في زاخو والعماديه وسنه: *گاله*، ولها في زاخو والعماديه إسم آخر هو: *مَخفورا*) [*گاله* هو بساط منسوج (يسمى بالكردية: *بَرك*، وبالفارسية: *كليم*)، في حين أن *المَخفورا* (في العماديه: *مَحفورا* أو *شعڤيتا*) عبارة عن نوع أكثر تعقيداً من البسط (السجاد الإيراني المعروف – المترجم) يُعرف في الغرب بـ"البساط الفارسي"]. ويتناولون الطعام على منضدة قليلة الإرتفاع (في الكردية والتارگوم: *كُرسي*) من صحن مستدير (صينية – المترجم)



أواني مطبخ وبساط – من سنه

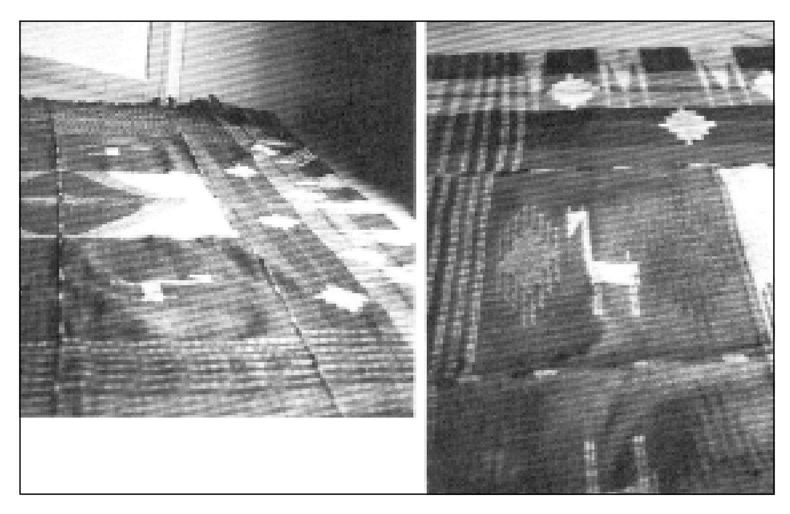
(تسمى في زاخو: *فَرَكْسيني*، وفي سنه: *لَنكَري* أو *سيني*). [وفي العماديه تستخدم هذه الأسماء: *فَرَخسيني*، إناء مستدير منبسط ذو حافة منخفضة مصنوع من النحاس ويُطلى بالقصدير ويبلغ عرضه حوالي ثمانين سنتمتراً؛ *طَشته*: وهو صحن يشبه *الفَرَخسيني* غير أنّه أكثر عمقاً حيث يبلغ عمقه ١٥ سنتمتراً وحافته عمودية؛ *لَگَن*: وهو صحن أصغر؛ *سينيه*: وهو صحن ذو حافة مائلة نحو الخارج].

وقد وجدت المناضد والكراسي الأوروبية طريقها الى كردستان مؤخراً؛ والكراسي هي أول ما تأقلم معه اليهود الكرد حيث أنّهم كانوا يحصلون عليه في فلسطين بسهولة كمنح[١٥].

ومن الجهة الأخرى، فإنّ اليهود الكرد لايتخلون بسرعة عن عادة النوم على الأرض التي إعتادوها في كردستان[١٦]. وهم يفرشون البسط والفرش – في الشتاء قرب الفرن ما أمكن، وفي الصيف يفرشونها على سطح الدار. وسطح الدار الذي يمكن بلوغه بواسطة سلّم (في زاخو: *جَراده*، وفي العماديه: *سيمالته*) هو مكان المعيشة المعتاد في الصيف. ولوقاية أنفسهم من العقارب، فإنهم يرفعون فُرُشهم عن

١٥– يتلقى المهاجرون الكرد الجدد في فلسطين منحاً وهبات قيّمة (وبصورة خاصة الأثاث المنزلية) من أصدقائهم، وذلك بهدف تسهيل تأقلمهم مع الوضع الجديد.

١٦– يستخدم الأغنياء أحياناً أسرّة خشبية منخفضة (تسمى في زاخو والعماديه وأربيل: تخته).



بَرماله = بُسُط – من دهوك

الأرض قليلاً ببناء منصة: *كَپرانا* [في العماديه] من الجذوع والأغصان التي تُرفع على أربعة من الأحجار.

وفي الأرياف (كما في بيتنوره) تُبنى منصات عالية (*هارزَيله*) تُنصب على أعمدة ويتم الصعود إليها بواسطة سلّم. [وقد أبلغني محدّثي وهو من العماديه، أنّ هذا السرير يسمى كيپرينه. ويكون على نوعيْن: أحدهما منخفض يستند الى أربعة صخور، والآخر عالٍ يستند الى أربعة أعمدة خشبية. و*الهارزَيله* منصة مبنية من أغصان الأشجار ويتم حفظ الثمار فوقها في الصيف حتى أواسط الشتاء. وكذلك تسمى السلال التي تحفظ فيها الثمار وتوضع بين الأغصان: *هارزَيله*]. وينتاب المرء الخوف لدى النوم على هذه الأسرّة اذا لم يكن معتاداً عليها فالمنصة تتمايل بشدة عند هبوب الريح. كما أن *الهارزَيله* تحمي المرء من البعوض بشكل جيد[١٧].

١٧– أنظر الصور التوضيحية لمنصات النوم هذه في كتاب بنديه، كردستان، ص ١٠٢. وقد رآها في منطقة بحيرة أورميه، وإرتفاع المنصات هناك يبلغ حوالي ١٫٥ متر من سطح الأرض (ص ١٠١). وحسب بانسيه، تركيا، ص ٢٣٢، فإنه كان من بين هذه المنصات ما بلغ إرتفاعه خمسة أمتار]. وتستخدم على الأغلب في المناطق الأرمنية.

مراسيم الإفتتاح

بعد الإنتهاء من البناء، وقبل إنتقال المالك الى داره الجديدة ينبغي إجراء مراسيم الإفتتاح ([بالعبرية] حينّوخ *هابَيت*). حيث يُدعى الحاخام مع عدد من الأصدقاء لهذه المراسيم إذ ينبغي أن يرافق هؤلاء المالكَ عند دخوله الدار الجديدة. وتقذف زوجة المالك بقبضة من القمح وتكسر جرة. ثم تقوم النسوة بعد رش بعض الماء، بالتلويح بقطعة قماش، وهنّ ينادين: *كشه، كشه بيزي بيشييسه يڤه هاوييڤه هَواخ بينون بنيڤه خيتنه كالاواڤا*، أي "كش، كش[18]، إذهبي أيتها الشياطين، وادخلوا أيها الأحياء [المقصود ملائكة الخير]، سوف يكون لكم أبناء وبنات، وأنسباء وكنّات".

ثم يجلس الرجال ويقرأون *الميشنا لساعات، وبعد ذلك يرتدي سيد الدار ثيابه الجديدة، خاصة التي أعدها لهذه المناسبة، ويدعو بالبركة. ثم يؤتى بـميزوزوت [أوراق ملفوفة تحتوي أجزاء من سفر التثنية ٦:٤-٩ و ١١:١٣-٢١، تثبّت في إطار الباب داخل علبة من الخشب أو المعدن]، ويقوم الحاخام بتثبيتها في الأماكن المناسبة. بعدها يعودون الى التلاوة لحوالي خمس ساعات، ويتبع هذا كله بوجبة طعام. ثم يغادر الضيوف الدار في حوالي الثانية صباحاً.**

وفي صباح اليوم التالي، يدعو سيد الدار كل الجماعة الى حفل إفتتاح ([بالعبرية] *سعودات حنّوخ هابايت*)؛ وعندها فقط يمكن نقل حاجيات العائلة من المنزل القديم الى الدار الجديدة.

تعاويذ للدار

التعويذة الدينية اليهودية، ميزوزه، في كردستان بدائية جداً في العادة. ولمزيد من التوضيح نقول: يُترك تجويف في الجدار وتوضع بداخله لفافات الورق تلك ويُحافظ عليها بوضع قطعة زجاجة على التجويف (في أربيل). كما ينتشر إستخدام أنبوب من القصب مع تجويف مغطى بالزجاج مع كلمة *شادّاي*. وفي بعض الأحيان يُحشر أنبوب القصب في الجدار (كما في العماديه وزاخو وسنه)[19].

١٨- كش، كش*!* تعبير يستخدم لطرد الدجاج.

* *ميشنا*، ميشناه: مجموعة تفاسير وشروح للشريعة الموسوية تمثل الشريعة الشفوية لليهود، وضعها *الرابي* وتم جمعها وتنظيمها سنة ٢٠٠م. مكتوبة بالعبرية وتمثل الجزء الأساس من التلمود.

١٩- توجد عينة منها ضمن مجموعة براوَر في الجامعة العبرية ٣٩:٤٠. وهذه *الميزوزه*، كما قيل، كان يبطل مفعولها اذا ما دخل عليهم شخص غير يهودي (؟).

وفي ريكان ايضاً، يستخدم أنبوب القصب لهذا الغرض؛ لكن التجويف المخصص *للشادّاي* لايغطى بالزجاج بل بقطعة قماش تتدلى لتغطي *الميزوزه* وترفع القطعة عند تقبيل *الميزوزه*. وقد تكون *الميزوزوت* مغلفة بالجلد[20] أو توضع في علب من الصفيح[21] أو داخل أنابيب خشبية[22] وهذه الأنواع ايضاً تُحشر في الجدار. وتجدر الإشارة الى أنّ *الميزوزه* تثبت بصورة أفقية في ريكان. وشكل علبة *الميزوزه* مختلف هنا فالفتحة مستطيلة وكلمة *شادّاي* مكتوبة بصورة تناسب هذه الفتحة[23].

وفي زاخو يتم تثبيت قرون وعل (بالكردية: *كانينت يَزكوڤي*)، أو حدوة حصان (*نعله*) على الباب، وأحياناً يضاف اليها خرزة مدورة خضراء (*ڤوطناسكات بروبكه*) تثبت بمسمار في وسط عتبة الباب. [في الدور ذات الطابقيْن بالعماديه، تُثبّت قرون الوعل الجبلي في الجدران الخارجية للطابق العلوي كنوع من الزينة].

وفي كل واحد من الأركان الأربعة *للسوبا* يتم دفن تعويذة شرعية مصممة لإبطال تأثير ليليث (في زاخو). وتعاويذ الدار تعتبر بمثابة ملاذ في حالة إصابة العائلة بمرض متوارث أو سلسلة من حالات الوفاة التي تجعل الدار تبدو وكأنها قد باتت خاضعة لسيطرة الشياطين. وفي مثل هذه الحالة توضع تعويذة مكتوبة بدم حمامة بيضاء أو سوداء تحت العتبة. وقد يُستخدم ذيل ذئب لهذا الغرض (في العماديه)[24]. وفي حالات الوفاة، يوضع حجر على خفٍّ قديم مع ذيل ذئب وقطعة من جلد حمار فوق السقف (في العماديه).

أما شؤون البيت الكردي فهي تُدار حسب نظام أبوي. إذ أنّ الأبناء حتى بعد الزواج يستمرون في العيش في دار الأب سواء في غرفة تُخلى لهم أو في غرفة تُبنى حديثاً. ولهذا فإن بيوت الكرد تصبح ذات خارطة لايمكن أن تكون هي التصميم الأصلي للدار.

وفي أحيان كثيرة يمكن أن تجد ثلاثين شخصاً أو أكثر يعيشون في دار واحدة، مساحتها في أحسن الأحوال محدودة جداً. ويعتبر مجموع أفراد مجموعة العائلات كلها بمثابة وحدة واحدة. والرجل الأكبر عمراً هو سيد الدار. يسمى في العماديه، بالكردية: *مالوخڤه بيتا*، ["زعيم الدار"؛ وفي العماديه بلغة التارگوم: *أورويت بيتا*].

٢٠- مجموعة براوَر في الجامعة العبرية ٣٩:٤٢ (من سنه).

٢١- مجموعة براوَر في الجامعة العبرية ٣٨:١٠٠ (من العماديه).

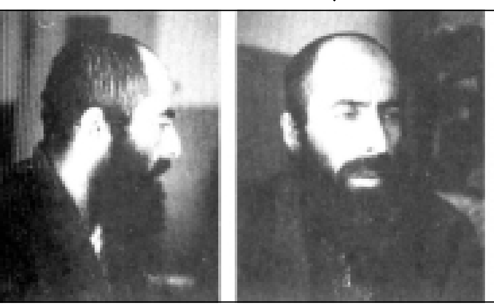
٢٢- كانت ثم عينة ضمن ممتلكات إي. براوَر الخاصة. [لكن مصيرها بات مجهولاً بعد وفاة براوَر].

٢٣- مجموعة براوَر في الجامعة العبرية ٣٩:٤٢.

٢٤- فيما يتعلق بقدرة الذئب على الحماية من الشياطين، أنظر ص ١٨٤.



رجل من چالا




رجل من بَرَشه



رجل من سوخو

ورَشت بيتا (في العماديه)[٢٥] هي المسؤولة عن الأعمال المنزلية، أما بقية النساء فينفذن أوامرها. [حسب مصدر معلوماتي وهو من العماديه، رَشت بيتا هو إسم الزعيم الذكر للدار. أما السيدة فتسمى *كابانت بيتا*، "زعيمة الدار" أو رَيِثت بيتا "ربة البيت"].

٢٥- في زاخو: *كابانييت بيتا* "طاهية (أنثى)"؛ وفي العماديه ايضاً: *كابانه*؛ وفي سنه: خيمَيلا؛ وفي أشنويه: *آما*.

5

الثياب

تثبت أزياء قاطني كردستان بوضوح أنها منطقة منعزلة بشكل لا جدال فيه. ويتجمع فيها أكثر مناطق النفوذ إختلافاً؛ ومع معلوماتنا الفقيرة حول الموضوع، ليس في متناولنا لحد الآن ما يساعد في إعطاء صورة دقيقة عن تفاصيل الأزياء التي يرتديها مختلف العناصر العرقية التي تعيش على هذه الأرض.

وهذا ينطبق ايضاً على زي اليهود الكرد؛ حيث أن هؤلاء في الواقع لايملكون زياً موحداً يميزهم، وأزياؤهم تطابق بشكل كامل أزياء جيرانهم. وبخلاف الملابس الدينية، فإنّه ليس ثمّ إختلاف بيّن في ما يرتديه الكرد أو النصارى (السريان) أو اليهود. وهذا يظهر بوضوح أكبر في حالة الرجل العادي، الذي لايبيّن لنا زيّه، بسبب من بدائية الزي، أيّ إختلاف واضح. والسبب في وحدة الزي بين الكرد المسلمين واليهود واضح: لاتوجد تشريعات محددة خاصة بالملبس في كردستان (كما هو الحال في بعض الدول المسلمة التي تطبق الشرائع الإسلامية التي تتعامل مع غير المسلمين)[١].

ولتجنّب الدخول في متاهات، فإننا سنقتصر في دراستنا على منطقتيْن: العماديه في وسط المنطقة الجبلية، وسنه في الأراضي الكردية من فارس. وإننا نفتقر الى صور توضيحية قديمة لليهود الكرد لكي نبني من خلالها فكرة عن التطور المحتمل في أزيائهم. وهذا يضطرنا الى الإعتماد على الأوصاف المبكرة التي من المؤسف أنها تحوي العديد من الثغرات فيما يخص الأزياء.

الزي الكردي

يقف المرء في موقف أفضل عندما يتعلق الأمر بالكرد والسريان. ويصف بنديه ملابس الكرد الذين كانوا يعيشون في جوار العماديه في العام ١٨٦٠ فيقول:

> رجال ذوو شوارب يغطون رؤوسهم بالبياض، قبعات مخروطية من اللباد يلفون حولها عمامة ذات لفات عديدة. أما سراويلهم الفضفاضة فهي مصنوعة من شعر الماعز الأحمر الذي غالباً ما يُصبغ. ويرتدون سترة قصيرة تبلغ الخصر بالكاد. وغالباً ما يرتدون فوق السترة

١- في اليمن مثلاً، أنظر: إثنولوجيا اليهود اليمانيين، لبراوَر، ص ٧٩.

المصنوعة من الشعر معطفاً أطول منها مزيّن من الأمام بنقوش غير متقنة. أما بالنسبة للحذاء فهو عادة خفّ من جلد أحمر ذو كعب قوي.

(كردستان، ص ١٠٩، [ترجمه من الفرنسية: رافائيل پاتاي]).

وفي صورة بنديه يظهر كرد[٢] يرتدون القمصان البيض (*كراس*) ذات الأكمام الطويلة، والسراويل الطويلة الفضفاضة (*دَرپي*)، مع لف قطعة من القماش (*شالك*) حول الخصر (المصدر السابق، ص ١٠٦). والسراويل التي تظهر في الصورة التوضيحية هي من نوع خاص سنورد المزيد عنه فيما سيأتي. وفوق القميص هنالك ثوب أو سترة مفتوحة (*بيشلاك*)، ذات أكمام مشقوقة من الكتف الى الرسغ يمكن أن تكمم بأزرار أو تترك مفتوحة. وفوق *البيشلاك* يأتي ثوب آخر (يسميه الكرد: *چوخك*، [بلغة التارگوم: *چُختا*]) لم يعد يُلبس اليوم. وهو مصنوع من الصوف ومغطى من جهة الظهر بشعر ماعز أسود طويل محسّن[٣]. وفي أيامنا هذه، يرتدي أغلب الكرد سترتيْن: *البيشلاك* ذا الأكمام من فوق، وتحته *اليَلَك* الذي لا أكمام له. ويبدو أنّ هذين الثوبيْن تركيّا الأصل[٤].

نموذج للزي الكردي
(عن بنديه)

والكردي في الصورة يضع على رأسه قبعة مخروطية من اللباد (بالكردية: *كُلاو*)، وهو اليوم قليل الإستعمال بين الكرد. ومن الواضح أنّ هذه القبعة المخروطية نوع قديم من أغطية الرأس وربما أنّه إنتشر في القبائل التي ينتمي اليها النساطرة أكثر من إنتشاره بين الكرد، ويلف حول هذه القبعة قماش من الكتان ذو ألوان زاهية (*أسحادقايه*). وقد حلّ الـ(*جَمَداني*) اليوم محل الـ(*أسحادقايه*)، والـ(*جَمَداني*) هو

٢- تم إختيار الكرد في العماديه كعيّنة.

٣- أنظر الصور التوضيحية في كتاب بَنديه، كردستان، ص ١٢٣؛ وكذلك وصف أزياء كرد أرتوش في المجلة الجغرافية (١٨٩٤: ٨٦). وقد حلّ محلّه *الچوخك* (بلغة التارگوم: *چوختا* أو *پَسْتَك*). أنظر ماكس تيلكي، دراسات في التطور التاريخي للأزياء في الشرق، برلين ١٩٢٣، اللوحة ٨٠: هذه الجاكيتات المميزة التي لا أكمام لها، تصنع من صوف مضغوط بشدة، يبلغ سمكه سنتمتراً واحداً. ولهذا فإنّ حوافّه هي فقط القابلة للخياطة" [ترجمه من الألمانية رافائيل پاتاي].

٤- أنظر مثلاً كتاب جورجس ماركيز، أزياء مسلمي الجزائر، پاريس ١٩٣٠، الص ٣١-٣٦ حول التأثير التركي على الأزياء في شمال أفريقيا، و*يَلَك*.

قماش صوفي أسود ذو نقوش بيض. يتم إستيراده من أوروپا. والأحذية التي ينتعلها الكرد عبارة عن جزمة جلدية عالية حمراء أو صفراء اللون (چَكمه)[٥]، مع لفافة طويلة تلف الساق، ومقدمة الحذاء ومؤخرته معلّمان بقطع حديدية.

زي النساطرة

يقدم لنا بَنديه صورة أخرى تبيّن الأزياء التي كان النساطرة، في جوله ميرگ بجوار العماديه، يرتدونها قبل حوالي مائة عام (كردستان، ص ١٦٨)[٦]. وهنا نرى القبعة المخروطية (*كوشيسا*) ملفوفاً حولها قطعة من القماش.

والجزء الأعلى من الجسم يغطيه قميص أبيض (*سودرا*) ذو أكمام طويلة وسترة ذات أكمام. لكن من الواضح أنّ النساطرة، في فترات مبكرة، لم يكونوا يرتدون الثوب التركي الذي أثر فيه الكرد. ويغطى *السودرا* بالسروال من الأسفل. وهذه السراويل هي نفسها في الزي الكردي، مع السترة المصنوعة من المادة نفسها (*چالا چاپوكسا*[٧]، بالكردية: *شال وشَپك*) هي من الملابس المميزة للسريان (النصارى).

والقماش ذو نوعية جيدة يشبه الحرير، ويحاك من أفضل أنواع صوف الماعز (*كوليه سوبيا*). والسريان على وجه الخصوص حاذقون في صناعة القماش بألوان جميلة وتصاميم مختلفة، تزينها الزخارف وتحاك النماذج على نسيج أصلي. والكردي الذي يظهر في الصورة التي وصفناها يرتدي سروالاً من هذا النوع[٨].

٥- ذكر مان *الچَكمه* في: نصوص ودراسات، الرسالة ١٢، التي أرسلت من العماديه الى يونا في الموصل وتتعلق بالأعمال التجارية: "ستتسلم عن طريق عبدالرحمن ٣٥ سيكه (جوارب صوفية طويلة) لصناعة *الچكمه* (السطران ٥-٦). كما وهنالك سيكه *للكالكه*، أي الأحذية الواطئة. ولم يفهم مان معنى هذه الفقرة.

٦- ويورد بنديه ايضاً قائمة بالأزياء الإحتفالية لمزارع مسيحي من جوله ميرگ. وللحصول على بعض الصور القيّمة عن النساطرة (رغم أنّها في مستوى الرسوم التوضيحية لكتب الأطفال) أنظر: پيركنس، الإقامة ثمان سنوات في فارس، في الصفحات المقابلة للصفحات ٦ و٢٦٢ و٤١٤.

٧- *چالا چاپوكسا* (ويقال ايضاً: *چاپوكتا*) تسمى ايضاً بَرگوز في العماديه وريكان وحواليهما. فهناك مثلاً بَرگوز *گارا*موسي ذو الخطوط الحمر الذي يستورد من گاراموس. والسترة بها فتحة تحت الإبط - الصفة المميزة للأزياء الفارسية والهندية والقوقازية ايضاً، أنظر تيلكي، الأزياء، اللوحة ٢٧، وص ١٣.

٨- بعض الصور التي تبيّن بصورة جيدة الإنطباع الملوّن الذي تخلفه هذه الأزياء التي يرتديها السريان في تل تَمَر قرب الخابور، يمكن العثور عليها في المجلة الجغرافية الوطنية، كانون الأول ١٩٣٨، اللوحتان ٤ و٧. ويعتقد أن الملابس المصوَّرة جاءت من زاخو. واللون الأصلي لملابس الرجلين اللذين يظهران في اللوحة ٤ ينبغي تصوره على أنّه غامق أكثر مما يبدو - إذ يبدو بلون =

والكرد الى يومنا هذا مولعون بهذا النوع من السراويل[٩]. هذه السراويل والستر التي نعتقد أنها من الثياب العريقة التي لم أتمكن حتى الآن من تحديد أصولها. لايستخدمها السريان لوحدهم بل هناك قطاعات معينة من الأرمن تستخدم هذه الأزياء[١٠] وكذلك الحال بالنسبة للأيصور في القوقاز[١١].

ويرتدي الكثير من النساطرة الذين صوّرهم بنديه عباءة طويلة وثقيلة لا أكمام لها (*بَدَن* أو *عَبايكه*) مصنوعة من شعر الماعز. وقد حلّ محلّ هذه العباءة اليوم ثوب صوفي ثخين (*چوكتا*)، وهو عند الكرد *چوخك*.

ويضعون على رؤوسهم قبعة اللباد المخروطية (*كوشيسه*) التي أوردنا أوصافها. وفيما مضى كان *الأسحاداقيه* يلف حولها، أما الآن فقد أحلّ النساطرة ايضاً *الجَمَداني* محلّه.

زي المرأة الكردية

قبل أن ننتقل الى الحديث عن أزياء اليهود، ينبغي أن نورد وصفاً للأزياء النسوية عند الكرد والنساطرة. يقدم لنا بَنديه صورة لنساء كرديات؛ لكن الصورة غير واضحة وضوحاً تاماً، كما أنّه لايورد وصفاً لما فيها (كردستان، ص ١٦١).

ملابس المرأة الكردية بسيطة في الغالب. فهي تتألف من سروال (*دَرپي*) - يكون جزؤه السفلي (*سَر دَرينگ*) من قماش ملون - وفستان واسع (*تراس*) أزرق أو ذي خطوط بيض وزرق، وذي أكمام (*لَوَنديه*) ذات شكل يشبه الجناح لاتختلف عن تلك الموجودة في ثوب الكيمونو الياباني. ويتم إرتداء الفستان فوق السروال، وفي بعض الأحيان يشد عند الخصر بقطعة قماش عادي (*شاله*). ويلف *الجَمَداني* حول الرأس. والأقدام عارية عادة؛ ولكن تنتعل المرأة أحياناً خفاً أحمر (پيلاوه أو *كَلاشه*)

= بنفسجي فاتح. كما ويظهر *الچالا چاپوكسا* في الصور الأكثر عمراً في كتاب پيركنس. حيث يرتديه "نسطوري الجبل" في اللوحة المقابلة للصفحة السادسة (القيد الموجود تحت الركبة أمر غير مفهوم)، كما هو الحال مع الكاهن النسطوري الجبلي في اللوحة المقابلة للصفحة ٤١٤. وفي كتاب پيركنس تظهر الخطوط على الملابس بالأحمر القاني؛ وقد يكون سبب ذلك الأسلوب البدائي للتصوير الذي صممه فنان فارسي لپيركنس.

٩- هو *شال وشَپك* عند الكرد اليوم، أنظر: هاملتون، طريق في كردستان، الصور: ١٢، ١٦، ٢٥.

١٠- أنظر الرسم التوضيحي في كتاب فريدريك راتسل، *Volkerkunde*، الطبعة الثانية، لايپزيگ وڤين ١٨٩٤، المجلد الثاني، ص ٧٣٨، لكنه للأسف لايشير الى المكان.

١١- هناك نموذج من الأيصور في المتحف القوقازي بتفليس؛ أنظر: تيلكي، الأزياء، اللوحة ٧٩.

وهو نوع من الأحذية مصنوع من رقع. أما الحلي التي تتزيّن بها النساء بكثرة فسيأتي وصفها في موضع آخر.

زي النسطوريات

يوجد في متناولنا البعض من الصور القديمة لنساء السريان في كتاب جوستن پيركنس (الإقامة ثمان سنوات في فارس، الصور التي تقابل الصفحات: ٣١٩، ٣٣٥، ٣٣٦) ولدينا أيضاً الأوصاف التي أوردها جورج پيرسي بادجر (النساطرة وطقوسهم، المجلد الأول، ص ٥٥). ومع أنّ الأخير منهما يختص بالنصارى في طور؛ إلاّ أن أزياء نسائهم تشبه أزياء نساء السريان في المنطقة الجبلية.

يتألف الزي النسائي من *شَلوار*، وروب أحمر يشبه الى حدٍّ ما رداء الكهنة وعادة تعقد المرأة رأسي كمّيها الطويلَيْن وتضعهما على كتفيها من الخلف. ويشد هذا الرداء الى الخصر بواسطة نطاق رفيع ذي مشبكين فضيين كبيرَيْن للزينة. وغطاء الرأس مميّز بالنسبة لأجزاء الزي الأخرى، ولايختلف شكلاً عن خوذة الرامي وهي عبارة عن قلنسوة بارزة القمة مغطاة بقطع كبيرة من النقود الفضية.

ويرى مصدر معلوماتي، أنّ لوحات پيركنس غير مضبوطة. فالمرأة هناك ترتدي بنطالاً أخضر وفستاناً يبلغ الركبة. وهذا الفستان هو بدون أكمام عريضة طويلة وهو قصير جداً. وترتدي الفتاة النسطورية الـ(*ميكاتانه*) فوق الفستان (النساطرة وطقوسهم، الصورة المقابلة للصفحة ٣٣٥). كما لم يعد ثمّ إستخدام للمعطف الشبيه بالعباءة الذي كانت الأم النسطورية ترتديه؛ وتحوم شكوك حول كون هذا المعطف قد استخدم في أيّ وقت مضى (المصدر السابق، الصورة المقابلة للصفحة ٣٣٦).

وفي أيامنا هذه، يتألف زي المرأة السريانية في أطراف العماديه من بنطال طويل ملوّن (*شروال*) فوقه فستان أحمر طويل (*سُدرا جانگوسو*) ذو أكمام عريضة. ولاترتدي النساء المعاطف.

زي اليهودي في العماديه

فيما يتعلق بزي اليهود في العماديه (سنركز إهتمامنا على المدينة أولاً)، نلاحظ خليطاً من عناصر الأزياء الكردية والنسطورية. والوصف الذي يقدمه لنا بنيامين الثاني غير صائب كما أنّه غير واضح أبداً:

في أيام الأسبوع العادية، يرتدي الرجال قميصاً فقط ويشدون حزاماً

على الخصر، اضافة الى بناطيل قصيرة لاتتجاوز الركبة [؟]، مع قبعة صغيرة يلفون حولها قطعة رقيقة من نسيج أسود؛ كما أنّهم حفاة. ولما سألتهم عن سبب إرتدائهم مثل هذه الأزياء، كان الجواب أنّها أكثر ملاءمة للعمل... أما في يوم السبت فإنّهم يلقون هذه الثياب، ويرتدون معطفاً طويلاً ثخيناً من قماش صوفي. وهو ذو أزرار من العنق وحتى الحزام، حيث ينشطر الى جناحين كبيريْن يمتدان حتى الركبة؛ أما الأكمام فتمدّ الى الخصر ويتم شدّها بإحكام. والأغنياء فقط ينتعلون الأحذية، أما البقية فيكتفون بخف من الجلد. (ثمان سنوات، ص ١٢٩).

يتبيّن لنا ضعف وصف بنيامين الثاني من إختلاط المواد المختلفة بشكل غير متناسق، أثناء وصفه لها. يتألف زي الرجل في العماديه من الـ(*سُدرا*) وهو قميص من الكتان الأبيض (*گراوه*). وفي الوسط عند الرقبة توجد فتحة يتم تثبيتها بزر واحد. أما البناطيل القصيرة فلا يرتديها الرجال في العماديه، وربما شاهد بنيامين بناطيل إعتيادية مع وجود لفافة على السيقان.

والعلامة المميزة لهذا النوع من القمصان هي الأكمام الطويلة الشبيهة بالأجنحة شكلاً[١٢]، وهذه الأكمام نجدها عند الكرد ايضاً (خاصة في كردستان الفارسية)، وعند العمل يتم قلب هذه الأكمام الى أعلى ووضعها فوق الأكتاف، ويتم ربط الكمّيْن معاً عند القفا. وهنا ايضاً نجد أنّ عامل النفع لم يؤخذ به في تصميم الزي. فالأكمام عريضة متدلية شبيهة بالتي ترتديها الراقصات في تماثيل عهد تانگ في الصين. وفي كردستان ايضاً، تستخدم لأغراض تتعلق بالرقص. وفي السابق لم تكن هذه الأكمام جزءً من زي عامة الشعب بل كانت قاصرة على الطبقات العليا. وقد توصّل أچ. ناومان الى النتيجة نفسها فيما يتعلق بالزي الوطني الألماني: "إنّ ما يسمى "الزي الشعبي" لم ينشأ من الشعب، ولايمثل بالتأكيد دليلاً على روح الإبداع عند عامة الناس... فهذا الزي لم يبتكره البدائي بل هو من الممتلكات التراثية للطبقات العليا ومنهم إنتقل الى الطبقات الأدنى" [ترجمه عن الألمانية: رافائيل پاتاي][١٣].

١٢- الأكمام الطويلة تسمى هوچكياتا (في العماديه؛ *باراشا لَبَنديا*، التي يستخدمها السريان ايضاً؛ وبالكردية *لَبَندي* [*هوچك بوتاني*: أكمام بوتانية" نسبة الى بوتان في غرب كردستان])، وتقوم العروس بتطريز الياقة. والكم النموذجي يبلغ طوله ٨٧ سنتمتراً وعرضه متراً واحداً (مجموعة براوَر، الجامعة العبرية، ٣٧: ١أي). وتمتد المنطقة التي يُستخدم فيها هذا النوع من القمصان (ذات الأكمام الطويلة والعريضة) من شرق آسيا وحتى جنوب القوقاز.

١٣- أچ. ناومان، *Grundzuge der deutschen Volkskunde*، لايپزيگ ١٩٣٣، ص ٧.

ويلبس الرجال في العماديه بناطيل بيض فضفاضة (*شروالا*)، تستدق شيئاً فشيئاً وصولاً الى الكاحل. وفوق القميص يأتي "*الطاليث* الصغير" ([بالعبرية] *طاليث كتان*) ثم الثوبان أو السترتان التركيتا الأصل اللتان يرتديهما الكرد. ويأتي أولاً الذي لا أكمام له من السترتين (*إيلَكا* أو *هيلَكا*) بفتحتيْ الذراعيْن المميزتين بشكل يشبه الحدوة. وعلى كل جانب من *الإيلَكا* حاشية ملونة محبوكة، على الجانب الأيسر منها صف من الأنشوطات المتقاربة يقابلها على الجانب الأيمن صف من الأزرار – الطريقة القديمة للتكميم في الأزياء الفارسية القديمة. والأنشوطات والأزرار هي ايضاً محاكة ومتعددة الألوان، وهي في أغلبها لاتستخدم إلاّ للزينة إذ أنّ السترة يتم تثبيتها من الأعلى والأسفل بأزرار خاصة. كما وجدنا في العماديه سترات مطرزة تسمى *إيلَكا سندوري* – نسبة الى سندور التي يكثر فيها إرتداء هذه السترة.

وفوق السترة الأولى تأتي أخرى ذات أكمام (*بيشلاكا* أو *إيشلاكا*). وهي ايضاً مزودة بأنشوطات وأزرار، لكنها تبقى مفتوحة. وهي مصنوعة من قماش مخطط بالأسود والأصفر وهي خاصة بأيام السبت والأعياد (مجموعة براوَر بالجامعة العبرية، ٦٨:٣٨). يبلغ طول كُمّ *البيشلاكا* ٤٨ سنتمتراً وعرضه ١٥,٥ سنتمتراً وفتحة الذراع مثلثة. ولكل واحد من السترتيْن جيب عند الصدر من كل جانب؛ لكن الجيب الأيمن مقفل وهو للزينة فقط. ويدخل ذيل القميص في البنطال (بخلاف العادة عند الأفغان) ويخرج كُمّا القميص في العادة ليغطيا كمّي السترة.

هذا هو النموذج الأساسي لزي اليهود الكرد، وخاصة في المناطق الريفية المحيطة بالعماديه. مع ذلك فهناك إختلافات كثيرة في النموذج الأساسي، وذلك لأسباب تتعلق في قسم منها بتفاصيل الزي السائد، وفي قسم آخر بكون الزي يرقع مرة وأخرى ويستخدم الى أن يتحول الى أسمال.

ومن ملاحظاتنا بدا أن الزي الأساسي متأثر بالكرد أكثر من تأثره بالسريان. فلازلنا نجد أنّ *الچالا چاپوكسا* [يسمى في العماديه: *شالا شاپوكسا*، البنطال والسترة] عند السريان يستخدم كزي للأعياد والإحتفالات إذ يرتديه العريس في حفل زفافه. ولهذا تجد أن اليهود في بعض المناطق (بيتنوره، كارا، چالا، ريكان) والذين يعملون في حياكة *الچالا چاپوكسا*، لايعرفون غير حياكة الأنواع البسيطة؛ بينما الأنواع الملونة والمزركشة يتم الحصول عليها من السريان. ويُعرف اليهود بحياكتهم لنوع بسيط من البناطيل (*چالا*)، التي تلبس عادة بدون سترة.

چالا (البنطال) وچاپوكسا (السترة) – من زاخو

ويلف بعض اليهود على خصرهم قطعة من الشال (*شال*) [أو *خارخاسه*: حزام]. وفي الأعياد وأيام السبت يرتدي المسنون والأثرياء *كُرتاكه* [أو *كُرتَك*]، وهو عبارة عن عباءة مقصوصة على شكل سترة ولا أزرار له. وهو مصنوع من قماش مخطط، ويتم إستيراده من الموصل.

إنّ الأزياء القديمة تختفي اليوم سريعاً. فالكل باتوا يقلدون الطراز الأوروپي؛ ويعتبرون من يرتدي *الساقو*، وهو نوع من المعاطف الأوروپية، شخصاً أنيقاً إن جاز التعبير. ويُشترى *الساقو* من الموصل، حيث يصنعه اليهود وغير اليهود. وقد أشار هاملتون ايضاً الى رغبة عماله الشديدة، خاصة القادمين من كرستان الفارسية، في حيازة الملابس الأوروپية؛ وتظهر أحياناً نتائج غير عادية[١٤].

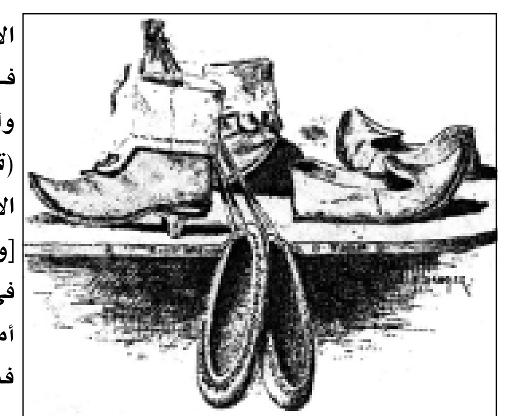
وفي كل جمعة يحلقون رؤوسهم. ويتألف غطاء الرأس عندهم من قبعة (*كوسيسا*) مصنوعة من اللباد أو القماش، وهي مدورة غير مخروطية كالتي عند السريان. ويلفون فوقها أكبر قطعة ممكنة من قماش قطني، *الجَمَداني*. ويلحق الشباب بهذه القطعة عدداً من الريِّش الطويلة (جيفكه، *جَمَداني ميري* جيفكه)، التي تتدلى الى الخلف من جهة الأذن اليمنى. هذه *الجيفكه* هي في العادة بمثابة نوع من الزينة للملابس. وهي تعيد الى الأذهان الريِّش التي ظهرت على أزياء الحيثيين[١٥]. وبدلاً من القماش القطني يستخدم كبار السن والرجال المعروفون قماشاً [أسود] من الحرير (پوشيّه).

ومن الأمور العادية في المناطق الريفية أن تجد الناس حفاة كما ذكر بنيامين. وفي الشتاء، فإنّ الجوارب الثخينة (گوروي) المصنوعة من صوف الغنم الأبيض، والتي تطرزها النساء بنقوش فنية تقوم بمهمة الحماية من البرد. وتوجد ثم جوارب ذات نقوش ملونة، من النوع الذي يلبسه أهل فارس وأفغانستان[١٦]. أما الشبشب

١٤- "يمتلك كل كردي فارسي تقريباً البعض من الملابس الغريبة الأوروپية الأصل. التي يعدها بمثابة كنوز ثمينة تحفظ في أفضل صورها من قبل مالكها، الذي يرتديها ليل نهار في أفضل فترات حياته. [كما يرتدون ايضاً مختلف البدلات الرسمية]. ولكن لايمكن أن يتصور المرء أين خبأ ذلك العامل المعطف الصباحي الذي ظهر يوما وهو يلبسه، والمعطف ذو ذيل طويل كان شائعاً في حوالي ١٨٥٠" (هاملتون، طريق في كردستان، ص ١٤٢؛ أنظر كذلك الصورة رقم ١٩).

١٥- فيما يتعلق بالموضوع أنظر مثلاً، منحوتة ملك سمعل من سندشيرلي (برلين) وموكب الموسيقيين (القسطنطينية) في ويبر، اللوحتان ٢٥ و٣٧.

١٦- يمكن [كان ممكناً] العثور على جوارب كردية أو نماذج من الجوارب الملونة التي صنعها يهود شرقيون من مختلف البلدان في مجموعة براوَر بالجامعة العبرية.



نماذج أحذية (عن بنديه)

الأحمر (*پيلاوا سموكه*) فيستخدم داخل البيت. وأشهر أنواع الأحذية هو (قوندَرَه)، وهو نوع من الأحذية العادية الواطئة. [والحذاء الجلدي المستخدم في العماديه يسمى *كالكي*]. أما في المناطق الجبلية فيستخدم الـ(رَشكه) العملي جداً لتلك البيئة[١٧]. *والرشكه* يصنع من الجلد (في ريكان) أو القماش (في چالا [والعماديه]) وهذا الحذاء لايمكن الإستغناء عنه في الجبال الكردية بسبب المرونة التي يتمتع بها[١٨]. أما الخف الجلدي الذي أشار اليه بنيامين، فلا وجود له في كردستان[١٩].

زي اليهودية في العماديه

يصف بنيامين الثاني بإختصار زي اليهودية في العماديه فيقول: "النساء يرتدين ثوباً ملوناً؛ وتلف المرأة على رأسها قطعة قماش أو نسيج، ليسترسل شعرها الأسود الى أسفل ليغطي الأكتاف. وهنّ حافيات، ولكنهن يتخذن زينة من حلقات ذهب وفضة لأيديهن وأذرعهن وأرجلهنّ؛ وفي بعض الأحيان يعلّقن حلقة في الأنف تتدلى على الفم" (ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، ص ١٢٩). هذا الوصف ينطبق على نساء الريف، اللائي تشبه ملابسهن ملابس النساء السريانيات. مع وجود الكثير من الإختلافات الثانوية.

الفستان (*سُدرا*) يشبه القميص الذي يرتديه الرجل، إلاّ أنه ذو ألوان زاهية وأطول بحيث يبلغ الركبة. وفستان العروس اليهودية أحمر اللون؛ في حين أنّ فستان

١٧- ماكلين، القواعد، ص ٢٩٧: ريشكه، "أحذية من الصوف المضغوط". أنظر الرسم التوضيحي في كتاب بنديه، كردستان، ص ١٥٠ (المعلّق)؛ الى اليسار يوجد *كالكه سوراني*، والى اليمين چَكمه. كذلك أنظر گرانت، النساطرة، أو القبائل المفقودة، ص ٧٠.

١٨- في الشتاء، هناك أيضاً أحذية خاصة للثلج، مصنوعة من إطار دائري وشبكة حبل.

١٩- [ولكنهم يستخدمون الخفاف المفتوحة من الخلف - الشبشب].

العروس الكردية أخضر. و*سُدرا* المرأة كقميص الرجل، ذو أكمام طويلة؛ وعند التصوير تبدو الأكمام على جانب واحد فقط، لأنها تعقد غالباً من الخلف وتوضع على الأكتاف كما عند الرجال. والفستان يزيَّن بخطوط مطرزة تنتهي بريَش.

والسروال الفضفاض (*شرواله*)، الذي هو من نوع "البناطيل القُطرية" (ماكس تيلكي، الأزياء)، مصنوع من قماش ملون بالكامل أو من قسمين - القسم الأسفل ملوّن يسمى سَر دَلينگا، والقسم الأعلى أبيض اللون.

والشيء المميز في زي المرأة (كما في زي الرجل) هو السترة (*إيلَكا*) ذات فتحات الذراع التي لها شكل الحدوة. و*الإيلَكا* عند المرأة تبيّن بوضوح الغرض الجنسي منها؛ فهي قصيرة جداً وبمثابة مشدّ يعمل على إبراز النهديْن. وتصنع *الإيلكا* في الغالب من الحرير الناعم وتكمّم من الأعلى والأسفل فقط، وتترك الأنشوطات والأزرار لتعمل كمجرد مادة للزينة.

والجانب الجنسي من *الإيلَكا* يبرز بصورة خاصة في نوع يسمى *إيلَكا قرنفله* "نسبة الى القرنفل" (مجموعة براوَر بالجامعة العبرية، ١٩:٣٩). وهذا النوع يزيَّن عند النهديْن بسلاسل من أزهار القرنفل. والقرنفل مثل جوزة الطِّيب، يعتبر مثيراً للشهوة الجنسية وهذا ما جعله يتمتع بدور مهم في أغاني العشق[٢٠].

كما أن الإيلكا يطرز بغزارة في الغالب. وثمة نموذج ذو تصميم بوضوح أثر التقاليد القديمة ويحمل صورة لشجرة (مجموعة براوَر بالجامعة العبرية، ٦٠:٣٧).

وفوق الفستان والسترة يأتي الرداء الخارجي الطويل (*فستانا*) الذي يمنح المرأة اليهودية الكردية مظهرها النموذجي. فبواسطة الفستانا التي يبدو أنّها ذات أصل تركي[٢١] وقد جيء بها مؤخراً، يتم تطويق المرأة تماماً.

وهذا الرداء الطويل المسترسل يجمع بين فتحة عند منطقة الصدر وبين التنورة. حيث أنّه عبارة عن سترة مفتوحة في منطقة الصدر وذات أكمام طويلة وفتحتين للذراعين مثلثتي الشكل، ألحق بها من الأسفل تنورة عريضة ذات ثنايا. ويستخدم لصناعته قماش قطني ذو أصل أوروپي. أما تلوين هذا الرداء فيحصل أحياناً بإستخدام أقمشة مختلفة الألوان في صنعه. وبدلاً من *الفستانا*، ترتدي العجائز

٢٠- مثلاً، يفرح *القرنفل من جاييبهه*؛ أنظر ديوان عمر بن أبي ربيعة، *طبعة شوارتز*، لايپزيگ ١٩٠١، ٥١، ٢١أ.

٢١- آر. پي. أي. دوزي، قاموس الأزياء العربية، أمستردام ١٨٤٥، مادة *فسطان*. *الفستان* ثوب خارجي تلبسه نساء المزارعين الفلسطينيين؛ أنظر مثلاً مولين، مجلة *ZDPV* العدد ٣٠: ١٦٨.

كورتَكا ويشددن شالاً على الخصر. وهي تشبه *الكورتَكا* عند الرجال.

و*الكيباعا* رداء طويل يشبه *الكورتَكا* ولا أزرار فيه وهو عريض ومفتوح، يحل محلّ *الفستانا* في زاخو وأربيل. ويشد *الكيباعا* في زاخو بشال أبيض عادة.



نموذج لزي نسائي (عن بنديه)

والشابات يرتدين كوتِكت چوخ كـ*الابدون* "كوتكا الصوف، ذو الخيوط الفضية": سترة سوداء مفتوحة ذات أكمام مربعة قصيرة جداً، وهي ذات نقوش غزيرة من الأمام والخلف تنقش بخيوط حريرية زاهية الألوان.

في العماديه وأطرافها (بيتنوره، چالا، ريكان، بارزان) تحصل الفتيات في وقت زواجهن على *عبايا كيتيوا* "عباءة الأكتاف" التي يلبسنها لأول مرة بعد ثمانية أيام من الزواج كعلامة على حالتهن الإجتماعية. وهذا يوضح ما يسميه تيلكي بالميلان التصاعدي[٢٢]، والذي كان في العهود المبكرة رداءً سامياً يبرز في المنحوتات[٢٣]. وقطعة القماش المستطيلة (بالكردية: چاروكه) التي تتوشحها نساء اليهود هي بصورة عامة مصنوعة من شعر الماعز الأسود (ماعز)[٢٤]. تحيط الجسم وتُعقد عند

٢٢- تيلكي، الأزياء، الص ٤٠ وما بعدها.

٢٣- مثلاً، يشاهد مثل هذا المعطف الذي يغطي الأكتاف على المهاجرين الساميين في الصورة الجدارية في بني حسن (المملكة الوسطى). وهو من مادة منسوجة، ويحتوي التصميم "خطوطاً مستقيمة ومائلة ومتعرجة. ونقاطاً أغلبها أحمر وأزرق على أرضية بيضاء. لكن هذه الرسوم لاتعطينا فكرة عن التقنية المستخدمة في هذه الزخارف" (تيلكي، الأزياء، ص ٤٢؛ [ترجمها من الألمانية رافائيل پاتاي]).

٢٤- هناك نموذج من *عَبايه كيتيوا* يتألف من أربع قطع من القماش عرض كلّ منها ٢٩ سنتمتراً وطوله متر ونصف متر (مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ٣٨: ١٠٦). والقماش من صوف مصبوغ بالأحمر وفيه خطوط خضر عمودية وأفقية، وتمت الخياطة بخيوط صوفية خضر. وحياكة القماش خشنة وغير منتظمة.

الكتف اليسرى بزرّ خرزي أزرق. وترتدي نساء السريان ايضاً دثاراً مشابها[٢٥].

وتجعل المرأة من شعرها عدداً [عادة سبعة أو ثمانية] من الضفائر (*سوسياتا*، *سوسياسا*) يتراوح عددها غالباً بين عشر وعشرين، وتلف حول رأسها قطعة من قماش قطني أسود ذي خطوط جميلة ومزيّن بريَش (*پوشيّه ميري جيفكه*). وبدلاً من هذا يستخدم العجائز *الكَسْرَوان*، وهو قماش أسود مطرز بخيوط بيض من الحرير.

وعادة تكون المرأة حافية صيفاً. وفي الماضي، كانت تنتعل *الچَكمه* أحياناً، وهو جزمة ذات مقدمة ملفوفة؛ لكنها في أيامنا هذه تنتعل الحذاء العادي (*قوندَره*).

الأزياء في سنه: زي الرجل

لنتحدث باختصار عن الأزياء في سنه، التي يبدو عليها التأثير الفارسي واضحاً. فزي الرجل هنا ايضاً يتألف من قميص أبيض (*سورا*)، لكن الفتحة عند العنق ليست أمامية بل هي جانبية[٢٦]، وليس للقميص أكمام عريضة متدلية. والبنطال (*شرواله*) أبيض اللون وأضيق من الذي يرتديه سكان المنطقة الجبلية.

وفوق القميص يأتي الـ(*تالّيت*) الصغير. أما السترة (بالعربية: *سوخمه*، [والأصح: *زَخمه*]) فقد ظهرت في سنه منذ حوالي ثلاثين سنة. والرداء الخارجي هو الـ(*ألخالخا*)، عباءة لا ياقة لها مبطنة بالقطن ومخططة (*ميول ميول*). والأكمام مشقوقة من المرفق الى الخصر ومعقودة بأنشوطات وأزرار من النوع الذي سبق بيانه (دوگمي *هالكه*). وفي الآونة الأخيرة تم إحلال *الكيبيعا* محل *الألخالخا*. و*الكيبيعا* غير مبطن ومصنوع من مواد مختلفة الألوان لكنّ تفصاله يشبه *الألخالخا*. وفي العادة يسرف الشباب في تطريز كيبيعاتهم.

أما بالنسبة للأزياء التي يلبسونها خارج الدار، فالـ(*عابا*) التي تستورد من فارس ودمشق كانت الزي الشائع في السابق؛ لكن مع بدايات القرن الحالي (القرن

٢٥- مثلاً، كلدان قَرَقوش (بالقرب من الموصل)؛ أنظر هنري فيلد، العرب في وسط العراق، شيكاگو ١٩٣٥، اللوحة ١٣٩ وما بعدها. لايذكر فيلد إسم الثوب. ويصف زي الكلدان: "يرتدون معاطف سود ثخينة (إزار) تتدلى الى الأرض، وتغطي العجائز رؤوسهن بقماش أسود (كَفّية)، فلايُرى منهن غير الوجه والأكف والأقدام العارية غالباً" (ص ٤٣٣). ولايذكر بادجر ولا پيركنس الميلان التصاعدي. ويمكن الحصول على رسم توضيحي جيد لإمرأة كردية تضع معطف الكتف، من مجموعة هيلپريخت، في: فرانز سي. إندرس، تركيا، ميونيخ ١٩١٦، ص ٤٨.

٢٦- "يتميز القميص الفارسي بأنّ فتحة العنق فيه جانبية" (تيلكي، الأزياء، ص ٢٥؛ [ترجمه عن الألمانية رافائيل پاتاي]). وليس لهذا القميص أكمام واسعة متدلية (المصدر نفسه، ص ٨٢).

العشرين – المترجم) حلّت محلها سترة (*ليوادا*) التي لا ياقة لها. أما الشباب الذين يهتمون كثيراً بالأناقة فيرتدون *السَرداري* أو *الكولاچا* الفارسية. وهو رداء ضيق يبلغ الركبة طولاً ومطرّز بخيوط ملونة.

وغطاء الرأس يتألف من قبعة (عَرَقچين) فوقها قبعة من اللباد (كسيلا؛ وبالكردية: كولي) تغطي الرأس بأكمله. ويلف المعمرون شالاً (*دَسمال*) حول *الكسيلا*. وثمّة نوع آخر من غطاء الرأس (چاكي) وهي قبعة طويلة تُصنع من الفراء الطبيعي أو الإصطناعي. ولكون سنه تابعة لفارس، فإنّها باتت هدفاً للعلمنة التي انتهجها رضا شاه؛ وقد أرغم اليهود كغيرهم على ارتداء الزي الأوروپي.

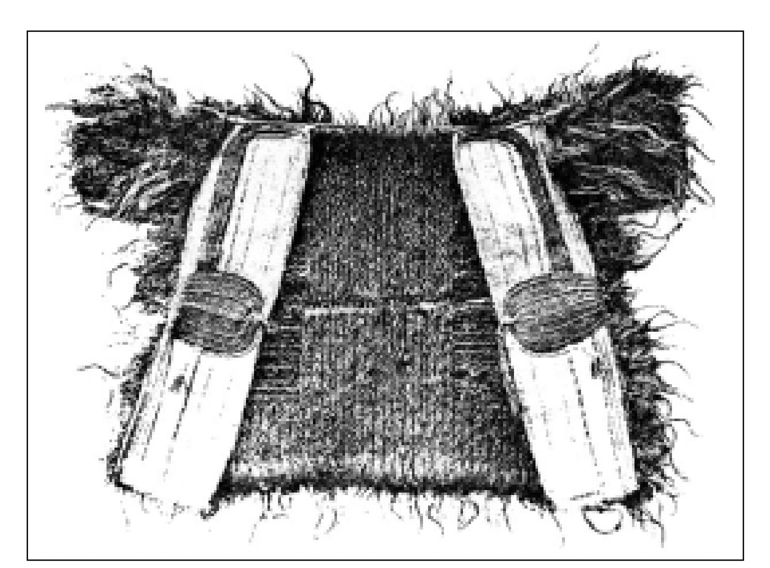
الأزياء في سنه: زي المرأة

كما هو الحال مع الرجال، فإنّ أزياء النساء في سنه تبيّن التأثر الكبير بالنفوذ الفارسي. وتضم الملابس النسائية الداخلية قميصاً (*سورا*) مجرداً من الأكمام العريضة المتدلية الموجودة في العماديه، وبنطالاً طويلاً ملوناً (پانتول).

وفوق البنطال يأتي العديد من الملحقات: أولاً حزام ضيق من القماش (كَمَرْبَند) يُشد على الخصر بخيط ويبقى مشدوداً في الليل ايضاً، ثم تأتي تنورة قصيرة (*شالته*) ثم تنورة أطول (*شروالي لعيفاني*) مبطنة بالقطن لتبدو متينة. وإضافة الى هذا، إعتاد بعض النساء إرتداء تنورة الباليه الفارسية (*شروالا تَنَكا*).

وفوق القميص تأتي بلوزة (*ألخالخا*). وهي مفتوحة من الأمام ولها أكمام فارسية الطراز مشقوقة ذات أطراف مطرزة من الداخل. وقد حلّ الـ(*يَلَك*) مؤخراً محل *الألخالخا*، واليَلَك سترة تشبه *اليلكا* لكن أكمامها عادية. وتُعقَد عند لبسها. والأكمام مشقوقة من الإبط حتى الخصر ويتم ربطها بواسطة خيط مع أزرار. وأحياناً يُقلب طرف الكم. وفي الغالب ترتدي المرأة الـ(*كولا جاه*) فوق البلوزة أو السترة، وهو رداء طويل يبلغ الركبة ومفتوح من الأمام، ويشيع إستخدامه في الشتاء لأنّه يغطي الجسم بالكامل.

وقد إعتادت العجائز في الماضي إرتداء قبعة (*كسيلا*) مع لف قماش من الحرير (پوشين) حولها وفوق ذلك قطعة قماش كبيرة (*لچَكه*) التي تُشَدّ أحياناً تحت الذقن. ومنذ حوالي عام ١٩٠٠ تخلت نساء الأغنياء عن هذا الطراز من أغطية الرأس. وصار يُلف شريط طويل من القماش (*كالاگاهي*) حول *الكسيلا* لتتكون عمامة ثخينة توضع على الرأس مع ميلان قليل الى أحد الجهتيْن، وتزيّن العمامة بالدبابيس والحلي حتى



أحد أنواع المعاطف الكردية (عن بنديه)

أنّ وزنها يبلغ حوالي أربع كيلوغرامات. وتغطي المرأة نفسها، عند إجتيازها الشوارع بقطعة قماش سوداء كبيرة (چارچيو).

تعتبر الجوارب البيض الحذاء المعتاد، والعجائز يلبسن فوقها (*سيامي گورجي*) التي هي أحذية مصنوعة كلية من القماش دون نعل جلدي. كما تُلبس الأحذية العادية، التي تصنع على الطراز الروسي وتسمى (*إروسي*).

والتأثر بأوروپا عند النساء هو بنفس قوة التأثر عند الرجال.

6

المأكل

لدى مقارنة أطباق اليهود الكرد مع أطباق اليهود اليمانيين، نلمس بوضوح إختلافات عظيمة بين هذين المجتمعيْن اليهوديَيْن اللذين يعيشان ظروفاً متقاربة.

يقطن اليهود الكرد واليمانيون منطقتي مرتفعات. لكن اليمن أرض مروية وزراعة الخضروات فيها متطورة. ولاتصلح لرعي السائمة. أما كردستان فهي على العكس من ذلك أرض مراعٍ في الغالب. كما أنّها تتعرض لكميات من الأمطار تكفي لزراعة المحاصيل الديمية وظروفها ملائمة لإنتاج المحاصيل المروية كالفاكهة والخضر.

واليهودي اليماني، كجاره العربي، نباتي بصورة كاملة تقريباً. وحتى في المدن فإنّه لاياكل اللحم إلاّ في أيام السبت والأعياد. والسمن – الزبدة – عنده يُعدّ من طعام المترفين[١] . حيث أنّ الخبز والثريد والخضروات هي الطعام الرئيس لليمانيين؛ أي أنك (وكما ذكرنا مراراً) لاتجد عندهم "الأنواع المترفة" إلاّ نادراً.

لكن الأمر بالنسبة لليهودي الكردي مختلف تماماً. فهو بموقعه الكائن بين الكرد الرحّل والمزارعين الكرد والنصارى، يتمتع بمنافع نوعي الموارد الإقتصادية. واليهودي الكردي أكول للحم؛ وأطباقه حافلة بما يرده من نتاجات حقول الحيوان. وفي الوقت ذاته، تمثل الحبوب والخضروات والفواكه جزءً من أطباقه. وهو يستهلك كل هذه الأصناف من الأطعمة؛ كما أنّ الطعام زهيد الثمن في كردستان. إنّه يحب الأكل، والكمية التي يلتهمها الرجل الصحيح مذهلة. ولهذا نجد بين اليهود الكرد أشخاصاً أقوياء جسمياً وبنيوياً. لكنك تجد نسبة السمنة عندهم (رغم كونهم مغرمين بالأطعمة الدسمة) قليلة وذلك بفضل الظروف المعيشية التي تحول دون ذلك. فكردستان أرض قاسية التضاريس والمناخ؛ ولايستطيع سكانها أن يعيشوا حياة الخمول والكسل التي يعيشها سكان المناطق الأكثر دفئاً.

الخبز

يعد الخبز من الأطعمة الأساسية بالنسبة للكرد الرحّل، ولطالما لاحظ الرحالة بدهشة أنّهم قادرون على الحصول على الخبز من المخيّمات الكردية. وبالنسبة

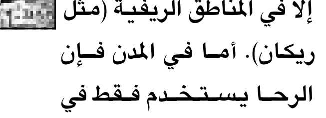
١– أنظر: إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراوَر، الص ١٠٥–١٠٦.

لليهود الكرد فإنّ الخبز يعتبر طعاماً رئيسياً. حيث يتم عادة شراء ما يكفي للسنة كلها من الحبوب للخبز في موسم الحصاد. وبصورة عامة يحصل التجار على جزء من المحصول عن طريق المقايضة.

تحفظ الحبوب داخل جرار عظيمة تحت الأرض[٢] يتسع كلّ واحد منها لحوالي ستين رطلاً (١٥٤ كيلوغراماً)، وتُغلق فوهة الجرة بالطين. وفي بعض الأحيان تحفظ الحبوب ايضاً في قراب من جلد الغنم (في العماديه وزاخو: ميزيده). وفي أشنويه تحفظ بالطريقة القديمة، داخل حفر معدة لهذا الغرض، تسمى *چاله* (بالكردية) التي لاتستخدم في زاخو والعماديه إلاّ عندما يكون هناك فائض في المحصول لاتستوعبه وسائل الخزن الأخرى.

وقبل أن تتطحن الحبوب، تقوم النساء بتنظيفها من الشوائب ثم يغربلنها بغرابيل (*أرباله*) مختلفة الأحجام من حيث النعومة. أما عملية الطحن فتجري في المطاحن المائية (في العماديه وزاخو: *إيرخه*، وفي سنه: *أورخيل*)، التي يملك اليهود بعضها.

وفي زاخو توضع قطعة من الحديد فوق الكيس عند نقل الحبوب (أو الدقيق في بعض الأحيان) الى أو من المطحنة، أما في العماديه فيجري هذا في الحالة الثانية فقط، أي عند نقل الدقيق من المطحنة[٣] . وينبغي أنْ يقدّم أول رغيف يُخبز من الدقيق الجديد الى رئيس العائلة.



نموذج للرحا (عن بنديه)

لم يعد طحن الحبوب بواسطة الرَّحا (في زاخو والعماديه: *گيروستا*) – أصعب مهام المرأة عند اليمانيين (براوَر، إثنولوجيا اليهود اليمانيين، ص ٢٠٨) – معمولاً به في كردستان إلاّ في المناطق الريفية (مثل ريكان). أما في المدن فإن الرحا يستخدم فقط في البيوت لطحن الجريش (*گرسه*) والبرغل (گورگور) والشوفان. ويستخدم الرحا (في

٢– في العماديه وزاخو: كيويرا ، وتجمع على كيواريرا ؛ وفي سنه: *كووارا* .

٣– في ريكان وچالا يُنثر الرماد على الكيس.

زاخو: *كاشكيري*، وفي السليمانية: *دَستار*) لطحن حبوب عيد الفصح. ويتم خزن الدقيق في البيوت داخل وعاء فخاري ضخم ذي أربع قوائم (في زاخو: *سيخوپه*، [وكذلك في العماديه أو يسمى *كواره*]). فمثلاً اذا سألت في يوم الصوم: *آهيت سيما ويتن؟* "هل أنت صائم؟"، يرد عليك غير الصائم: *هي وين سيما سوم سيخوپه* "نعم أنا صائم صوم *السيخوپه*" (هذا في زاخو والعماديه).

في المدن، يصنع الخبز من القمح (*خيته*). وفي أوقات العوز تستخدم الذرة (*خوروڤي*) أو الدخن (*پريگه*، وبالكردية: *گارس*) بدلاً من القمح. أما في الريف، فإن خبز الذرة هو الأساسي، مع وجود إستثناءات. كما أنّ فقراء المدن يخبزون الشعير (*شعيره*) أو الدخن (*تاهله*).

هناك نوعان من الخبز: الذي يُخبز على الصاج، والذي يُخبز في الفرن. ولاتُضاف الخميرة (*خَميره*) الى عجين الخبز (*ليشه*) الذي يُخبز على الصاج. وعندما تقوم المرأة بإستخراج الدقيق من الكيس، تقول: *براخت إيلياهو نيڤي هويا گيوه!* "يا بركة النبي إيلياهو حلّي عليه!"، وعندما تصب الماء في العجين تقول همساً لعدة مرات: *شيم شادّاي!* [بالعبرية وتعني "بسم الله"]؛ ثم تعجن العجين في إناء العجن[4] وتقول: *إيداسيت سارا إيمينو هيوه گيوه رزقت فَقيره جيره ماميِّلت گيوه* "لتكن يد أمنا سارا فيه، وليكن فيه العون للفقراء البائسين" (في العماديه).

توضع قطعة من العجين (*گوسه*)[5] على منصة الخبز الواطئة (*خوانه*). وتصنع *الخوانه* في العماديه وزاخو من *الگاسه* [الطين]، ويتم بسط قطعة العجين أولاً بواسطة محدلة خبز غليظة (*دورينا*)، ثم بأخرى رفيعة (في زاخو والعماديه وسنه: *گيره*)، ليصبح العجين قرصاً دائرياً منبسطاً (*طلومصه* [*طلومثه* أو *طلوما*]). وتوضع *الطلومصه* على الصاج (*دوگا*، في العماديه وزاخو ودهوك وأشنويه وسنه؛ وبالكردية: *ساج*) بواسطة عصا. والصاج هو عبارة عن إناء حديدي مقعر قليل العمق، يشبه مقطعاً من كرة جوفاء، ويوضع بصورة مقلوبة على *الكانونه* أو على فرن (*تَنور* أو [*تنورا*]). ويشوى الخبز من الجهتين قليلاً ثم يُرفع ليوضع في سلال.

وهذا النوع من الخبز (*لاخميت دوقا* أو *لاخميت رَقيقا*، الخبز الرقيق) هو الذي يستخدم للأكل عادة، وخاصة في فصل الشتاء عندما يصعب الخبر بواسطة التنور.

٤- في العماديه: *تَشته*، وفي سنه: *مَركان*.

٥- المراحل المختلفة في عملية صنع الخبز هي: *ليشه*، *گوصه*، *پاتوحيت گوصه*، *دَوّارته*، *طلومصه* (في زاخو والعماديه).

وفي العماديه تُخبز كمية من *لاخميت دوقا* تكفي لأسبوع دفعة واحدة. وهناك عائلات تخبز في كل مرة كمية تكفي لأسبوعين. واذا يبس الخبز يتم تليينه برشه بقليل من الماء. وفي مناطق أخرى تجري عملية الخبز مرة أو إثنتين كل أسبوع.

أما الخبز المخمّر وهو أثخن من *لاخميت دوقا* فيُخبز في فرن. إذ يُترك العجين بعد إضافة الخميرة إليه طوال الليل. و*التنور* يبدو وكأنّه برميل خزفي يوضع على الأرض أو يُدفن فيها. يُحرق بداخله الخشب حتى تسخن جوانبه.

وكما في *لاخميت دوقا*، يُبسط العجين على منصة خَبز الى أرغفة أكثر أو أقل رقة، ثم يوضع الرغيف على وسادة الخبز[6] ويُلصق بالجدار الداخلي *للتنور*. وعندما يصبح الرغيف جاهزاً يُستخرج بواسطة قضيبيْن.

وبينما يأكل يهود الحضر خبز الحنطة (كما ذكرنا)، فإن يهود القرى يأكلون الخبز المصنوع من الذرة. وخبز (پريگه) الثخين غير المخمّر الذي يُخبز على *الدوقا* يسمى *تَپْتَپينكه* في مناطق بيتنوره وريكان (والإسم الكردي هو نفس هذا الإسم)[7]. وفي هذه المنطقة، فإنّ الخبز المخمّر الذي يُخبز في فرن *الكانونا* يسمى *كوليره* أو *كولوره* (في العماديه) وهو مستل من الإسم اليوناني[8] κολλύρα

وإضافة الى الخبز، يخبز اليهود الكرد عدداً كبيراً من أنواع الكعك والخبز الممتاز، كالأنواع التي يتم إعدادها في أيام الأعياد والمناسبات.

أطباق اللحم

ذكرنا فيما مضى أنّ اليهود الكرد بخلاف اليهود اليمانيين أكّالون للحم الرخيص الثمن ومتوفر بكثرة في كردستان. حيث أنّ البنية الإقتصادية لكردستان ترتكز على العدد الهائل من الماشية. وتتألف قطعان الكرد الرحّل في أغلبها من الغنم والماعز. في حين أنّ الأبقار قليلة، وذلك يعود الى عدم ملاءمتها لمراعي البلد الجبلية.

وفي المدن، يمكن الحصول يومياً على لحوم الحيوانات المذبوحة. لكن هذا غير ممكن في الريف، فرغم وفرة الحيوانات، نجد *الشوحيط* الذي يقوم بالذكاة الشرعية

٦- في العماديه: *مارزاگ*، وفي سنه: *مازراگه*، وفي أشنويه: ريفيده.

٧- أي. ژابا، قاموس كردي فرنسي، سانت پيترسبورگ ١٨٧٩، ص ٩٤: *teptepe*: خبز دائري.

٨- ژابا، القاموس، ص ٣٠٩.

٩- في العماديه: كيثيثا وتجمع على *كيثياثا*؛ والديك الصغير هو: *وارك* أو فروج. والديكة، *ديكل*، لاتؤكل إلاّ قليلا.

غير متوفر. لذا لاياكل اليهود القرويين اللحم الطازج غير مرتيْن في السنة، ويعتمدون في ما تبقى منها على اللحم المحفوظ، الذي يخزنون منه كميات كبيرة.

ولحم الضأن (پسريت *إربه*) هو أكثر أنواع اللحم شيوعاً، ويفضل لحم الشاة (في زاخو والعماديه: *إيوانتا*، وتجمع على: *إوينه*). أما لحم الماعز (*إزه*) فهو غير مرغوب. ويسمى پسريت كومه "لحم الأسود"، على العكس من پسريت هوويره "لحم الأبيض" الذي هو لحم الضأن (في العماديه وزاخو).

أما يهود سنه، فيفضلون لحم البقر (*پسريت تورا*). وفي أماكن أخرى يقتصر أكل اللحم البقري على الشتاء، حيث يترك البقر في الصيف ليرعى ويسمن.

وأفضل أنواع اللحوم هو لحم الدجاج[٩]. فلاينبغي أن يخلو منه عشاء السبت أو طعام أي عيد آخر، كما أنّ هناك من بين إحتفالات الزواج أمسية تسمى *ليل كثيثا* "ليلة الدجاج"، بسبب العدد الكبير من الدجاج الذي يُستهلك في تلك المناسبة. وتقدّم قطع الدجاج الباردة كمزّه، المقبّل الكردي الذي تبدأ به كل الإحتفالات.

وهناك طائر آخر مستطاب هو *كوكوينا* أو *كوكوانتا*[١٠] وهو نوع من الحجل (*Perdix cinerea*). هذه الطيور يصطادها الكرد وهي حية ويبيعونها الى اليهود الذين يربونها داخل أقفاص (*سوته*، [في العماديه: *ليسه*]) كطيور داجنة، إذ أنّ تغريد هذه الطيور يطربهم. بل أنّ ولع البعض من اليهود الكرد بالـ*كوكوانتا* دفعهم الى جلبها معهم الى فلسطين عندما جاؤا اليها.

كما يؤكل العصفور الدوري[١١]. وينبغي أن تكون ذكاته شرعية. ويتم إصطياد هذه العصافير بشراك[١٢]. وعندما يمسك الأطفال بعصفور يمسكونه من رأسه ويغنون: چوچه چوچه *قوينا باده، گازا نَده، ديته بَردَم* "يا عصفور، يا عصفور، هزّ ذيلك، ولاتصرخ، فسأطلق سراحك" (في زاخو، بالكردية). وتُشك العصافير في أبر حديدية طويلة وتشوى على النار. ويأكلها الأطفال أو تقدم على أنّها مزّه.

١٠- *كيكوانا* أو كوكوانا (آرثر جَي. ماكلين، قواعد لهجات السريانية العامية...، كمبرج ١٨٩٥، أكسفورد ١٩٠١، ص ٢٨٤) وكوكوانتا (مارك ليدزبارسكي، ص ٥٥٧)، هو الحجل الآسيوي ذو السيقان الحمر.

١١- في زاخو: *چوچكثا* وتجمع على *چوچكييثا*؛ وفي العماديه: *سيخاندوك*؛ وفي سنه: ميريژي.

١٢- في العماديه: *تاپيكسه* (المأزق) أو *فَرهاكيياثا* (الشَرك). يحرم على اليهود إصطياد الطيور بمصائد مصنوعة من أغصان الليمون لأنها قد تؤدي الى كسر ساق الطائر.

اللحم المحفوظ

يحتل اللحم المحفوظ جزءً هاماً من موائد اليهود الكرد. وهناك أنواع عدة من اللحم المحفوظ، فالنوع الذي يُحفظ بكميات كبيرة يسمى *قَليه*، ويصنعه الكرد ايضاً، و*القاورمه* وهو لحم بقر مملّح يبقى صالحاً للإستعمال لأكثر من سنة ويُستخدم في أطباق السبت. و*القاورمه* غير معروف عند الكرد.

إنّ الإستخدام الواسع للحوم المحفوظة يعود لسببين. الأول، أنّ اليهود في الكثير من التجمعات السكانية الصغيرة قد لايكون بينهم *شوحيط* مقيم ولايزورهم *الشوحيط* الذي يعرف الذكاة الشرعية إلاّ في فترات متباعدة، وهذا قد يجعلهم يفتقرون الى اللحم ما لم يخزنوه. والثاني، أنّ حفظ اللحم يمكّنهم من الإنتفاع بحيوانات الخريف السمينة وضمان توفير كمية من اللحم الجيد السمين للشتاء حيث لاتوجد المراعي.

إنّ عائلة كبيرة نسبياً تذبح حوالي ثمانية نعاج سمينة لحفظ لحومها بطريقة *القَليه*، الطريقة الأكثر إستخداماً لحفظ اللحم. وتجري العملية في الطابق العلوي من المنزل، حيث تقطع الألية (في العماديه: *إليثا*) الى قطع صغيرة تغلى حتى تذوب. وينبغي الإحتراز من خلط سمن الحيوان الذكر بسمن الأنثى: إذ يُقال أنّ الأجناس تتنافر؛ ولايغلي السمن. بعد ذلك يتم تقطيع الجثة الى قطع كبيرة يتم غليها على نار هادئة. أما قطع السمن التي لم تذب فتسمى *سيسكه* وتستخدم لصنع زيتت *سيسكه*، وهو نوع من الخبز يُخبز على *الدوقا* ويحتوي البعض من هذا السمن غير الذائب (في العماديه). وفي النهاية، يُصب السمن السائل على قطع اللحم الناضجة تماماً؛ ويوضع اللحم بعدما يبرد في أوعية كبيرة (*سيدانكا*) مدفونة تحت الأرض. تملأ عائلة كبيرة عشراً أو إثني عشر منها، حيث يقدر أن يكفي الواحد منها لشهر. وتؤكل *القليه* من *السوكّوت* الى *السوكّوت.**

و*القَليه* الخاصة عيد الفصح، يتم إعدادها بعناية فائقة، تراعى فيها تعاليم *حامس* بدقة، يضاف اليها عدم حضور المرأة الحائض والطفل إعدادها (في العماديه).

* *السوكّوت* (أو *السوكوس* أو *السوكوث*: من الأعياد اليهودية، يمتد لثمانية أو تسعة أيام، من شهر تشري (الشهر الأول في التقويم المدني اليهودي، والسابع في التقويم الإكليريكي. يأتي غالباً في تشرين الأول ويحتل أحياناً جزءً من أيلول). ويبنون في هذا العيد سقائف موقتة إحياءً لذكرى اليهود الذين بنوا السقائف في فترة التيه في الصحراء، ويسمى ايضاً عيد السقائف. سفر ليڤيتيكوس ٢٣:٣٣-٤٤. (المترجم).

والنوع الثاني من اللحوم المحفوظة هو اللحم البقري المملح (في العماديه وزاخو وسنه: *پسرا قاورمه*، أو في العماديه: *پسرا ماكسود*، [بلغة التارگوم: *پسرا دويكا* أو *پسرا كفيتا*]؛ وفي زاخو: *پسرا كزيدا*)، وهو كما ذكرنا غير معروف عند الكرد.

وتصنع *القاورمه* فقط من لحوم الثيران أو الأبقار السمينة جداً، كتلك التي يجيد السريان (النصارى) تربيتها. وتهيّء كل عائلة يهودية واحداً من هذه الحيوانات في *هانوكّا**. ويقطع اللحم الى شرائح تخلل داخل أوعية طويلة مدفونة (*إيلينا*)، تغطى بغطاء من جلد، ليبقى اللحم حتى شاڤوعوت. وأثناء إعداد *القاورمه* يغني يهود سنه:

قاورمَيْ يَزانمانه: لحم مخلل من لحم غنمنا

جَژني خومانه: إنه عيدنا

قاورمَيْ يَزانه: إنه لحم غنم مخلل

گوشت هَرزانه: اللحم رخيص الثمن

وفي الريف يحفظ اليهود اللحم بطريقة ثالثة هي التجفيف، واللحم المجفف يسمى *پسرا ڤيسا* (في أربيل وريكان وهوره، ونيروه وچالا وكاكون)[١٣]. حيث يملّح لحم الحيوانات المذبوحة في سوكّوت، وخاصة الأبقار، ويُعلّق حتى يجف. ويُحفظ حتى عيد الفصح.

ويعد النساطرة *التيليه* بطريقة مشابهة. لكنهم يعلقون جثة خروف كاملة، ثم يقطعون منها جزءاً من حين لآخر. ويؤكل البعض من هذا اللحم دون أن يُطبخ.

منتوجات الألبان

تفوق مشتقات الحليب في الأهمية، عند شعب كردستان، اللحم ومشتقاته. فالأعداد الهائلة من الأغنام والمواشي تزوّد السكان بكميات من الحليب هي أكبر بكثير مما يمكن لهؤلاء إستهلاكه.

ويعدّ الحليب الذي يأتي من الأغنام والماعز التي يملكونها، والأنواع الكثيرة من

* الهانوكّا أو هانوخا: الإحتفال السنوي اليهودي بذكرى إستعادة الهيكل في القدس بعد إنتصار اليهود في ١٦٥ ق. م. على السوريين الذين دنسوا الهيكل؛ وهو عيد الإسترداد؛ وعيد الأنوار. حيث توقد الشموع طوال كلّ أيام العيد الثمانية. ويسمى ايضاً *چانوكا*. ويأتي هذا العيد في شهر *كيسليڤ* (الشهر التاسع في التقويم الإكليريكي اليهودي، والثالث في التقويم المدني، ويوافق أجزاء من شهري تشرين الثاني وكانون الأول). (المترجم).

١٣- يسمى في بَرَشه وريكان ايضاً *پسرا كادت*. ويمكن أن يؤكل دون طبخ.

مشتقاته من الأغذية الأساسية للرحّل من الكرد. حتى أنّه في بعض المناطق لاتحتل الحبوب إلاّ مساحة قليلة جداً من موائدهم. والخبز هو من الكماليات فلايمكن الحصول عليه إلاّ في بعض المناسبات، في حين أنّ الحليب والجبن هما الطعام الوحيد المتوفر. وهذا التضخم في إنتاج الحليب يؤدي عادة الى هبوط في أسعار منتوجات الألبان.

ورغم أنّ اليهود أقلّ شبهاً بالكرد الرحّل منهم الى السكان المستقرين الذين يعيشون عادة على الحبوب والخضروات، فإنّ منتوجات الألبان تتمتع بدور هام في موائدهم وخاصة في الأرياف، حيث لاياكلون اللحم إلاّ في السبت. ويحصل اليهود على الجزء الأكبر من الحليب ومنتوجات الألبان من الكرد. رغم أنّ البعض من اليهود يمتلكون الأغنام والماعز أو البقر. ولكون قطعان الأغنام تفوق بما لا وجه فيه للمقارنة قطعان الماعز والبقر، فإنّ منتوجات الألبان هي في الغالب من حليب الغنم.

والحليب الطازج (في زاخو وسنه: *حالڤا* ، [وفي العماديه: *خالڤا*]، وبالكردية: *شير*) قليل الإستعمال، إذ أنّه يقدم فقط للأطفال والمرضى. والحليب المختر (اللبن الرائب) هو الذي يلقى الحظوة في كردستان، كما هو الحال في أغلب البلاد التي يتخذ أهلها تربية الحيوانات[١٤].

ولصنع اللبن (*ماستا* بالفارسية، و*ماست* بالكردية)[١٥]، يصفى الحليب الطازج ويسخّن، ثم يضاف اليه القليل من اللبن الرائب (في زاخو والعماديه: *هَوين*)، ثم يترك حتى صباح اليوم التالي. وتطفو القشطة (في العماديه: *سَرتون*، وفي زاخو: *سَرتيكا*)[١٦] على السطح. ويُستخدم *ماستا* إمّا لصنع الزبدة أو كأحد مكوّنات الأطباق الأخرى. ولصنع الزبدة يوضع *الماستا* في ممخضة (في العماديه وبَرَشه، بالكردية: *مَشْكه*، وبلغة التارگوم: گوده)[١٧] التي هي عبارة عن قربة من جلد غنم. معلّقة على شجرة تقوم المرأة بخضّها وهي تغني "أغاني الخضّ".

ثم يتم تفريغ الممخضة من الزبدة الحلوة (في العماديه وزاخو: *نيڤيشك* أو *كَره*)

١٤- أنظر مثلاً: براوَر، *Zuge aus der Religion der Herero* (أنظر نتاجات المؤلف)، الص ٤٨-٤٩ و٥٥.

١٥- ماكين، علم النحو، ص ١٨٦.

١٦- ژابا، القاموس، ص ٢٣٩. سَر-تو "زبدة الحليب التي تستخلص من حليب غير بقري".

١٧- حول الممخضة الكردية أنظر: مارتيني، *Kirne und Girbe*، ص ٩٧ (نشره أف. فون لوشن)؛ أنظر ايضاً الصورة التوضيحية رقم ٨١، الحامل الثلاثي والممخضة. هذا ولم يورد مارتيني إصطلاح مَشْكه.

والراشح المتبقي يسمى (دوو). وينبغي إستخدام الزبدة الحلوة وهي لاتزال طازجة. وهي تؤكل، مثلاً، مع الشاي (نيڤيشك چاي). ويضاف الملح الى الزبدة اذا أريد حفظها لأية فترة. والزبدة المملّحة تسمى مشكا (في العماديه وأشنويه)[١٨].

ويستخدم اللبن في الطبخ، خاصة في الربيع والصيف حيث يرتفع إنتاج الحليب. ويؤكل *ماستا* مع البرغل ايضاً. ومع جذور *كارانگه* (الذي يسمى في اللهجة العراقية الدارجة كعّوب – المترجم) [في العماديه: كَنگر؛ جذور ذات أشواك وأوراق غليظة] يتم تقطيعه الى قطع صغيرة تشكل مع *الماستا*، *كارانگه ماست* (في زاخو) أو كَنگره گو *ماستا* (في العماديه) الذي يُقدّم للعروس في مراسيم تَبَقه.

والجبن (في زاخو والعماديه وسنه وأشنويه: گوبتا؛ وبالكردية: پَنِر أو پَنير) هو منتوج آخر من منتوجات *الماستا* (يبدو أنّ ثمّ إلتباساً هنا فالجبن يُصنع من الحليب وليس من اللبن، *ماستا* – المترجم). وفي بعض الأحيان يُجفف گوبتا ويُحفظ للشتاء.

أما (دوو)[١٩] الراشح الذي يتخلّف عن عملية الخضّ، فهو مشروب واسع الإنتشار، فليس هناك مادة أخرى تتقدم عليه في الكمية التي تستهلك منه صيفاً.

ويستخدم جزء كبير من الحليب المزال عنه القشطة في صناعة الجبن الأبيض (في العماديه وسنه: *كَشْك*). ويتم خزن كمية من الكَشْك المجفف للشتاء، حيث يُجرَش (في ميگو: مجرشة) ويُذاب في الماء كما هو الحال مع مسحوق الحليب المجفف. كما يُطبخ *الكَشك* المجروش مع جريش الحنطة لتصنع منه كَشْكيّه (في العماديه). [يصنع الجبن في كيس يسمى دوعيت كيستا، كيس الجبن. وهذا الجبن خالي الدسم. وعند تجفيف هذا الجبن بتعريضه الى الشمس فإنّه يتصلّب وعندها يسمى *كَشْك*. و*الكَشْك* الذي يتم تليينه في الماء، يُطبخ مع الرز والعسل أو الزبدة. وفي العماديه يُطبخ *الكَشْك* مع البرغل، أو ما شابه، وهذا الطبق يسمى كَشْكيّه].

وهناك *ژاژيك* الذي يُصنع بإضافة *سيابو*، وهو نوع من العشب يشبه الكرفس، الى *الدوو* المحفوظ في *ميزيدا* التي هي قربة مصنوعة من جلد [غنم] (ماكلين، القواعد، ص ٤٣). وهذا يؤكل شتاء في العماديه مع الشاي في وجبة الفطور.

١٨– *مشخا* (في زاخو والعماديه بالكردية: روني؛ وفي أشنويه بالكردية: روم) هو الزبدة المائعة.

١٩– أنظر: ماكلين، القواعد، ص ٦١؛ ژابا، القاموس، ص ١٩١؛ جَي. دي مورگان، بعثة علمية الى فارس، پاريس ١٨٩٥، ص ١٤٣. "وهو عبارة عن خثرة اللبن ومصله مضافاً اليه الماء، ذو حموضة خفيفة، وبارد عادة لأنهم يحفظونه في جلد مسامي – وهو أكثر المشروبات المتوفرة إنعاشاً" (إي. بي. سون، رحلة متنكر الى ميسوپوتاميا وكردستان، لندن ١٩١٢، ص ١٦٨).

الخضروات (بيركه)

سبق وأن ذكرنا أنّ اليهودي الكردي يشبه الكرد المستقرين في المدن والقرى من المزارعين أكثر مما يشبه الكرد الرحّل. ومائدته منوعة تضم الخضروات والبقول إضافة الى اللحم ومنتوجات الألبان.

وأكثر الخضروات شيوعاً في العماديه: *باعنجاني سموكه* (الطماطة) و*باعنجاني كومه* (الباذنجان) و*بادونس* (البقدونس) و*باميا* (البامية) و*بسله* (البصل) وكَليم (اللهانة) و*توما* (الثوم) و*قرعا* (القرع) والحمص [حُمُّص] والبقول [في العماديه: *فاسولي* أو *لوبيا*].

البرغل والرز

يمكن للمرء الجزم بأنّه ليس ثم طبق لحم أو لبن يأكله اليهود الكرد دون أن يكون من مكوناته البرغل أو الرز. ويتم إعداد البرغل (في العماديه: گُرگُر، وفي زاخو: گرگُر) كالآتي: يتم غلي الحنطة في *ماريگلا* [إناء] كبير حتى تنتفخ الحبوب. بعدها تُنشر هذه الحبوب المغلية على الأرض حتى تجف، ثم تُدق من قبل شابّيْن قويين يجلسان متقابليْن ويدقان *الگُرگُر* دقاً إيقاعياً متناغماً بقضيب خشبي (في العماديه: *داگوچك*، وفي زاخو: ميكوتك، وفي سنه: ميكوت). ويُرشّ *الگُرگُر* بالماء في أثناء عملية الدق؛ وعندما تنتهي العملية، يُنشر *الگُرگُر* على الأرض ثانية حتى يجف. وفي صباح اليوم التالي تدعو ربة البيت مجموعة من البنات الى دارها لمساعدتها في طحن *الگُرگُر* بواسطة الرحا، وبعد الطحن يُخزن في أكياس من الجلد (ميزيده). وتوفر كل عائلة حوالي عشرة من هذه الأكياس لنفسها.

وتجدر الإشارة الى أنّ يهود العماديه وريكان وضواحيهما يحضّرون *الگُرگُر* في ليالي *أومر* [أي بين عيد الفصح وشاڤوعوت]*. وفي زاخو، يتم تحضير كمية قليلة خلال هذه الفترة، أما الكمية الرئيسية فيتم تحضيرها في ليالي *سيليحوت* من**

* *ليالي أومر*: تسع وأربعون ليلة تفصل بين عيد الفصح وشاڤوعوت، يحرّم فيها المتشددون من اليهود حفلات الزواج والإحتفالات الأخرى إلاّ في يوم *لاگ با أومر*. (المترجم).

** *سيليحوت*: أيام الصوم في الأسبوع الذي يسبق روش *هاشانا* (وهو من المناسبات المقدسة، يحتفل فيه بالعام الجديد في اليومين الأول والثاني من شهر تشري – أي في شهر أيلول حسب التقويم الميلادي) والأيام العشر، بين روش *هاشانا* ويوم كيپور (يوم الصوم تكفيراً عن الخطايا، ويسمى يوم التكفير، وهو من أقدس أيام التقويم اليهودي، ويصوم اليهود اليوم والليلة بالكامل =

[شهر] *إيلول****.

أما الرز (*رزا*؛ بالكردية: برنج) فرغم أنّه يزرع في كردستان، إلاّ أنّه يعتبر من الكماليات، لذا فإنّه يلعب الدور الأساس في الوجبات التي تقدم في الإحتفالات والأعياد. ولاينبغي أن يمرّ أيّ منها دون تقديم *رزا كيثيثا* "الدجاج والرز" أو *رزا كوكوانا* "الحجل والرز". وفي أثناء الإحتفال بالزواج تبعث عائلة كلٍّ من العروسيْن الى الأخرى بصينية من الرز "تتوّجها دجاجة".

ويتم إعداد الرز بطرق عدة. ويسمي الكرد الرز باللحم *پلاو*. ويأكل يهود سنه ايضاً *اليلاو* مع مختلف أنواع الأطعمة الأخرى. وفي العماديه ثمّة طبق شهي من الرز واللحم [المغلي في الماء والزيت] يسمى *رزا كابولي*. أما الرز مع *الدوو* فيشكل *گـولول* (في العـمـاديه) الذي يؤكل مع الزبدة المذابة والعسل. (في چالا ونيروه وريكان: *مادرا*).

وهناك نوع آخر من أطباق الرز يمكن أن نقول عنه بأنّه الطبق الوطني لليهود الكرد، ألا وهو *اليَپراخ* أو *اليايراخ* (في زاخو والعماديه وسنه)[٢٠].

اليپراخ الحقيقي هو الرز الملفوف في أوراق العنب. ويتم إعداده بصنع كرات من الرز المخلوط بالزبيب وأحياناً باللحم ايضاً ويتم لفها في أوراق العنب، وتصف داخل قدر بعناية في صفوف دائرية متجاورة. ويضاف اليها القليل من الماء والشحم؛ ثم يتم غليها ببطء لساعات، وربما طوال الليل، على نار هادئة. ولغرض توفيرها في الشتاء، فإنّ أوراق العنب تجفف في الربيع وتعلق في خيط لحين الحاجة اليها. واذا تم إحلال اللهانة محل ورق العنب، يسمى الطبق حينها *بيپراخ كَلَمي*. أما *بيپراخ پشيش*، فيتم إعداده بتقطيع أوراق العنب الرقيقة النضرة وخلطها بالرز (في العماديه وزاخو، وتختص باليهود وحدهم). ويُطبخ *اليپراخ* بالزبدة ايضاً، ويسمى عندها *بيپراخ مشكا* ويقدّم مع *الدوو*.

=(٢٤ ساعة) ويوافق العاشر من تشري – أي نهاية أيلول أو أوائل تشرين الثاني). (المترجم).

*** إيلول: الشهر الثاني عشر في التقويم المدني اليهودي، والسابع في التقويم الإكليريكي، ويوافق شهر أيلول في التقويم الميلادي وأحياناً يبدأ في أواخر شهر آب. (المترجم).

٢٠- في أشنويه: *دولمه* (ماكلين، القواعد، ص ٦٢)، وبالتركية: *طُلمه*، وبالعربية: *فبراغ*؛ وفي العماديه بالكردية: *إپراخ*، وفي زاخو بالكردية: *دولَمه*. وهو عبارة عن الكوسه أو الطماطة المحشوة بالرز.

الكبة

يمثل الرز أو جريش الحنطة (*گريسه*) المادة الأساسية لطبق وطني آخر من أطباق اليهود الكرد، هو الكبة (في زاخو والعماديه: *كوتَل*، وفي سنه وأربيل: *كُفته*). واليهود مولعون غاية الولع بهذه الأكلة، وبإمكان أحدهم تناول أعداد مذهلة منه – عشرة أو أكثر – في وجبة واحدة.

ولصنع *كوتَل پسرا* يُهرس اللحم في هاون (*ماكينا*) لتُشكّل منه كرات مع الرز، ويطبخ في *دهينا*، شحم الالية. وتضاف اليه غالباً أمعاء الغنم المحشوة بالرز (في العماديه: *كيسا*). وهناك ايضاً العديد من الأنواع الأخرى للكبة، مثل *كوتَل رزا*، كبة الرز، و*كوتَل گيرسا*، كبة الجريش. و*كوتَل* هو أفضل أشكال *الميبوسا – الحامّيم*، الذي هو الغذاء الساخن في السبت عند اليهود الكرد[٢١]. وفي سنه يطلق المسلمون على الكبة إسم *كُفتَيْ موسايِيَكان*، أي "كبة اليهود"، أو *كُفتَيْ شَمّه* "كبة السبت". وفي العماديه تسمى الكبة *كوتلكت شَمبيي* "كبة السبت"، أو *كوتلكت جِيِيا* "كبة اليهود". ويأتي الكرد الى اليهود طلباً *للكوتَل* لإعطائه لمرضاهم إذ يعتقدون أنّ فيها شفاءً من الحمى (في العماديه).

وتطبخ الكبة عادة مع مرق الخضروات، وخاصة مرق الخضروات الحامض *خاموصتا*[٢٢]، الذي يُستخدم فيه العديد من أنواع الخضروات، حسب الموسم. ويُجعل طعمه حامضياً بواسطة *السموكه* ويطبخ مع اللحم. فمثلاً المرق المعهود في عيد پيوريم* هو *خاموصتا كووي*[٢٣] "المرق الحامض للأعشاب البرية" ويُعدّ من البصل وأوراق الثوم و*السموكه*. [*سموكه* أو *سماق* نوع من الخضروات ذو مذاق حامضي]. ومرق *كوتَل خاموصتا* الحامض ذو الكبة كبيرة الحجم المصنوعة من الجريش و*القَليه* – من المأكولات الشائعة في أطباق أمسيات السبت (في زاخو).

و*مَسلوقه* هو نوع آخر من المرق يُطبخ في الربيع (في زاخو والعماديه). وهو عبارة

٢١- في سنه، يسمي المسلمون الكبة *كفْتَيْ موسايِيَكان* "كبة اليهود"، أو *كفْتَيْ شَممه* "كبة السبت"؛ وكذلك في العماديه تسمى *كُتيلكت شَمبِيي* أو *جووا*. ويأتي الكرد طلباً *للكوتَل* لمرضاهم، حيث يعتقدون أن فيه شفاء من الحمى (في العماديه).

٢٢- ماكلين، القواعد، ص ١٠١؛ *هاموستا* (ألقوش) "طبق حامضي مشبع بالخل".

* پيوريم: عيد ديني سنوي، يُحتفل به في شهر شباط أو في آذار، في ذكرى إنقاذ إيستر (الزوجة اليهودية للملك الفارسي أهاشورا – ورد ذكرها في سفر عيزرا وسفر إيستر) الشعب اليهودي من الهلاك على يد هامان. (المترجم).

٢٣- ژابا، القاموس، ص ٣٥٠، *كووي* "الوحشي".

عن مرق الشحم واللحم الذي تُسلق فيه كوتَل گرسا المصنوعة من شحم الالية. [وثمة نوع آخر هو مَرَقت ليلاثا، الذي هو مرق أوراق البنجر، الذي يُصنع من أوراق البنجر الطرية قبل أن ينمو الجذر تماماً. ويسمى هذا المرق في العماديه أبكا بَرسلقا ايضاً].

السمك

السمك (نونيثا، والجمع: نونياثا؛ وبالكردية: ماسي) رغم وفرته في مياه كردستان، فإنّه نادراً ما يؤكل من قبل الكرد، وأحياناً من قبل اليهود – دون أن يكون مرغوباً بصورة خاصة.

يأكل اليهود السمك عادة في أعياد پيوريم، والفصح، وفي مساء روش هاشانا، وهانوكّا. ويتم إصطياد السمك بواسطة مادة سامة (دَرمان [في العماديه: دَرمان نونياثا، سم السمك])، تتكون أساساً من ذرق نوع معيّن من الطيور، ويضغط السم على شكل قرص يتم حشو ديدان الأرض به، وتلقى الديدان في الماء وحالما تلتهم الأسماك تلك الديدان فإنّها تطفو على سطح الماء مسمومة (في زاخو ودهوك والعماديه).

كما يتم إصطياد السمك بواسطة سلال (سُوتا) أو شباك، شَبَكه، [أو ميروخاك وهو عمود طويل مزود بإطار خشبي دائري تثبت عليه شبكة قطرها حوالي متر واحد]، أو بواسطة الخيط والسنارة. ومن وسائل الترفيه عند الأغنياء الجلوس الى شاطيء النهر مساءً لصيد السمك بالسنارة (في زاخو ودهوك: شيصا [وفي العماديه: شاصا]). وكذلك يأتي الكرد المسلمون بالسمك من الأنهار البعيدة ويعرضونه في السوق ليشتريه اليهود.

ويؤكل السمك إما بقليه في الزبدة أو بتحميصه. ويتم التحميص بوضع الماء في القدر ثم توضع في قعر القدر عصيّ لتشكل حاجز قضبان وتوضع طبقة من لحم السمك فوق هذه العصي، ثم تأتي طبقة أخرى من العصي فوقها طبقة من السمك وهكذا. بعد ذلك يُغطى القدر بإحكام ويوضع على نار هادئة (في العماديه).

المزّه

لاتبدأ أية وليمة إحتفالية عند اليهود الكرد بالطعام المعد للوليمة نفسها. بل تسبقها عادة ساعة أنس يتخللها الرقص والغناء ويتمتع فيها الضيوف بالعرق

والمزّه[٢٤]. والمزّه تتألف من سمك بارد ودجاج أو كوكوانا، حجل، بارد ولحم محمّص أو مغلي، والعرهون [في العماديه: كوارك وفي مناطق أخرى: كاما وهو نوع من الفطر غير معروف في العماديه]، والفاكهة والجوز. وغالباً ما يأتي الرجال بمزّتهم معهم (كما في مساء السبت)؛ ويدعو كلٌّ جاره ليشاركه فيها. أما وجبة الطعام فتأتي بها النساء فيما بعد، ما لم يجهزها المضيف بنفسه.

الحلويات

ليس اليهود الكرد مغرمين بالحلويات. فالحلوى يتناولها الأطفال بصورة رئيسة. لكن مخروط السكر (في العماديه: ريش شَكَر)، كما هو الحال في فارس[٢٥]، يتمتع بمكانة هامة خاصة في مجال التهادي. وإضافة الى كونه نوعاً من الحلوى فإنّ له قيمة خاصة في المراسيم الإحتفالية. فمثلاً في مراسيم شيريني خوران "أكل الحلوى" المتعلقة بالخطبة في سنه، (أنظر ص١٢٤). والى جانب مخروط السكر، هناك العديد من الحلويات الرئيسة عند الكرد وهي عصير العنب [المغلي] (مي پوختا) (الدبس – المترجم)، والعسل، والمانّا (مَنّ السما – المترجم). وعصير العنب (ميپوختا) يصنع عادة من عنب ذي نوعية رديئة. والمانّا كثير في كردستان. [ووفق مصدر معلوماتي، فإنّ المانّا يسمى في العماديه بلغة التارگوم أرعورا. والمانا يوجد عادة على أوراق الأشجار، وخاصة أشجار البلوط. ويتم الحصول عليه بفرش قطعة قماش تحت الأغصان، التي يجري هزّها حتى يسقط المانا على قطعة القماش]. ويعتقد اليهود أن المانّا هو نفسه المن الذي أنزل على بني إسرائيل عندما تاهوا في الصحراء. لذا فإنّه كثيراً ما يرد ذكره في كتابات الرحالة ونادراً ما تجد رواية لأحداث رحلة الى هذه المنطقة تخلو من ذكره. إذ يقول بنيامين الثاني: "من المظاهر غير العادية الأخرى التي تذكرنا برحلة اليهود في الصحراء، هو المن الذي يكون هنا على شكل حبات تسقط مع الندى. والحبات ذات لون ضارب الى البياض وخشنة

٢٤– ماكلين، القواعد، ص ١٦٥: مزّه (بالفارسية والتركية)، من المقبلات، مشهي يقدم قبل العشاء. وعن المزّه في مجالس الشرب التركية أنظر: Arminius Vambery, Sittenbilder aus dem Morgenlande برلين ١٨٧٦، ص ٧٨.

٢٥– [للضيف الذي وصل، لبطل اليوم، لكل من يستحق أن يُهنّأ، تقدّم مخاريط السكر كلها كهدية؛ وفوق الصينيات الخشبية الكبيرة (گونجا) التي يحمل عليها صف الخدم الهدايا للعروس بمناسبة الزفاف يوجد العديد من مخاريط السكر بوضع قائم" (Vambery, Sittenbilder، ص ٧٤؛ ترجمها عن الألمانية رافائيل پاتاي)].

الملمس. فيتم جمعه في أول النهار ويعرض للشمس؛ حيث تذيبه حرارتها، ويصبح في حالة جبنية القوام، ويؤكل وهو بهذه الحالة مع الخبز في وجبة الفطور" (ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، ص ١٣٦).

[وقد كتب الحَبر ديڤيد دبيت هليل عن سقوط *المانا* في أطراف السليمانية:

> **في الصيف، يتوفر المن الذي يسقط مع الندى هنا كل صباح. وعندما يسقط على الصخور فإنه يبدو أبيض كالثلج، ولكن من الصعب الحصول عليه إذ أنّه يُجمع للحاكم والوجهاء. والمن الذي يسقط على أوراق الأشجار وعلى الحشائش يكون ذا لون أبيض مخضرّ إذ يمتزج لونه بلون الأوراق والحشائش. وهو كثير ويُباع على شكل كرات. وما يتخلف منه في الحقل بعد الشروق يسيل كالماء. وقد أكلت منه بنفسي، وهو ذو مذاق حلو مستساغ. ويستخدمه الناس كدواء. ويسميه السكان، وكذلك يُسمى بالعربية *مَنْ شَما* الذي يعني منّ السماء.][٢٦]**

ومن الواضح أن أسلوب تعامل اليهودي الكردي مع الحلويات هو نتيجة للتأثير الخارجي. فهو يعتبر الإكثار من الحلويات نوعاً من التخنّث – الذي لايليق بالرجال بل هو من صفات النساء والأطفال.

والحلوى، *شَكَرات* [في العماديه بلغة التارگوم: *شَكروكه*]، يتم إستيرادها من الموصل. وتوزع على الأطفال في مناسبات مثل *الحيليوتا*، بعد ولادة صبي. و*البقلاوه*[٢٧] حلوى تركية تتألف من حوالي سبع طبقات من العجين بالتناوب مع طبقات من الجوز والعسل والزبدة، ويؤكل بكثرة في كردستان. وتُخبز في صينية في فرن. أما *لوقمه* فيحضر من خلط الدقيق مع العسل واللوز.

المشروبات

سبق وأن تحدثنا عن المشروبات التي تنتج من الحليب، *دوو* و*ماستا*.

والشاي، *چاي*، الذي دخل البلاد في وقت متأخر نسبياً انتشر بسرعة وصار يشغل جزءً من الحياة اليومية لليهودي الكردي. وترادف الظهور المتأخر للشاي عند يهود سنه قصة مفادها أن طبيباً يهودياً هو أول من شرب هذا الشراب الجديد

٢٦- [قارن فيشل، ترجمة، *ماسّاع ل كردستان*، ص ١٧].

٢٧- ["تفضل *البقلاوه* بصورة خاصة، وهي عجين مشبع بالسمن والزبدة، تظهر المعدة التركية معجزة بإستهلاكها" (*Vambery, Sittenbilder*، ص ٧٤؛ ترجمها عن الألمانية رافائيل پاتاي)].

الساخن فظنّ أنّ أحشاءه احترقت فالقى بنفسه في الماء خوفاً من الإحتراق.

أما البنّ (*قهوه*) فهو أقدم إستخداماً من الشاي. ويُشرب أساساً في المراسيم الخاصة حيث يُقدّم في أكواب صغيرة بدون تحليته بالسكر.

ومن المشروبات غير الكحولية، هناك في سنه، وبتأثير من الفرس، عدد كبير من أنواع *الشَرْبَت* (العصير). وفي وسط كردستان يصنع *الشربت* من *ميپوختا* عادة.

***خوشاڤ* [الماء الجيد] مشروب شائع التناول في الربيع. ويصنع بتنقيع الزبيب والتين و*خيلو رَشكه*، الأجاص المجفف، في ماء دافيء لعدة أيام. ويفضل اليهود الكرد شرب *الخوشاڤ* بعد تناول طعام السبت الدسم (في العماديه وزاخو).**

وفي الصيف، عند غياب *الماستا*، فإنّهم يروون ظمأهم بشرب *شاميزه*، الذي يتألف من *تاخين* [السمسم المطحون في الطاحونة] و*سموكه* والبصل، بعد مزجهم بالماء (في العماديه).

أما المشروبات الكحولية، فتشغل جانباً هاماً من حياة الكرد[٢٨] وكذلك الحال بالنسبة لليهودي الكردي. فهو يحب الشرب ويتذوّقه في كل فرصة. وبدون العرق (*اراقن*) لاتكتمل له صورة أبداً. فالعرق مشروب يلازمه في كل محطات حياته ويمنح النكهة لكل أعياده وإحتفالاته. وفي العماديه، تطور *حيڤرا قاديشا* الى نادٍ رجالي يجتمعون فيه ثلاث مرات في الأسبوع للشرب (أنظر ص٢٢٦). ويعتبر اليهود الكرد قابليتهم على تناول كميات كبيرة من شراب قوي التأثير دليلاً على القوة الجسمانية، ويعتزون بذلك كثيراً.

ولهذا إعتبر اليهود قيام البريطانيين بعد إحتلالهم العراق بمنع إنتاج العرق في البيوت، تدخلاً غير مبرر في حياتهم الخاصة. وواجهت الحكومة الكثير من الصعاب التي بلغت في بعض المناطق درجة وقوع أعمال شغب.

وإنتاج العرق في البيوت لايزال شائعاً حيث أنّ أدوات التقطير (*پارچ اراقن*) بدائية للغاية. ويعتبر *سعداني* (في دهوك) و*بيژيرا* (في العماديه [الممتاز]) أفضل أنواع العنب لصناعة العرق. وتجري عملية التقطير في الغالب على الزبيب. وهناك ثلاث درجات من العرق، إعتماداً على عدد مرات التقطير، وهي *اراقن خامي* الذي يقطر مرة، و*اراقن دوباره* الذي يقطر مرتين، و*ماكرور* وهو أفضل الأنواع ويقطر ثلاث مرات وعند صنعه توضع دجاجة في إناء الإستقبال لتمتص الشوائب. وتضاف عدة أنواع من التوابل الى العرق.

٢٨- [پريم- سوسين، طور عابدين، المجلد الأول، ص ×].

أما النبيذ (خَمره) فيتمتع بأهمية أقل مقارنة بالعرق. وتصنع العائلة النبيذ الخاص بها في المنزل من العنب الأسود (*إنقه تاخلك*). وقد نال يهود الهركي وچالا سمعة حسنة في إنتاج أفضل أنواع النبيذ.

وفي العماديه توجد معصرة (*أَڤيسلا*) عامة للخمر في الكنيس[٢٩] أما الآن فإنّ العنب يوضع في رواقيد ضخمة ويُسحق بالأرجل. ثم يتم ترشيح العصير بواسطة قطعة قماش *صاپيو* [الأصح *صاپيا*، في العماديه] ثم يُصبّ في براميل خشبية (*إيلينا*) مدفونة في الأرض. ويبلغ إرتفاع هذه *الإيلينا* حوالي مترين، وأغلبها موجود منذ أجيال. وتغلق فوهاتها بالطين. وتُفتح *الإيلينا* في هانوكّه أو عيد الفصح، حيث يُشرب النبيذ بكثرة.

ويستخدم النبيذ ايضاً للتبرك به في السبت والأعياد. ففي الشتاء عندما يعود الأب وأبناؤه البالغون من الكنيس، فإن العادة تقضي بأن يحتسي هؤلاء النبيذ مع تناول قطعة صغيرة من اللحم المحمّص على السفود (في العماديه).

والنبيذ الذي يحتسى للتبرك يصنع من الزبيب. وهذا النبيذ المصنّع من الزبيب، *ڤولخيسا* [في العماديه: *ڤولحيثا*] يُقدّم ايضاً للنساء والأطفال في عيد الفصح لتمكينهم من شرب الأقداح الأربعة التي مرّ ذكرها.

المخدرات

اليهود الكرد منغمسون الى درجة كبيرة في تعاطي التبغ (توتن) الذي يُزرع في مناطق عدة من كردستان، وأحياناً من قبل اليهود أنفسهم (في أورميه والعماديه، أنظر ص٢٤٧). والتبغ يتم تعاطيه بالتدخين بواسطة غليون يتألف من أنبوب طويل (*باسكه*) ورأس طيني أجوف (*كالونكه*). وللعريس يُلَف الجزء الأنبوبي من الغليون بقطعة من القماش. وفي الغالب يُسكب العرق على التبغ. كما ويتم مزج التبغ وخلطه بالعديد من الأعشاب لإستخدامه كسعوط (*بَرنوت*).

وجبات الطعام

بعد هذا العرض العام للأطعمة وأساليب تحضيرها. نأتي الى الحديث عن وجبات الطعام التي تقدم خلال اليوم الواحد، وهنا نتخذ من العماديه مثلاً. حيث يتم طبخ الطعام مرتين في اليوم، في الصباح وفي المساء.

٢٩- تجلس النسوة اليوم هناك عند تقديم الخدمات (أنظر ص٣٠٧).

ولوجبة الفطور (*فتارا* [أو *فتارتا*])، التي يتم تناولها بعد عودة الرجال من الكنيس، يُقدم الخبز مع الشاي فقط.

وفي الساعة التاسعة، تأتي وجبة الطعام الساخن الأولى (*غَدييا* [أو *گدييا*، *عيدييا*]). وتتألف هذه الوجبة شتاءً من العدس أو الرز أو أي أطباق مشابهة؛ وفي الصيف تقدّم الخضروات مع الرز أو البرغل و*الماستا*.

أما وجبة الظهر (في زاخو ودهوك والعماديه: *شاروسا*؛ وفي سنه: *خالا كوره*) – ويشارك فيه الأطفال ايضاً حيث يعودون من المدرسة – فيتألف عادة من الأطعمة الباردة كالخبز مع *تاخين* أو *يوختا* أو، في الصيف، اللبن الرائب. ولاتقدم الخضروات المطبوخة إلا نادراً. والطبق المألوف في وجبة الظهر هو *اردوشاڤكه* [بالكردية؛ وهو عبارة عن الدقيق مع عصير العنب]. ويتم إعداده بمزج *ميپوختا* مع الدقيق غير المطبوخ. وثمة طبق آخر من أطباق الظهر الشائعة وهو *ارخابكه* [بالكردية؛ دقيق غير مطبوخ] وهو نوع من الأومليت.

أما الوجبة الرئيسة فتقدم مساءً، بعد صلاة *مَعاريڤ*. وتسمى *عَشييا* (في زاخو ودهوك والعماديه) أو *شام* (في سنه). وتجتمع العائلة برمتها على *العَشييا*. وهناك يقدم اللحم عادة؛ وقد درج أن يُعدّ طبق خاص في نفس اليوم من كلّ أسبوع. فمثلاً تطبخ ربات البيوت جميعاً في العماديه *الكوتَل* في مساء الثلاثاء و*اليپراخ* في مساء الأربعاء وعند ظهور كل هلال جديد. ومن الجانب الآخر هناك طبق أدنى مستوى لعشاء الخميس الذي يمثل عشية الجمعة، عيد المسلمين.

القسم الثالث

العائلة

7

الزواج[*]

كما هو الحال عند كافة الطوائف اليهودية، فإنّ مراسيم الزواج عند اليهود الكرد تضم خليطاً قوياً من العناصر غير اليهودية - والتي هيمنوا عليها فعلاً[1]. وفي كردستان، فإنّ العادات عموماً متشابهة، لكن الإختلافات المحلية بيّنة بحيث أن محاولة وصفها وصفاً تحليلياً يتطلب كتاباً منفصلاً. لذا، ولكي تكون الصورة التي نرسمها لهذه المراسيم شاملة وكاملة قدر الإمكان، فإننا سنتخذ من عادات مدينتي العماديه وزاخو نموذجاً؛ مع إيراد وصف موجز لما يقابلها ويخالفها في مراكز إستيطان اليهود الكرد الأخرى.

سن الزواج

يعتمد سن الزواج عند اليهود الكرد على الوضع المالي للعائلة. فاذا كان الأب ثرياً، فإنّ الإبن يتزوج مبكراً. (إذ عندما يتكفل الوالد بصداق العروس[**]، فلن يكون ثم ما يمنع زواجاً مبكراً). وفي العائلات الأدنى مستوى من الناحية المادية، ينبغي على الشاب أن يكسب هذا المال بنفسه، وعندها يتأخر زواجه. وقد يحدث في بعض المرات، أنّ العريس بعد إكمال كل الترتيبات، يفقد جزءً من ماله لسبب ما، كأنْ يتعرض لخسارة تجارية، وعندها يضطر الى مطالبة حميه المستقبلي بتخفيض المهر (الصداق) أو تأجيل العرس.

وقد جرت العادة أن تزوّج البنات بعد أول حيضة لهن. والتفسير المعتاد لهذا الإستعجال في تزويج البنات هو حمايتهن من إرتكاب أعمال طائشة. ومع ذلك، فمن الواضح أنّ لهذه العادة عند اليهود الكرد[2] خلفية أسطورية.

* [للمقارنة أنظر: رافائيل پاتاي، حول الفلكلور اليهودي، ديترويت ١٩٨٣، الص ٢٠٢-٢٣٧، مبني على مقابلات جرت في ١٩٤٤-١٩٤٥ مع عدد من كبار السن من يهود مشهد القاطنين في القدس]

١- العادات الموجودة عند الكرد المسلمين ايضاً سيُشار اليها على أنها كردية. ومصدري الرئيس في هذه المسائل هو وصف لمراسيم الزواج عند الكرد في زاخو، سجلته كما رواه لي أحد يهود زاخو.

** لايخفى أن لفظة العروس هي نفسها لكل من العروسين، إلاّ أننا تلافياً للإلتباس على القارىء الكريم استخدمنا عروس للزوجة وعريس للزوج كما هو دارج. (المترجم).

٢- وجدت هذه العادة متبعة في العماديه فقط.

ويقال للفتاة التي ترى *دَم نيدّا* (بالعبرية، وتعني دم الحيض) للمرة الأولى: *لاخمت بيثت بيباخ حارمله* [في العماديه: *حرامله*] *إللاخ*، "حرم عليك خبز [دار] والدك". واذا لم تُرتّب لها خطبة، فإنّ سوء الحظ قد يشملها ويشمل أطفالها. فمثلاً، لو مات الوالد وشهدت إبنته *دَم نيدّا* للمرة الأولى خلال عام الحداد، فإنّ العديد من كبار السن يأتون الى أرملته قائلين لها: "زوّجي إبنتك، فقد حَرُم عليك خبز أبيك. وإلاّ فإنّ سوء الحظ قادم". وعندها تجري مراسيم الخطبة (بالعبرية: *عروسين*) بهدوء كبير بسبب عام الحداد.

واذا كان ثم فتاة مات أبواها، وطمثت للمرة الأولى، فإن العديد من كبار السن يذهبون الى *الكَڤير* للفت نظره الى الأمر. وعندها يجتمع *الكَڤير* مع الوجهاء المحليين؛ ويُؤخَذ مهر الفتاة بالكامل من *قويّات اريخا*، صندوق الخيرات [المعنى الحرفي للعبارة: "صندوق الطعام"] ومن التبرعات (أنظر ص٢٢٦).

وعند الأثرياء يكون إختيار العروس للإبن من مهام الأب الذي يأخذ في الإعتبار الأوضاع الإجتماعية والمالية للعائلة التي يختار منها زوجة إبنه. ويندر أن يعترض الإبن على اختيار أبيه. ومع ذلك لازلنا نجد، في السنوات الأخيرة - وبالأخص عند العائلات الفقيرة - أن الإبن يختار العروس بنفسه. وفي السابق كان يُعزل الأبناء عن البنات بعد بلوغهم العاشرة؛ ومن هذه السن لايمكن أن تخرج الفتاة الى الشارع إلا ووجهها مغطى. لكن الوضع اليوم مختلف. والشباب يرون الفتيات في حفلات الزواج والمناسبات الأخرى، حيث يجتمعون بحرية؛ ومن المعروف أن مثل هذه الإتصالات تمهد للحب بين الجنسين في المستقبل.

وقد كان مصدر معلوماتي، الذي ينحدر من عائلة ذات شأن، في الثالثة عشرة عندما رتّب له أبوه زيجة. فبينما كان لايزال تلميذاً، جاء عمه الى المدرسة وحمله على كتفيه الى البيت، حيث كان والده والعديد من الحاخامات يناقشون أمر تزويجه. أما هو فلم تكن لديه أي فكرة عما يعني الزواج (في العماديه).

وقد جرت العادة أن لايتزوج الولد قبل الثامنة عشرة والفتاة لاتزوج قبل الثالثة عشرة (أو الرابعة عشرة)[3]. وعندما يكون الوالد قد إختار، فإنّه يبعث العجائز الى والد الفتاة المختارة؛ وبما أنّ الشرقيين عموماً لايأتون عملاً على عجل، فإنّ والد الفتاة، في حال موافقته، يرسل لهم جوابه طالباً أن يأتوه ثانية في غضون شهر.

٣- حتى في فلسطين، تتزوج بنات اليهود الكرد في سن مبكرة جداً - في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من العمر.

الصداق (نقِده)

بعد شهر، تجتمع الأطراف المعنية في دار العروس لغرض *الطلابه*، التي هي الإتفاق على الزيجة. وتقوم والدة العريس بإرسال طعام الى بيت العروس لتناوله مساء التباحث حول إتفاق الزواج الذي سيتم. ويأتي والد العريس ومعه عدد من الشيوخ[٤]. ويبدأ *الحازان* الجلسة بدروش [موعظة] يقول فيها أنّه ليس من الجيد أن يعيش الرجل لوحده؛ وفي الختام يسأل: *نقِده كيما شَقلت منان؟* "كم هو الصداق الذي ستأخذونه منّا؟".

في حوالي ١٨٩٠، تقرر في العماديه أن لايزيد الصداق مع قيمة الحلي عن ١٣٠ قراناً (يعادل حوالي ست جنيهات استرلينية وعشر پنسات). [وقد اتخذت قرارات مماثلة من جانب بقية المجتمعات اليهودية الشرقية. ففي حوالي ١٨٥٠ تقرر في مشهد وخراسان أن لايتجاوز الصداق ١٥٠ قراناً[٥]. والعامل الذي أدى الى إتخاذ مثل هذه القرارات كان الميل الى التنافس في رفع الصداق الى مستويات أعلى، والذي كان سيسفر عن إنهيار العائلة من الناحية المالية. وهو ما دفع زعماء المجتمعات الى إتخاذ هذا القرار].

وبسبب الإحتلال البريطاني، انخفضت قيمة المال في السنوات الأخيرة، وبالمقابل إرتفع نقِده الى عشرين جنيهاً استرلينياً (مائتي روپيه). وفي أربيل بلغ متوسط *النقديه* عشرين جنيهاً. ويشتري والد العروس الحلي من مالٍ غير هذا المال. لذا قد يبلغَ الصداق حوالي مائة جنيه.

أما في زاخو، فإنّ *البَرتيل* كان يبلغ حوالي خمسين مجيدياً (حوالي عشر جنيهات) في العهد التركي. وإضافة الى هذا المبلغ، على العريس أن يدفع مجيديين عن *حَلْقت يمّا* "حليب الأم"، الى والدة العروس.

وليس في سنه[٦] أيُّ صداق. بل ينبغي على العريس أن يشتري جهاز العروس ويفرش الدار. والفقراء وحدهم يطلبون الصداق[٧] (*شيرڤاهي*؛ وهي مشتقة من

٤- في زاخو والعماديه: *طَلوبيه*، وتجمع على *طَلوبيي*.
٥- [قارن: رافائيل پاتاي، الزواج عند اليهود المتنصّرين في مشهد، إيدوث، القدس ١٩٤٧، ص ١٧٣.]
٦- قدّم أي. جَي. براوَر وصفاً مقتضباً لمراسيم الزواج في سنه في "مي *پاراشات ماسّاعوتاي بأُفاراس*"، سيناي، المجلد الأول، العدد ١١، (١٩٣٩)، ص ٤٣٣-٤٣٦.
٧- بالكردية والفارسية: شير، "حليب". أنظر مورگان: رحلة، ص ١٤٣.

شير "حليب" و*باهي* "ثمن"). حيث ذكر براوَر أنّ العروس تتكفل بجهازها ("فصل من رحلتي الى إيران"، ص ١٧). وهذا لاشك إشارة الى *الجهيزيه* التي تؤخذ الى دار العروسيْن في اليوم الذي يلي الزفاف.

وفي بعض المناطق، لاتكفي أمسية واحدة لإكمال المحادثات والتوصل الى نتيجة؛ وهنا يتطلب الأمر عدة لقاءات قبل التوصل الى إتفاق بين الطرفين.

إنّ الموقف قد وصف بناء على قبول الشاب والفتاة وعندما يكون الصداق كالسائد عادة بين اليهود الكرد. ولكن، لدينا مادة – جاءت في أغلبها من الوثائق التي وردتنا – تطلعنا على ظروف يرثى لها جرى فيها الإتفاق على الزواج. وعلينا أن نأخذ في الحسبان هنا أننا نتعامل مع حالات إستثنائية عرضت على الأحبار لإتخاذ قراراتهم بشأنها وقد حفظت في وثائق. وقد أنبأني مصدري أن مثل تلك الحالات قد يتكرر حتى في يومنا هذا.

لكن في الحالات الطبيعية، لايعد الزواج بالنسبة لوالد العريس ولا لوالد العروس "صفقة تجارية" يدخلها الطرفان لمجرد الربح. بل على العكس، فإن الطرفين ينفقان الكثير. ومع ذلك، فإنّ البعض من الآباء الفقراء قد يبحثون عن النفع المادي من خلال تزويج بناتهم. وهذا يؤدي الى خلق وضع لايكون فيه للجانب الإنساني من عملية الزواج أي تقدير، ويعامل الآباء بناتهم في هذه الحالة معاملة السلعة التجارية.

ونتيجة لتحقيق أجراه الحبر في زاخو نجد قصة حالة من هذه الحالات[٨]. إذ نال الفقر من أحد يهود زاخو وبات في ظروف صعبة للغاية اضطرته لبيع إبنته البالغة سبع سنوات لقاء ثمانية قروش الى يهودي آخر لتعمل عنده كخادمة – وهذه تجارة غير طبيعية بكل المعايير. وظل المشتري مديناً للوالد بجزء صغير من الثمن. ولما طالب الوالد بالمبلغ، أعطاه الشاري بقية المبلغ قائلاً في محضر من شهود أنّ هذا المبلغ *قدّوشيم* (خطبة) الفتاة لإبنه. وقبِل والد الفتاة. وهكذا، وبعد وفاة الشاري، أعاد إبنه الفتاة الى والدها (بحجة أنها لم تقع منه موضع استحسان)؛ وزوّجها والدها لرجل آخر. وكان التحقيق يخص شرعية هذا *القدّوشيم* الثاني، حيث أن الشاري المتوفى كان قد أتم *القدّوشيم* لإبنه.

وهناك قضية ثانية وردت في إحدى الرسائل التي نشرها مان[٩]، وهي تسلط

٨- أنظر: أسّاف "*لا- تولدوت ها*- يهوديم"، التي تورد ايضاً حدثاً مماثلاً يبيع فيه الوالدان إبنتهما عند العوز. وربما وقع ذلك في فارس حيث الأوضاع أسوأ عادة.
٩- مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، الرسالة ١٩، ص ٥٤٢؛ كذلك أنظر: ص ٤٨٩.

الضوء على الموقف الأخلاقي ليهود الكرد في المسائل المتعلقة بالزواج. زوّج يهودي من سوخو[10] إبنته؛ ولما كان بحاجة الى مساعدة إناث للتعويض عن خدماتها، فقد لجأ لحلٍّ أراد من ورائه "ضرب عصفورين بحجر واحد". فأدخل الى داره فتاة على أن تؤدي له الأعمال المنزلية الضرورية، لكنها صارت فيما بعد زوجة لإبنه الذي لم يبلغ سنّ الزواج بعد. ورغم أنّه لم تكن لدى الإبن أدنى معرفة "بماهية المرأة" (السطر ١٥)، فإنّ الفتاة إعتبرت نفسها إمرأة متزوجة؛ ولهذا فإنها عندما هربت من البيت إعتذرت لهربها "بأنّها لاتريد هذا (الرجل) لأنه ليس كبقية الرجال" (السطر ٢٧). وبرزت قضية قضائية معقدة عندما مات الإبن، وهذا ما أسفر في النهاية عن اللجوء الى *حاليصه* (أنظر ص٢٢٢).

وعندما يرفض الوالد تزويج إبنته عن طيب خاطر، يلجأ الشاب أحياناً الى القوة ويخطف الفتاة. وقد ورد في إحدى الرسائل التي نشرها مان[11]، أنّ رجلاً يدعى حانوكو من نيروه خطب فتاة عمرها ثمان سنوات من يهودي آخر وأراد الزواج بها. ولما لم تكن سمعة حانوكو جيدة، فقد رفض والد الفتاة الخطبة. فعمد حانوكو الى خطف الفتاة وأخذها الى بادوك، وهي قرية نائية قريبة من العماديه، وفي نيته إجراء مراسيم خطبة سرية هناك. [وفق مصدر معلوماتي ليس ثمة قرية بهذا الإسم قرب العماديه، بل هناك قرية إسمها بادي]. وحسب الرسالة، يطلب حاخام نيروه من حاخام العماديه بذل كل ما في وسعه للحيلولة دون زواج هذه القاصر.

وفي ريكان وأطرافها، فإنّ خطف البنات ليس حدثاً غير شائع. وتقع هذه الحوادث عندما تكون الفتاة موافقة والوالد رافضاً – عندها يضرب العريس عن طريق وسيط موعداً مع الفتاة، وينتظرها في المكان المحدد بصحبة مسلحين كرد ثم يأخذ الفتاة عنوة. وليس ثمة حاخام يعقد الخطبة ضد إرادة الوالد؛ إلاّ أنّ هذا العمل يرغم الوالد على القبول.

ليلة الدجاج (*ليل كيثيثا*)

بعد الفراغ من تحديد مهر العروس، يتقرر الإجتماع في مساء السبت التالي. وهذه الأمسية تعرف بإسم *ليل كيثيثا* (أو *كسيسا*)، "ليلة الدجاج"، لأنه يتم شراء

١٠- ليست هذه إشارة الى زاخو (كما تصور مان) بل الى قرية سوخو، التي تقع على مسافة يوم ونصف يوم من العماديه.

١١- مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، الرسالة ٩، ص ٥٢٥؛ كذلك أنظر: ص ٤٨٦.

عدد كبير من الدجاج للضيوف في تلك الليلة (في العماديه).

ويوجه والدا العروس والعريس الدعوات عن طريق الشماش (سادن الكنيس) قائلين: *سيوون كيثيثا بي ختنا* (*كيلو*) "هلمّ الى الدجاج في منزل العريس (العروس)". ويحمل الشباب عدداً كبيراً من الدجاج وزجاجات النبيذ ويرافقون والدي العريس الى دار العروس. وهناك يُسقى كل واحد كأساً من العرق، بعدها يعودون الى دار العريس من طريق مختلفة (چَيپي بوكه)[12] غير التي أتوا منها.

وفي داري *الختنا والكيلو*، يجتمع الضيوف الى "وليمة الدجاج". وفي ذلك المساء، عند حوالي الساعة العاشرة، يوجه والد العريس دعوة الى الضيوف الموجودين عند العروس ليأتوا الى داره. فيأتون مع زوجاتهم اللائي يجتمعن في غرفة أخرى. ويتبع ذلك اللهو المعتاد الذي يتضمن رقصة حگّه في فناء الدار (في العماديه).

وفي سنه، تدعى وليمة مساء السبت هذه *شيريني خورين* "أكل الحلوى"[13]. وهناك يجتمع الضيوف في دار العروس. وترسل العروس الى العريس مخاريط سكر (بين ١٠-٣٠ حسب إمكانياتها)؛ ويرد العريس على ذلك بإرسال قطعة حلي ذهبية.

وفي الصباح التالي تبدأ الإستعدادات لحفل يدعى *سينيه* [صينية]. ويمثل طبخ الطعام، وفق العادة المتبعة جزءً من الحفل. وتأتي الفتيات من بيتَيْ العروس والعريس الى منزل والد العريس لتنظيف الرز وإعداده للوليمة. ويغنين الأغاني (الكردية) أثناء أدائهن العمل.

يطبخ اللحم مع الرز والحمص ويوضع على صينية كبيرة. وتغطى الصينية بقطعة قماش من الحرير، وتهيّء والدة العريس عدة قطع من الملابس والهدايا. ثم يحمل شاب الصينية على رأسه، ويحمل آخر الهدايا. وبينما يمر الموكب في الشوارع، يُمطر بالجوز والحلوى من البيوت التي يمر بها. وتجلس سيدة عجوز على سطح دار العروس، وعندما يدخل الضيوف تمطرهم بالقمح وهي تقول: *إينت حَزدا يَقعا* "لتنفجر العين الشريرة [والمعنى الحرفي هو "عين الحسود"]"[14]. وعندما يقدم الضيوف الهدايا الى والدة العروس، يرقص والدا العروس أمام الشابَّيْن. ثم تُلبس

١٢- تعود مواكب الزفاف عادة من طريق غير الطريق التي سلكتها عند المجيء. وهذا يعود الى معتقدات تتعلق بالسحر. وتسمى *چَيِّه بولك* "على شمال العروس"، حيث يأتي الموكب من اليمين ويسلك الجانب الأيسر لدى المغادرة. [والتفسير الآخر لهذه التسمية هو "إطالة" العروس.]

١٣- [عادة *شيريني خوران* يتبعها عملياً كل اليهود وغير اليهود في فارس.]

١٤- عادة رش القمح خلال مراسيم الزواج هي من العادات الشائعة.

والدة العروس إبنتها الخاتم الذهبي الموجود ضمن الهدايا. وتشد فتاة الوشاح الحريري (*كَسرَوان*) على رأس العروس، وتُلبسها فتاة أخرى الجوارب والأحذية المهداة اليها.

ويرقص الضيوف *الحگّا* في حجرة العروس. وعلى العروس أن تشاركهم في أدائها. وتوضع برذعة (*كورتينا*) على أكتاف أمهات العروسين، وفي أيديهن توضع ملعقة كبيرة (*إترانا*) بدلاً من السيف؛ وعليهن أن يرقصن بهذا الهندام.

ويوزع رز الصينية، *رزّت بي كيلو* [رز بيت العروس] على الحاضرين وتشكل منه كرات صغيرة يُبعث بها الى دور المعارف. بعدها يعود أهل العريس الى دار العريس حيث يستمر الرقص. ثم يوجه والد العريس دعوة لمأدبة في السبت التالي، تعرف بمأدبة *شابات معاريف*، سبت التحضير (في العماديه).

وعادة الصينية في زاخو تشبه تلك التي في العماديه. إلاّ أنها تسمى هناك *أشايت كيلو* "عشاء العروس". وعندما تعاد أوعية الرز المفرغة الى دار العريس، يغني الحاضرون:

هَي منته، منته، منته: آه، شكراً، شكراً، شكرا

منته من بيبي هيوَيله: شكراً للأب [الذي] أعطى [إياها]

كوزينتا راپسا تيله: بغلاً ضخماً له

ماليته إيوا: ليدم بيتك [قائماً]

هاي لَ نوسو زيوا: آه من نسيم، العريس (في زاخو والعماديه، بالكردية)

شابات معاريف

في الليلة التي تسبق الخميس، تجتمع الفتيات مجدداً في دار العريس؛ ويقمن طوال الليل بطحن الحنطة لأجل *الگرسه*. وعند إنتصاف الليل تُقدم لهن المرطبات. وفي يوم الجمعة، تُذبح المواشي إستعداداً للوليمة. وفي صباح السبت، يؤخذ العريس الى الكنيس في موكب غنائي. وكافة مراتب الشرف تكون في يد والد العريس، الذي يمنح أغلبها الى الأقارب.

وبعد الإنتهاء، يُرافَق العريس الى البيت. ثم يذهب الجميع الى منزل العروس. وهناك يرقصون "رقصة المناديل، حگِّت كَفّيه [في العماديه: *حگِّت پاثپيثه*]؛ وترقص الأمهات رقصة البرذعة لتسلية الحضور. ويتم جلب الطعام من دار العريس ويقدم

للضيوف، بينما تجلب فتاتان في خطوات إيقاعية، ترافقهن النسوة مغنيات، قدريْن من الطعام للعروس. وعند إنتصاف النهار، يتوجه الحضور الى دار العريس حيث يبدأ الرقص والغناء مجدداً (في العماديه).

في العماديه، يفصل أسبوعان بين *المعاريف* وقيدّوش *عروسين* – تبريك الخطبة، *قادوش*[١٥]. و*القادوش* يجري عادة يوم الأربعاء، اليوم الذي خُلق فيه الشمس والقمر.

وفي زاخو، يأتي *القاداشتا* بعد الإنتهاء من إتفاق الزواج[١٦] مباشرة ولايتأخر عنه أكثر من أسبوع في أسوأ الأحوال. وفي أربيل يؤخر *العريسه* لأسبوع أو إثنين، أما في سنه فإنه يأتي غالباً بعد *شيريني خوران* بأربعة أسابيع.

الخطبة (*قادوش*)

تنشغل النسوة من أهل بيت العريس عدة أيام أخرى في الإعداد للوليمة. فتتم تنقية الرز، وتوفير الدواجن وبقية اللوازم الأخرى. وفي يوم الثلاثاء يؤخذ الطعام الذي تم إعداده، الى دار العروس.

وفي يوم الأربعاء، يُؤخذ العريس في موكب الى دار العروس. وهناك يجلس في مقعد شرف بجانب الحازان والوجوه، ويتم إدخال العروس عليهم. وتكون العروس متحجبة لكن لم يجر بعد أي من المراسيم، مثل الصبغ بالحناء الذي يُعتقد أنه يحميها من السحر و"العين الشريرة".

ويلتقط الحازان خاتم الخطبة الفضي (*إسيكست قادوش*)، الذي قد يكون ذا فص أو بدون فص، ويغمسه في النبيذ ويبرزه ليراه الشهود لتمكينهم من التأكيد على أنّه *شاوه پروطا*[١٧] [أو في العماديه: *كطويا خا پاره*، يساوي پنساً]. ثم يضعه العريس في أصبع العروس وهو يدعو بالبركة. ولاتكون العروس متحجبة خلال هذه الفقرة من الحفل، لأنّه حدثت حالات تم فيها إحلال فتاة أخرى محل العروس المختارة. ثم يستدعى العريس الذي يشعر حينها بالخجل والإرباك [من قبل

١٥- هناك عائلات في العماديه تركت *القادوش* إعتقاداً منها بأنّ وليمة الخطبة تجلب عليهم سوء الطالع. والبعض منها يحتفل *بالقادوش* مع البركات السبع.

١٦- في العماديه، تأتي غالباً بعد *الطلابه* مباشرة.

١٧- [كانت] توجد أنواع مختلفة من خاتم الخطبة في مجموعة براوَر بالجامعة العبرية. ويُفضّل الخاتم ذو الفص الأسود بصورة خاصة على إعتبار أنه يرمز لجمال العروس (قارن: أبناء سولومون ١:٥).

الرجل الذي يدير مراسيم الخطبة ووسط المزيد من الضحك] من أجل *ديشوك إيداه* "يقبّل يدها"؛ وترتفع أصوات النساء بالـ*كليليلي* (الزغاريد – المترجم). ويتبع ذلك كسر قدح النبيذ من قبل العريس.

بعدها تعاد العروس الى غرفتها، ويجلس الرجال والنساء الى *سعودت قادوش* [مائدة الخطبة].

وبعد تناول الطعام، يعاد العريس في موكب الى داره حيث يحتفل الأصدقاء *بليلت قاداشتا* [ليلة الزفاف] فيلعبون ويرقصون حتى الصباح.

أما الفتيات والنساء فيجتمعن في دار العروس لإحياء *ليل قاداشتا* . وتحضر معهن نساء بيت العريس ايضاً، جالبات معهن أطباق الحلويات.

ويصبغن يدي العروس ورجليها وشعرها – أو على الأقل واحداً من أصابعها – بالـ*حونّا*، الحناء، ويقضين الليل بأكمله معها دون أن تنام منهن واحدة. وفي الصباح يرافقنها الى الحمام ثم يعدنها الى الدار، حيث تنتظرهن وجبة طعام.

وبعد الحمام يغنين أغنية: *ترنيني ترنيني خي يوما انا ميپقلي لامسايور*، "خرجت يوماً للتمشي" (ويتشابه الأمر في العماديه وزاخو). وليس في سنه *قيدّوش عروسين*[18].

فترة الخطوبة

ثمة فاصل زمني يمتد نصف عام أو أكثر بين *قيدّوش عروسين* و*شَقْعا براخوت* [بالعبرية، وتعني "البركات السبع" وهو حفل الزفاف]. وفي زاخو تأتي البركات السبع بعد *قاداشتا* بستة أشهر على الأقل. وهذا يعتمد على الرغبة. واذا كان ثمّ صعوبات في جمع المال اللازم، فإن الفترة الفاصلة قد تمتد الى عامين. ومن جهة أخرى، فإنّ الأثرياء في سنه هم الذين يرغبون في تمديد هذه الفترة، ليظهروا للآخرين كم يصعب عليهم فراق بناتهم. كما يحاولون بهذه الطريقة إظهار تفوّق بناتهم، وكرههم تركها تغادر دارهم الى دار أخرى تعيش فيها ظروفاً هي في مستوى أدنى من المستوى الذي تعيشه الآن.

ولفترة الخطوبة تقاليدها الخاصة. فلاينبغي للعروس أن تنكشف طوال هذه الفترة على العريس أو على أي شخص ذكر من عائلته. وعليها أن تختبيء حالما يدخل أحد

١٨– يتحدث براوَر في "*مي پاراشات ماسّاعوتاي*"، ص ١٧، عن *قيدّوش إروسين* ايضاً؛ لكن ذلك خطأ.

هؤلاء دارها (في زاخو والعماديه وأربيل، وكذلك الحال مع المسلمين الكرد).

بعد *قاداشتا*، لاينبغي للعريس أن يدخل دار العروس إلاّ بعد أن يجتاز مراسيم *پتيخت اورخت ختنا*، "فتح الطريق أمام العريس". وفيها يدعو والد العروس العريس وأهله الى وجبة عشاء. وليس هناك مراسيم خاصة تجري في ذلك العشاء. وبعد ذلك يكون مسموحاً للعريس دخول دار عروسه؛ إلاّ أنّ عليه في كلّ مرة أن يطرق الباب قبل دخول الدار ليكون أمام العروس فرصة الإختباء (في العماديه).

وفي زاخو، تدعى مأدبة العشاء هذه، التي تأتي بعد *قاداشتا* بحوالي شهر، *كريثت ختنا* "دعوة العريس". وفيها ينبغي أن يكون العريس آخر من يغادر، وبعدها يكون مسموحاً له زيارة دار العروس. وهناك مآدب عشاء مماثلة في أشنويه (*پيسارخيل خيتان*) وفي سنه (*ميهماني*: وليمة).

والغاية الرئيسة من فترة الخطوبة هذه هي تكريسها لتحضير جهاز العروس. فعلى العروس إعداد مجموعة من الأشياء – هدايا للعريس وللضيوف[19] ومستلزمات المهد لأطفال المستقبل. وهدية العريس عبارة عن طوق مطرز *باسار قديلا* "خلف الرقبة". وتعد العروس للضيوف قفازات محاكة (*دَس گورکه*) وجوارب (*كيستت پير*)، ومحافظ للمال أو لساعات الجيب، وأغطية محبوكة للقناني (*پيمودت زڤرتا*). وعليها أن تجهّز المهد بالغطاء (*بينود*) وغطاء للسرير (*كرامتا*)، مصنوعة من "ألف رقعة" (يتشابه الأمر في العماديه وزاخو).

الإستعدادات للزفاف

تتم مباركة غالبية الزيجات في عيد الفصح، وقد تجرى مواسم أخرى مثل سوكّوت وشاڤوعوت (في العماديه وزاخو). أما موعد الزفاف فكان يحدد في السابق – وأحياناً في أيامنا هذه – عن طريق التنجيم، بواسطة "القرعة". ويظهر هذا من خلال مقطع من رسالة بعث بها يودا بن شمعون من العماديه الى يحيى في آشور (الموصل)[20]. ومن الواضح أن تاريخ الرسالة يعود الى القرن السادس عشر. وهي تحدّثنا عن أن كاتبها قد إقترع بخصوص بعض الأمور السياسية إلاّ أنه لم يكن مسروراً تماماً لنتائج الإقتراع: "إلاّ أني لست متفائلاً تماماً لأن الجو كان غائماً عندما أجريت القرعة". ويضيف القول: "فيما يتعلق بمسألة زواج إبنكم – حفظه الله

١٩– هذه العادة متبعة عند الكرد المسلمين ايضاً، وربما هي بالأصل مأخوذة منهم.
٢٠– مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٥٢١.

ووقاه – فإنّه ينبغي أن يتم في ١٤ أو ١٥ أو ١٦ من الشهر، وقد بحثت وحقّقتُ في هذا طويلاً وهو صحيح"[٢١].

قبل موعد الزفاف بشهر واحد، يدعو والد العريس النساء لشراء ملابس للعروس. عندها تذهب والدة العريس مع والدة العروس وعدد آخر من النساء الى السوق لشراء الملابس والأحذية وما الى ذلك.

وتجري خياطة الملابس في دار العروس، ولايتلقى الخياطون أجراً على خياطتها، بل يقوم أهل الدارين بإطعامهم (في العماديه وزاخو وسنه).

وفي زاخو، وبمجرد قص الخياط لأول قطعة، وترفع النساء المجتمعات صوتهن بـ*كليليلي* وينادين: *بريخه، بريخه، هيوه بريخه، بليبا بيسيما*، "مبروك، مبروك، لتبارك [الملابس] وتفرح القلوب". [وفي العماديه يقلن ايضاً: *بريخه، بريخه، نَقشا خيره إيلو بنونه وبينيثه بيث ختن وخاليثه*، "مبروك، مبروك، (الملابس)، وليوسخها الأبناء والبنات، والعرسان والعرائس" (في العماديه)]. وفي سنه يدعو العريس الخياطين الى وجبة طعام في داره.

وخلال الشهر الذي يسبق البركات السبع، يجتمع الشباب والشابات كل مساء في دار *ختنا* أو في دار *كيلو* للرقص والغناء. وتسمى هذه العادة في العماديه *كام حيلولا*، "ماَ قبل الزفاف" (بالكردية: *بَر داوَت*).

أما مراسيم الزفاف الحقيقية فتبدأ قبل *شَڤا براخوت* بأسبوع. والسبت الذي يسبق *شَڤا براخوت* يطلق عليه *شَبثا ديد مَشموع* "سبت الإعلان" (في زاخو؛ وفي العماديه سابقاً).

في صباح يوم السبت، وبينما الرجال في الكنيس، تأخذ النساء والبنات الحلويات والفاكهة والعرق الى منزل العروس. كما يصل العازفون (*موطوربيي*)، ويبدأ الرقص وغناء "*دَليليلي، دَليليلي*". وتشارك العروس ايضاً في الرقص. وعند عودتهم من الكنيس يبدأ الشباب من الرجال رقصة *بريسا* في ساحة الدار وهم يغنون "*لو شوانو*" (أيها الراعي). ثم يعود الشباب الى دار العريس حيث يواصلون الرقص.

وبعد صلاة *مينحا* يدعى العديد من النساء الى منزل العريس. وتحمل إثنتان منهن، من اللائي يشرّفن المقام بوجه خاص، طبقين من الطعام، *فيقت كيلو*، "فاكهة

٢١- ليس الشهر المقصود واضحاً في الرسالة. وربما هو شهر *نيسان*، أي الشهر الذي يوافق عيد الفصح. وبعد قليل (في السطر ٣٣)، هناك إشارة الى الأول من *ادار*. وذكر لي مصدر معلوماتي أن البركات السبع تجرى عادة في ١٤ نيسان قبل الغروب.

للعروس"، ويأخذانها في موكب تحيط بهما بقية النساء، الى منزل العروس[٢٢]. واذا صادف وأن كانت العروس ترقص مع بقية الفتيات في ساحة الدار عند وصول *فيقت كيلو*، فعليها أن تهرع على الفور الى غرفة والدتها؛ لأنّ من غير المستحب أن تتسلم العروس الطبقين وهي في الخارج.

وينتهي هذا السبت بما يُطلق عليه *شيكيليست حَلوله* أو *شيكاليست دَعوا* "مبدء الزفاف" [في العماديه: *شيكالتيث خلوله*]. ويُدعى أقارب العروس الى دار العريس، بينما تبعث العروس بإحدى قريباتها لدعوة الفتيات الى دارها. ويجلس الجميع في صفين متقابليْن بالتبادل (في زاخو والعماديه).

وفي سنه، تؤخذ العروس مساء الجمعة الى منزل عمها أو منزل أحد أقاربها حيث تجتمع النساء والبنات في ذلك المساء وفي السبت للرقص والغناء. ويجري الشيء نفسه في منزل العريس. وتعاد العروس الى دار والدها بعد ظهر السبت. وتبشر نهاية السبت *بإلات ديواكين*، "ليلة الراقصين" [في العماديه: *ليلت دويكات خِگّا*، ليلة راقصي الحفل] في دار العريس. ويشترك في ذلك الشباب والرجال.

للتدابير المتخذة لطعام إحتفالات الزفاف أهمية خاصة في الإستعدادات الجارية خلال الأسبوع الذي يسبق البركات السبع. فتشتغل النساء بتنقية الرز لمختلف الوجبات، وإعداد الخبز، وما الى ذلك. وينبغي ذبح المواشي وتوفير الدواجن والفاكهة والمستلزمات الأخرى.

وفي العماديه، يجتمع الجميع في المساء الذي يسبق البركات السبع (يوافق مساء الثلاثاء) في دار العريس لتناول *نانوپَز* (بالكردية) "الخبز ولحم الضأن". ويُبعث رسول الى والد العروس ليسأله عمّن سيكون ممثله (*قاصوت*) في *النانوپَز*. فيظهر واحد من أفراد عائلة العروس. ويتخذ لنفسه مقعداً بجانب والد العريس؛ ويقوم الأخير بتزويده بالمواد التي جيء بها والتي يقضي إتفاق الزواج أن يرسلها العريس الى دار العروس لوليمة الزفاف. وهذه المواد تقررها التقاليد، وهي تتكون من الرز والدقيق واللحم و*دهينا* (الالية) و*سموكه* والبصل والقثاء و*شرگومّ* و*سلقه* (الشلغم) والفلفل، والنفط لإيقاد المصابيح، وحمل من الحطب للمواقد. ويصحب نقل هذه المواد الى دار العروس الغناء والمرح.

٢٢- وكذلك الحال عند الكرد، *فيقيا زاواي* و*فيقيا بوك*.

الصبغ بالحناء

أول الأمور المتعلقة بالسحر والتي ينبغي أن يخضع لها العروسان في كردستان هو الصبغ بالحناء. ففي زاخو تتم العملية في أمسيتين – مساء الخميس ونهاية يوم السبت. ويُطلق على ليلة الحناء الأولى *ليل حنّه بيدوگل*، "ليلة الحناء الكاذبة"[٢٣]. وفي الظاهر، يُزعم أنّ هذا الترتيب يُتخذ لكي لايأتي الزفاف بعد الصبغ بالحناء مباشرة؛ لكنه في الحقيقة محاولة لخداع وإبعاد الأرواح الشريرة.

في صباح الخميس يستيقظ الناس على عزف بصوت مرتفع من جانب الموسيقيين يبلغهم بأنّهم مدعوون الى دار العريس. وتُجلب الحناء في قدر تستقبله النساء بالزغاريد. ويعجن عدد من النساء الحناء داخل *تاشتا*، يذيبونها في ماء دافيء ويضيفون اليها حَميرت حنّه، الذي يُصنع من سموكه. وينبغي أن تترك *الحنّه* حتى المساء لتتخمّر.

توجيه الدعوة للآغا

بعد إعداد الحناء، فإن الخطوة التالية هي إرسال الدعوة الأولى الى الآغا [الزعيم المحلي الكردي] وإستحصال موافقته على الإستمرار في مراسيم الزفاف. وبهذا يتم إجراء مراسيم إرسال الحناء الى الآغا. فتوضع ثلاثة أوعية يحتوي كل منها حناء مطحوناً وقطعة من الصابون، على إناء نحاسي كبير وتغطى بقطعة من الحرير. ويحمل شاب الإناء على رأسه (حسب ما تمليه العادة) الى دار الآغا يرافقه موكب الموسيقيين والعديد من الرجال والنساء. ويقف الموكب أمام باب دار الآغا المقفل. ثم يبعث الآغا خادماً يسأل لمن أعدّت الحناء. ويأتي الجواب "إنها حناء زواج فلان وفلانة". وعادة يقبل الآغا الحناء. ولكن في بعض الأحيان، ولسبب ما قد تكون العلاقة بينه وبين تلك العائلة اليهودية متوترة – كأن لاتقرضه العائلة المال أو أنها لم تستأذنه مسبقاً في أمر الزواج – فإنّ الآغا يرفض قبول الحناء. وفي هذه الحالة يعود الموكب من حيث أتى دون موسيقى، ثم يبعث الآغا خادمه الى دار العريس فيشق هذا غشاء طبل الموسيقي. ثم من خلال الرشوة ووساطة بعض الوجهاء، يحاول اليهودي التصالح مع الآغا قبل أن يفكر في إكمال مراسيم الزفاف.

أما اذا قبل الآغا الحناء، فإنّ الموسيقيين يطبّلون ويزمّرون ويدخل الموكب ساحة

٢٣- بالسريانية القديمة: *دَغيلي*، "كذاب، غشاش". ماكلين، القواعد، ص ٦٠.

دار الآغا للرقص. ويأخذ الخادم (*جوليمه*، وبالكردية: غولام) الإناء الى زوجة الآغا. ثم يعطي الآغا *الشاباش* للموسيقيين، ويُعلن عنه كالآتي: *شاباشي آغاي سَرْسَري جويتَرا* "شاباش الآغا [أو في العماديه: *داوات* أو *خلوليي*، الضيوف] للمجتمعين هنا". وعندما يشير الآغا الى أنّه آن أوان التوقف يؤتى بثوب كهدية منه للموسيقيين، ثم يعود الناس في موكب الى دار العريس (في زاخو وحدها؛ يرسل الكرد ايضاً الحناء الى الآغا).

بعد ذلك يحملون خمسة أو ستة قدور من الحناء الى معارفهم الكرد. ويبادر هؤلاء أولاً بالسؤال عما اذا كان الآغا قد قبل الحناء؛ لأنه إن كان رفضها فسيعاقبهم على مسايرتهم اليهود. وعند تلقي الجواب بالإجابة وقبول الحناء، يقوم هؤلاء الكرد ايضاً بمنح *الشاباش* وتقديم هدية للموسيقيين. وإهداء الحناء يعني في الوقت عينه الدعوة لحضور الزفاف (في زاخو والعماديه وبين الكرد ايضاً).

ثم يعود اليهود الى دار العريس، ومن هناك يحملون في موكب عدداً من قدور الحناء المحضرة الى بيوت أقارب العروسيْن، حيث يُصبغ شعر كل البنات اللائي تتراوح أعمارهن بين الخامسة والعاشرة. ويعطي الأقرباء *الشاباش* ايضاً. ويستمر الصبغ بالحناء يوم الجمعة ايضاً وحتى يوم الأحد، إذ أنّ العائلة التي يفوت بنتها الصغيرة صبغ شعرها بهذه الحناء سوف تنزعج كثيراً (في زاخو).

وفي المساء يجتمع الرجال في منزل العريس، والنساء في منزل العروس. والفتيات يجلسن حول العروس ويغنين، ثم تأتي فتاة من أهل بيت العريس وتدعوهن للذهاب الى بيت العريس لجلب الحناء للعروس. وهناك يُملأ قدران بالحناء ويُحملان على رأسي شابّين الى دار العروس. ويتم إختيار شابين قويين لهذه المهمة إذ أن الفتيان يحاولون سرقة الحناء من القدور في الطريق. ويرافق الموسيقيون هذا الموكب. وعندما يبلغون دار العروس، ينادون "الحناء قادمة" وذلك لتتحجّب العروس. ثم تقوم النساء بفك ضفائر العروس وصبغ شعرها بالحناء. وبعدها يصبغن يديها ثم أيديهن.

بعد إنتهاء الصبغ بالحناء في دار العروس، تعاد الحناء الى العريس، وتصبغ بها يداه وناصيته وجدائله، گولاگ [في العماديه: گولانگ]. وبعده يصبغ الحاضرون من الشباب أيديهم.

وفي زاخو، يأتي السبت بطقوسه الخاصة بين *ليل حنّه بيدوگل* وليلة الحناء الحقيقية. ففي صباح السبت يوقظ الموسيقيون بهذا النداء المرح: *هولّو، هولّو،*

موتوربو، *سَرْ سوباحيه لبيده*[٢٤]، "إستيقظوا، استيقظوا، أيها الموسيقيون، إنّه الصبح، دقّوا (على الطبل)!".

وتقيم الموسيقى كل اليهود واقفين؛ ثم يؤخذ العريس، وهو يرتدي ملابس عادية، الى الكنيس حيث لايُدعى هو ولا والده الى قراءة التوراة، لأنّهما في مراسيم الزفاف.

وخلال وجود الرجال في الكنيس، ترقص النساء والفتيات من عائلة العريس في المنزل على أنغام الموسيقيين. وتحمل أم العريس *ميبوسه* مع منخل (*عاربالا*) مملوء بالزبيب والفاكهة. وبصحبة الموسيقيين تحمل النساء هذا الى العروس لأجل *سوباحيّت كيلو* [في العماديه: *فتارت كيلو*] "فطور العروس". وهناك يستمر الرقص ايضاً، ويتم توزيع الأشياء الجيدة التي جيء بها.

في هذه الأثناء، تُرسل فتاة بين حين وآخر الى الكنيس لترى إن كانت الصلاة قد إنتهت، حيث تذهب النسوة الى الكنيس بعد إنتهاء الصلاة مع الموسيقيين لإعادة العريس. وكما أسلفنا، فقد تتم مباركة عدة زيجات معاً، ويلتقي الموسيقيون في الطريق. والضجة الناتجة تكون بحيث أن الشمّاش يضطر الى الخروج من الكنيس لتهدئتهم. عندها يعود الموسيقيون مع من معهم كل الى دار عريسه.

وبإنتهاء يوم السبت ياتي *ليليّه*[٢٥]، التي يتم فيها صبغ العروس والعريس بالحناء [في زاخو]. وخلال تلك الليلة لاينبغي أن ينام الشباب والشابات الموجودون في منزلي العريس والعروس، على التوالي؛ لأنّ عليهم أن يحرسوا العروسيْن (وكذلك هي العادة عند الكرد).

يجلس العريس على مسند منخفض، ويقوم رجل كبير السن بغسل رجليه وذراعيه وقص أظفاره. وأثناء ذلك يغني الرجال أغنية "*هاي چَلّيابي*". ثم يصبغون جديلتي العريس بالحناء وكذلك يديه من الجانبين حتى البراجم، وقدميه حتى الكاحلين. ويغنون في هذه الأثناء ويمنحون *الشاباش*؛ وفي النهاية يحنُّون أنفسهم.

بعد الإنتهاء من الحناء يحمل الرجال عدداً من قدور الحناء ويتقدمهم الموسيقيون الى دار العروس. والعروس سبق أن صبغت بالحناء. ولكن اذا كان هناك جزء من شعرها لم يصبغ بحناء ليلة الخميس فإنه يعاد صبغه. وأثناء الصبغ بالحناء يغني الحاضرون أغنية *ناريك*.

أما في أربيل، التي تقام فيها مراسيم البركات السبع في يوم الأحد ايضاً، فإنّ

٢٤- ژابا، القاموس، ص ٣٨٤.
٢٥- وكذلك عند الكرد تكون *الليليه* الليلة التي تسبق الأحد.

ليلة الحنّاء، بيت حنّه، هي ايضاً الليلة التي تسبق الأحد. وهناك يُصبغ خنصر وإبهام اليد اليمنى للعريس.

ليلة الحناء في العماديه

في العماديه ايضاً، تأتي ليلة الحناء (*ليل صاڤيعاتا* [أو *ليل صووعتا*]) قبل البركات السبع بيوم، أي في مساء الثلاثاء. ويبعث والدا العروسين شمّاشاً ليدعو الناس: *اتيتون صاڤيعاتا بيتت كيلو* (*ختنا*)، "هلموا الى الصبغ في دار العروس (العريس)". [وتختلف صيغة الدعوة الموجهة الى الأثرياء عن الموجهة الى الفقراء. فعندما يكون الرجل ثرياً، تكون الصيغة كالآتي: *ادليل صواتيلا بيث كيلو مباشليتون*، "الليلة هناك صبغ في دار العروس، فاطبخ" (أي إجلب معك طعاماً). أما اذا كان فقيراً فيقال له: *لا مباشليتون*، "لاتطبخ"، وهذا بدوره لايأتي معه بطعام].

يجتمع الناس في دار العريس، حيث يرقصون ويغنون ويشاركون في *المزّه*. ثم تقدم لهم وجبة الطعام. وبعد تناول الطعام، يقود *شوشبن يامن* (*قَريڤينه راست* [إشبين العريس]) *الختنا* بكل تؤدة الى بيته. وعندما ينتهي الضيوف من التبريك، يسأل كلٌّ منهم الآخر "أين العريس؟"، فياتي الجواب "لقد خرج غاضباً (*موخشمل*)"، "تعال، إننا نريد إعادته". وفي الطريق الى دار *الشوشبن* يغنون: *يا سَرْ قَنتَركا شي رَبَن شي رَبَن*، "تلك في الغرفة العلوية، جميلة جداً جميلة جداً" (بالكردية).

وعندما يبلغون الدار، يسألون العريس "لم غادرتنا؟" ويقدم *الشوشبن* المرطبات للضيوف، ثم يعاد *الختنا* الى البيت من طريق أخرى، *چَپه بوكه*.

وتكون الحناء قد جيء بها من دار العروس صباحاً. وهي الآن تعجن للعريس من قبل فتاة غير بالغة. وعندما تكون الحناء جاهزة، يُجلَس صبي على ركبتي العريس وتجرى عليه كافة مراسيم الصبغ بالحناء قبل إجرائها على العريس. وبدءً باليد اليمنى ثم الرجل اليسرى فاليد اليسرى والرجل اليمنى، تصبغ بالحناء وتُلَف. والغرض من صبغ الصبي بالحناء هو ضمان البركة بالعديد من الأطفال للعروسيْن في المستقبل. وبعد صبغ العريس بالحناء، يحنّي الشباب الحاضرون أنفسهم ايضاً.

عندما ينتهي صبغ العريس بالحناء، تذهب البنات الى دار العروس ليُحنّوها، *صوعاخ كيلو*. وهنا ايضاً تعجن الحناء من قبل فتاة غير بالغة. ويجري الصبغ بالحناء أولاً على بنت جالسة في حجر العروس. وما عدا صبغ شعر العروس بالحناء، فإن بقية العملية هي نفسها التي تجري مع العريس. وخلال العملية تغني

النساء: خَجوكه *سيمَر كَندي آخ يامان* [خَجوكه (إسم إمرأة) تضيء كالقمر، ما أجملها! (بالكردية)].

في سنه، تكون ليلة الحناء (*ليل حنّه*) الليلة التي تسبق الخميس، أما البركات السبع فتأتي في الليلة التي تسبق الجمعة. وتحنّي النساء جانبي يد العريس وشعره. ويُحنّى شعر العروس ويداها ورجلاها؛ كما ترسم خطوط عدة على جبهتها.

وفي زاخو، هناك وليمة، *پاشيڤت ختِنا*، تتبع الحناء وتقدم في دار العريس لحوالي مائة من الضيوف. أما النساء والفتيات فلايُقدم لهن غير الطعام الذي جيء به من بيت العروس في حفل يسمى *تَبَق* "السلال"، قبل *الليليّه*. ويحمل الموجودون في دار العريس حوالي مائتي رغيف خبز (*لَحَمت دوقي*)، موزعة على خمس أو سبع سلال – وكذلك بعض اللبن الرائب بالكعوب (*كارانگه ماست*) – في موكب يرافقه الموسيقيون الى دار العروس.

ويتناول العروسان كمية كبيرة من الطعام، إذ يجب عليهما أن يصوما اليوم التالي كلّه. ويقوم *الشوشبنم* بإطعامهما، لكون أيديهما ملفوفة ولايستطيعان تناول الطعام بنفسهما (في العماديه ايضاً)[٢٦]. وعندما يرفع *الشوشبن* اللقمة الأولى الى فم العريس – وهي قطعة خبز كبيرة – يحاول الجميع خطفها منه، ويقتطع كل واحد منها قطعة صغيرة على أنها *سيگولا* [بالعبرية، أي تعويذة]. ويفعلون الشيء نفسه مع لقمة العروس الأولى (في زاخو والعماديه).

وبإمكان العروس والعريس أن يتمددا ويناما؛ لكن هؤلاء الذين يقضون الليل في داريهما ينبغي أن يظلوا مستيقظين، حيث أن مهمتهم هي حماية العروسين من الأرواح الشريرة. فيرقصون ويغنون ويلعبون لكي لايغلبهم النوم. ويحمل البعض إبرة وخيطاً فاذا نام أحد، يخيطونه الى الحصيرة أو الى من بجانبه. وتوجد عادة مشابهة تمارس في *تشعا بآڤ*.

وفي سنه، يختار هؤلاء الحرس واحداً منهم يكون *كاد خودا* "رئيس الشرطة"، وآخرَيْن كشرطيين، *فَراش بيشي*. وهؤلاء يحتالون مختلف الحيل على رفقائهم. فهم مثلاً، يرفضون السماح للشباب بصبغ أنفسهم بالحناء ما لم يدفعوا لهم بعض المال. وبهذا المال الذي يجمعونه يقيمون بعد الزفاف عشاءً جيداً.

حمام العروس

بعد الصبغ بالحناء، يأتي إغتسال العروس والعريس كإجراء آخر ضمن الإستعدادات للبركات السبع. وفي زاخو تأخذ العروس حماماً ساخناً في دارها بعد الحناء – بينما لاتزال الدنيا مظلمة، قريباً من الفجر. ويتم أولاً غسل بنت لايزال أبواها على قيد الحياة في الماء، ثم تغتسل العروس، ويغتسل بعدها عدد من صديقاتها.

بعد الإغتسال في البيت، تصحب إمرأتان العروس الى النهر قبل إنبلاج الصبح؛ بحيث لاتزال ثم نجمة يمكن رؤيتها في السماء. وهناك تُنزع ملابسها – ولايبقى عليها مما يلبس أكثر من خاتم – ثم تغطس بنفسها في النهر ثلاث مرات. وهذه الغطسات في النهر ينبغي أن تجري حتى في فصل الشتاء.

وفي العماديه تصحب النساء والبنات العروس الى ضفة النهر (*روبار*)[٢٧] ويغسلنها في الماء الدافيء بواسطة *ليفة* (منسوجة)[٢٨] [يعني حرفياً "إسفنجة"؛ لكنها في الواقع محفظة يوضع بداخلها الصابون]، ويقمن برشّها بماء الورد وما الى ذلك.

وفي أربيل، يجلب الشماش للعروس بعد الإغتسال أدوات من دار العريس: صابون (*سابون*)، وخرقة إغتسال (*ليفك*) ومشط (*مسرك*) ومناديل (*پيشتَمال*) وماء الورد (*ميآت ورد*) ومعجون مزيل للشعر لإزالة شعر الجسم (*دَرمان گوره*). وعندما تمشط النساء شعر العروس، في العماديه، يلتقطن سبع شعرات من التي تعلق بالمشط. ثم يأخذن هذه الشعرات الى الحاخام، الذي يركّبها مع خيوط من الحرير ليشكّل منها ضفيرة، يُعتقد أنها تمثل إلتحام العروس والعريس الذي يدرأ ضرر السحر. وفي *الييحود* (أنظر الص ١٦٢–١٦٣) يفك العريس شعرة ثم تفك العروس أخرى، وهكذا الى يتم فك كل الشعرات.

بعد الإستحمام، يتم تغطيس العروس في النهر ثلاث مرات. ثم تُلبس ملابسها،

٢٦- لايمكننا الجزم بأن هذا هو السبب الوحيد أو أن المسألة هنا تدخل في باب الحرام. وتجدر الإشارة، إلى أنّه من بين كلّ الدوائر التراثية المختلفة فإنّ الپولينيسيين (سكان پولينيسيا، وهي مجموعة جزر في المحيط الهادي تقع الى الشرق من أستراليا والفلپين؛ ومنها جزر ساموا في جنوب المحيط الهادي – المترجم) بالذات – وكما هو الحال في جزر ساموا مثلاً، فإن مَن مات له ميتٌ لايضع الطعام في فيه بنفسه بل يجب أن يطعمه الآخرون (جورج بوشان، *Volkerkunde*، شتوتگارت – برلين، بلا تاريخ طبع، المجلد الثاني، ص ٢٣٩).

٢٧- ژابا، ص ٢٧٢: *روبار*، "نهر".

٢٨- [كان] هناك *ليفت كيلو* من هذا النوع موجود ضمن مجموعة براوَر بالجامعة العبرية (٦١:٣٦).

ولكنها لاتلبس زي الزفاف آنذاك. وأثناء إرتداء العروس لملابسها، تغني النساء: *دِم خَملولا، دِم خَملولا*، "زيّنوها بسرعة" (بالكردية) [وفق مصدري من العماديه، فإنّ كلمات الأغنية هي: *دِم خَيمولا، دِم خَيميولا/ تولي رَندي، دِم خَيميولا*، "زيّنوها، زينوها/ إنها جميلة ولطيفة، زينوها]. ويُقدَّم الكَعك و*البيرا ح* للنساء عند النهر.

ثم يُعِدن العروس وهنّ يغنين الأغاني، الى البيت محجّبة تماماً. ويخرج الموسيقيون لإستقبالهن؛ ويقف الناس على أبواب منازلهم يمطرون العروس بالجوز والحلويات والقمح[٢٩].

وفور دخول العروس دارها وإتخاذها مقعداً يُجلَسُ صبي صغير على ركبتيها، ويقال: *إشالاّ برينه قَمييا هَويلاخ هَوه أورزه* ["إن شاء الله سيكون أول مولود لك ذكراً"، أو *إشالاّ إليهه تاخيرَخ بخا أورزه*، "إن شاء الله سيذكُركِ الله بذَكَر"، في العماديه].

وفي الفترة التي تفصل بين حمّام العروس وحمّام العريس، يُكتب *كيتوبّه* [بالعبرية، عقد القران] (في زاخو والعماديه).

يتم تكديس جهاز العروس في إحدى زوايا الغرفة؛ وفي صباح الأحد، يأتي الحاخام وعدد من الوجوه ورجلان يأتي بهما *الحاتان* [العريس] لتقدير قيمة الجهاز وإدراجها في *الكيتوبّه*، الذي يتم إعداده مسبقاً. ويتم تقدير قيمة كل شيء وتسجيل القيمة في العقد. وفي أحيان كثيرة يتشاجر الوالدان على تقدير القيمة، مما يضطر العريس الى الطلب من الحاخام كتابة *الكيتوبّه* حسب تقديره (في زاخو والعماديه).

حمّام العريس (*خييپت خِتنا*)

في زاخو، بعد تقدير قيمة جهاز العروس، يدعو الشمّاش الشباب الى منزل العريس حيث يرقصون ويغنون ويمنحون *الشاباش*. وقد جرت العادة في السابق أن يتجول حوالي عشرة من الشباب يصحبهم الموسيقيون، في أنحاء المدينه قبيل إنتصاف النهار لجمع الطعام ل*باشيڤت ختِنا* [ويعني حرفياً "ما بعد عَشاء العريس" (يقابل السحور عند المسلمين – المترجم)، في العماديه]. لكن تم التخلي عن هذه العادة في الآونة الأخيرة. وبدلاً منها، يرسل حوالي مائة من عائلات الجوار الطعام. وهذه الوجبة هي من وسائل الترفيه (في زاخو).

٢٩- هذا يثبت قدمها وينظم أمورها. وفي أشنويه ايضاً يُرش القمح، [كما هو الحال في مناطق كثيرة في مختلف انحاء العالم].

وبعد تناول هذه الوجبة، يُبعث رجل مسن مع قِدْر وكمية من الحطب ليسخن الماء لحمّام العريس عند النهر. وفي موكب كبير يشارك فيه كل من يسمح له وقته بالمشاركة ويرافقه الموسيقيون يؤخذ العريس الى النهر. ويشتري والده للشباب، إنْ كان ثرياً، قبعات طويلة بيض من اللباد (*كوسيسا*، وتجمع على *كوسييسا*؛ وبالكردية: *كيومك* [أي: قبعة])[٣٠] تشبه تلك التي يلبسها النساطرة.

ويأتي غير اليهود ايضاً لمشاهدة حمّام العريس عند النهر. وفي مؤخرة الموكب يأتي العديد من الصبيان حاملين صرراً فوق رؤوسهم *بوقچت دِ خِتنا* [صرة ملابس العريس] التي تحتوي ملابس العريس.

وعندما يبلغ الصبيان الحاملون للصرر ضفة النهر، تبدأ النسوة أولاً بالرقص يتبعهن الشباب في رقصة *بريسا* [في زاخو؛ وفي العماديه: *خيگه* أو *خلوله*، "رقصة"] حولهنّ. ويسبق حمام العريس، كما في الحناء، إستحمام صبي غير متزوج وغير بالغ ولايزال أبواه على قيد الحياة. ويستغرق حمام العريس حوالي الساعة يرافقه غناء أغانٍ خاصة. وبعد الإنتهاء من الإغتسال يغطس العريس بنفسه في النهر ثلاث غطسات. وقد يغطس بعض الشباب ممن يريدون إظهار شجاعتهم ست مرات أو سبعاً الى أن ينادي الناس: *گميل، گميل*، "توقف!".

وبعد الغطس يلبس العريس ثياب الزفاف عند حافة النهر[٣١]. ويغرز في حزامه خنجراً (*خَنْجَر*) يستعيره من الكرد. وهذا الخنجر يعمل كوقاية من العين الشريرة ولتخويف العروس في حال تماديها في التمنّع. ويستخدم عمامة (*كاسرَوان*) [وهو منديل حريري مزيّن بنقوش ملونة يُلفّ حول القبعة] مثبتة عليها تعاويذ واقية من السحر والحسد – فمثلاً يرفق بها عصابة (*تيتا*) مزوّدة بسلاسل صغيرة وعقارب فضية وضفادع وأحجار خضر وأزرار مصنوعة من "عظام السمك". والى جانب كلّ ذلك، يحمل العريس غليوناً طويلاً جداً (*باسكه*)[٣٢]، يجب أن يدخن منه عند النهر (وهي عادة كرستانية ايضاً).

ويصحب العريس رجلان من أهم رجال المدينة. ومن أمامهم ومن خلفهم يرقص الناس رجالاً ونساء رقصة *درانگه*.

٣٠- ژابا، القاموس، ص ٣٥١: *كوومِك*، مصغّر كووم "الحلاق، القلنسوة". أنظر الصورة التوضيحية في كتاب بنديه، كردستان، ص ١٦٨.

٣١- يُتبرع بالملابس القديمة لكبير الموسيقيين. وكمزحة قد يُقذف هذا في الماء وهو بتلك الملابس.

٣٢- في العماديه، *باسكه بَچاي*، قصبة الغليون الملفوفة بالقماش. أنظر مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٥٣٠، النص ١٢، السطر ١١؛ ولم يتمكن من توضيح معنى العبارة.

حمّام العريس في العماديه

في العماديه، يتوجه العريس الى النهر راكباً يرافقه *دول* وزورنا [الطبل والمزمار]. ويطلق المسلمون الذين يرافقون الموكب النار من بندقياتهم. ويُغسل العريس على شاطيء النهر وتُوزع ملابسه القديمة على الرجال الذي يغسلونه. ثم يُغطّس في النهر ثلاث مرات ويُرش عليه ماء الورد ويُلبس ثياب الزفاف. وتُغنّى أغنية *زاوايي بينَه روباري* (أحضروا العريس الى ضفة النهر) أثناء إرتدائه ثيابه [أو يُغنّى: *زاوايي بينَه سَرشويي – حَمه مَم داوو*، "خذوا العريس الى موقع الإستحمام، حَمه (إسم) أمّك (تناديك)]. بعد ذلك يؤخذ الى *بي حازين* [حيث يلبسونه ثيابه. ويُدعى الكاتب فيرسم على جبهة [العريس] بالحبر الأسود علامة كبيرة. وتُدسّ الورود في عمامته وحزامه ويرش بماء الورد مراراً. [يترك العريس قميصه مفتوحاً عند العنق، ويبقى مفتوحاً حتى يدخل بعروسه. واذا تمكن من الدخول بها يغلق عنق قميصه؛ وإلاّ فإنّه يتركه مفتوحاً.

وعند إنتهاء العريس من إرتداء الثياب، يظل جالساً حيث هو، يحيط به العديد من الشباب. وقد جاء كلٌّ منهم بما ياكل ويشرب – قنينة من النبيذ أو الكحول، *والمزّه* وما شابه. ويجلس كل واحد من *الشوشبنم* على أحد جانبي العريس، ويغني جميع الحاضرين الأغاني على شرفه. وهكذا يقضون الفترة بين الساعة الثالثة بعد الظهر والساعة السادسة عندما ينهض الجميع لمرافقة العريس الى دار والد العروس، حيث تجري مراسيم *شَقْا براخوت* (في العماديه)].

كسوة العروس

أثناء إستحمام العريس، تُكسى العروس بثياب الزفاف. حيث يكون الى جانبها عدد قليل من صديقاتها، إذ أنّ النساء والبنات موجودات في ذلك الوقت عند النهر ليشهدن مراسيم كسوة العريس.

وبينما يكسين العريس، تغني البنات *ناريك*. [كلمات الأغنية هي: *نارينى هَي ناري*، "إتخذت العروس زينتها، إتخذت زينتها"، بالكردية]. وليس ثم مراسيم خاصة بإكساء العروس كما أن هناك القليل من المرح بسبب الحزن للفراق الذي يسود النساء من عائلة العروس. وتبكي العروس ووالدتها بصوت عال، ويُستحسن أن تبكي النساء والبنات الحاضرات ايضاً.

زي العروس (*)

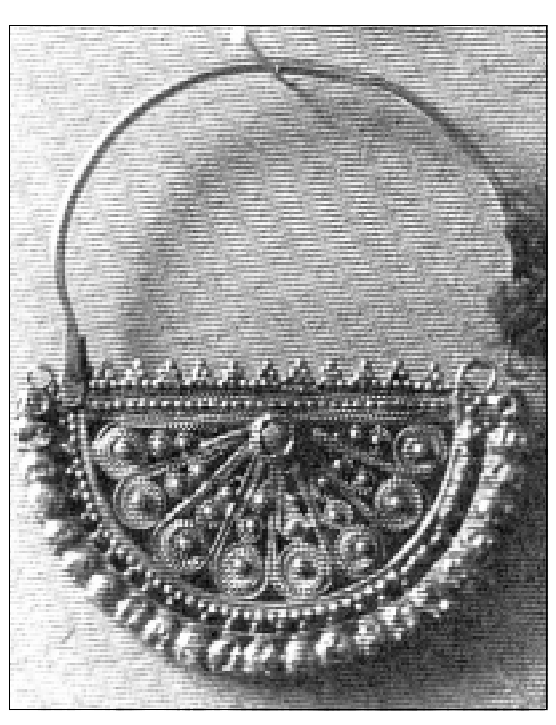
[ليست الملابس الجزء الأهم من زي العروس، فالحلي والزينة هي الأهم. حيث تُدسّ في شعرها سلاسل فضية مزودة بأجراس فضية صغيرة، تصدر عنها رنة كلما حرّكت رأسها. وتشد على كل ضفيرة من ضفائرها واحدة من هذه السلاسل ذات الأجراس. هذه السلاسل تسمى *گَدله*. وتضع العروس على رأسها كوچمه، غطاء رأس، من الصوف مزخرف بزخارف مختلفة. والكوچمه تكون على شكل فخذ ثور (أي أنها ذات نهاية مستدقة)؛ ومنها تتدلى على جانبي وجه العروس حلي ذهبية أو فضية تبلغ صدرها. هذه الحلي تسمى *شوشلاثا*.

وفوق الكوچمه تضع العروس برقعاً (خيپو) أحمر خفيفاً، يغطي وجهها ايضاً. وتضع في أذنيها القرط (*مَرْقاده*) – الذي يكون ذهبياً إن كانت ثرية وفضياً إن كانت فقيرة.

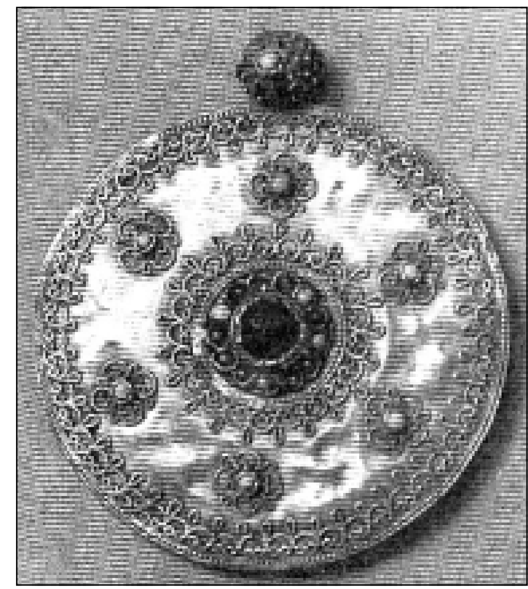
وتتدلى على أنفها حلقة الأنف (*خزيمته*) الذهبية المثبتة في ثقب في أحد منخريها. وحول عنقها تضع قلادة (*كَرْدانه*) – من الذهب إن كانت ثرية، وإلاّ فمن فضة. وفوق كل هذا تضع حول رقبتها قلادة عريضة من المرجان الأحمر يتدلى منها قرص دائري من الذهب. وهذه القلادة تسمى *توقد كِسني*، "قلادة المرجان"، بينما يسمى القرص الذهبي *دهوا أوروا*، "الذهبة الكبيرة". ومن كتفها الأيمن الى وركها الأيسر، تتدلى سلسلة فضية مزودة بصفيحة فضية. وهذه الصفيحة هي بمثابة تعويذة رسمت عليها كلمات عبرية وأغان ذات أهمية في درء الشرور، كأسماء *شادّاي* وصَقاعوت؛ وصلوات تبدأ بالكلمات: *انا بيخواح*؛ والحرف الأول من كل واحدة من كلمات بداية *اليسالم* (سفر الأناشيد)(**): *شير حاماعلوث إسّا عيناي*؛ وكلمة *أرگامان*، التي جاءت حروفها من الحروف الأولى لأسماء الملائكة: أوريل ورافائيل وگابرييل وميكائيل ونورييل. تسمى هذه الصفيحة *شِم شادّاي*، وهي هدية يهديها العريس للعروس. وتزيّن يدي العروس أساور، *شوبراسا*، من ذهب وفضة. وفي أصابعها عدد من الخواتم الذهبية، *إسقياسا* (*إسقِسا*)؛ أما خاتم الزواج فيجب أن

* [كان في نية براوَر أن يكتب مثل هذه الفقرة وأخرى تليها عن زي العريس، لكنه توفي قبل كتابتهما. والمعلومات الواردة هنا هي من الحاخام علوان أڤيداني من العماديه، وهي مدوّنة كما أوردها. رافائيل پاتاي].

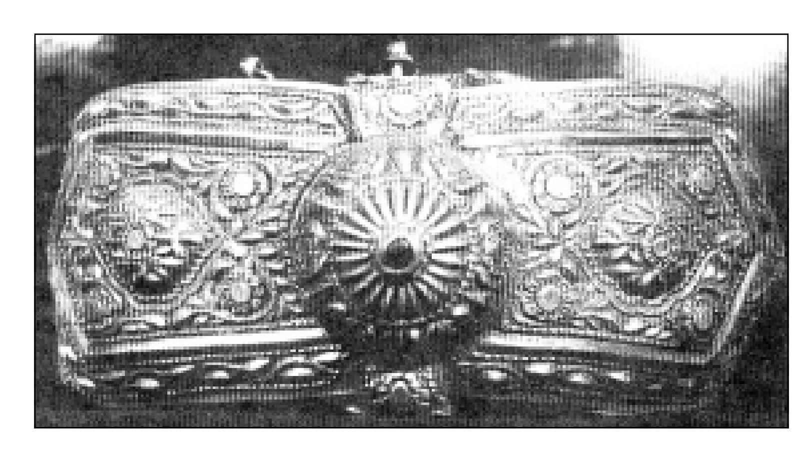
** *اليسالم* (سفر الأناشيد) أحد أسفار العهد القديم مؤلف من (١٥٠) من الأناشيد أو الترانيم (*پسالم*).



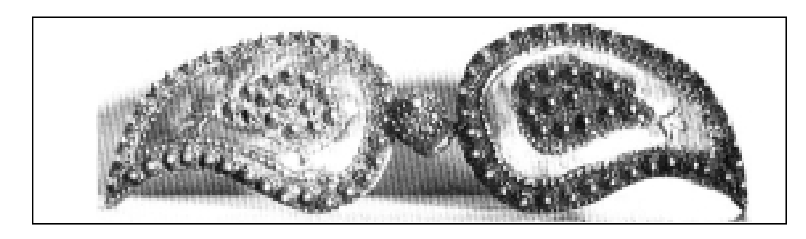
مَرڤاده (قرط)
من العماديه



دَهڤت گو توقه
(قطعة [حلي] ذهبية
تعلق في السلسلة)



كَمَر مالاجَم (إبزيم حزام) من العماديه



كَمَر دوتَبَق (حزام مطعّم على صفين)

يكون من فضة. وحول كاحليها تضع الخلخال (*خالخيل*).

وللجزء الأعلى من جسمها، ترتدي العروس بلوزة بيضاء خفيفة، *سودرت كيتان*، "بلوزة القطن". وفوقها ترتدي *بيلَكا*، "صدرية" من الحرير الملون وفوق ذلك معطفاً طويلاً، *كورتَك* أو *فستانا*. والأغنياء يصنعون هذا المعطف من الحرير أو من *كالابدون*، وهو قماش مصنوع من خيوط الفضة والصوف (أو الكتان) محاكة معاً. وفوق هذا المعطف ترتدي العروس عباءة قصيرة، *كوتكد كالابدون*، أي عباءة *الكالابدون*. وفوق *الكورتَك* أو *الفستانا* ترتدي نطاقاً من كتان، *كنيرا*، يشد من الأمام بواسطة كَمَر – صفيحتان من فضة. وتلبس سروالاً داخلياً، *شَرواله*، عادياً من الكتان مع جوارب مزركشة، *گورَوي چَكمه*، وحذاء. وفي العماديه، يكون الحذاء إما *قونَدَره* (مصنوع من الجلد) أو *پيلاو* (مصنوع من الجلد الأحمر، نوع من الخف) أو چَكمه (من الجلد الأحمر وذو كعب عال).]

زي العريس

[على العكس من العروس المزيّنة كلياً بالحلي، لايضع العريس أي نوع من مواد الزينة. كما لاتختلف ملابسه عن الملابس العادية التي يرتديها يومياً أو ملابس العيد التي يرتديها الشباب. ويضع على رأسه *خوسيسا*، قبعة، أو *جَمَداني*، عمامة للرأس مصنوعة من قماش أزرق، أو *پوشيه*، عمامة من الحرير. ويرتدي قميصاً من *كيتان* (قطن) وبنطالاً، *مخيزنا*، من قماش أبيض. وفوق القميص يرتدي *طاليث زعورا* (الطاليث الصغير، زي تقليدي مربع الشكل توجد به نتوءات كالأصابع عند زواياه الأربع)، وفوق هذا يرتدي *بيلَكا* (صدرية). وفوق هذه الملابس يرتدي بنطالاً وسترة، *شالا شاپوكسا*. ويشد على خصره *شالا تورما* ("شال من تورما" – وتورما مدينة في فارس تشتهر بصناعة الشال الذي يصدّر الى كردستان، في العماديه).]

الموكب الى دار العروس

في القرى التي يغتسل بها العريس في الحمّام (سنه وأربيل وأشنويه) يعود الموكب الى دار العريس، ليؤخذ من هناك الى دار العروس. وهذا يختلف عن العادة الجارية في المجتمعات التي يجري فيها إغتسال العريس عند النهر؛ حيث النهر يعدّ "مكان تعبّد"، ومنه يؤخذ العريس مباشرة الى دار العروس.

في زاخو، عندما يمر العريس بالمدينة في طريقه الى دار العروس، تعجّ أسطح المنازل بالناس وترفع النسوة أصوات *كليليلي*. ويتقدم أحد الرجال الموكب وهو ينادي: *باهتيثا جوخا ليعيزل جوخا لي خيّيت*، "أيتها النساء، لاينبغي لأيّ منكنّ أن تغزل، لاينبغي لأيّ منكنّ أن تخيط!". عندها ينبغي على النساء التوقف عن الغزل – العمل الذي تؤديه المرأة الكردية سواء كانت واقفة أو جالسة أو ماشية – كما لاينبغي أن يشتغل أي منهن شغل أبرة (وكذلك الحال في العماديه)؛ إذ يُعتقد أنّ مثل هذه الأعمال قد تكون نوعاً من الفأل السيء بالنسبة الى العريس. وكلما مر الموكب بدار أحد الأقارب أو الأصدقاء، تخرج سيدة الدار من الباب حاملة قدراً فيه قمح تنثره على رأس العريس، ثم تكسر إبريقاً أمامه. وعندها يصيح الناس (بالعبرية): "كُسر الإبريق وسلمنا نحن" (*هاكاد نيشبار وعانَحنو نملاطنو*). وكذلك عندما يمر العريس بعتبة دار العروس، تنثر إمرأة القمح على رأسه وتكسر إبريقاً.

في العماديه، وكما مرّ بنا، يؤخذ العريس من النهر مباشرة الى *بي حازين*. وهناك يجلس الرجال والشباب الى *شيريثت كام خِتنا*، ويمتعون أنفسهم بالعرق

و*المزه*. وفي تلك الأثناء يتوجه عدد من الشباب والشابات الى دار العروس لجلب *شَمعت خِتنا* [شمعة العريس]، التي يقدمها الشماش بمناسبة الزواج. وهي شمعة غليظة مثبتة على كعكة من الشمع. وحول تلك الشمعة الضخمة توضع سبع شمعات أصغر تمثّل البركات السبع. وتلتقط كل فتاة شمعة صغيرة ملونة لتحملها في موكب الزفاف.

ينضم الى الموكب كل القادرين على السير. أما المسنون والعاجزون والآخرون ممن لايقوون على السير، فإنّهم يملأون أسطح الدور التي سيمرّ بها الموكب. وفي طليعة الموكب يوجد الراقصون الذين يحمل كل منهم عند الرقص سيفاً وترساً. ويرقص رجال مسنّون رقصاً عنيفاً وفي أيديهم *گوپال* (العصا). وتتقدم العريس فتاة من عائلته حاملة مبخرة. [البخور نوع من الغراء، *بوخاري*، مصنوع من ثمار أنواع معينة من الأشجار. تنبعث منه رائحة نفاذة عند حرقه. ويُعتقد أن دخانه يُبعد الأرواح الشريرة؛ وبهذا فإنّه يحمي العريس]. ويتقدمه ايضاً *كريڤينا راست* حاملاً الشمعة الضخمة. أما *كريڤينا چَپ* فيمشي وراء العريس. ويمسك بعباءة العريس ليحول بذلك دون مرور أي شخص بينهما؛ لأنّ حدوث ذلك يؤدي الى تأثر العريس بالسحر.

ويحاط العريس بفتيات يحملن في أيديهنّ شموعاً موقدة وهنّ يغنين. ومن الأغاني التي يغنّينها:

پيكيلي [*پليطلي*] *سهيرير يا باهورا*: هناك يظهر القمر، ويشيع الضياء
[*لي بلهيبا إل سيپيست طورا*: إنه يضيء فوق (قمة) الجبل]

أما في سنه، فيتم إصطحاب العريس في موكب، من داره الى دار العروس. ويحمل الناس في أيديهم مشاعل خشبية وشموعاً وهم يقتادون الحصان الذي سيحمل العروس الى دار العريس (أنظر ص١٥٨). والحصان الذي تتم إستعارته من يهودي آخر – يتم تزيينه بإفراط فيغطى السرج بقماش ملون بألوان زاهية وكثيرة وتضفر أشرطة ملونة في ضفائر تشدّ الى عرفه وذيله. وعلى جانبي العريس يسير *الشوشبنيم* كلاهما، وفي يد كلٍ منهما مشكاة.

وصول الموكب؛ بيراخته

في زاخو، يجري *البيراخته*، "التبريك" (أي البركات السبع) في دار العروس، إذ يؤخذ العريس الى هناك. وبعد الغروب بعد البركات السبع، تؤخذ العروس الى دار

العريس. والأسلوب المتبع في العماديه وأربيل هو نفسه، إلاّ أنّه ليس ثم أسلوب موحّد على نطاق كردستان كلها.

ففي أشنويه تجري تلاوة البركات السبع إما في دار العروس أو في دار العريس بعد أخذ العروس اليها. وخوفاً من تعرض العروس لأثر السحر، تُتلى البركات السبع في دارها[٣٣] سراً فور إنتهاء حمّامها. وإلاّ فيمكن إجراء المراسيم في دار العروس أو في دار العريس.

وفي سنه من جانب آخر، تجري المراسيم عادة بعد أن يؤتى بالعروس الى دار العريس. وليس واضحاً السبب الذي أدى الى هذا التغيير في العادة الجارية.

وثمة القليل من التوحيد في العادة الجارية يتعلق باليوم الذي تُبارك فيه الزيجة. ففي زاخو يجري *البيراخته* مساء الأحد. وكذلك الحال في أربيل. أما في العماديه فيجري *الباروخ* [التبريك] مساء الأربعاء؛ وفي سنه[٣٤] وأشنويه (المناطق الخاضعة للنفوذ الفارسي) فيجري مساء الخميس، وفي دهوك مساء الجمعة.

وفور ولوج العريس الدار، تقوم إمرأة بكسر إبريق وتنثر القمح عليه (في زاخو) أو يُرشق بالجوز (في العماديه).

في زاخو تجري المراسيم في *السوپا*، وفي الصيف في *البَربانكه* (أنظر ص٨٧). وهنا لم تجر العادة على بسط قطعة قماش أمام العروس أو عليها على أنّها *هوپّا*، "ظُلّة العروس". وتوزع الشموع على الحاضرين لتُضاء عند إجراء *البيراخته*. أما الأب فيحمل شمعة كبيرة جداً.

وقبل البركات السبع، يقرأ الحاخام *الكيتوبّه*. وعندما يتلو أواخرها يهتف الحاضرون: *إلّيها ميعَمر* بيت بيبَخ، "ليعمر الله دار والدك (المقصود والد العروس)".

وتجري مراسيم البركات السبع في إحدى زوايا الغرفة. إذ يقف العريس قبالة العروس المتحجبة واضعاً قدمه اليمنى على قدمها اليسرى. كعلامة على خضوع الزوجة[٣٥]. وبعد الإنتهاء من البركات، يكسر العريس إبريقاً برجله.

٣٣- في زاخو، يجري العريس الذي له أعداء ويخاف من التعرض للسحر مراسيم تلاوة البركات السبع سراً في *الليليّه*، بعد منتصف الليل. ومع ذلك فإنّه يذهب الى النهر في اليوم التالي للتعميد واللبس ثم التوجه الى منزل العروس، حيث لايجري غير تلاوة *الكيتوبّه*.

٣٤- قارن: براوَر، مي *پاراشات ماسّاعوتاي*، ص ١٨.

٣٥- كانت هنالك حالات لم تسمح فيها العروس للعريس بأن يدوس برجله على رجلها.

أما في العماديه، فتُبسط قطعة قماش (*پيردت كيلو*) أمام العروس. ولدى قراءة *الكيتوبّه* يمسك الحاخام بإحدى نهايات الوثيقة بينما يمسك العروسان زاويتي الطرف الآخر، وتمد العروس يدها من خلال النقاب. وعندما يبلغ الحاخام في تلاوته عبارة: *مأقارا ع أومطلطأل*، يضرب الحاضرون الأرض بأرجلهم ويرددون العبارة من بعده.

في *الكيتوبّه* الكردية، توجد عدة نقاط تحدد وقت *قنيان* [الإكتساب]. وعند بلوغها يحمل الحاخام والعريس قماشاً من حرير لإجراء *القنيان*.

واذا كان العريس قد أعطى عروسه الخاتم في مراسيم *بيركات عروسين* [تبريك الخطبة] فإنّه يجري الآن البيع الصوري بين الطرفين بواسطة *پأروطه* (قطعة نقدية). ويتم ذلك بتغطيس *پأروطه* أولاً في النبيذ الذي سيحتسيه العروسان فيما بعد. وهنا ايضاً تظهر العروس كاشفة وجهها للعريس والشاهديْن ليتأكدوا من أنها العروس الحقيقية.

وبعد البركات السبع يتقدم الكل لتقبيل العريس من رأسه، والحاخام يغني:

هاي بو مبيرَك هاي بو مبيرَك: آه، ليُبارَك [ويكرر العبارة]

زاويوو بگلي معبيرك: ليُبارك للعروس عريسها. (بالكردية)

الأخطار المحدقة بالبركات السبع

يكون العروسان معرَّضيْن لأخطار من نوع خاص في مراسيم البركات السبع. فمراسيم الصبغ بالحناء والتعاويذ والإغتسال - كلها لاتجرى لمجرد إعداد العروسيْن وتهيئتهما للدخول في وضعهما الجديد، بل هي ايضاً لحمايتهما من التأثيرات الشريرة التي يكونان هدفاً لها بنوع خاص إبان هذه الفترة الإنتقالية.

فقبل البركات السبع، ينبّه الحاخام الضيوف المجتمعين الى تجنّب إجراء السحر على العروسيْن، قائلاً:

يي رابوتاي بيت ريشوت لاوت اويد زينا ابّيد إرخي كاتي إليسه كاتي خيتيسه گاد گينا ابو قيطل چوخه لي اويد خا چولا زيدينه مين گينا ويل كتيبا گو تورا ديني: *لو ياحاقول ريحاييم قاراخيف كي نَفَش هو حوڤل،*

"أيها السادة، لايُسمح لأيّ شخص أن يعمل عملاً يؤذي حجري الرحا (اللذين) أحدهما فوق والآخر تحت. ومن يفعل ذلك فكأنّما قتل نفساً. فلايفعلن أحد أمراً لايتعلق به. ولقد جاء في التوراة: "يحرم أن يحجز المرء حجر الرحا الأعلى أو الأدنى؛

ومن يفعل ذلك فكأنما حَجَزَ روح إنسان" (سفر التثنية: ٦١:٢٤)(*).

[وهناك نوع آخر من هذا التحذير (في العماديه) وهو: *رابوتاي: كتيڤا لي باتورا ديني مأقودشتا لي اويد زيينه إب إرخي كاتي إليسا أوكاتي كتيسا گاد ديانه اوي قاتيل*، "أيها السادة، لقد جاء في كتابنا المقدس، يحرم على المرء إيذاء أي من حجري الرحا (اللذين) يوجد أحدهما فوق والآخر تحت، لأن من يفعل ذلك فكأنما قتل نفساً". عندها يقول الرجل الذي يقوم بتنظيم حفل الزفاف: *لت رَشوث مين ميدراش إليل مين ميدراش إلتيخ اودي خا شولا زودينا من گَاني*، "لايسمح المجمع الأعلى ولا المجمع الأدنى، بأن يأتي أحد عملاً يتجاوز ما أوتي من قوة" – وهي كناية عن السحر.]

ويمكن القيام بنوع من السحر ضد العروسيْن أثناء البركات السبع وذلك بعمل عُقَد في خيط وقراءة عبارات سحرية خاصة أثناء ذلك.

ويحمي العريس نفسه من مثل هذا السحر بأن يقوم والده أو أحد أقاربه بربط رقية في عين الوقت. ويتم فكها عند ولوج العريس الحجرة الخاصة بالعروسيْن (في زاخو وأشنويه). وقد سبق الحديث عن مثل هذه التعاويذ ذات العقد لدى الحديث عن إغتسال العروس في العماديه. [في العماديه وقبل مراسيم البركات السبع، يؤخذ الرجل الذي يدير العرس ويُقال له "نريد أن نربط العروس والعريس الآن". ويؤتى بحلقة فضية أو ذهبية، وثلاثة أو خمسة خيوط حريرية مختلفة الألوان، وشعرتيْن طويلتيْن من رأس العروس. ثم يربط مدير العرس الخيوط والشعرتيْن الى الحلقة بسبع عقد، ذاكراً عند كلّ عقدة إسم أحد الملائكة. كما يتلو النشيد العشرين من سفر الأناشيد. بعدها تُعطى الحلقة ذات العقد الى العريس. وبعد تناول الطعام، يحلّ العريس إحدى العقد ثم تتبعه العروس فتحل أخرى، وهكذا الى أن يحلاّ كل العقد. ثم يخلع العريس حذاءه وبذلك يبدأ الجزء الأخير من مراسيم الزواج.

في العماديه، قد يُنبّه العريس ليخلع أحد فردتيْ حذائه قبل البركات السبع ثم يقوم أثناء تلاوة البركات بإدخال قدمه في الحذاء ببطء، بحيث تكون قدمه داخل الحذاء عند الإنتهاء من تلاوة البركات. ولكي يضمن العريس سيطرته على زوجته يدوس برجله اليمنى على الرجل اليسرى للعروس عندما تكون واقفة في مواجهته

* [هذه الفقرة ترجمت من قبل تارگوم القدس، الخ، وهي إشارة الى الذين يقومون بـ"ربط" العريس (بطريق السحر)، وهذا يجعله عاجزاً عن الدخول بعروسه. أنظر كذلك: تعليقات إبن عيزرا على سفر التثنية ٢٤: ١٠، والمجلد الأول من مؤلَّفي الإنسان والأرض، الص ١٩٦-١٩٧.]

ويظل على تلك الحال أثناء البركات السبع. وبإمكان العريس أن يفعل هذا فقط عندما تكون العروس على طهر (أي غير حائض) وإلاّ فلاينبغي له أن يمسّها.]

كما يمكن ايضاً أن يُسحر العروسان عن طريق الطيّ البطيء لسكين جيب (في العماديه وأشنويه). ولغرض حماية العريس يعيّن أربعة من الشباب الأقوياء كحرس، مهمتهم مراقبة الوضع والتأكد من عدم القيام بأعمال شعوذة. فمثلاً يجب عليهم أيضاً أنّ يتأكدوا من أنّه ليس ثم أحدٌ يدخّن؛ لأن من شأن التدخين أن يتسبب في جعل العروس عقيماً (في العماديه). كما يمكن أن يحمي العريس نفسه عن طريق ضم أحد الأصابع أثناء أداء كلّ واحدة من البركات السبع (في العماديه).

إنّ ساعة البركات السبع رغم كونها ساعة خير فهي بالقدر نفسه ساعة خطر. ولهذا السبب تُجلس النساء العقيمات، وخاصة كيپستا أو كيبستا (أنظر ص١٨٨) في الغالب الى جانب العروس (في العماديه).

في العماديه، تؤخذ العروس الى دار العريس بعد البركات السبع مباشرة. أما في زاخو فيجلسان معاً الى مائدة لتناول وجبة طعام تقدم ليُفطرا عليها من صومهما، لكنهما يأكلان منها قليلاً.

أخذ العروس الى دار العريس: شينويت *كيلو*

بعد الإنتهاء من البركات السبع ينهض الرجال ليعيدوا العريس الى داره. ويتخلف الشباب من الرجال والنساء للمشاركة في الموكب الإحتفالي الذي ترافقه الموسيقى، والذي يرافق العروس لدى أخذها الى بيتها المستقبلي. ولايرافق العريس الى داره مثل هذا الموكب الإحتفالي العظيم. ويعود العريس الى داره عبر *چابي* بوكه [طريق غير التي سلكها عند الخروج]. ويتم إطلاق النار في الهواء من قبل المشاركين في العرس، ويرمي الأطفال "القبعات"، ويغني الرجال ترنيمة بيگدال (إسرائيل ديڤيدسن، موسوعة الشعر العبري في القرون الوسطى، ص ١٩٥). وفي البيت يتلو الرجال صلوات *مينحا* و*معاريڤ* (في زاخو). ويختلف الأمر في أربيل، فهنا تؤدى صلاة المساء في الكنيس حيث يذهب الرجال مع العريس بعد مغادرتهم دار العروس.

يذهب العريس مشياً، فيما تُحمل العروس على ظهر حصان الى دار العريس (في زاخو ودهوك والعماديه وسنه وأشنويه). أما في أربيل فإن العروس ايضاً تذهب مشياً، بينما يمسك أبوها وأمها يديها.

وبصورة عامة، يقدم الآغا الحصان كدليل على إحترام اليهود. كما يقدم الآغا خادماً يقود الحصان (في زاخو ودهوك والعماديه). ويُبالغ في زينة الحصان. ويفضّل أن تُجلب فرس (في زاخو والعماديه: ميحين)؛ كما أنّ اللون يتمتع بالأهمية، ويفضل اللون البني (في العماديه)، ويُكره اللون الأسود (في أشنويه).

ويقبل أهلُ العروسِ العروسَ وعيونهم تدمع وقلوبهم مثقلة بألم الفراق، ولايُسمح لأقاربها المقربين بمرافقتها الى دار العريس لأنّ هذا من الأمور المستهجنة. وعندما يأتي الناس لأخذ العروس خارجاً الى الفرس ينهض عمها فيغلق عليهم الباب، وعندما يُسأل عمّا يريد يطلب منهم *پشتا دَري* (بالكردية)[36] "ما وراء الباب". وبعد شجار كثير ينقلب في بعض الأحيان الى عراك جدّي، يتظاهر بإقتناعه بفتح الباب (لقاء حصوله على عدد من المجيديات من أقارب العريس) (في زاخو).

وعادة *پشتا دَري* هذه جارية في العماديه ايضاً، بإستثناء كون من يغلق الباب هو السقّاء (*سَقايي*). وفي سنه، يفتح شماش الكنيس الباب – ولكن فقط بعد دفع مبلغ مناسب له[37]. وعندها تؤخذ العروس الى الخارج متحجبة لتُحمل على فرسها التي يقودها أقارب العريس. ويظلون ممسكين بالعروس لأن موسيقى *المطوربيي* أو أصوات الحشد قد تربك الفرس. وتُحمل في الموكب الشموع والمشاعل.

ويمارس الكرد ايضاً عادة *پشتا دَري*. فمثلاً في أثناء زواج بنت أحد الأغوات، يغلق الراعي أو السائس الباب ويقول: "*پشتا دَري من دويت*"، "أريد ما وراء الباب".

وفي العماديه يُحمل مهر العروس (نقده) ضمن الموكب في صورة جهاز العروس. حيث يحمل شباب أقوياء بوقچت *كيلو* على رؤوسهم. وتحتوي ملابس العروس وحاجياتها، ملفوفة في "أقمشة ذات ألف رقعة". ويحمل آخرون الوسائد والصندوق والمرآة... إلخ. كما تُحمل معها أواني مملوءة بالأطعمة والفاكهة؛ ويحمل شاب الكأس الذي تشرب فيه العروس (زيڤرتت *كيلو*) الذي يغطى بغطاء منسوج من نوع خاص (پيدومت زيڤرتت *كيلو*)[38].

[حسب ما ذكر مصدر معلوماتي، فإنّ العروس تؤخذ الى بيت عريسها على ظهر حصان في الشتاء فقط، حيث يكون المشي في الشوارع عملية صعبة. واذا لم يكن

٣٦- ژابا، القاموس، ص ٧٩: پشت دَر، "les traverses d'une porte".

٣٧- أنظر ايضاً: براوَر، مي *پاراشات ماسّاعوتاي*، ص ١٨.

٣٨- تزيّن حواف هذا النوع من الغطاء المحبوك ينقش من الخرز يمثل صورة "يَدَيْن" تتصافحان يُعتقد أنهما يمثلان العروسيْن (مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ٣٩: ٦٧).

ثم حصان، يحملها رجل من عائلة العروس على ظهره. أما في الصيف فتذهب العروس الى بيت عريسها مشياً. وأثناء مسير الموكب تغني النساء:

هَر سيلان وِء هَر موسييلان: لقد جئنا، وجلبنا معنا

ب أسپي شليخي مأپولطيلان: وأخرجناها بالسيوف المسلولة

أولأفلين ختنا مأبورخيلان: وباركناها لهذا العريس

كما يغنين أغنيةً عبرية:

إيمت أتّا حاتانينو: إنك حقاً عريسنا

كأمو سَهار بأتوخينو: كالقمر بيننا، إنك كالملك في أعيننا

أوخأميليخ أتّا لأفانينو: ليباركك الله

بأخالاّتخا مأود تسماح: نتمنى لك السعادة مع عروسك

بأروف مامون أوڤأروف كيماح: مع الكثير من المال والكثير من الدقيق

ڤأتزك لاحازوت صيماح: وليمدّ في عمرك حتى ترى صيماح (المسيح)

بأياميخا أوڤأيامينو: في أيامك وأيامنا

وتُغنى هذه الأغنية في السبت ايضاً أثناء إحتفالات الزفاف، عندما يُدعى العريس لتلاوة التوراة في الكنيس.]

لايسلك موكب العروس طريقاً مباشرة، وإنما يسلك طريقاً متعرجة بإتجاه دار العريس. وعلى طول الطريق تقف النساء على الأسطح ويطلقن الزغاريد كما هو الحال مع موكب العريس. وتخرج النساء من أقارب العروسيْن من دورهنّ ليمطرن العروس ومواكبيها بالقمح والجوز ويكسرن كأساً أمام الفرس التي تمتطيها العروس. وتفعل حماتها الشيء نفسه عند بلوغها دار العريس؛ وعند ولوجها الدار يمطرها حموها بجوز صغير الحجم يتدافع الأطفال لإلتقاطه (في زاخو، وكذلك الحال في العماديه).

في سنه ايضاً، يتخلف والدا العروس وأقاربها ويبكون فراقها. وتمتطي العروس المغطاة بقماش أحمر اللون (ديويخ) وحول وركها شال أحمر على أنّه *سيمان طوڤ* [جالب الحظ] صهوة جواد ويمسكها من الجانبين رجلان مسنان من عائلتي العروس والعريس. وهنا يتقدم العريس العروس. وعندما يبلغان منزل أحد الأقرباء تُخرج العروس مرآة وطست ماء وشربتاً (عصير الليمون) وعرقاً. وينظر العريس (وليس العروس المتحجبة) في المرآة وطست الماء، بينما يقول الواقفون الى جانبه:

باروخ هاطوڤ ويهاميطڤ، "بورك الحسن وخالق الحسن". ثمّ يُشرب الشربت والعرق، ويرش العروسان بماء الورد (گولاب). وتاتي العائلات الثرية بزينة ذهبية (ليس كهدية وإنّما كإعارة) تُعلّق على الحصان.

وفي اللحظة التي تتجاوز فيها العروس عتبة باب منزل العريس، الذي سيصبح منذ تلك اللحظة منزلها، توهب لها ثياب خاصة بسخاء؛ وقد لايرتبط بعض هذه العادات بما جاء في "طقوس المر" لآرنولد فان گينپس.

وعادة رش العروس بالقمح شائعة في كلّ أنحاء كردستان. وفي أشنويه تغطّس العروس بالماء ايضاً. وعندما تلج العروس الدار يحييها العريس ايضاً برشقها بمواد تمثل رموزاً للخصب والنماء. أما في أربيل، فيرتقي العريس والعديد من أصدقائه سطح الدار ومن ثم يمطرون العروس بالقمح والشعير، ويمطرها شباب آخرون بالزبيب واللوز والحلويات. وفي أشنويه ايضاً يرتقي العريس سطح الدار؛ لكنه يلقي من هناك التفاح محاولاً، إنْ أمكنه، أن يصيب بها رأس عروسه.

وفي العماديه ترش والدة العروس كنّتها بالقمح وهي تقول:

شينوياخ بريخا: مبارك مقدمك

إبّيد برون أوبينيتا: بين أبناء وبنات

حَزَيت كالاتاخ: ولتري كنّتكِ

دوچمناخ دوچمن گوراخ: أما عدوّك وعدوّ زوجك

ناپلي خه إكليثاخ: فليقع تحت أقدامك

ثم تاخذ الحماة رغيف خبز ترشه بالملح والقمح وتعمل به ثلاث دوائر حول رأس الحصان وبعدها تطعم الحصان ذلك الرغيف. وبعد إنزال العروس من الحصان يعتلي ظهره صبي ويهرول به هرولة سريعة في الشارع ثلاث مرات جيئة وذهاباً.

وفي سنه، ترقص الحماة أمام العروس أثناء عبور الأخيرة عتبة الباب. وأثناء رقصها ترفع فوق رأس العروس إناءً (*قيوه سيني*) في وسطه شمعة وسبع فتيلات، تحيطها أوعية صغيرة من القمح والحلوى والعسل وما الى ذلك. وكذلك توجد حولها شموع صغيرة مضاءة. وتضاء الشمعة الوسطانية الضخمة سبعة أيام وسبع ليال في حجرة العروسيْن. أما العسل فيُرشْ على قدم العروس لتُبارك وتكون "حلوة".

حجرة العروسيْن

في دار العريس تهيأ حجرة (في أربيل وأشنويه: *حوپّا*، وفي سنه: *پرده*، وفي العماديه وزاخو: *گنون*)[٣٩] للعريس والعروس. وفي سنه تتكون *الپَرده* من قطعة قماش تعزل جزءاً من الغرفة. أما في العماديه، فإنّ *الگنون* يصنعها شماش الكنيس من أربع قطع من القماش (*ستر*) مملوكة للكنيس. وتثبّت الستائر في السقف بواسطة حبال، لتكون معاً ما يشبه الغرفة. وتُفرش *الگنون* بالبُسُط والوسائد. تؤخذ العروس الى داخل الحجرة وتدخل عليها الإناث من عائلة العريس لتقديم التهاني لها. وبعدهنّ يدخل الرجال *الگنون* لتهنئتها قائلين: *بريختا أليا خير حازيتُن بگديد*، "أيتها المبروكة، لتري ألفاً من المحسنين معاً".

ويُدخل على العروس طفل صغير يُجلَس في حجر العروس. فتهدي إليه بعض المال الذي أعطاها إياها والدها عند فراقها. وبدلاً من طفل واحد يُدخل عليها بعدة أطفال يُجلسون في حجرها الواحد تلو الآخر. ويجري هذا التقليد بنية أن يبارك للعروس فترزق بالعديد من الأطفال.

ويتبع التقليد عينه في العماديه. حيث يؤتى بولد في الثالثة أو الرابعة ويوضع في حجرها. وتقوم هي بمعانقته وتقبيله، ثم تصرفه عنها بدفع منحة مالية له[٤٠].

ويؤتى للعروس بطعام من دار والدها ويقدّم لها. ولاينبغي أن تخلو وجبة *ساپويت كيلو* هذه من الرز ودجاجة. ويقف الأقارب والشباب حول العروس؛ وعندما تضع لقمة من الطعام في فيها يحاول هؤلاء خطفها منها – واذا سقط منها شيء على الأرض يُعتبر من يتمكن من إلتقاطه وتناوله بمثابة *سيگولا*[٤١]. وهذه المناسبة تكون فرصة لزيادة الأمور مرحاً.

وليمة الزفاف

أثناء *ساپويت كيلو*، يجلس العريس وكل المدعوّين الى *سعودات ختنا* في *السوپا*. وقد جلب كل واحد من الأقارب معه *سينيه ريش ختنا* (الدجاج والرز) من داره لتقديمها في هذه الوليمة. وفي الماضي كانت العادة أن يخرج الشباب مع

٣٩- في السريانية القديمة: *گنونا*، "حجرة العروس". ماكلين، القواعد، ص ٥٤ [قارن كلمة [illegible] التلمودية، حجرة العرس].

٤٠- أنظر العادات المشابهة (ص ١٤٧).

٤١- أنظر العادات المشابهة (ص ١٤٥).

الموسيقيين لجمع *السينيه* من بيوت الأقارب. ومع ذلك فإنّه يتم إعداد طعام في دار العريس للوجوه والحاخامات الذين تتم دعوتهم، وللفقراء ايضاً.

وبعد غسل الأيدي والدعاء بالبركة يوضع الطبق الذي فيه أفضل الدجاج أمام العريس وتوزع الأطباق والملاعق على الضيوف، ويرفع الحاخام ملعقته قائلاً: *يا جميعه بيخابّود*، "أيها السادة، مع التقدير". وعندما يبدأ العريس بتناول طعامه تبدأ *ساپويت خِتنا*، عندها يحاول الكل إختطاف اللقمة من فمه.

وأثناء وجبة الطعام هذه، يُرسل بعض الطعام الى منزل أهل العروس حيث الناس جالسون كالمفجوعين يبكون وينتحبون. ويذهب والد العريس وعمه الى هناك في زيارة قصيرة لتناول الطعام مع العائلة الحزينة ويحاولان الترويح عنها برواية القصص والحديث اليهم. ثم يعودان الى دار العريس لإكمال الوجبة.

يعيد الحاخام تلاوة البركات السبع، ويُبعث الى العروس بقارورة من النبيذ. ثم يقوم الجميع مع العريس؛ وبعد ذلك وبإشارة من الحاخامات يبدأ الرقص والغناء على شرف العريس. ويستمر الحال كذلك حوالي نصف ساعة وبعد ذلك والناس لازالوا يرقصون رقصة يزمون يُنادى *سيمحو نا*، *سيمحو نا*[٤٢]، ويدخل الرجال العريس على العروس في *الگنون*.

اليهود

عند سماع العروس صوت الغناء، فإنّها تسدل إزارها الذي هو برقع كبير يغطي الرأس والوجه، وتقف إستعداداً لإستقبال العريس الذي يدخل عليها ويطلب كأساً من الماء. وعندما تناوله الكأس يتعمّد إسقاطها. وهذه علامة على أنّه سيسيطر عليها. والوالدان الذكيان يخبران إبنتهما بهذه العادة؛ وفي تلك الحالة فإنّها لاتناول العريس الكأس يداً بيد بل تضعه أمامه [وبذلك لن يتمكّن من إسقاط الكأس من يدها].

بعد ذلك، يغادر الجميع الغرفة عدا العروسين. وخلف الباب الذي يقفله العريس، ينتظر رجل مسن وفي أحيان كثيرة تكون معه إمرأة عجوز من عائلة العروس، لحمايتها في حالات معينة – مثلاً عندما يعتدي العريس على العروس.

وينام العروسان على الأرض، ولايحدث أبداً أن يناما فوق سرير. وعندما تتم

٤٢– [إسرائيل ديڤيدسون، موسوعة الشعر العبري في القرون الوسطى، نيويورك ١٩٣٠، المجلد الرابع، ص ٢١٠، رقم ٨٢.]

الدخلة، يفتح العريس الباب لكي يرى الناس قطعة القماش الملطخة بالدم. وتظهر هناك ايضاً نساء من عائلة العروس؛ ليتمكّنّ من الإدلاء بالشهادة اذا ما أثار العريس فيما بعد وفي لحظة غضب الشكوك حول العروس.

وتطلق النساء الزغاريد ويصل الموسيقيون. وتعلن الموسيقى في الليل لأهل البلد أنّ العريس قد دخل بعروسه وأن العروس كانت عذراء. فيغادر الناس منامهم ويتوجهون الى دار العروسيْن، قائلين: "لقد صار عريساً". ويحمل أحد أقارب العروس بجلب قطعة القماش الملطخة بالدم الى دار والدها (في زاخو).

والعادات في العماديه تشبه هذه الى حدّ ما. حيث تؤخذ العروس الى *الگنون* ويدخل عليها العريس فوراً. ويجلس *قَريڤين* على كل جانب من جانبي العريس، بينما تجلس يمّيت *بوك*، التي تسمى الآن *سَرسپي*، "ذات الرأس الأبيض"، الى جانب العروس. وخلا هؤلاء يوجد القليل من كبار السن والشخصيات المحترمة في *الگنون*. ويقدم لهم الطعام القادم من دار أهل العروس. وعادة ما تقوم *سَرسپي* بإطعام العروس المتحجبة.

ويؤتى بولد في الثالثة أو الرابعة يوضع في حجر العروس. فتعانقه وتقبّله. ثم يغادر الضيوف *الگنون*. [واذا تلكأ أحد الموجودين في المغادرة، يُقال له: *پلوت*! "أخرج"] ويطلب *الشوشبن* من العريس رفع النقاب عن وجه العروس: *گلي پيتت كيلو*، "اكشف عن وجه العروس". وعندما يرفع العريس *حوّيت كيلو*، يجب عليه أن يهدي الى العروس قطعة من المصوغات. عندها يغادر *القَريڤين* و*السَرسپي* *الگنون*.

وكعلامة على أنّه دخل بها، يخاطب العريس العروس بصوت عال قائلاً: "إيتيني ببعض الماء!". وعند ذلك يدخل *القَريڤين* و*السَرسپي* *الگنون* ثانية. وتعرض *السَرسپي* قطعة القماش التي تحمل علائم البكارة، وتُهنّأ العروس بالقول: *پيست بيبخ يومّاخ خووارتا*، "لقد ابيضّ وجه أبيك ووجه أمك (أي رفعت رأسيهما)"[٤٣].

وعادة *پشل ختنا* جارية في العماديه ايضاً. فبعد الدخلة يربط العروسان أزرار ثيابهما، التي تركاها سائبة من قبل خوفاً من التأثر بالسحر.

[في صباح اليوم التالي، يُسأل العريس من قبل أصدقائه "وَجَدْتَ أم عثرت على" وهي إشارة إما الى "وَجَدْتُ المرأة أمرّ من الموت" (سفر تثنية الإشتراع ٧: ٢٦) أو

٤٣– اذا وجد أن العروس لم تكن بكراً، عندها يقول الناس: پيست بيبَخ يومَّخ قومته، "إسودّ وجه أبيك وأمك". [وفقاً للإستخدام العام لهذا التعبير في منطقة الشرق الأدنى، فإنّ "إسوداد وجه" شخص ما تعبير عن لحاق العار به، بينما "بياض الوجه" تعبير عن نيل الشرف].

الى "من عثر على إمرأة فقد نال الصلاح" (سفر الأمثال ١٨: ٢٢) حسب التعاليم التلمودية القديمة. وعند يهود العماديه يعتبر هذا السؤال نوعاً من أساليب التساؤل عما اذا كان العريس قد وجد عروسه بكراً أم لا.]

وفي سنه، يُترك العروس والعريس فترة أطول في *اليَرده*، حيث يتناولان أول وجبة طعام معاً قبل أن يتضاجعا. وفي الخارج تنتظر عجوز، *باخَسو*، "بديل الحماة"[٤٤]. وبعد الدخلة، ينادي العريس العجوز ويريها قطعة القماش. فتأخذها برفقة *الشوشبنيم* وعدد من الشباب الى والدي العروس. وعند ذلك تطلب العجوز ومن برفقتها هدية من الوالدين رافضين المغادرة قبل الحصول على بعض الدجاج. وفي سنه لاتتبع البركات السبع بوجبة طعام.

أما في أربيل، فيؤتى بديك ودجاجة من دار والدي العروس. ويتم إعدادهما لوجبة الطعام التي يتناولها العروسان معاً داخل *الحوپّا* . وتبدأ العروس والعريس أولاً بتناول رأسي الدجاجة والديك، على التوالي، ثم يباشران بتناول الباقي. وهذه الوجبة تعتبر *كاپّارا* ، "كفارة" للعروسين. ويجب على العريس مغادرة *الحوپّا* فور إنتهائه من الدخول بعروسه. ويستقبله الناس الذين ينتظرونه في باحة المنزل بالتبريك والزغاريد. وتأخذ عجوز من عائلة العروس، تسمى *بَرْبوك* (بالكردية)[٤٥]، قطعة القماش التي تحمل دليل البكارة وتريه أولاً لعائلة العريس ثم لعائلة العروس.

أيام الولائم السبعة

تتبع البركات السبع سبعة أيام للولائم (*شوعا يوميثت ختنا*). وخلال هذا الأسبوع الإحتفالي يظل العروسان داخل *الگنون*؛ لكن يجب أن يجلسا منعزلين لأن العروس لاتكون على طهارة. وينبغي للعريس أن لايأخذ من يد عروسه شيئاً ولا أن يضاجعها. ولهذا جرت العادة أن تدسّ بنت صغيرة بين العروس والعريس في الليل لمنعهما من إقتراف إثم (في زاخو). ولاينبغي أن تغادر العروس الدار خلال هذه الأيام الثمانية إلاّ اذا رافقتها بنت. وعندما يدخل العريس أو يغادر الغرفة ينبغي على العروس أن تقوم له. واذا كان العريس خارج الدار، فإنّ ولداً يُبعث الى الخارج ليستطلع ويعلن عن عودة العريس اذا عاد.

ولايُترك العروسان لوحدهما في *الگنون* أبداً. حيث يرافقهما طوال الوقت أحد

٤٤- مورگان، بعثة، ص ١٤٠: بالكردية *كاسّو*، "belle-mere, mere de la femme".

٤٥- أنظر ژابا، القاموس، ص ٤٣؛ *بَربوك*، "commere de noces".

القَريڤين اللذين لايذهب أي منهما الى العمل خلال ذلك الأسبوع. كما لايكف سيل متواصل من الزائرين عن زيارتهما. فخلال هذا الأسبوع تأتي النساء والبنات صباحاً، والرجال في المساء. ولايُسمح لأي شخص بالتدخين أو قطع أي شيء داخل *الگنون*. ويمنع النساء من الغَزْل في أي مكان من البيت كله. وهذا يدل على أن الخوف من تعرض العروسين لأثر السحر لايزال قائماً.

وفي كل صباح يبعث أهل العروس بطعام يكفي حوالي عشرين شخصاً الى دار العروسين. وهذا الطعام مخصص *للقَريڤين* والأقارب المقربين (في زاخو وسنه وأربيل). وفي المساء، يقدم العريس جانباً من الطعام – الذي يقدم للوجهاء. ومع ذلك فإن أغلب الضيوف يأتي بصينيته معه.

والعريس، وإن لم يكن من الشباب الذين يرتادون الكنيس عادة، فإنّ عليه وهو عريس أن لايفوّت أيّ صلاة خلال هذا الأسبوع. ويصحب *الشوشبنيم* العريس في موكب صباحاً ومساءً، ترافقهم الموسيقى – وفي الغالب *دولا وزرنا* – الى الكنيس. ويجتمع عدد من الناس قبل الموعد في دار العريس للإنضمام الى الموكب الذي سينطلق الى الكنيس. ويرقص هؤلاء *الحگّه* أمام الدار. وفي أربيل يشارك في الموكب أطفال يحملون الشموع[٤٦].

وتفرض العادة طقوساً محددة جداً في جولات الزيارات خلال هذا الأسبوع[٤٧].

ففي صباح الخميس وبعد البركات السبع وليلة *پشل ختنا*، يؤخذ العريس في موكب إحتفالي خاص الى الكنيس. يتقدمه الشباب وهم يرقصون رقصة السيف. ويشارك المسلمون الكرد في هذا الموكب. وبعد الصلاة يؤخذ العريس الى دار *القَريبهينا راسته* لتناول وليمة *هيلوله*، "وليمة العرس"، التي يعدّها له هذا في الليلة التي تتبع ليلة تأكيد بنائه بعروسه. واليوم، تقام *الهيلوله* في حال تمام الدخلة في الليلة الأولى. وبعد الإنتهاء من تناول العشاء يُعاد العريس الى منزله.

في مساء الخميس، *ساپويت ختنا*[٤٨]، وهو أول مساء بعد البركات السبع يجتمع

٤٦- في أربيل يُغنى *البيزمون* التالي على النحو الآتي:

اللهم بارك تجمعات الناس

وارفع صوت قوة ومنعة

واجعل إسرائيل يبتهج ويفرح.

[قارن ديڤيدسون، الموسوعة، رقم ٢١٩٦؛ الترجمة عن العبرية لرافائيل پاتاي.]

٤٧- الوصف التالي يعتمد على العادات المتبعة في العماديه.

٤٨- قارن ماكلين، القواعد، ص ٢٢٩: *ساپووا*، "القمة".

كل يهود المنطقة في منزل العريس، اذا كان من عائلة ثرية، للرقص والغناء. ويجلب كلٌّ صينيته معه ويقدم شيئاً من محتوياتها للعريس، قائلاً: *بَسيمان طوڤ نَقشه برونه أوبهانيتا*، "حظاً سعيداً، ولتصبغ [أي بالحناء] أبناءك وبناتك". وعندما تعطي النساء *ساپويا* لأم العريس، يقلن لها: *إيناخ بَهوره خازيات نَواقيناخ*، "لترى عينك الناظرة أحفادك".

وفي صباح الجمعة، يدعو الشوشبن الأيسر، *قَريڤينا چَپه*، العريس الى داره، مثلما فعل الشوشبن الأيمن في اليوم السابق. وفي هذه الأثناء تكون النساء مشغولات بإعداد طعام السبت، حيث سيحلّ كل يهود المنطقة ضيوفاً على العريس.

وفي هذا السبت، يُمنح العريس مراتب الشرف. فيتلو صلاة الصبح ويُخرج التوراة ويضعها على *التيڤا*، بينما يرتل المصلون پيزمون. ثم يُدعى العريس مع بقية ضيوف العرس لتلاوة التوراة كشخص "ثالث". وعندما يرقى الى التوراة يعيد المصلون ترتيل پيزمون آخر. ويعيد العريس اللفافة الى *الهيخال* [تابوت العهد]. ويرتل ايضاً صلاة *موساف*. وحيث أنّ *الموساف* لايرتل إلاّ من قبل رجل متزوج، يرغب المصلون منح هذا الشرف دفعة واحدة الى شاب حديث العهد بالزواج. [في العماديه ايضاً يرتلون *الپيزمون* الذي يسمى *أتّا هو يأُديدي، هَداري هودي*][49].

وبعد الصلاة يُعاد العريس ترافقه الموسيقى الى *بي حازين* حيث *الحاڤيريم*، وهناك يعقد أعضاء *حَڤرا قَدّيشا* [وتعني حرفياً "التجمع المقدس"، منظمة خيرية تعنى بأعمال كدفن الموتى وما شابه] ليهود العماديه (أنظر ص٢٢٥) إجتماعهم الأسبوعي صباح كل سبت. فيهدي إليهم العريس زجاجة عرق، وتُهدى إليهم زجاجة ثانية من مخزن الكنيس على شرف العريس. ويُطلق على هاتيْن الزجاجتيْن *داكه*.

وبعد عودة العريس من زيارته *للحاڤيريم* يجتمع في منزل العروسين الرجال والنساء جالبين معهم طعامهم. وهناك يحتفلون بأسلوبهم المميز. فيجلس الرجال لشرب العرق مع *المزه* وغناء أغانيهم التي هي في أغلبها كردية. وترقص النساء *الحگّه* مع العروس والرجال يرقصونها مع العريس. وتستمر هذه الفعاليات حتى *الدروش* حيث تتوقف لتستأنف بعدها.

٤٩- [قارن ديڤيدسون، الموسوعة، رقم ٨٧٧٥.]

فطور العريس: *صُباحيّه دَختنا*

لايكاد السبت ينقضي حين تباشر والدة العريس إعداد الطعام للصباح التالي. وتدعى النساء الأخريات ثانية لمعاونتها، والنساء اللائي لا أطفال صغار عندهن يبقيْن ويعملن حتى الصبح.

في *صُباحيّه دَختنا*[50] "فطور العريس"، يجتمع كلّ يهود المنطقة في منزل العريس. ويُدعى الى هذه الوليمة والدا العروس ايضاً. وهي المرة الأولى التي يظهران بها مع أقاربهما في دار العريس، إذ لاينبغي لهما المشاركة في الولائم التي تتبع البركات السبع.

وتبدأ المراسيم *بفَطارتا*، الفطور المبكر، الذي يبدأ بثلاثة كؤوس من العرق. وبعد *فَطارتا*، يغادر الضيوف إلاّ أقارب العروس فيمكثون في منزل العريس. يعود الضيوف مبكراً ومع كل منهم زجاجة عرق وشيء من الفاكهة. ويقبّل كلٌّ منهم رأس العريس ويضع الفاكهة وزجاجة العرق بين يدي *قَريڤينا راسته*. بعد ذلك يبدأ الحاضرون بإحتساء العرق والغناء والرقص حتى إدخال فطور العريس عليهم.

وتتبع هذه المادبة لعبة *بيسيرت ختنا*، "أسير العريس". حيث يأمر *الشوشبنيم الشاڤيش*، "الخَدَم"، بشدِّ وثاق الضيوف الواحد تلو الآخر (يستثنى من ذلك أقارب العروس) وتعليقهم من أعقابهم. ولايتم إطلاق سراح أيّ منهم ما لم يقطع وعداً بدفع فدية قد تكون نقوداً أو عرقاً أو دجاجاً. وتؤخذ فدية ذات قيمة كبيرة من الضيوف الأثرياء بنوع خاص. ثم يتوجه الضيوف مع العريس والعروس ومعهم الفدية التي أخذوها، الى النهر حيث يذهب الناس في هذه النزهة عادة؛ وهناك يأكلون ويشربون ويرقصون ويغنون حتى وقت الغروب. والمراسيم في زاخو مشابهة لهذه.

وفي أشنويه، يعيّن أحد أكثر أقارب العريس إحتراماً بصفة *ديوامبَگي* "حاكم الديوان". والى جانبيه يقف إثنان من "الشرطة" (*إشكاسه*). فيصدر *ديوامبگي* أوامره، "أحضروا فلاناً وفلاناً" – وعند ذلك يطرح "الشرطيان" الضحية أرضاً

٥٠- لايحتفل بعض العائلات بفطور العريس في صباح السبت، بل في الصباح الذي يلي البركات السبع مباشرة. وهذه العادة متبعة عند العائلات الثرية خاصة. كما توجد عائلات لاتلقي بالاً لهذا الفطور إطلاقاً. وحقيقة كون فطور العريس يتلو البركات السبع تكوّن لدينا الإنطباع بأن هذه هي العادة الأصيلة. كما أنّ من المحتمل أن يبني العريس بعروسه في الليلة التي تسبق نهار السبت، كما هو متبع في اليمن (أنظر إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراوَر) وهكذا فإنّ الفطور لايقدّم حتى صباح الأحد.

ويضربانه حتى يوافق على إعطاء ما يُطلب منه ويكون إما مالاً أو دجاجاً. فينطلق الحضور بالغنيمة ومعهم العريس والعروس الى مزرعة كروم، حيث يرقصون ويغنون وبعد ذلك ينقضون على "الغنيمة".

وفي سنه يُطلق على هذه المراسيم *سَرخَلوه*، "نزهة الزفاف". ففي الصباح الذي يتلو الدخلة، يجلس العريس متوَّجاً كملك (على حد قولهم) و*الشوشبنيم* على جانبيه. و"الشرطة" الذين سبق الحديث عنهم في موضوع الصبغ بالحناء (أنظر ص١٤٦) موجودون ايضاً. فيذهب هؤلاء "الشرطة" الى السوق وأماكن التجمع الأخرى؛ ثم يعودون ويضعون بين يدي العريس عدداً من الناس من بينهم نساء يفرض عليهم العريس غرامة (جُور). وبالمال الذي يُجمع يشتري المحتفلون الطعام والشراب ويقومون بتظيم نزهة مع العروسيْن في نهاية أسبوع الزفاف.

هذه العادة متبعة لدى الكرد المسلمين ايضاً، وربما اقتبست منهم. فعند الكرد يُنظر الى العريس على أنّه ملك؛ ويتصرف ثلاثة من رفاقه على أنّهم ضباط تابعون له (*چاڤشان*). وفي گرتن وبَرداني زاواي، "الإعتقال والتسريح بأمر من العريس"، يصدر العريس أوامره إليهم بإعتقال فلان وفلان. فيُعتقل الأشخاص المحددون ليمثلوا بين يدي الملك الذي يفرض عليهم إتاوة، كأن يطلب منهم شاة أو دجاجاً أو ألف جوزة أو شيئاً مماثلاً. واذا رفض ذلك الفلان، فإنّه يُربط ويُضرب حتى يوافق. وفي بعض الأحيان يؤخذ الناس من فراشهم للمثول أمام العريس.

كما يوجد لدى العريس الكردي "لصوص" (*دزين زاواي*)، يخرجون في هذه الليلة ويسرقون الدجاج بل والغنم ايضاً ويذبحونها في الحال. ويتسللون الى الدكاكين فيسرقون الرز والسكر والمواد الأخرى. واذا ما غضب أحد الضحايا فإنّ العريس يدفع له ثمن ما سُرق منه. وهكذا يمرح المسلمون الكرد في منزل العريس في الليلة التي تسبق ليلة دخوله حجرة الزفاف.

لنعد الى وصف تقاليد الزفاف عند اليهود في العماديه. يعود الناس من النهر الى دار العريس. ويجلب كل الضيوف ما عدا أقارب العروس، صينياتهم معهم. ويرقصون ويغنون. وقد جرت العادة أن يتناول الرجال طعامهم أولاً ثم يبعثون الطعام الى النساء اللائي يتناولن ما تبقى من الطعام.

وبعد تناول الطعام تأتي عادة *التَقسين*. الذي هو عبارة عن نوع من القدور الضخمة، يوجد منه ثلاثة فقط في العماديه. ويُستخدم هذا النوع من القدور في حفلات الزفاف، لطبخ وليمة *الصُباحيّه*، وفي طبخ الطعام في المآتم.

يُطلب من *الشاويش* "الذهاب والدوران حول *تَقسين* العريس و*تَقسين القَريڤين*". وتحتوي القدور الرزَّ وفوقه الدجاج، الذي هو طعام الولائم التقليدي عند الكرد. ولكون الطعام الذي يقدم في هذه المناسبة ذا قيمة دينية. يأخذ كل ضيف من كل قدر ثلاث ملاعق من الرز وقطعة من لحم الدجاج. وبعد المتعة الكبيرة في النهار، فإن هذه الملاعق التسع هي مجرد تعبير رمزي. وهي تؤكل على أنّها *سيگولا*. وبعد أن يأخذ كل الرجال حصتهم من الطعام، يأتي دور النساء اللائي تأخذ كل واحدة منهن ايضاً تسع ملاعق من *التَقسين*.

وفي مساء الأحد تجري المراسيم المعروفة بإسم *صُباحيّه*. حيث توضع بين يدي العريس صينية سيتم فيها جمع هدايا للعروس، فيضع فيها العريس قطعة من الحلي كأول هدية منه، ويتبعه الجميع فيضع كل واحد فيها قطعة من الحلي أو قطعة نقدية. وبعد إنتهاء الرجال من تبرعاتهم، تؤخذ الصينية الى النساء[٥١]**.**

وتعتمد عادة تقديم الهدايا كلياً على مبدأ التبادل. والفكرة هي أنّ ما أمنحه اليوم للغير، سوف أستعيده في الغد. أو، بالإعتماد على المثل القائل: *ناني ميرا كيره*، "رزق الرجال مستعار" (بالكردية).

وفي مقابل الهدايا، تقوم العروس بتوزيع المواد الصغيرة التي كانت قد أعدّتها قبل الزفاف.

وهذه العادة موجودة عند الكرد المسلمين ايضاً وتسمى عندهم *سَرصُباحيي بوك*، "أول صباح للعروس". ففي الصباح الذي يلي الدخلة يجتمع الضيوف في دار العريس. وتوضع صينية وسط الغرفة، ويجلس الناس من حولها. ثم يقوم الضيوف الواحد تلو الآخر، حسب موقعهم الإجتماعي، ويضعون قطع النقود في الصينية. وفي مقابل ذلك، يحصل كل متبرع على واحدة من الهدايا الصغيرة التي صنعتها العروس. أما كبار المتبرعين فيحصلون على هدايا أكبر تكون عبارة عن ملابس.

ليس ثم وليمة خاصة بإنتهاء المراسيم. بل يذهب *الختنا* و*الكيلو*، اللذين يسميان بهذين الإسمين طوال العام الأول من زواجهما، الى مقِڤه [الحمام الشرعي] وبعدها

٥١- في باڤاريا تقليد مشابه لهذا الى حدٍّ بعيد. يُطلق عليه *إيهرن* (المراسيم): "يشرب كلُّ ضيف يدنو من المائدة كأساً من النبيذ في صحة العروسيْن، و"يعلن" بصوتٍ جهير عمّا يريد أن يهب لهما. ويثبّت كاتب ذلك في دفتر" (جورج بوشان، *Die Sitten der Volker*، المجلد الرابع، ص ١٦٢؛ أنظر ايضاً الصورة التوضيحية رقم ١٢٨؛ [الترجمة عن الألمانية لرافائيل پاتاي]. وتسجّل الهدايا بدقة وبالصورة نفسها في كردستان. [هذا التقليد موجود عند المجتمعات اليهودية الشرقية الأخرى ايضاً.]

مباشرة يعودان الى حياتهما العادية. وتُحفظ أزياء "الملك" و"الملكة" في صناديق ثياب خاصة.

ولهذه السنة الأولى ايضاً مراسيمها الخاصة بها. ومنها الزيارة الأولى التي يقوم بها العروسان الى منزل والدي العروس. ففي العماديه تأتي *سَرسپي* مساء الجمعة الذي يلي أيام الولائم السبعة وتأخذ العروس الى منزل والدها. وتسمى هذه الزيارة بيشوده (في زاخو: بيشوزه)[٥٢]. وتمكث العروس هناك حتى مساء الأحد، بينما يبقى العريس في داره. وفي مساء الأحد يأتي *القَريڤين* بالعريس الى دار حميه، حيث يجرى إحتفال حسب العادة. وعندما يغادر الزوجان الشابان، يمنح الوالد إبنته قطعة من الحلي. فاذا لم ترضَ بهديتها تقول: "أنا لن أذهب"؛ عندها يجد الأب نفسه ملزماً بمنحها قطعة أخرى (وكذلك الحال في زاخو).

ويمارس المسلمون الكرد ايضاً هذه العادة. فبعد ثمانية أيام من الزفاف، تذهب العروس الى منزل والدها – ويُقال عن ذلك: *بوك چو هَشتيا مال بابي*، "ذهبت العروس الى دار والدها للثامن" (بالكردية). ويزورها العريس عند المساء. وتمكث العروس مع والديها ثلاثة أيام بلياليها وتحصل على هدية لدى مغادرتها. [هذه العادة متبعة عند يهود العماديه ايضاً، حيث تذهب العروس الى منزل والديها في اليوم الثامن بعد الزفاف. ويُعبّر عن ذلك بالقول: *كيلو زيلا إل بي شوده*، "ذهبت العروس الى دار الفرح".]

وفي الليلة الأربعين (*أربي*) بعد البركات السبع، يذهب الزوجان ثانية الى *مقڤه*. ويأتيهم *القَريڤينه* مساء للمرة الأخيرة؛ وللمرة الثانية كما في أسبوع الزفاف يجلس الجميع معاً للرقص والغناء والمرح. وتوجد العادة نفسها *چلك* "الأربعينية" عند الكرد المسلمين. ففي سنه يتم إنزال *الحوبّا* في الليلة الأربعين وتذبح دجاجة وديك ليكونا *كَپّاره* للعروسين.

وفي العام الأول، يُبعث بالطعام الى الزوجة الشابة من بيت والدها في كلّ سبت وكافة الأعياد (في زاخو والعماديه وسنه). وفي العماديه، كانت هنالك عادة تقضي بأن تبعث والدة العروس العشاء كل مساء الى إبنتها.

في الماضي جرت العادة في سنه أن لاتبرح المتزوجة حديثاً دارها طوال السنة الأولى من الزواج. وفي أشنويه جرت العادة أن تظل الزوجة متحجبة داخل البيت وخارجه حتى إنجاب أول مولود لها. ولايسمح لغير زوجها برؤية وجهها.

٥٢– ماكلين، القواعد، ص ٣٠١: *شودا*، "مرح".

الزواج عند اليهود القرويين

كمثال على تقاليد الزواج عند اليهود القرويين، نقدم وصفاً لزواجٍ قروي في إحدى قرى ضواحي سنه (كردستان الفارسية).

يعيش في كل واحدة من القرى عائلتان أو ثلاث فقط من العائلات اليهودية؛ لذا يجد الشاب نفسه مضطراً للزواج بفتاة من قرية أخرى. ولهذا الغرض يبعث بوسيط الى والد الفتاة؛ يناقش معه كل التفاصيل. وبخلاف العادة الجارية في المدن، يتقاضى الوالد القروي من العريس مبلغاً يتراوح بين ١٥٠ الى ٢٥٠ توماناً[٥٣].

ولدى إنتهاء المفاوضات، يبادر والد العريس بزيارة الى والد العروس. يرافقه فيها عدد من يهود قريته، ينضم إليهم في الطريق يهود من قرى أخرى؛ لكن العريس يتخلف عن هذه الزيارة.

ويُستضاف والد العريس والضيوف في دار والد العروس يومين أو ثلاثة. وتسمى المراسيم التي تجري هناك *شيريني خوران* "أكل الحلوى" (أنظر ص١٣٤). وتُقدّم للعروس الحلي التي بعث بها العريس لترد عليها العروس بعدد من مخاريط السكر.

عندها يرسل سكان القرية، الذين يندر كما أسلفنا (أنظر ص١١١) أن يأكلوا اللحم في الظروف العادية، في طلب *الشوحيط* [المذكّي الشرعي]، وذلك للإهتمام بخدمة الضيوف الذين شهدوا رحلة مضنية عادة. وفي مواسم الحج، لاينسى العريس إرسال هداياه الى العروس (حلي وقطعة قماش وأحياناً شاة) وترد العروس على هديته بأخرى.

وبعد تحديد موعد الزفاف يبعث العريس الى سكان القرى القريبة رسولاً يدعوهم. ويدعى الى الحفل غير اليهود ايضاً.

ولدى إقتراب اليوم الموعود، يتوجه العديد من اليهود يرافقهم جيرانهم المسلمون الى قرية العروس، حيث تنتظرهم سلسلة من الولائم الإحتفالية – اليهود والمسلمين معاً – في دار والد العروس. ويساعد المسلمون ايضاً في إعداد تلك الولائم حيث تأتي النساء المسلمات لمساعدة اليهوديات في أعمال الطبخ والخبز.

ولكون يهود القرى أكثر خضوعاً لسلطة الآغا من يهود الحضر، فإنّ الأمر يستتبع ضرورة إستحصال موافقة الآغا قبل أن يلتزم الوالد بإرسال إبنته الى قرية أخرى أو يأتي العريس بزوجة من قرية أخرى. لذا فإنّ والد العروس يذهب برفقة

٥٣– عند الكرد المسلمين، يحتفظ والد العروس بنصف صداقها لنفسه.

عدد من وجوه القوم الى الآغا، مصطحباً مخاريط السكر والعديد من الهدايا الأخر، ليستأذن الآغا في مواصلة مراسيم الزواج[٥٤].

وتُرفع العروس على ظهر حصان. ولكون مرافقتها من قبل والديها أمراً غير مستساغ، فإنّهم يرسلون معها سيدة عجوز. وفي الطريق ينغمس الفرسان الذي يأخذون العروس الى قرية العريس في المرح والغناء واللعب. ولدى كل فارس ملعقة من خشب يثبتها في عمامته عند مرور موكبهم بأي قرية كعلامة على أنّهم موكب عرس. وفي أغلب الأحيان يطالبهم سكان القرى بهدية قبل السماح لهم بالمرور.

ومن قرية العريس، يخرج الناس لإستقبالهم على ظهور الخيل وهم يمارسون مختلف الألعاب. وعندما تنزل العروس من حصانها في دار العروس، يتم رشها بقطع النقود والجوز، كما يُرش عليها ماء الورد. وفي حالات عدة، ترفض العروس الترجل عن حصانها ما لم تذبح لها شاة وترسم على باب الدار علامة بتغطيس يد في دم الشاة وترك بصمتها على الباب[٥٥].

وتجري البركات السبع في القرى مساء الجمعة. ومراسيمها هي نفس التي تجري في المدن. واذا لم تجرِ البركات السبع في مساء الجمعة، فإنّ العريس يرتقي سطح الدار بعد الدخلة ويطلق رصاصة في الهواء كعلامة على أن العروس التي بنى بها كانت عذراء. وتقام ولائم في الليلة التي تسبق السبت وفي السبت – يحضرها المسلمون واليهود. ولدى الزفاف يقام مينيام ([هيئة من عشرة من الرجال البالغين (لاتقل أعمارهم عن ١٣ عاماً – المترجم)] والعكس لايحصل إلا نادراً)، ويُتلى شيء من التوراة. وفي السبت تقدم الهدايا. وهي تتكون من مخاريط السكر والغنم والملابس. ثم توزع العروس على الضيوف الهدايا التي سبق وأن أعدتها وصنعت بعضها بنفسها عندما كانت لاتزال في دار والدها (كالجوارب الملونة مثلاً)[٥٦].

٥٤– يُقال أنه حدثت حالات أعاد فيها الآغا العروس الى حيث أتت. وقد حدّثني مصدري عن حالة إحتجز فيها الآغا العروس عنده ثلاثة أيام قبل أن يعيدها الى دار أهلها. وربما دفع مثل هذا الحدث بنيامين الثاني ليقول في تقريره إنّ الـ"*jus primae noctis*" يسود في كردستان: ["وإضافة الى هذا، فإنّ العروس، وقبل أن تدخل بيت زوجها، ينبغي أن تكون في خدمة سيدها... ولم يتم التخلي عن هذا الإنتهاك البغيض إلاّ في السنوات القليلة الماضية، حيث استعيض عنه بتقاضي بعض المال. وكان السبب في هذا وقوع حدث دامٍ. حيث قتلت فتاة سيدها، بعد مواجهة شديدة" (ثمان سنوات، ص ١٢٧)]. ولم يكن لدى أي من مصادري معرفة مباشرة بعملية *jus primae noctis*، التي يثير وجودها الشكوك مهما كانت أسبابه.

٥٥– براوَر في "مي *پاراشات ماسّاعوتاي*".

٥٦– أنظر الص ١٠٢ و٢١٤؛ بالكردية ايضاً.

وفي ريكان، قرب العماديه، لاتستمر مراسيم الزفاف أكثر من يومين. حيث يُبعث رسول (*قاسوت*) في وقت سابق لدعوة اليهود من المستوطنات القريبة. وبعد ليلة الحناء يؤخذ العريس على صهوة حصان الى النهر الذي يبعد مسافة ساعتين عن ريكان. وهناك وقبل إغتساله، تجرى ألعاب الفروسية (جريدانـي)[٥٧].

ويؤتى بالعروس الى النهر في عين الوقت. وهي تركب بغلاً وترافقها زوجة الآغا التي تغني *ناريكه*. وبعد إغتسال العروسين تُذبح شاة وتُعدّ وليمة كبيرة عند شاطيء النهر يشارك فيها المسلمون الكرد ايضاً. وهي الوليمة الوحيدة التي يتكفل بها العريس، إذ يتكفل يهود قريته بباقي الولائم وبالتشارك بينهم. أما المسلمون الحاضرون فيستضيف الآغا بعضهم ويستضيف مسلمو القرية البعض الآخر.

وفي ضواحي سنه، لاتستغرق مراسيم الزفاف أسبوعاً كاملاً. حيث يعود الضيوف الى قراهم في يوم الأحد، لإستئناف أعمالهم التي تركوها وراءهم.

أما في قرى منطقة العماديه، فيقف رجل فوق سطح الدار التي جرى فيها الزفاف وينادي كعلامة على إنتهاء الإحتفالات: *خولا قيتيعيله قايسه بربزله* ["لقد إنفصم الحبل، وتبعثر الحطب"]. ويجري هذا في اليوم الثالث.

٥٧– ژابا، القاموس، ص ١١٥: غيرده [-جيرده] *(bande (de voleurs*"؛ قارن في العربية: جَريد، "مفرزة فرسان".

8

الولادة والطفولة[*]

بما أنّ المرأة عند اليهود الكرد تحتل موقعاً ثانوياً، فإن النساء الحوامل لايحظيْن بإهتمام يفوق بقية بنات جنسهن. إذ يُفترض بهن أن يؤدين أعمالهن العادية حتى ساعة الولادة. ويجزم البعض أنّ هذا أفضل لهن من الخلود الى الراحة.

واذا ما لقيت المرأة الحامل أيّ إهتمام فإن مصدره هو الحرص على حالة المولود وليس الوالدة. ومن الجانب الآخر فإنّ النساء في المجتمع يولين إهتماماً كبيراً بالأم المستقبلية ويزوّدنها بتوجيهات حول كيفية إعتنائها بنفسها.

وتعكس التعبيرات الشائعة حول الحمل هذا التوجه: فاذا أخذنا بالطرق الكردية الساذجة التي تعبر عن حالة الحمل، نجد أنّها بعيدة عن الكياسة.

ففي العماديه، كان يحتفل بما يسمى بالفرح للحمل (فَرحيه *سَميكه*) في الماضي عند أول حمل للمرأة الشابة[1]. ففور شعور العروس بأنها حامل تؤخذ الى دار والدها. وهناك تبدأ والدتها وقريباتها بجلب الأقمشة وخياطة الملابس للقادم الجديد. والمهمة الخاصة لخياطة *بَنوده*، غطاء المهد، يُعهد بها الى سيدة عجوز ولدت العديد من الأبناء والبنات. ويدعى الموسيقيون مع *دولا* (الطبل) و*زرنا* (المزمار) الى الدار حيث ترقص النساء ويغنين. وتتلقى الأم المستقبلية مشورة جيدة تتعلق بما ينبغي أن تفعل وما ينبغي أن تجتنب. وفي المساء تقام مأدبة في دار الزوج.

أما في زاخو، فإنّ العادة مختلفة. حيث تكون العروس خجلة لأول حمل لها وتحاول إخفاء حالتها الجديدة عن الأعين. وبصورة عامة تواصل المرأة إرتداء ملابسها المعتادة؛ ومع ذلك هناك ثوب خاص بالمرأة ترتديه عند أول حمل لها،

* [هناك مسائل كثيرة قابلة للمقارنة من تقاليد المجتمعات اليهودية الشرق أوسطية (والمجتمعات اليهودية الأخرى) تتعلق بموضوع هذا الفصل جمعها رافائيل پاتاي في "العلاج الشعبي اليهودي للعقم"، فلكلور، لندن، العدد ٥٥، أيلول ١٩٤٤، ص ١١٧-١٢٤، والعدد ٥٦، كانون الأول ١٩٣٣ وآذار ١٩٤٥، ص ٢٠٨-٢١٨؛ ما سبق، "*ها ليدا با مينهاگ ها عمامي*" [الميلاد في التقاليد الشعبية]، تالپيوث، نيويورك، العدد ٦، ١٩٥٣، ص ٢٢٦-٢٦٨، ٦٨٦-٧٠٥؛ العدد ٩، ١٩٦٥، الص ٢٣٨-٢٥٩؛ ما سبق، حول الفلكلور اليهودي، ديترويت ١٩٨٣، الص ٣٣٧-٤٤٣.]

١- شاهد شاباتي بَرَشه إجراء هذه المراسيم في ريكان في حوالي العام ١٩١٠.

***سودرا سَميكه* كَميته (في العماديه وبيتنوره وريكان وچالا وهَركي). و*السودرا* هذه تشبه الملابس العادية لكن بها قطعة من قماش تخيّط أمام الخصر على شكل إزار[٢]. كما جرت العادة أن ترتدي المرأة الحامل إزاراً يسمى *بَروانه*[٣] يُزعَم أنّ الهدف منه هو "إخفاء التغيير في حجم الجسم". لكن لاشك أن لهذه العادة أصولها المتعلقة بأعمال الشعوذة والسحر. ففي أنهالت (بألمانيا) تشد المرأة الحامل على خصرها إزاراً لكي "لايرفض الطفل فيما بعد الرضاعة من ثدي والدته"[٤].**

والقوانين التي تحدد تصرفات المرأة الحامل مختلفة[٥]. فمثلاً لاينبغي أن تأكل أي شيء حامض، وفي المقابل ينبغي أن تتناول كل يوم شيئاً من النبيذ ليكون المولود جميلاً وردي اللون، كما ينبغي أن تتناول العسل لأنّه يزيد من كمية الحليب (في العماديه). ويكون المولود جميلاً اذا تناولت الأم كمية كبيرة من السمك (في زاخو)[٦]. أما تناول لحم البقر فإنّه ممنوع (في زاخو).

وينبغي على الحامل الإعتناء كثيراً بقلامة أظفارها، فاذا داس عليها شخص ما فإنها ستجهض؛ ويحصل الشيء نفسه اذا داست هي على قلامة أظفار شخص آخر. والخوف من الأرواح الشريرة يرقى الى منع المرأة الحامل من صبّ الماء على الأرض في الظلام ومنعها من جلب الأواني السود الى الدار (في العماديه وزاخو).

الأخطار المحدقة بالمرأة الحامل، ووقايتها منها

هناك الكثير جداً من التعاويذ الخاصة بوقاية المرأة الحامل وتأكيدات خاصة على التعاويذ عندما تكون المرأة قد تعرضت للإجهاض من قبل (في العماديه وزاخو: تريخي) أو مات لها أطفال.

ومن العادات الشائعة جداً، حمل المرأة الحبلى قفلاً خاصاً معها (في العماديه وزاخو ودهوك وسنه). وكذلك وضع الجلد المنسلخ عن حية داخل حقيبة صغيرة تحملها المرأة في نطاقها (في دهوك)[٧].

٢- [كان] هناك *سودرا سميكا كَميتا* من هركي في مجموعة براوَر بالجامعة العبرية.

٣- مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ٤٣:٣٩؛ *بروانه* (بالفارسية: بروين)؛ ماكلين، القواعد، ص٣٩.

٤- ألفريد ڤيرث، *Anhaltische Volkskunde*، داسّاو ١٩٣١، ص ١٣٤.

٥- حول القوانين التي تحكم التصرف أثناء فترة الحمل، أنظر پلوس بارتلز، الأنثى، الطبعة ١١، برلين ١٩٢٧، المجلد الثاني، ص ٤٦١ وما بعدها.

٦- في العماديه، وعلى العكس من هذا، فإنّ السمك بعينه هو المحظور.

٧- في براندنبرگ، تشد الحبلى جلد ثعبان حول جسمها، پلوس بارتلز، الأنثى، المجلد ٢، ص ٤٥٥.

كذلك فتل خمسة خيوط حريرية مختلفة الألوان (أحمر، أخضر، أصفر، أبيض، أسود) على شكل حبل. وعند إجراء هذه العملية، تُلفظ أسماء عفاريت معينة. ثم يُشد الحبل بشكل قطري مائل حول الجسم مثل حزام الخراطيش الذي يشدّه الرجال المسلحون. والجدير بالملاحظة أنّه لايُشدّ الى الخصر كما لاحظنا في الكثير من الحالات الأخر[٨].

وفي بعض الأحيان يقوم الحاخام بكتابة التعاويذ. وهذه التعاويذ تُدفن تحت عتبة الباب، أو تُحرق لتمر المرأة من فوقها، أو يتم إستخدامها بالطريقة التي تُستخدم بها التعاويذ الأخرى المكتوبة.

أما التعاويذ المصنوعة من النحاس *برونجوك* فتُعد ذات فاعلية خاصة. في زاخو، تقوم المرأة الحامل بجمع الفضة من سبع بنات غير بالغات ليست لديهن أي ميول جنسية (عيشق) وسبع نساء في فترة النفاس ليس لديهن عيشق؛ ومن هذه الفضة يصنع لها صائغ فضة يهودي صفيحة يدوّن عليها الحاخام أسماء عفاريت معيّنة. وينبغي على كل من الصائغ والحاخام مراعاة القوانين المتعلقة بالطهارة عند صنع الصفيحة هذه.

ومع ذلك فإن الأكثر فاعلية هو تعويذة نحاسية قديمة ثبت من قبلُ أثرها السحري في هذا المجال. وتمتلك عائلات معينة مثل هذه التعاويذ وتعيرها لمن يحتاج اليها. فهناك مثلاً تعاويذ شهيرة في بيتنوره وباشقّلا. وهناك تعويذة من سوندو، عملها أج. گيداليا وصممها ح. ر. راحاميم، وهي دائرية قطرها ٤٧ ملليمتراً (مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ١١٤:٣٨). ومكتوب عليها:

יהוה	שדי
בשם אל אלהים	בשם עוריאל
שדי צבאות יהוה	שמריאל יצדהיאל
אל מיכאל גבריאל	יהדריאל יהואל יה
רפאל נוריאל לימה	לבשם פחדיאל ב נפ
חזי ימוה יוהך ברפמיאל	ורת יוס מבנפורת על
לבשם פנואל פנואל	יעתבו התן עדה על
פנואל חי חי חי יד	שור סוי סנסוי
פניאל בריאל	סמנגלף לשמירה
סיג וגד רוני	ורדה גמו עי
לוזהי	ריד

٨- المصدر السابق، ص ٤٤٩، يضم أمثلة لتعاويذ تُحمل في النطاق.

[من شبه المستحيل ترجمة نص مثل نص هذه التعويذة. وعلى أية حال، فهي تحتوي العديد من الأسماء الدينية (*يهوه، إل، إيلوهيم، شادّاي، شَباعوت*) والأسماء التقليدية للملائكة (*ميكائيل، جبرائيل، رافائيل،* نورييل)، إضافة الى أسماء ملائكة مركّبة (مثل: *بارفاتييل، مارييل، شامرييل، يَهادرييل، يَهويل، پاحادييل*). والسطور ٥-٨ على الجانب الأيسر هي عبارة عن الآيات الآتية: "جوزيف نبتة مثمرة، هو نبتة مثمرة يرويها نبع، وفروعه باسقة تتسلق الجدار" (سفر التكوين ٢٢:٤٩)، التي تستخدم عادة في التعاويذ اليهودية وقد وردت هنا بشكل محرّف، إذ جرى تكسير الكلمات وتجميعها في صيغ غير مفهومة. وتتبعُ هذا الإشارةُ المألوفةُ الى الملائكة الثلاثة *سينوي وسانسينوي وسيمانگيلوف*، التي يتوقع لها أن تستبعد الشيطانة الكبرى ليليث.]

واذا كان ثمة خوف من التعرض للإجهاض، تُستعار التعويذة من العائلة التي تمتلكها وتعلق في عنق المرأة الحامل على صوت *الشوفار*(*) (في العماديه). كما ويعتقد أن تعليق حدوة فوق الباب يمنع الإجهاض ايضاً (في العماديه). وتؤخذ المرأة الى دار والديها أو الى مكان آخر، بدافع الإعتقاد أنّ تغيير موقع السكن يمكن أن يضلل الأرواح (في سنه). وإضافة الى كل هذا تحج المرأة الحامل الى أضرحة مقدسة معينة. فمثلاً تزور المرأة في سنه ضريح إيستر في همدان.

واذا كانت المرأة مهددة بالخطر، يوضع على سطح الدار ليلاً إناء من الماء ليصيبه ضياء النجوم. وفي الصباح تُغمر في الماء سبع قطع من السفود الحار المحمرّ الذي يُستخدم لتحميص اللحم (*سابوزا*)؛ ثم تُسقى المرأة من ذلك الماء (في زاخو).

ويعتبر الإجراء المعقد الذي سنتحدث عنه الآن علاجاً فعالاً للغاية. تُذاب كرة من الرصاص (*باريقسا*)، ويوضع إناء فيه ماء فوق رأس المرأة الحامل، وتُرفع مكنسة من قش فوق الإناء. ثم يُصبّ الرصاص المذاب في الماء من خلال المكنسة، ليصدر صوتاً خاصاً كفحيح الأفاعي. ثم يُنثر الماء عند مفترق طرق أربع ويوضع رغيف خبز وبصلة على كل واحدة من الطرق الأربع (في العماديه، والتقليد في زاخو يشبهه).

واذا شعرت المرأة الحامل بالقلق فيمكن حرق جلد أفعى (*شلوختت خويوه*) تحتها، أو تثبيت ذيل ذئب على الباب (في زاخو والعماديه). [هذه الرقى ذات فاعلية ضد الأرواح الشريرة، كما هو الحال مع العين اليمنى للذئب التي تجلب الحظ في

* الشوفار (البوق) آلة موسيقية عبرية قديمة مصنوعة من قرن خروف معقوف، ولايزال يُستخدم في المراسيم الدينية اليهودية خاصة في *روش هاشانا* ويوم كيپور. (المترجم).

كل حال. فاذا كانت المرأة قد أجهضت في حالات حمل سابقة وتخشى أن يتكرر الأمر معها في حملها الحالي، فإنّها تأخذ جلد أفعى انسلخ عنه وتشدّه فوق بطنها تحت الثياب. ويبقى جلد الأفعى مشدوداً في مكانه حتى إنتهاء فترة الحمل، عندها يُرفع الجلد وإلاّ فإنّ المرأة لن تتمكن من وضع حملها لأن جلد الأفعى "يربطها". هذا وينسلخ الأفعى من جلده مرة كل ثلاث سنوات. (في العماديه)]

يتحكم في مظهر الوليد عاملان هما (١) الوحم عند الأم و"نوباته"، و(٢) القمر.

يمكننا القول بأنّ تأثير التوحم ونوباته على الطفل الذي لم يولد بعد، أمر شائع عند البشر جميعاً[٩]. ولهذا ففي كردستان ايضاً، يُوفّر للمرأة الحامل كل ما تتلهف اليه. وإلاّ فإن الوليد سيدخل الدنيا وفيه عيب من نوعٍ ما (في العماديه: *شامه*، وفي زاخو: *نيشانكه*. [و*شامه* هي لطخة سوداء تظهر على جسم الوليد في نفس الجزء الذي لمسته الأم من جسمها عندما شعرت بالخوف أثناء فترة حملها، في العماديه]. واذا مرت سيدة حامل بأناس يأكلون، يجبرها هؤلاء على التوقف عندهم ومشاركتهم طعامهم. كذلك عندما تزور أهل بيت ما فإنّهم يقدمون لها على الفور الطعام الموجود عندهم لألاّ تشعر بالوحم المفاجيء (في العماديه وزاخو).

وبما أنّه يُعتقد أن للقمر أثراً على مظهر الطفل، فلايُسمح للمرأة الحامل بمغادرة المنزل خلال مغيب الهلال (في العماديه وزاخو: *دَڤهيڤت سَهارا*). إذ يُعتقد أن الطفل يتحرك في رحم أمه عند مغيب القمر؛ وأن ذلك الجزء من جسم الجنين الذي سيقابل القمر ساعتها سوف يتشوه بظهور بقع حمر عليه (في العماديه وزاخو وسنه). وفي سنه يُطلق على هذه البقع *كال سَرا*.

الولادة

خــلال الولادة، تلازم الأمّ من قبل القابلةُ (في أربيل: *داپيرك*، "الجدة"؛ وفي العماديه وريكان: *داپيلكه* [*ديپيرك*، "الأم الكبرى"] أو *قابلَنتا*؛ وفي زاخو: جديكه؛ وفي أشنويه: *ماماته*؛ وفي السليمانية: *مامانجي*).

القابلة اليهودية تكون عجوزاً ذات خبرة لاتتلقى أجراً عن خدماتها بل تتلقى هدية (كقطعة من الملابس) والطعام خلال الأيام الثمانية التي تقضيها في المنزل.

وللقابلة اليهودية مكانة رفيعة عند الكرد ايضاً، حيث يلجأ الناس إليها طلباً للمساعدة. ويُعتقد أن العفاريت ايضاً تحتاج الى مساعدتها وتطلبها عندما تنجب

٩- المصدر السابق، ص ٤٧٠ وما بعدها.

نساؤها. وهذا لايحدث إلاّ في حالة أنصاف العفاريت، أي عند النساء اللائي يستبدلن طفلاً بآخر. وحكاية القابلة اليهودية التي دُعيتْ ليلاً لتوليد عفريتة شهيرة جداً. [وفيما يلي جزء منها:

كان ثمة رجل يُدعى شاكوكو، يعيش بالعماديه. وكان فقيراً وأمّه قابلة معروفة وسيدة محسنة. وعند إنتصاف إحدى الليالي، جاء أحدهم الى دارها وقال: "أيتها الخالة نوعومي!"، فسألت "ماذا تريد؟". "إنّ زوجتي على وشك الولادة، تعالي معي!". فأجابته "على الرحب، سأوافيك حالاً!" ثم غسلت يديها وتبعت الرجل الذي كان ينتظرها في الخارج. وعندما خرجا من المدينة، سألت الى أين يأخذها. فردّ عليها "يا خالتي أغمضي عينيك!" وأدخلها كهفاً؛ وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها داخل قصر ضخم. فيه إمرأة جالسة على صخرتيْن وقد جاءها المخاض. وحولها تقف نساء يغنين "اذا كان ولداً، فلتسعدي – وإن كانت بنتاً، فالندامة لك". فلاحظت أنهن لسن من البشر وساورها الخوف والوجل.

أنجبت العفريتة ولداً[١٠]. وكانت القابلة مسرورة جداً وفعلت كل ما كان ضرورياً. ولمّا لاحظت المرأة النفساء أنّ القابلة التي جاء بها زوجها ليست عفريتة بل هي من البشر، قالت لها "كوني حذرة ولاتأكلي شيئاً. إلاّ بعد أن يقسم لك زوجي بأنّه لن يفعل بك شيئاً، وخذي كل ما سيعطيك". وعندما جاء الرجل، قال "خالتي، سأعطيك كلّ ما تشائين". فردّت عليه "أرجوك أعدني الى منزلي، فأنا لا أتقاضى أجراً على ما أقدمه من خدمة". فقال لها العفريت "أقسم بهذا الولد أن أعيدك الى دارك سالمة!". ثم ذهب وعاد بحبل وبضع فصوص من الثوم. فتقبلتها وهي خائفة. وتوجب عليها من جديد أن تغمض عينيها، وضاع منها في الطريق بعض فصوص الثوم. أما ما تبقى من الثوم فقد طرحته في أحد زوايا الدار مهملة إياه، وألقت بالحبل على كومة من الحطب.

ولما استيقظت في الصباح، وجدت أمامها ذهباً بدلاً من الثوم؛ ووجدت كومة الحطب التي ألقت عليها الحبل القديم قد تضاعفت فصارت عشر أكوام. وصار كل ما يُلقى عليه الحبل يتضاعف الى

١٠- [في رواية أخرى يكون المولود أنثى؛ وتحمل السيدة العجوز متوجسة شمعة، ومنها تشكل تمثالاً على هيئة إنسان ذكر، وتجعل التمثال يمس الوليد لتضليل العفاريت.]

عشرة أضعاف. وهكذا باتت عائلتها غنية بفضل الحبل. ومنذ ذلك الحين أطلق الناس على تلك العائلة إسم عائلة الحبل][11].

هذا، ويُخشى من أن يكون البعض من القوابل يمارس السحر. وقد كان في ريكان قابلة سحرت الأطفال. وبذلك باتت الولادة عسيرة على النساء. وإكتشف إچ. ر. ميناخيم السحر وأعلن أنّ على المرأة في حالة المخاض أن تضع تحت وسادتها قطعة من ثياب زوجها كرقية من السحر[12].

ولاينبغي أن يكون الزوج في الغرفة أثناء عملية الولادة (في دهوك والسليمانية).

الوضع الذي تتخذه المرأة عند الولادة

في كردستان، تختلف الأوضاع التي تتخذها الأم اليهودية عند الولادة. فهي في سنه تجثم برجليها على صخرتين (*كيستا*) تسندها ثلاث من النساء. وفي زاخو، تجثو على ركبتيها على وسائد (دَزگا). وتجلس قابلة في مواجهتها، وتجلس أخرى وراءها وتقوم بتدليك بطنها. أما التي تجلس في مواجهتها فإنّها تمسك بيديها وترفعها قليلاً عند ظهور الطفل.

أما الأسلوب الذي كان متبعاً في العماديه سابقاً، بشأن الوضع الذي تتخذه المرأة عند الولادة فيبدو أنّه من العادات القديمة جداً. إذ تجثم المرأة مائلة الى الأمام ومستندة على دعامتين خشبيتين على شكل الحرف T. وهاتان الدعامتان يُحتفظ بهما في الكنيس؛ وبالتأكيد هناك زوج منهما محفوظ في كلّ واحد من الكنيسيْن. وليس لدى المرأة عند الولادة شيء آخر تستند اليه غير هاتين الدعامتين، أما *الدايلكه* فإنها لاتفعل شيئاً غير القعود في مواجهتها[13]. وقد أبطل هذا الأسلوب من قبل الحاخام يعقوف في حوالي العام ١٨٤٠. فباتت المرأة الآن تستند عند الولادة الى سيدة أخرى. كما استحدث الحاخام يعقوف تقليداً جديداً يساعد ايضاً المرأة العاقر في الشفاء من عقمها عن طريق تقديم هذه الخدمة الى إمرأة في

١١- [إريك براوَر، عادات اليهود الكرد، (أنظر منشوراته). [ترجمه عن الألمانية رافائيل پاتاي.]

١٢- في النمسا العليا ومنطقة سالزبيرگ يُعتقد أن الولادة تكون سهلة اذا ما إرتدت الزوجة شيئاً من ثياب الزوج. وهذه العادة جارية في البلاد السلافية وفي فرنسا ايضاً (پلوس بارتلز، الأنثى، المجلد الثالث، ص ٢٨).

١٣- بالإمكان أن نجد العديد من الأمثلة من آسيا - مثلاً في فارس (پلوس بارتلز، الأنثى، المجلد الثاني، الص ٧٥٩-٧٦٠) - على الجثو على مرتفع أثناء الولادة، لم أتمكن من العثور على أي شيء يتعلق بهذه المساند الخشبية.

المخاض. ويعتمد هذا التقليد على ما ورد في سفر التكوين (٣:٣٠) عن سعي راچيل للشفاء من العقم عن طريق جعل وصيفتها بيلهاه تتكيء على ركبتيها عند الولادة. (نقلت هذه المعلومة إليّ سيدة من العماديه تبلغ التسعين من العمر).

وتقضي العادة بنثر التراب على الموضع الذي تلد فيه المرأة، وذلك لتكون التربة أول ما يلمس المولود الجديد من هذه الدنيا (في سنه). وتستخدم هذه التربة المفتتة جيداً كمسحوق ايضاً، فبعد الإنتهاء من عملية الولادة بنجاح يوضع قليل من هذه التربة في كيس صغير تعلقه الأم على عنقها بطريقة تخفيها عن الأنظار. ويُعتقد أنّ هذا الإجراء يضمن نجاح الحمل في المرات التالية. أما ما يتبقى من التراب فيؤخذ الى مكان منعزل تجنباً لتلوث أي شخص به.

عسر الولادة

تجري عملية الولادة بصورة طبيعية في الغالب. ولاتزال حالات عسر الولادة غير شائعة لكثرة الإجراءات الممكن إتباعها في مثل هذه الحالات. ومن الواضح أنّ هناك علاقة بين عسر الولادة وإنتشار الكساح بين اليهود الكرد كنتيجة لسوء التغذية والعناية غير الجيدة بالأطفال الرضّع.

وتقسم الإجراءات المتبعة لمعالجة عسر الولادة الى قسمين: قسم يعتمد على السحر الممزوج بالمسائل الدينية وقسم يعتمد السحر وحده. ومن العادات القديمة الشائعة دعوة عدد من الحاخامات الى البيت لتلاوة *اليسالم* من أجل المرأة التي تعاني هذه الحالة (في سنه وزاخو والسليمانية). واذا لم ينجح هذا فإنّه يُطلب من أحد الحاخامات أن ينفخ في *الشوفار*. وعند ذلك تُنفخ أسماء ملائكة معيّنين في أذن المرأة (في العماديه وزاخو). ومن خلال النغمة الصادرة عن *الشوفار* يمكن التعرف على ما اذا كانت الولادة ستحصل بنجاح (في سنه والسليمانية وأشنويه).

وتُذبح دجاجة (أو حتى شاة بالنسبة للأثرياء) على أنّها *كَپّا*ره (أضحية للتكفير)، ويُرشّ دمها على المنطقة التي تجري فيها الولادة أو على المرأة نفسها (في العماديه). وفي زاخو، يؤتى بدجاجة وديك - الأولى للمرأة، والثاني للمولود الذكر المؤمل - ويُعلّقان فوق رأس الأم. ويوزع لحم الحيوانات المذبوحة على الفقراء.

ويُحضِر زوج المرأة التي تعاني المخاض، من الكنيس، الجزء الأعلى من "التيجان" (بالعبرية: رِمّونيم) التي تزيّن رقوق التوراة. وفي كردستان يمكن فكّ هذا الجزء العلوي الشبيه بالقبعة. فيذهب به الى حاخام يقوم أثناء ترتيل *اليسالم* (سفر

الأناشيد) بملئه *بمَييم حاييم* [بالعبرية، "ماء الحياة"]، وبعد ذلك ودون أن ينطق كلمة واحدة يسرع الزوج بهذا الماء الى البيت ويعطيه لزوجته كي تشربه، ويجب أن يناولها إياه من الخلف (في سنه).

كما يكتب الحاخام تعاويذ تتضمن أسماء ملائكة معيّنين، وتوضع تلك التعاويذ على لسان المرأة (في سنه)، أو على سرّتها (في زاخو). وفي بعض الأحيان تغسل التعاويذ بالماء وتُسقى المرأة منه (وهي عادة شائعة).

كما يُعتبر "*المَصّا* المحفوظ سبع سنوات" [الخبز غير المخمّر الخاص بعيد الفصح، الفطير] علاجاً كبير الفاعلية لعسر الولادة. حيث يُخبز *مَصّا* صغير، بحجم الدولار مع *مَصّا شمُّورا* (أنظر ص ٣٣٢)؛ ثم يوضع لسبع سنوات متتالية في طبق *سيدَر*(*) لتتلى عليه البركات. وبعد ذلك، تتم خياطة *المَصّا* في كيس مزيّن بالأزرار والخرز التي يُعتقد أنّها تؤدي أغراضاً سحرية[١٤]. ويتم تعليق *مَصّا* على عنق المرأة كتعويذة (في العماديه)، أو يوضع فوق قلبها (في زاخو). كما تُسقى المرأة من الماء الذي تم تنقيع *المَصّا* فيه (في زاخو).

والى جانب هذه العادات، التي تربطها روابط بالدين، هنالك أعمال سحرية خالصة إنتقل بعضها الى اليهود الكرد من الكرد أو من النصارى. منها أن يتم شراء قطعة قماش تكفي لتكفين المرأة وتوضع الى جانبها ويُقال لها "هذا كفنك، هذا لكفنك، وها نحن نهبه للفقراء على أنّه *كَپّاره*". ثم يتم توزيع قطعة القماش على الفقراء (في زاخو). وكدواء تُسقى المرأة شراباً مصنوعاً من منّ السما (*أَرعورا*) المذاب في الماء (في زاخو [والعماديه]) أو تُسقى حساءً مصنوعاً من أوراق التين (في دهوك).

وتلعب رِجل الزوج وحذاؤه دوراً هاماً في التدابير المتخذة في حالات عسر الولادة. وهذه التقاليد شائعة في جنوب شرق أوروپا ايضاً. فعند اليهود الكرد، يضرب الزوج زوجته على ظهرها بحذائه (في العماديه وسنه). وقد وجدنا العادة نفسها متبعة عند اليونانيين المعاصرين. وعندهم يضرب الزوج ظهر زوجته ثلاث ضربات بحذائه وهو يصيح "أنا الذي حمّلتك هذا الحمل، والآن أريد أن آخذه منك"[١٥]. أو يصب الماء في حذاء الزوج ويكون على الزوجة أن تشرب منه (في زاخو وسنه).

* السيدَر هو الوليمة الدينية التي يقيمها اليهود في منازلهم في الليلتيْن الأولى والثانية (أو الليلة الأولى فقط) من ليالي عيد الفصح. (المترجم).

١٤- [كان] هنالك نموذج منه ضمن مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ٥٥:٣٩.

١٥- في زاخو، جرت العادة أن تقوم المرأة التي تعاني من آلام وتخشى الإجهاض بشد إحدى فردتي حذاء لزوجها على جسمها (پلوس بارتلز، الأنثى، المجلد الثالث، ص ٣٤).

ويمارس الصرب[١٦] وكذلك البوسنيون[١٧] هذه العادة. وهناك علاج آخر يبدو أنّه ايضاً يعتمد نفس الأسس السحرية ويقضي بأن تشرب المرأة من الماء الذي يغسل فيه الزوج رجله (في العماديه وزاخو).

رعاية الأم بعد الولادة

يتم دفن المشيمة (في زاخو ودهوك والعماديه: *كاوورسه* "التابع"؛ وفي سنه: *كورته*؛ وبالكردية: *هاوَلا بچوك* "مرافق الصغير") أو يُلقى به خارجاً. وتقطع القابلة الحبل السري بواسطة مقص. وفي زاخو تقوم الجديكه بقص الحبل فوق إصبعي القدم الكبيريْن لإمرأة عاقر ليسيل الدم عليهما. وعندما يسقط ما تبقى من الحبل تحصل القابلة على هدية (في سنه). أما البقايا الجافة من الحبل السري فتوضع في كيس صغير يُعلّق على المهد. ثم يتم دفنها بعد مرور سنة (في العماديه). أما في زاخو فتوضع قطعة الحبل في الماء الذي تغتسل منه الأم بعد مرور أربعين يوماً على الولادة. حيث يُصب الماء فوق رأس الأم ووليدها ويُعتقد أنّ هذا يخدم نموّ الطفل.

أما العادة الشائعة المتمثلة في تمديد الأم (في زاخو والعماديه: *حيتا* أو *حَياتا*، المرأة النفساء) على الأرض الجرداء غير موجودة عند اليهود الكرد. بل تمدد على خرق يتم فيما بعد التخلص منها. ولاتُسقى ماء في الأيام القليلة الأولى من الولادة. وفي سنه، تشرب المرأة كمية كبيرة من الزيت. ويوصى بصورة خاصة بإعطائها مشروبات حلوة – كالشاي المحلى الذي يُعتقد أنه يزيد من كمية الحليب (في العماديه) أو النبيذ والشربت المصنوع من *ميپوختا*، عصير العنب (في زاخو ودهوك). وينبغي أن تكون وجبات الطعام الأولى التي تتناولها الأم مكونة من أطعمة حلوة؛ ولهذا يضاف اليها عصير العنب.

العناية بالطفل بعد الولادة

جرت العادة بين اليهود الكرد أن يُدلك جسم الطفل حديث الولادة بالملح بدلاً من غسله (في العماديه). ومن المعلوم أن إستخدام الملح لهذا الغرض له جذوره التي تعتمد على السحر[١٨]. إذ يُعتقد أنّ تدليك جسم الطفل بالملح يجعله صحيحاً وقوياً.

١٦- المصدر السابق.

١٧- المصدر السابق، ص ٣٦.

١٨- حول التأثير السحري للملح، أنظر أچ. پفاننشميت، *Das Weihwasser im heidnischen und christichen Kultus*، هانوڤر ١٨٧٨.

ولهذا السبب يقول اليهود الكرد عن الشخص الكسول: *پاخيوت ليوت* *مومليخه* مي *ملخا لوتوا* بي بيبوخ، "أنت كسول [أي غض]، إنك غير مملّح، يبدو أنّه لم يكن في دار أبيك ملح" (في العماديه)[١٩]. أو يقال له: مي *پاخالي أوها امري* يومت بويله *لي* دريلو *ملخا* گو ميّت *خيبپا* ديده، "ما أكسل هذا الرجل، يبدو أنّهم لم يضعوا ملحاً في ماء حمامه يوم ولادته" (في زاخو).

وقد وردت الإشارة الى رش الطفل بالملح بعد الولادة مباشرة في سفر حزقيال (٤:١٦). ولهذا يمكن الإستنتاج بأن إستخدام الملح في تنظيف الطفل عادة ساميّة قديمة ظلت حية بين ظهراني اليهود الكرد. ومع هذا فإنّ مثل هذا الإستنتاج صعب الإثبات. ولدينا هنا مثال يوضح مدى صعوبة إثبات كون هذه العادة عريقة بصورة قاطعة عند تعلق الأمر بالفرق اليهودية. هذا الأسلوب الذي تم وصفه هنا (أي تدليك الطفل بالملح بدلاً من غسله في ماء مملح كما هو الحال في سنه، والى حدٍّ ما عند سكان زاخو)[٢٠] متبع ايضاً عند القاطنين في الجوار من النساطرة[٢١] والكرد والجورجيين والأرمن والفرس، ويمكن أن توجد عند اليونان[٢٢] ايضاً. وبهذا يمكن إعتبار منطقتنا مركز البقعة التي تسود فيها هذه العادة. وربما أمكن الإدعاء بأن اليهود أخذوا هذه العادة عن النساطرة وليس ثمة عادة عريقة ظلت حية الى يومنا.

وبعد التنظيف، تضبط القابلة جسم الطفل عن طريق مدّ يديه ورجليه وضبط قالب رأسه وجبهته، وان كان المولود أنثى تعمل نقرة على كل واحد من خديها (في العماديه). وتضع *كوهل* [سلفات الإثمد المطحون (الكحل)] في عينيها (في زاخو).

والكلتوركرايس [الدائرة التراثية، أنظر ص٢٣] النموذجي يتمثل في شدّ وثاق الطفل بالقماط. ويزيد اليهود الكرد على ذلك تقييد الطفل في المهد [في العماديه: *دوديه*، وبالكردية: *لاندك*] بواسطة غطاء متين. ويُشد الطفل المولود حديثاً في أربطة

١٩- في اليونان مثلاً، تقول القابلة: "اذا لم أدلّك طفلك بالملح، سيكون مخلوقاً بائساً ولن يجدي نفعاً" (قارن أچ. پلوس وبي. رينتز، الطفل في العادات والتقاليد الشعبية، مجلدان، برلين ١٩١١-١٩١٢.

٢٠- يمكن الحصول على إحصائية عن إنتشار عادة غسل الطفل في ماء مملح في أس. رايخ، دراسة عن قرى الآراميين، دمشق، بلا تاريخ نشر، ص ٧٤.

٢١- "يُغسل الوليد بعد الولادة مباشرة في الماء البارد؛ وبعد تدليكه بكمية من الملح الناعم يلف في قماط (يتألف عادة من أسمال البالية)" (گرانت، النساطرة، أو القبائل المفقودة، ص ٢٤٧).

٢٢- أنظر الأمثلة الواردة في پلوس ورينتز، الطفل، وأوو. فان هوفوركا وأي. كرونفيلد *Verglei-chende Volksmedizin*، شتوتگارت ١٩٠٨-١٩٠٩، المجلد الثاني، الص ٦٣٨-٦٣٩.

خاصة (*پيچولكه*) ويوضع في منخل (*ريباله*) مع وضع قطعة من الحديد عليه. ويُعتقد أن الحديدة والمنخل يحميانه من "العين الشريرة" (في العماديه ودهوك). [ويبقى الطفل في المنخل (*أرباله*) سبعة أيام، وخلالها توقد الى جانبه شمعة (في العماديه).] والمسلمون الكرد ايضاً يضعون الطفل في منخل ستة أيام[٢٣]. ولحين حلول موعد إجراء مراسيم الختان، يضع يهود زاخو الطفل في مقلاة الخبز الدائرية (*دوكه*) المصنوعة بدورها من الحديد ايضاً. وتوضع البنت الى اليسار من الأم أما الولد فيوضع على يمينها.

عزل المرأة النفساء

وفقاً للشريعة اليهودية، تعتبر المرأة بعد الوضع غير طاهرة مثلها مثل المرأة الحائض. ومن الواضح أنّ فكرة عدم طهارة المرأة بعد الوضع هي من المفاهيم القديمة جداً عند البشر، وقد إنتشرت الفكرة في معظم أنحاء الأرض. ولم تتمكن الديانة اليهودية من إجتثاث الجذور السحرية لهذا الإعتقاد كلياً.

وحسب الشريعة اليهودية، تعتبر الأم محظورة وتُعزل لمدة أربعين يوماً بعد ولادتها لطفل ذكر، وثمانين يوماً بعد ولادة الأنثى. أما مثيلاتهن الكرديات فيرقبن واحداً وأربعين يوماً عند كون المولود ذكراً، وواحداً وتسعين يوماً عندما تكون أنثى. وفي العماديه، تنتظر المرأة في أيامنا هذه أربعين أو ثمانين يوماً على التوالي. وقد أصبحت فترة عدم الطهارة الشائعة أربعين يوماً فقط، وهذا لاشك حدث بفضل تأثير الجيران من غير اليهود - ولهذا جاءت التسميات *أربي* (في زاخو وسنه)، و*أريبي* (في العماديه، "أربعين"، وتستخدم النساء عبارة گو *أريبي*، "في الأربعينية" (في العماديه) وكذلك *أربي پيلاّعي ريشاو*، "دخلت الأربعينية" (في سنه). وعلى النحو نفسه، يسمي الكرد هذه الفترة *چلك* (في العماديه) أو *چلّه* (في سنه)، "أربعين"[٢٤].

وبإمكاننا القول أنّ المرأة في هذه الفترة تكون معزولة وتنطبق عليها التشريعات المتعلقة بالحظر. فلاينبغي أن تغادر غرفتها. وإن أمكن ينبغي عليها أن تستلقي في

٢٣- "في الأيام الستة الأولى يوضع الطفل، المشدود الوثاق جيداً، في بيژينگ" (ب. نيكيتين، الحياة العائلية الكردية، ١٩٢٢، ص ٣٤٠). وبيژينگ تعني منخل.

٢٤- "تسمى الأيام الأربعون الأولى بعد ولادة الطفل "*زَيستاني*" بالنسبة للأم، وتعني "الشتائي" (لا أعتقد أن للكلمة الكردية *زَيستان* علاقة بالشتاء بل هي الإسم الذي يُطلق على المرأة النفساء، وتسمى فترة النفاس *زَيستاني* - المترجم)" (المصدر السابق، [نقله عن الفرنسية رافائيل پاتاي)]

فراشها خلال الأيام الثمانية الأولى من هذه الفترة (في زاخو). ولايجوز لها الخروج الى باحة الدار ليلاً. ويجب أن ترافقها إمرأة أخرى كلما غادرت غرفتها.

وقد جرت العادة في العماديه ونيروه أن تظل الأم في فراشها ثمانية أيام. ثم ترافقها القابلة الى "دار العزل" التي تبنى عادة خارج المدينة للنفساوات. وعادة يوجد الكثير من النساء في هذه الدار يؤتى إليهنّ بالطعام من المدينة. وتبقى الأم ثمّ حتى يحين موعد طهرها. ويُقال أنّ هذه العادة أبطلت منذ حوالي العام ١٨٦٠.

فرض العزلة على المرأة التي أنجبت حديثاً دافعه الإعتقاد أنّ قوة خطيرة تبعث الوهن تنطلق منها وتؤثر في بيئتها. وواضح أنّ معتقدات متشابكة تتداخل هنا: فتنبغي حماية من يعيش حولها من القوة الموهنة من جهة؛ ومن جهة أخرى تنبغي حماية المرأة نفسها من الخطر المحدق بها. وتمتد حماية المرأة لتشمل الغرفة التي هي بها وحمايتها شخصياً. وخلال الأيام الثلاثة (أو الثمانية) الأولى يُحظر إقتباس النار أو إستعارة إناء، خاصة الأواني النحاسية من دارها (في زاخو والعماديه). وهنا نقف على عادة شائعة جداً[٢٥] إذ يعتبر كل ما يتصل بالأم محظوراً ويتوقف إستعماله. وهنالك علاقة واضحة بين هذه العادة وبين أخذ الطعام للأم. فلايُسمح لها بالطبخ ولا بالخبز، لا لأنها لاينبغي أن تعمل بل لأنّ الأواني محظورة. ولهذا السبب يُحظر في بعض الأماكن الخبز أو تحميص اللحم في بيت الأم (في بيجار). ويُقال انّ رائحة اللحم المحمّص تضر بالمولود الصغير. كما يُحظر ضخ الماء من الحوض الموجود في منزلها عند حلول الظلام (في سنه). ولحماية الأم من العفاريت والأرواح الشريرة، ترسم القابلة دائرة حول الغرفة بواسطة قضيب حديدي أو تعلّق حبلاً أسود حول فراش الأم (في سنه).

ويشيع الإعتقاد بأنّ للبصل دوراً هاماً في طرد العفاريت[٢٦]، وقد وجدنا هذا الإعتقاد لدى اليهود الكرد ايضاً. ففي زاخو توضع ثلاث بصلات على سفود (شيبوزه) وتوضع الى جانب الأم. وفي سنه ايضاً يوضع البصل على السفود،

٢٥- ["في سوابيا لاتجوز إستعارة أي شيء من بيت فيه نفساء" (پلوس بارتلز، الأنثى، المجلد الثالث، ص ١٦٥؛ وقد أورد أمثلة أخرى). وعند الكرد المسلمين "لايجوز، خلال هذه الفترة، لا لـ"داپيرك" ولا لأية سيدة أخرى حضرت مولد الطفل مغادرة الدار أو رفع أي شيء جيء به للإستعمال أثناء عملية الولادة (؟)" (نيكيتين، ص ٣٤٠؛ ترجمه عن الفرنسية رافائيل پاتاي).]

٢٦- لاحظ مثلاً، الإستخدام المماثل للثوم عند اليهود اليمانيين (إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراوَر، ص ١٨٩).

شيبوزه؛ ولكن هنا توضع في البداية سبع بصلات وتُرفع بصلة منها كلّ يوم.

ومن بين الأشخاص الذين يكونون معرضين للخطر بسبب التقرب الى المرأة التي وضعت مولوداً حديثاً، النساء اللواتي هنّ في نفس حالتها والمخطوبون. والشخص الذي تنبعث منه التأثيرات الشيطانية، الأم في حالتنا هذه، يُسمى *كَپيسه* (في العماديه) أو *كيبسي* (في زاخو)، ضحية الشر، *كَبيسته* (في العماديه).

ولغرض الخلاص من القوى الخطيرة، تُمنع النساء اللائي وضعن حديثاً من المرور بدور النساء النفساوات (في زاخو والعماديه وسنه). واذا ما فعلت إمرأة هذا خطأً بطريق الصدفة فإنّ عليها أن تبصق في فم الطفل الذي تضعه السيدة الأخرى (في سنه)[٢٧] أو أن تلمس قدم الطفل بأصبع ملطخة باللعاب (في سنه)[٢٨]. وفي بعض الأحيان يشمل الحظر بقية أفراد عائلة الأم، كأن يتعدى الى زوجها أو أطفالها الآخرين. ويكون الخطر أعظم اذا كان المولود أنثى (في سنه). ويؤدي عدم الإلتزام بالحظر الى عقم المرأة أو الى مرض وموت أفراد من عائلتها.

وعلى النحو ذاته، يمنع المخطوبون من المرور بمنزل المرأة النفساء. وفي حال عدم مراعاة هذا الحظر ينبغي القيام بالعديد من أعمال السحر للنجاة من الخطر. فمثلاً يجب أن تتخطى العروس قدم الأم ثلاث مرات جيئة وذهاباً. أو تتخطى ثلاث مرات إناء تبولت فيه الأم (في زاخو). وفي سنه، ينبغي على المخطوبين أن يفعلوا ما تُنصح به الأم التي فشلت في مراقبة الحظر. وفي العماديه، يعطي العريس أو العروس قطعة خبز للأم وتأخذ منه لقاء ذلك قطعة من خبزها؛ أو يقوم الطرفان بتبادل الإبر.

وهناك ايضاً إجراءات وقائية أخرى. فعندما يكون المخطوبون ساكنين في الشارع الذي تقطنه إمرأة نفساء، فإنّهم يقومون بتطبيق هذه التوصيات لنيل القوة التي تمكّنهم من المرور بدار *الكَپيسه* دون التعرض للخطر (في العماديه).

وعند إنتهاء أيام النفاس الأربعين، توصف المرأة بأنها: *نَپيقلا من أربي*، "خرجت من الأربعينية". وليس في كردستان مراسيم خاصة بإنتهاء هذه الفترة. وتقوم القابلة بقص أظفار الأم وتأخذها الى الـمِقْقه (في العماديه). وفي سنه، ترسل الأم في اليوم

٢٧- حلّ محله الآن ترطيب قطعة سكر باللعاب ووضعها في الشاي الذي سوف يُسقى منه الطفل.

٢٨- يستخدم اللعاب كعلاج ضد "العين الشريرة". وتلطخ يدا الطفل ووجهه بلعاب الذين يشك في كونهم ذوي "عيون شريرة" (في سنه). قارن إستخدام اللعاب في السحر، فريزر، الغصن الذهبي، الفهرس، كلمة "لعاب". وحول اللعاب كحامل للروح، أنظر ڤلهلم ڤوندت، *Volkerpsychologie*، القسم الرابع، الأسطورة والدين، لايپزيگ ١٩٢٠، المجلد الأول، ص ٩٨-٩٩.

الذي تذهب فيه الى الـمِقْقه إناء فيه ثريد (كَسينه) الى أصدقائها وأقاربها، كما يحدث في عيد پيوريم؛ ويعيد هؤلاء الإناء بعد ملئه باللوز.

الأسبوع السابق للختان

يُستقبل ميلاد الولد بالفرح فحال ولادته تطلق النساء الزغاريد. أما نبأ ولادة البنت فيُستقبل بصمت بخلاف ولادة الذكر[٢٩]. واذا حدثت الولادة ليلاً فإنّ الزوج الذي لايهتم بعملية الولادة إلاّ قليلاً في حالة عسر الولادة فقط، بل ينتظر ما سيحدث في هدوء ولن يتم إيقاظه من نومه لإبلاغه بخبر الولادة إن كان المولود أنثى.

أما اذا كان المولود ذكراً، فإنّ الجميع يسرعون لإبلاغ الأب إن لم يكن في المنزل وكان في دكانه مثلاً. فيترك هذا كل شيء مسرعاً الى بيته، ولايُسمح له بالدخول الى غرفة زوجته رأساً؛ بل ينبغي أن ينتظر فترة كي لا "يُضجر" الوليد (في زاخو).

وفي بعض الأحيــان، يخشى الأب الذي رزق ببنت من المجـازفـة بـالنزول الى الشارع. حيث يتراكض الأطفال وراءه ويصيحون: *توڤي، توڤي خيره بأُلاخت أبوهي*، "بنت، بنت، قذارة على لحية والدها" في (العماديه). [بعدما قرأ صديقي س. بن شاباث من حيفا هذه الفقرة من كتاب براوَر "*ميلاه وَيالدوت إيتزَل يهودي كردستان*"، ص ١٢٩ (أنظر منشوراته)، أبلغني بأنّ الكلام نفسه يردده أطفال اليهود الشرقيين في دول الشرق الأوسط. وهناك تُلفظ الكلمة بصيغة توهي. حيث يحيط الأطفال والد البنت المولودة حديثاً في الشارع ويغنون: *توهي، توهي، خريه بلحيت أبوهي*! "توهي، توهي، قذارة على لحية والدها!. وحسب بن شاباث فإنّ كلمة توهي مستلة من قافية أغنية تغنى في السبت بعد ميلاد البنت، عندما يُدعى أبوها لتلاوة التوراة في الكنيس. وتبدأ الأغنية بما يأتي:

بات نعيماه ماه قريتوهي: البنت الجميلة ماذا سميتها

أوڤيزهاڤيم عاتارتوهي: وبالذهب طوقتها

وعَل كيسي شين سَمتوهي: وعلى مقعد من عاج أجلستها

وكذلك عند تهنئة الأب بميلاد إبنته، فقد جرت العادة أن يُقال له بتكلّف زائف: *مازال طوب، توهي، توهي*.

وقد سمعت أيضاً تعبيراً آخر، من إج. نَحاما من القدس: توهي، توهي، خيره *فواسط ليحت أبوهي* "توهي، توهي، قذارة في وسط وجه أبيها!" – ويرد الأب: خيره *فواسط ليما شافوهي*! "القذارة في وسط من لم يرها!". أنظر ايضاً بن شاباث، "*توها، توها*"، إيدوث ١:٢–٢، ص ١٢٧.]

والرجل الفقير في هذه الحالة يتعرض بصورة خاصة لمضايقة شديدة. حيث يقفز الأطفال على ظهره وكتفيه ويضربونه بالطين. وفي بعض الأحيان يعذبونه لدرجة أنّه لا يجرؤ على مغادرة داره أسبوعين. وفي سنه، على المرأة التي وضعت بنتاً أن تجلس في الظلام ويوضع المصباح بصورة لايصيبها من ضيائه شيء.

أما اذا كان المولود ذكراً، فتقام مأدبة (شَتييه)[٣٠] يومية في دار الأب من اليوم الذي يلي الميلاد. فيأتي حوالي (١٥) رجلاً كل مساء معهم المزه والعرق ويعطون منه للأم ايضاً. ليأكلوا ويشربوا ويغنوا ترانيم الختان (في زاخو ودهوك والعماديه).

وفي سنه، حيث تُذبح، بعد ولادة الطفل الذكر، شاة (يذبح الفقراء دجاجة) ويتم توزيع لحمها على الفقراء، فإنّ الضيوف يتمتعون في كل يوم من أيام الأسبوع الذي يسبق *ميلاه* [بالعبرية، "ختان"][٣١]. وتأتي النساء في النهار، والرجال في المساء. ويدعى الموسيقيون وتقدم للزائرين الحلويات والفاكهة. ويقدم للرجال العرق ايضاً.

ومن اليوم الثالث فصاعداً، يجلب الأقارب والجيران اللحم معهم الى بيت الأم. مع مراعاة عدم إدخال اللحم الى غرفتها ما لم تمشِ حوله ثلاث مرات. ولهذا يوضع اللحم في الباحة حيث تستطيع الأم وطفلها والقابلة تنفيذ المطلوب. ويتم هذا الإجراء للحيلولة دون أن تصبح الأم *كَبيسته* (في العماديه)[٣٢].

يعرف اليوم الثالث بعد ميلاد الولد بإسم *خليوسه* "الحلويات"[٣٣]. حيث يقوم والد الطفل بتوزيع الحلوى على الأطفال. واذا كان ثرياً فإنّه يبعث بأوانٍ كبيرة من الحلوى الى الآغا وبقية الوجوه الذين يردّون بتقديم التهاني. وتأتي نساؤهم لتهنئة الأم (في العماديه).

٢٩– يبلغ الأطفال بميلاد الطفل الجديد بالقول: *لَگَلَگ قَم مَسَلَني* أو برونه *(إي بَته)*، "لقد جلب لنا اللقلق هذا الولد (هذه البنت)" (في زاخو).

٣٠– اذا كانت العائلة قد فقدت الكثير من الأطفال من قبل، يُدعى عشرة حاخامات الى البيت لتلاوة *الزوهار* (الزوهار: هو مجموعة تفاسير، لكاتب مجهول، للمسائل الروحية في الكتاب المقدس مكتوبة باللغة الآرامية – المترجم). ويمكثون بضع ساعات في بيت الرجل الفقير، أما في بيت الغني فيمكثون الليل كله (في زاخو). ويتلقى الحاخامات أجراً على ذلك.

٣١– في حالات نادرة، يحتفل الضيوف بعد ميلاد البنت ايضاً.

٣٢– السبب الذي يبرر به منع إدخال اللحم الى بيت الأم قبل اليوم الثالث هو أنّها تكون في اليومين الأول والثاني ضعيفة لاتقوى على المشي حول اللحم.

٣٣– ماكلين، القواعد، ص ١٠٠: *حليوته*: حلويات، مربى.

شابّات آڤي هابن

يطلق على السبت الذي يسبق الختان *شابّات آڤي هابن* [سبت أب الولد] أو *شابات سعودات ميلا* [سبت مأدبة الختان] في كل من العماديه وسنه على التوالي.

وبينما يتم تشريف أب الولد في هذا السبت بمنحه *عاليه* [دعوته الى تلاوة التوراة] – من قبل الكنيس، يمكن إن جاز التعبير أن نقول – إنّ أب البنت يصبح أضحوكة يتندر بها أفراد المجتمع. وبدلاً من الهدايا يُعطى أب البنت جرة ماء وحوض غسيل ويقال له: *شتي خوشيبه ماكيماخلوخ سيفَر تورا*، "إشرب، ستدعى يوم الأحد الى التوراة" (في العماديه). والإستثناء الوحيد من هذا يكون في *ريكانا ديم*، ريكان العليا، حيث يتم تشريف أب البنت مثل أب الولد وبنفس الطريقة.

أما في الحالات الأخر، فإنّ أب الولد هو وحده الذي يُدعى لتلاوة التوراة، ويكون بصفة *شليشي* (في العماديه [ثالث])[٣٤]. ويوجه الأب دعوات في وقت سابق ويأتي الضيوف في *شابّات آڤي هابن* من القرى المجاورة. ويمكثون حتى موعد الختان.

وفي المناطق التي تمنح فيها كل الـ*عاليوت* في *سمحات توراه* (أنظر ص٣٨٠)[٣٥]، فإن العادة المتبعة هي (كما في حالة العريس) منح كلّ الـ*عاليوت* الى *آڤي هابن* في هذا السبت[٣٦]. فيأخذ الأب الـ*لوئح* (أنظر ص٣٨١) ويمنحه الى كوهين وليڤي. ثم يُدعى كل الأقارب والمعارف الى التوراة كما دعي بنو إسرائيل. فيقومون بترتيل *مي شَبيراخ*، البركات وتقديم العطايا للكنيس وحازان وهكذا. وفي الأخير يدعى الأب. أما الأقارب والأصدقاء الذين يصلّون عادة في كنيس آخر، فإنّهم يأتون في هذا السبت الى كنيس *آڤي هابن*.

في العماديه، وبعد الصلاة، يدعو الـ*حاقَريم* الأب الى الشرب معهم (أنظر ص٢٢٦). وفي المناطق الأخرى التي لاتتبع هذه العادة تُقدّم "الوليمة الثانية" في دار الأب. وتجتمع النساء في غرفة الأم بعد الإنتهاء من الصلاة، وتعرف هذه العادة في العماديه بإسم *فطارته* "الفطور"[٣٧]. وفي زاخو يُطلق على ذلك الصباح *خليوست*

٣٤– في سنه، من الجهة الأخرى، يدعى الى القراءة كشخص رَڤيعي (رابع).
٣٥– اذا كان الأب يعرف القراءة، فإنّه يتلو *الشَهاريت* [صلاة الصبح] و*موساف* ايضاً؛ وإلاّ فإنّه يترك هذه المهمة لأحد المعارف (في العماديه).
٣٦– في *بَرَشه*، حيث يُباع *عاليوت* كل سبت، يقوم الأب بشرائه كله في هذا السبت.
٣٧– الإسم العادي للفطور هو *گدايه*؛ أما *فَتارته* فيستخدم للفطور عندما يقدم في مراسيم التعازي أو للعروس أو لأب الإبن.

بيله، "حلويات الطفل". حيث تأخذ النساء اللحم والكبة (كوفته) ويذهبن الى منزل الأم. ويعطين من الطعام للأم والقابلة ولبعضهن بعضا. ثم يرقصن ويغنين؛ واذا كان الطفل المولود لأم ثرية تكون الوليمة مترفة للغاية.

وقد جرت العادة في سنه أن يأتي الأطفال الى باب منزل الأم في السبت وهم يغنون: *تَنو لانو بوزابان، يحيه كَسيمان توڤ*، "أعطونا من البوزابان، وليكن فألاً حسناً". فيُعطى الأطفال *البوزابان*، وهو عبارة عن لوز وحلوى. وفي بعض الأحيان يقف الأطفال فوق السطوح، ويُقذف بالبوزابان إليهم. وعند إلتقاطهم لها، ينشد الأطفال: *ييڤ قَدَميڤ بريخا هَڤي*، "لتبارك قدمه وخطاه" (هذا هو المعنى الحرفي، لكن المقصود هو المَقْدم لا القدم – المترجم).

وفي هذا السبت ايضاً يتم إختيار *سانداق* [العراب] ويساق اليه خبر تشريفه. فيبعث هذا بدوره الى الطفل ملابس يرتديها عند الختان.

الليلة السادسة (*ليل شَشه*)

تعد ليل شَشه من أخطر الليالي بالنسبة للأم. وفي سنه لاتزال هذه الليلة (كما هي أصلاً) الليلة السادسة، *ليل ششي* [بالعبرية] بينما هي في بقية أنحاء كردستان الليلة التي تسبق الختان التي يسميها اليهود الأوروبيون *ڤاختناخت*[٣٨].

ويبدو أن ليس لكلمة *شَشه*[٣٩] أي صلة مباشرة بكلمة *شَش* الكردية ولا بكلمة *ششا* العبرية، بل هي في الأصل إسم لعفريتة (ربما تكون عفريتة الليلة السادسة) تنصب شراكها للأطفال؛ حيث أننا لمسنا هذا التقليد نفسه عند يهود بغداد. فهؤلاء يحتفلون في الليلة السادسة من ميلاد الطفل بوليمة يوزع خلالها ماء الزعفران على الأولاد الذين يجولون الشوارع وهم يصيحون *ششا*! وتقدم لهم الحلوى[٤٠].

ويقيم المسلمون الكرد هذا الحفل في الليلة السابعة من الولادة بدلاً من السادسة. وعن هذا كتب باسيل نيكيتين: "في الأيام الستة الأولى... لايُسمح للـ*داپيرك* ولا لأي من النساء اللائي حضرن الولادة بمغادرة الدار... ويزيد التشديد في الليل. وفي

٣٨– أنظر م. زوبل, *Brauche nach der Gebort eines Kindes, Almanach des Schocken Verlags* برلين ١٩٣٨–١٩٣٩، ص ١٠٣.
٣٩– بالكردية شَش: ستة.
٤٠– إنسايكلوپيديا جودياكا، مادة بغداد؛ قارن ايضاً موسوعة الدين والأخلاق مادة ميلاد، حيث المزيد من الأمثلة.

حالات الضرورة يُسمح للنساء بالغياب نهاراً لكن يُلزمن بالعودة ليلاً وإلاّ فإنّ الروح الشريرة *شَشه* (مشتق من الرقم ستة بالكردية، *شَش*) قد تقتل الأم أو الوليد"[٤١].

في سنه تأتي النساء الى منزل الأم في حوالي الساعة الرابعة عصراً. ويمرحن وفق الأسلوب المعتاد ويوزع الطعام على الفقراء. وهذا الطعام ينبغي، إن أمكن، أن يكون طبقاً حامضاً ولهذا يقع الإختيار عادة على *شلّه ترشي ليلي شَشه* (نوع من الثريد الخفيف المصنوع من الرز المحمّض). والى جانب هذا، يُقدّم للأطفال الزبيب وحلويات أخرى. ومن الواضح جداً أن المراسيم التي تشهدها هذه الوليمة تهدف الى منح الأم وسائل للحماية مشابهة للتي تُمنح في *ليل* حنّه في حالة المخطوبين (أنظر ص١٤٤). وتضرب القابلة الأم ثلاث ضربات على صدغها، ثم تصفق ثلاث مرات، وهي تقول: *سي ليليت*، "غادري، يا ليليث"[٤٢]. وتجلب النساء صبغاً أزرق (*نيله*) أو صبغاً أصفر (*زاره*) من الصباغين ويطلين بها الأم. فيرسمن على وجهها رسماً مميزاً، ثم يطلين يديها وقدميها وفرجها. كما يُطلى الطفل ايضاً. ويجب على البنات اللواتي هنّ في سن الزواج مغادرة الغرفة عند الطلاء. وفي الأخير، تقوم النساء بطلاء الجدار المقابل لسرير الأم. وتسمى هذه العادة *رَنگ كولخَيله* "الصبغ الذي يصبغون"؛ وتُسأل الأم: *رَنگ ولاَخ* "هل صبغوك؟". وبعد الإنتهاء من الأم تصبغ الحاضرات جباههن وأيديهن وأقدامهن. ويُعدّ من الفأل الحسن قيام ببعض الخياطة في هذه الليلة. ولهذه الليلة تضع القابلة قلادة من الخرز الكهرماني حول عنق الأم؛ وتضطجع الى جانبيها قابلتان حتى الصباح. أما الرجال فيأتون الى الدار لتناول الطعام. كما يأتي الموسيقيون والضيوف للغناء والرقص.

وتأتي *ليل شَشه* في الليلة السادسة في أشنويه ايضاً. حيث يجتمع الرجال والنساء في منزل الأم. وتقول النساء: *شَشه براخته* "شَشه مباركة". وتجري تسمية المواليد البنات في هذه الليلة. ومع هذا فلازالت عادة الإحتفال في الليلة التي تسبق الختان جارية في سنه وأشنويه.

الليلة السابقة للختان: *ڤاخناخت*

في دهوك وزاخو والعماديه تكون هذه الليلة الليلة التي تسبق الختان، أي الليلة الثامنة من عمر الوليد، وتسمى *ليل شَشه*. ولهذا يتم الجمع بين مراسيم *ليل شَشه*

٤١– نيكيتين، الحياة العائلية الكردية، ١٩٢٢، ص ٣٤٠؛ [ترجمه عن الفرنسية رافائيل باتاي].

٤٢– ليليث هي ملكة الجن، التي تتربص بالنساء النفساوات.

والليلة التي تسبق الختان.

في المساء يؤتى بكرسي إيلياه (*كرسي إلياهو*) من الكنيس الى دار الأب. ويتم تزيين الكرسي بواسطة ريمونيم ويوضع في مكان مرتفع قليلاً عند المدخل. ويقبل القادمون من الرجال والنساء الكرسي عند الدخول. وتوزع الحلوى على مجاميع الأطفال عند حضورهم.

يتلو الرجال *الزوهار*. ثم يدخل عليهم الأب بالعرق والفاكهة و*المزه*؛ وفي الغالب يحضر الموسيقيون المراسيم (ليس في العماديه)؛ ويكون هنالك رقص وغناء.

وتجتمع النساء في غرفة الأم. وفي زاخو، تقوم النساء في هذه الليلة بطلاء راحتي يد الأم وجبهتها بطلاء أسود (ليس في زاخو). كما يطلين الوليد. واذا حدث وتواجد شخص غريب في هذه الليلة فإنّه يُطلى ايضاً.

ويؤتى من الكنيس بـ*قَنديله* [شمعدان] ضخم، يسمى *قَنديلت إلياهو هَنَڤي*، مع شمعة كبيرة مزينة بالزهور ويُدخل بها على الأم التي تقوم بإشعال الشمعة وتلقي قطعة نقدية في إناء الماء الموضوع فوق *القَنديله* الذي يؤخذ بعد ذلك الى الرجال. فيلقي كل منهم قطعة نقدية في الإناء ويشعل شمعة صغيرة من التي يحملها الشماش معه. وبهذا توضع حوالي خمسين شمعة على *القَنديله*. وبعد إنتهاء كل الرجال من هذا العمل، يُطفيء الشماش الشموع ويذهب الى غرفة النساء حيث تجري العملية نفسها. ويوضع المال الذي يتم جمعه في هذه المراسيم في كوپّه الكنيس وفي *قوپّات أريخي*، صندوق الضمان الإجتماعي (في العماديه).

والعادة الجارية في أشنويه مشابهة لهذه. حيث يحمل الشماش *قَنديل* مزيناً بالزهور الى بيت الأم، لكن يتم هنا إستخدام مصابيح الزيت بدلاً من الشموع.

ولاتنام النساء في هذه الليلة بل يقمن على حراسة الأم وطفلها. وفي *ليل شَشه* لايجوز أن ينام الوليد على الأرض ولا في المهد. ولهذا فإن النساء اللائي يقضين الليلة مع الأم يحملنه في حجورهن بالتناوب (في زاخو ودهوك). ولايُسمح بحمل الوليد إلاّ للنساء اللواتي تجاوزن سنّ اليأس *قَطيعته* بحمل الوليد.

وتولى أهمية كبيرة للإحتفال *بليل شَشه* في البيوت التي يكون فيها الوليد الجديد أول مولود أو يكون أولادهم السابقون قد ماتوا.

في صباح اليوم الثامن يجري ختان الولد. وفي كردستان تجري مراسيم الختان في الكنيس عادة (في العماديه وزاخو ودهوك وسنه وأشنويه والسليمانية). وتعد بيجار إستثناء من هذا؛ حيث يجري الختان في البيت قبل أداء صلاة *مينحا*، وليس

بعد صلاة الصبح كما في المناطق الأخرى.

وهناك إستثناء شائع في أشهر الشتاء الباردة أو عندما يكون الأب قد فقد من قبل عدداً من الأبناء. وفي هذه الحالات يجري ختان الطفل في البيت لحمايته من العين الشريرة (*عين هارا ع*) التي قد تصيبه في الطريق الى الكنيس (في زاخو).

قبل صلاة الصبح، يحمل عدد من الرجال *كرسي إلياهو* الذي كان أثناء *ليل شَشه* في دار الأب ويعيدونه الى الكنيس. ويُمنح شرف حمل *كرسي إلياهو* بالمزاد العلني إذ يحظى صاحب العطاء الناجح بشرف وضع الكرسي على *التَفا* [مسرح المرتلين]. ويستمر الرجال الذين يواكبونه في الغناء والرقص على طول الطريق (في العماديه). ويستخدم كرسي إلياهو في مراسيم شرف قصيرة توضع عليه فيها ريمّونيم للزينة. ويعلّق الكرسي بأربطة من الحرير خضراء في أغلبها تُخيّط اليها تعاويذ (تحمل الإسم *شادّاي* [القدير] وكتابات مشابهة). ومن أمثال هذه العادة قيام أمهات الأطفال المرضى بتثبيت أسنان الذئب[٤٣] على الكرسي (في زاخو).

الختان

بعد الصلاة، يعلن *الحازان* أنّ ختاناً سيجري اليوم ويدعو الرجال للمكوث في الكنيس. وفي هذه الأثناء يذهب الشماش الى دار الأب ويبلغ النساء بإحضار الطفل.

وتكون النساء قد غسلن الطفل وألبسنه ثوب الختان الذي أهدي له في *شاباث ميلا* من قبل *السانداق*. وفي موكب بهيج يرافقه الموسيقيون تحمل النساء الطفل الموسد بالأغطية الى الكنيس. وعند سماع الزغاريد التي يطلقنها تخرج النساء اللاتي يسمعنها من بيوتهن مسرعات للإنضمام الى الموكب. ويُحمل الطفل الرضيع أولاً من قبل جدّتيه، ثم تحمله النساء الأخريات بالتناوب، حيث يعتبر من الفأل الحسن ومرتبة من مراتب الشرف حمل الطفل في جزء من الطريق - ولأسباب تتعلق بالسحر يُحمل الطفل في أشنويه من قبل سيدة شابة لم تنجب طفلاً بعد.

وعلى سبيل الفكاهة يجري بعض التأخير عند وصول الطفل الى الكنيس. ويُبرر ذلك على سبيل النكتة بأنّ التأخير حصل بسبب إنشغال إلياهو: *هاي هو أوها إلياهولي إزلي بد شوعي گمزابيني*، "أنظروا، إلياهو هذا يبيع غزله من الصوف في سبعين سوقاً" (في زاخو والعماديه). وعندما تظهر النساء ومعهن الطفل يقوم الجميع واقفين حيث يُعتقد أن إلياهو يدخل عليهم مع الطفل. وتقوم الجدة أو القابلة

٤٣- في ما يتعلق بسن الذئب أنظر ايضاً موضوع السن الأول، ص١٠٢.

بتسليم الطفل الى *السانداق* الذي يكون عادة جده من جهة الأم. وليس من الغريب أن يغيب الأب عن عملية الختان، حيث يكون الرجال عادة بعيدين عن ديارهم لشهور (كما في زاخو)[٤٤]. يمرر *السانداق* الطفل فوق كرسي إلياهو ثلاثاً ثم يجلس إما على إحدى درجات *التَفا* أو على كرسي الختان الموضوع بجانب كرسي إلياهو لهذا الغرض (في زاخو والعماديه وسنه). ويزيّن هذا الكرسي ايضاً بأغطية من الحرير.

يقوم بأداء عمل الختّان (*گازيره*)[٤٥] *الشوحيط* [المذكي الشرعي]. ويتمتع الختّانون اليهود بسمعة جيدة بحيث يستعين بهم المسلمون الكرد ايضاً لهذه العملية[٤٦]. ولايتلقى الختّان عند اليهود أيّ أجر على خدماته، فهذا العمل الذي ينجزه يعتبر *ميصڤا* [من أعمال البرّ]. وفي زاخو كان يُقدم للختّان صابون من صنع محلي كهدية. وبسبب عدم تواجد *الشوحيط* - الختّان في القرى يندر إجراء عملية الختان في موعدها المحدد. لذا "يجمع" اليهود في مناطق ريكان ونيروه الأطفال ويجرون لهم عملية الختان معا في عيد سوكّوت، عندما يأتي *الشوحيط* لذبح *القَليه*. هذا كما لايوجد في القرى كرسي إلياهو.

ولغرض سحب الحشفة الى أمام والإمساك بها جيداً يستخدم الختّان ماسكاً (*ماشقاس*)[٤٧]، قد يكون مجرداً أو مزيناً وتختلف أحجامه. وعادة تكون واحدة فقط من حافتي سكين الختان (*گاريعته*) قاطعة. ويستخدم الختّان سكيناً خاصاً وأحياناً يستخدم السكين الخاص بذبح الدجاج. ولإيقاف النزف ينثر على الجرح الرماد الناتج عن حرق الأوراق الزرق التي تُلف بها مخاريط السكر (في سنه) أو بذور الكراويا المطحونة[٤٨] أو مسحوق الخشب المأخوذ من عوارض الدار (في بيجار). وفي العماديه كان الجرح يطلى أولاً بمعجون مصنوع من *السموكه* (أنظر ص١٢٠) والملح ثم يُنثر فوقه رماد قطعة قماش سوداء. وأثناء *مصيصه* [عملية المص الشرعية] يضع الختّان شيئاً من البراندي - أو خليط من الماء وسموكه - في فيه.

٤٤- قارن مع **ما سيأتي**.

٤٥- كذا التسمية في أنحاء كردستان؛ وبالكردية سونَتْكَر.

٤٦- أبلغني الحاخام أبراهام من سنه، أنّه أجرى الختان لحوالي خمسمائة طفل كردي. و[كان] هنالك ماسكة ختان كردية ضمن مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ٣٨:١٠٤.

٤٧- [كان] هنالك عدة نماذج ضمن مجموعة براوَر بالجامعة العبرية. يعود أحدها الى حوالي مائتي عام، مكتوب عليه [بالعبرية]: "قدّمت على شرف النبي إلياهو - لتحفظنا كراماته! آمين".

٤٨- حول قدرة أومبَلليفيرا (بذور الكراويا، والشبت، والشمّار) في مجال طرد العفاريت، أنظر هوفوركا كرونفيلد، *Volksmedizin*، المجلد الأول، ص ٩٨.

بعد الإنتهاء من العملية يري الختّان يديه الملطختين بالدم للجمهور؛ وينادي الرجل الذي يحمل الطفل: *منخوم بَديمه*، "أنظروا الى الدم!" حيث يُعتقد أن الله يتجاوز عن خطايا الذين ينظرون الى هذا الدم وأنّ النساء العقيمات يبرأن من العقم اذا نظرن الى اليدين الملطختين بالدم (في العماديه)(٤٩). وعلى النحو ذاته، يعتبر الماء الذي يغسل فيه الختّان يديه من الدم علاجاً للعقم. فتغتسل منه النساء (في العماديه وأشنويه) بل ويشربن منه (في أشنويه). كما ويُعتبر الكتان الذي يُغطى به الجرح علاجاً للعقم، تتبخّر به النساء (في العماديه).

يضع الختّان الحشفة (في العماديه: *دولوكسه*، وفي زاخو: *صارموكسه*)(٥٠) في إناء به رماد ويقول: *نيحاش عفَر لحَمو*، "الحية، طعامها الغبار". وتنشر فوق الإناء ثياب العرس برموزها الجنسية السحرية؛ ثم يحمله صبي الى دار الأب. وتعلق الأم الحشفة على المهد حتى تجف، ثم ترفعها وتحتفظ بها كتعويذة (في العماديه). وتقوم النساء العقيمات بإبتلاع قطع الحشفة اليابسة التي تعتبر علاجاً للعقم (في أشنويه وزاخو وسنه) وفي بعض الأحيان يضعنها في داخل فروجهن (في زاخو). ومع هذا، ينبغي الحصول على الحشفة وإستعمالها سراً حيث أن أقارب الطفل لن يسمحوا بإستخدامها في أعمال السحر. [إستعمالات الحشفة هذه شائعة في أغلب المجتمعات اليهودية الشرق أوسطية.]

وعند تلاوة البركات على النبيذ يتم تقطير بضع قطرات منه في فم الطفل. فاذا لم يبك فإنّ سيُقبل واحداً من أفراد المجتمع، ويقول الرجال لبعضهم البعض: *زيه خَبرييه*، "هذا واحد من المجتمع" في العماديه).

وفي العماديه، عندما يعلن الأب إسم إبنه، يغمر الـ*موهيل* أصبعه في النبيذ ثم يدخلها في فم الطفل، "وذلك لكي لاينسى الطفل الإسم" (في العماديه).

وليمة الختان

لدى مغادرة الجماعة الكنيس، يُقدّم لكل واحد منهم كعكة صغيرة من قبل واحد من أفراد العائلة يقف عند الباب. ولأداء هذه المهمة يتم إختيار رجل قوي قادر على

٤٩- عند النظر اليه، يقول كل منهم للآخر: *إشاللا هال إچعاه يَزخه هَويلَخ إيهيتخي برونه گَزرَخله*، "إن شاء الله، سيكون لك خلال تسعة أشهر إبن أجري له الختان".

٥٠- في زاخو تسمى الأكمام الطويلة للثياب *دولوسكه*.

التغلب على سيل الضيوف.

بعد ذلك يُعاد الطفل الى الدار، ترافقه الموسيقى وزغاريد النساء. وفي سنه تدخل النساء فقط منزل الأب حيث يقدمن الهدايا وتُقدّم لهن المرطبات. أما الرجال فيتوجه كل الى عمله. وتقدم لهم وليمة الختان الوحيدة في *ليل شَشه*.

أما في أغلب المجتمعات اليهودية الكردية الكبرى، فإنّ وليمة الختان تأتي بعد عملية الختان مباشرة. وفي كلّ الأحوال فإنها يجب أن تكون في النهار. وعادة تعالج العائلات الفقيرة الموقف في باحة الكنيس فتوزّع المربى والفطائر على الضيوف المتجمهرين (في العماديه). أما الأغنياء فيقدمون جهتهم وليمة مترفة في دار الأب.

وفي زاخو، اذا وافق إجراء الختان يوم السبت تلغى الوليمة. وبدلاً منها تقوم البنات بتوزيع الرز واللحم على حوالي مائة عائلة. أما في العماديه فإنّ الوليمة تقام في السبت ايضاً. وهناك الكثير من الترفيه يتبع الوليمة كما في مراسيم الزفاف. فلعبة *يسيرا هاكوما* "أسير الملك" واحدة من الألعاب المرغوبة في هذه المناسبة. ويكون في الوليمة عشرة من الخدم (*سابوسه*) لايسمحون لأي ضيف بالمغادرة قبل نهاية المراسيم. ويصبون إهتمامهم على الأثرياء منهم بصورة خاصة. إذ لايُسمح لهؤلاء بالمغادرة ما لم يتبرعوا بهدية: براندي أو دجاج أو مال. واذا رفض أحدهم، فإنّه يعاقب عقوبة *التَلتوعه*، أي أنه يعلق من رجليه حتى يستسلم (أنظر ص ٢٩٣).

وبالمال الذي يجمعه الـ*سابوسه* يتم شراء اللحم والبراندي، ويذهبون به مع أصدقائهم – ونساء ليطبخن لهم – الى مكان معيّن خارج المدينة للإحتفال.

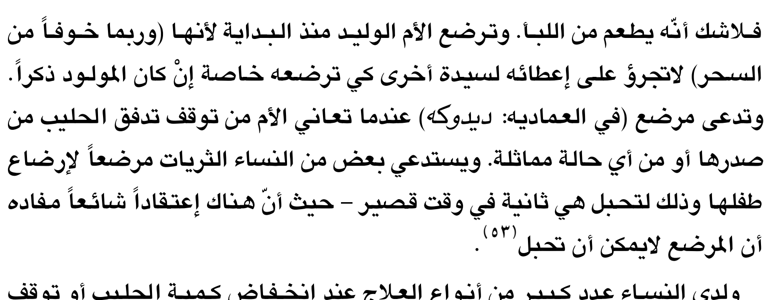
العناية بالطفل؛ المهد

بعد إنقضاء الفترة (السالف ذكرها) التي يقضيها المولود في منخل أو في *دوكه* (مقلاة الخبز)، يتم نقله الى المهد [في العماديه: *دوديه*، وبالكردية: *لاندك*]. ويستخدم اليهود الكرد نوعين من المهد: المهد المعلّق والمهد الهزّاز.

المهد المعلّق هو نوع من الأرجوحات. يُصنع من قماش متين مربوط بقضيب عند كل واحد من طرفيه مثل النقالة ومُثبّت بواسطة حبال الى عارضة في السقف. وعندما يؤخذ الطفل الى خارج المنزل يُزال المهد ويُحمل معه. وهذا النوع من المهد لايُستخدم للأطفال الصغار جداً.

أما المهد العادي فهو مثبّت فوق مهزّات(٥١). ويُشدّ الطفل الملفوف في القماط الذي

٥١- يوجد رسم توضيحي جيد للمهد الهزاز (من أرمينيا) في پلوس بارتلز، الأنثى، المجلد =



المهد (عن بنديه)

يمنع حركة يديه ورجليه الى المهد بقوة بحيث لايستطيع التقلب فيه. وهذا التحديد للحركة لازم لتثبيت أنبوب البول [في العماديه: *سيياك*] وهو أنبوب من القصب يلصق بعضو الطفل بواسطة قمة من الشمع تصنع بصورة تناسب الطفل ذكراً كان أم أنثى. ويمر الأنبوب من خلال الوسادة التي ينام عليها الطفل، ومن قعر المهد الى إناء على الأرض (في العماديه: *سينجه*)[٥٢].

ويتم إخراج الطفل من المهد مرتين فقط في اليوم لتجديد قماطه. ولايتم إخراجه عند الإرضاع. واذا أخذنا بأنّ المهد يوضع عادة في الداخل، فيمكننا تصور قلة الكمية التي يتلقاها الطفل من الهواء والضوء وكيف يسهل أن يقع فريسة للمرض.

وعلى المهد تُثبّت كافة أنواع التعاويذ، ومنها (مثلاً) سلسلة من اللوز والجوز والخرز الأزرق وقطعة خشب من شجر *خيلايته* (في العماديه).

إطعام الرضيع

يتم إرضاع الوليد منذ يوم ولادته من صدر أمه. وفي العماديه يتم إطعامه أول مرة من زبدة مذابة (*مشخه*)، ولاترضعه الأم إلا بعد عشر ساعات. وعلى أي حال،

= الثالث، ص ٢٠٥، الرسم التوضيحي ٨٧٠. وتعطينا هذه الصورة فكرة جيدة عن الوضع الذي تتخذه الأم عند الإرضاع. أنظر كذلك بفلوگ "*Die Kinderwiege*"، أرشيف الأنثروپولوجيا، الرسم التوضيحي ٢١؛ هانس ڤيرچوو *Die armenische Wiege, Zeitschrift fur Ethnologie*، ١٩٢٤، ص ٢٠٨-٢٠٩. [ويمكن ملاحظة نماذج من المهد المعلق في المتحف الشعبي الفلسطيني بالقدس.] وفي سنه يوجد اضافة الى هذين النوعين نوع ثالث هو المهد الخشبي المؤرجح، *لولو* - وهو بين المهد المعلق والمهد الموضوع على الأرض.

٥٢- إستخدام قصبة التبول شائع في المناطق التي يستخدم فيها هذا النوع من المهد. فنجدها في أرمينيا وكردستان وتركستان وعند القرغيز وبعض العشائر العربية. [وتستخدم ايضاً في إيران وبقية دول الشرق الأوسط.]

فلاشك أنّه يطعم من اللبأ. وترضع الأم الوليد منذ البداية لأنها (وربما خوفاً من السحر) لاتجرؤ على إعطائه لسيدة أخرى كي ترضعه خاصة إنْ كان المولود ذكراً. وتدعى مرضع (في العماديه: *ديدوكه*) عندما تعاني الأم من توقف تدفق الحليب من صدرها أو من أي حالة مماثلة. ويستدعي بعض من النساء الثريات مرضعاً لإرضاع طفلها وذلك لتحبل هي ثانية في وقت قصير - حيث أنّ هناك إعتقاداً شائعاً مفاده أن المرضع لايمكن أن تحبل[٥٣].

ولدى النساء عدد كبير من أنواع العلاج عند إنخفاض كمية الحليب أو توقف تدفقه. كأن يكتب الحاخام تعويذة معينة تضعها المرأة على صدرها داخل غلاف فضي. أو أن تقوم بجمع تراب من أضرحة مقدسة (مثل بي حازين في العماديه) وتمزجه بالماء وتشربه.

كما سبق وذكرنا، لايتم إخراج الطفل من المهد لإرضاعه. بل تجثو الأم عند المهد، وتنحني على الطفل، مستندة بأحد ذراعيها الى السارية التي في قمة المهد. (أنظر بهذا الصدد أغنية المهد)[٥٤]. ولتسهيل الرضاعة هناك قميص خاص (في العماديه ونيروه وريكان: *سودرا مامسانته* [قميص المرضع]) فيه شق عند كل ثدي يُغطى بغطاء متحرك[٥٥]. وتغني الأم أغاني المهد عند إرضاع طفلها.

ويستمر الطفل في الرضاعة عاميْن. وخلال السنة الأولى يكون الحليب طعامه وشرابه الوحيد. ولايُسقى ماء ولا شاياً. وفي السنة الثانية تبدأ إضافة الحساء أو الثريد والماء الى حليب الأم كأغذية مكملة. وعندها يجري الإهتمام بسقي الطفل كميات كبيرة من الماء لكي لايمرض. واذا نسيت الأم أن تسقيه من الماء، ثم شرب ماءً كثيراً ومرض، فإنّه يُقال "نال منه العطش" (*سوخوينه پللو*).

ولمعالجة الطفل، يوضع الماء في إناء أنبوب جديد (*گالونكه*) ويُسقى منه الطفل. ويجب بعد ذلك المشي أربعة أذرع في الغرفة ذهاباً وإياباً، بعدها يُلقى إناء الأنبوب في النهر مع القول: *سوخوينه، سوخوينه، أختوم گو ميبه يَلا طارس*، "يا عطش، يا عطش، أنت في الماء، والطفل معافى" (في العماديه).

٥٣- پلوس بارتلز، الأنثى، المجلد الثالث، ص ١٩٥.

٥٤- يتبع النساطرة في كردستان العادة نفسها: "فهم يرضعون الأطفال داخل المهد الذي يكون مرتفعاً بحيث يمكّن من إطعام الطفل عندما تكون الأم جالسة على الأرض وأحد جانبيها يواجه المهد" (گرانت، النساطرة، أو الأسباط المفقودون، ص ٢٤٨).

٥٥- مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ٣٩:٥٤، من هركي.

وعلى حدّ علمنا، ليس هناك مراسيم خاصة تجرى عند فطام (*خَساله*) الطفل. واذا كان الطفل يحب الإستمرار في الرضاعة، تقوم الأم بطلاء صدرها باللون الأسود لتخيفه، أو تنثر الفلفل الحار على صدرها.

الطفولة؛ أول الأسنان

[عند ظهور السن الأول، يقولون: *يي إليهه ياوت عارزيني وعمناهي*! "آه، ربي، هب الكثرة والسلام!" ويُقصد بذلك أنّه مادامت الأسنان قد خُلقت للأكل فليكن عددها كافياً للتمكن من الأكل (في العماديه).]

عند اليهود الكرد، وكما في المناطق الأخرى، يُعتبر ظهور أول سنّ للطفل من الأحداث السارة وتنظّم مأدبة بالمناسبة[٥٦]. ويقولون: *أكّار داكي فاكري تَختي داركوشتي ماليلو يَتيله كَسينه باشلا باكي*، "الطفل يطالب بهذه المأدبة، حتى لو توجّب إحراق المهد لطبخ الطعام به". ويوزع الثريد، كَسينه (أنظر ص١٨٨) بسخاء على الفقراء ويُبعث به الى الأصدقاء. ويُصبّ شيء منه على السطح، لتمكين الطيور ايضاً من الإبتهاج بظهور السن (في سنه). وفي الغالب تقام هذه الوليمة فقط للإحتفال بظهور أول أسنان أول إبن. وفي العماديه يدعى الموسيقيون ايضاً؛ وتوزع الحلوى على الجيران والأصدقاء.

تعلق تعويذة مصنوعة من سن ذئب (كيكه ديبه) في عنق الطفل مكتوب عليها: مينت بينه كيكوخ بينه كيكت گينه، "مَن يعد سنّك، فليعدّ هذا السن". أو يُكتب: كود مينخ كيكوخ مينَخ بييه كيكه، "من ينظر الى سنّك، فلينظر الى هذا السن" (في العماديه). وفي نيروه وريكان والمدن الأخرى، يبعث الوالدان في *پليتت* كيكه إناء من خَشيشه، ثريد مصنوع من القمح والحمص، الى الأقارب والأصدقاء ويلقيان لقاءه هدية هي عبارة عن قماش أو *مَگيلا* [نسخة من سفر إيستر] أو ما شابه.

وفي بَرَشه يتم إرسال إناء فيه حلوى مع آخر فيه ملح الى المعارف. وعند تقديم الإناءين يُقال، مثلاً: *پلتلو كيكه لا أڤراهينكو*، "ظهرت أسنان أبراهام"؛ ويكون الجواب: بريخه هيوه *إللا*، "فليُبارك فيه".

ويعتبر فألاً سيئاً ظهور أول الأسنان في الفك العلوي. وفي هذه الحالة، يطبّق علاج "قوي". فيتم إلقاء الطفل من سطح الدار على قطعة قماش يمسك بها في الأسفل عدد من الأشخاص (في سنه).

٥٦- في العماديه، قَرخيه كَكه بروِنَخ، "وليمة أسنان إبنك"؛ وفي سنه كيكه پَلوته، "ظهور السن".

نمو الطفل

خلال السنة الأولى من عمره، يتم غسل يدي الطفل – دون وجهه – بالماء صباحاً. وتحلب الأم قليلاً من حليب صدرها لتغسل به وجه الطفل، وهي تقول: *بروني پيسه وللو خوليله ماليخه*، "ولدي، الملائكة ستغسل وجهه" [أو *مَليخت شَنا*، ملائكة الخير]؛ أو تقول: *إينه خيلَنّا خَلوه*، "أغسله بالحليب" (في العماديه).

تعلم المشي

تتم مساعدة الأطفال على تعلم المشي بوضعهم في مسند ذي عجلات مصنوع لهذا الغرض (في العماديه وسنه). وهناك مراسيم معينة تجرى في حال كون الطفل بطيئاً في تعلم المشي. إذ يؤتى ببعض الأحشاء (*تاليه*، أي القلب والكبد وما شابه) ويتم تجريد الطفل من ملابسه ورفعه فوق الأحشاء تلك مع صب الماء عليه. وبهذا يبدأ سريعاً في المشي (في العماديه).

واذا لم ينجح هذا العلاج، يتم اللجوء الى علاج أقوى وهو "الأسر" (*يسيره*). حيث يتم ربط يدي ورجلي الطفل وأخذه الى الشارع الرئيس في وقت يُعرف بأنّ الآغا سيمر به راكباً. والآغا الذي يعرف ما يفعل في هذه الحالة، يترجل من حصانه ويقطع الأربطة التي ربط بها الطفل بواسطة سكين (في دهوك والعماديه).

وثم وسيلة أخرى تتمثل في التبخير بواسطة قرن غزال مبنية على پيرقه *اڤوت* ٥: ٢٣: *راص كاصَڤي*، "كن رشيقاً كالغزال" (في العماديه).

وفي العماديه، تذهب الأم مع الطفل مساءً الى موقع للعفاريت يسمى *بَري آويه*، الصخرة المدورة. وتضع بعض الخبز والملح والبصل الى جانب الصخرة، ثم تستلقي هي والطفل قائلة: "أرجوك، يا صديقي، فك وثاق طفلي". وبعد ساعة تحمل الطفل وتعود به، وبهذا يتأكّد أن الطفل سيمشي في الصباح التالي.

وفي سنه، يوضع الطفل في غربال (*أرباله*) ويُحمل ليُطاف به على سبع عائلات، تتبرع كل واحدة منها ببعض الطعام. ومن الأطعمة التي جمعت من العائلات السبع تهيّأ وجبة طعام يجب أن يلتهمها الطفل.

الكلمات الأولى التي ينطق بها الطفل تكون عادة بيبي [بابا] يمّي (في العماديه) [ماما]، *تاتا* أو *بابا* (أب)، *داي* (أم)، *والله* (الرب) (في سنه). [اذا كانت الكلمة الأولى التي نطق بها الطفل هي بيبه "بابا" فتلك علامة عن أنّ المولود التالي للأبوين

سيكون ذكراً. واذا قال يمّي "ماما" أولاً يكون المولود التالي أنثى. وهناك وسيلة أخرى للتنبؤ، فاذا أخذ الطفل الذي بدأ يمشي للتوّ شيئاً من الرماد وذرّه على رأسه، فتلك علامة على أنّ أمّه ستحبل وتنجب طفلاً ذكراً (في العماديه).]

وفي حالة الطفل الذي يلاقي صعوبة في تعلم الكلام، يتم اللجوء الى "الأسر"، على نفس المنوال المتبع في حالة الطفل الذي يلاقي مصاعب في تعلم المشي (في دهوك والعماديه). وثم طريقة أخرى، توضع فيها ثلاث حبات من الرز المحمّص تحت لسانه (في العماديه).

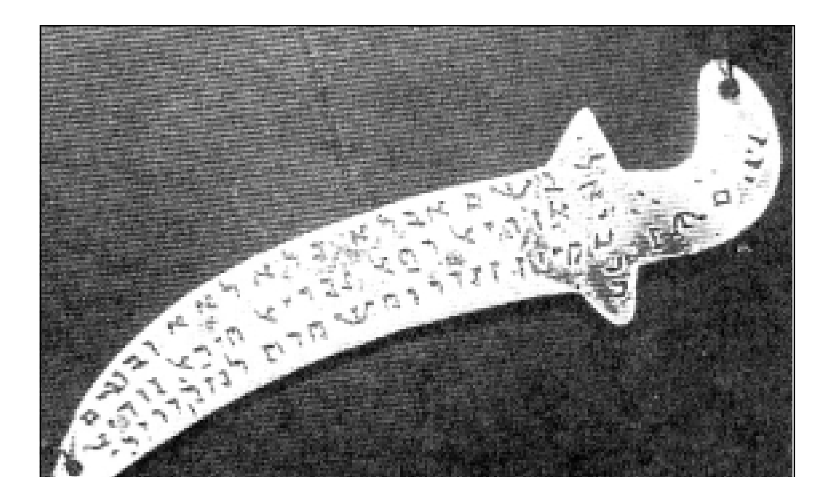
الأطفال المهدّدون

يتبع الوالدان اللذان سبق وفقدا الكثير من أطفالهما، تقليداً خاصاً لحماية الطفل المولود حديثاً. فبعد الولادة بوقت قصير – لايتجاوز ثلاثين يوماً – "يُباع" الطفل. إذ يتم بيعه الى أنثى من الأقارب، تدفع لقاءه حوالي الجنيه. ولكنها تعيده الى الأم لترضعه وتدفع لها لقاء هذه الخدمة أجراً شهرياً رمزياً. وإضافة الى ذلك فإنها تتولى شراء الملابس للطفل حتى يبلغ حوالي العاشرة من العمر[٥٧]. ولايجوز أن يشتري الوالدان ملابس للطفل تحت أيّ ظروف (في زاخو ودهوك وسنه). واذا أمكن، فإنّه يتم إختيار أم أنجبت الكثير من الأطفال كـ"مشترية"؛ ويحمل الطفل إسم عائلتها (في سنه).

وهناك ايضاً إجراء آخر، وهو أن يُعامل الطفل معاملة طفل الفقير، بدلاً من بيعه. حيث يتم جمع المال لشراء ملابس له[٥٨]؛ أو يُجمع له بعد ولادته مباشرة ثياب بالية من عدة عائلات ويُصنع له منها "ثوب ذي ألف قطعة" مثل الذي يرتديه الدراويش (*سودرا كَچه*)[٥٩]. ويخيّط الى هذا الثوب خرزة حمراء، ويرتديه الطفل في صباح *شابات ميلا* (في العماديه؛ أنظر ص١٩١).

ولمثل هؤلاء الأطفال، تُصنع *سودرا* و*كرتَكا* من كفن الأموات (كتين ميثه). فاذا مات رجل مسن أو مات حاخام، فإنّ ما يزيد عن كفنه من قماش يُباع بالمزاد ويشتريه ذوو مثل هذا الطفل. وتُميّز *السودرا* بالخرزة الحمراء[٦٠] (في العماديه).

٥٧- في بعض الأحيان تشتري أول ثوب فقط، كرمز.
٥٨- *كَداه بوله كوله باكَف.*
٥٩- أنظر: مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ١٣٥:٣٨.
٦٠- أنظر: مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ١٥٣:٣٨.



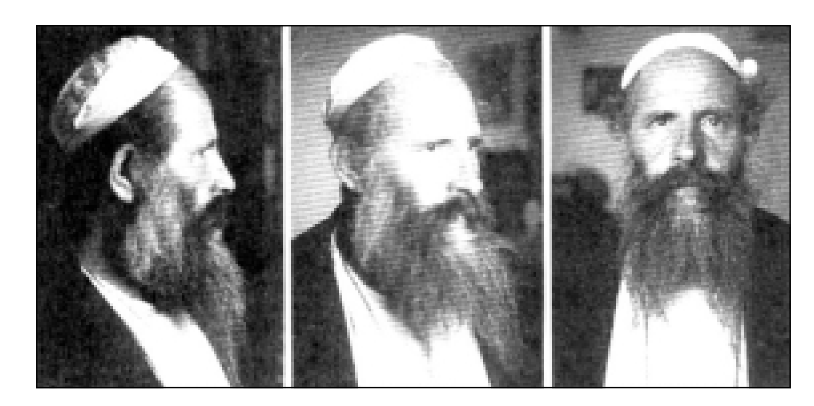
سيپا (السيف) تعويذة لحماية الطفل، مكتوب عليه أسماء ملائكة

وبالإضافة الى بيع الطفل الى عائلة أخرى، توجد ثم عادة بيع الطفل الى الغجر (*قَرَچيپا*)[٦١]. فيشتري الغجر الطفل ثم يشتريه منهم فرد آخر من العائلة. وهذه العادة شائعة جداً في العماديه.

أخيراً، هناك عادة إستبدال الطفل بجرو. فتأخذ الأم طفلها الى كلبة ولدت حديثاً عدداً من الجراء. فتضع طفلها عند الكلبة وتأخذ أحد الجراء وتضمه الى صدرها. ثم تجيء به وتروح ثلاث مرات وهي تقول: *يي كَلبته، هي شَقول بروني تيلَخ، انا شَقَللي اوها برونَخ تاگييني*، "أيتها الكلبة الأم، خذي إبني لك. (وفي المقابل) سآخذ إبنك هذا لي". عند ذلك تستعيد إبنها وتحمله الى النهر حيث تغمره في مائه ثلاثاً (في زاخو). وعادة إلقاء الجرو في الماء قد تكون أقدم من هذه (في دهوك). وهذه العادة متبعة بكثرة ايضاً عند النساء الحوامل من اللواتي فقدن أطفالاً عديدين من قبل. وعند إجراء هذه الطقوس يقلن: "أيها النهر، لقد أعطيتك الإبن الميت، فأعطني لقاءه الإبن الحي" (في دهوك).

وكتعويذة لهؤلاء الأطفال الذين يُعتقد أنّ خطراً من نوع خاص يتهددهم، جرت العادة أن يُصنع لهم *سيپا* (سيف). ولهذا الغرض يتم شراء الفضة من ثلاثة من

٦١- ژابا، القاموس، ص ٣٠٧: قَريچ، "بدوي"، وبالتركية والفارسية قَرَچي، "بوهيمي".



الحاخام علوان أڤيداني من العماديه. وهو المصدر الرئيس لمعلومات پاتاي

صائغي الفضة – يهودي ومسلم ومسيحي. ومن تلك الفضة، يصنع صائغ فضة يهودي سيفاً صغيراً. وبعد ذلك يكتب الحاخام على السيف أسماء ملائكة معينين. وفي هذه الأثناء ينبغي أن يراعي الحاخام القوانين الشرعية الخاصة بالطهارة عند صنع التعاويذ. ويشد الطفل السيف على كتفه أو قلنسوته حتى بلوغه السن التي يتمكن فيها من حمله في جعبة – *تفلّين* (في العماديه)[٦٢]. وهناك *سيپا* من العماديه، يعود الى حوالي مائتي عام (مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ٥٦:٣٩)، يحمل الكتابة التالية:

בשם יהו חרביאל
בשם אבלא בלא לאא ובשם
אריאל רפאל גבריאל מיכאל נוריאל
חיי נוער ומשמרת לנושאו להו קמעו יהו.

[كما يمكن إستخدام يد من فضة أو ذهب كتعويذة للغرض نفسه (في العماديه).

واذا مات عدد من الأطفال في سنّ حرجة ثم أنجبت الأم مرة أخرى، فإنّ الطفل سيسمى بإسم من شأنه أن يحميه. وقد ذكر لي مصدر معلوماتي، الحاخام أفيداني وهو من العماديه، أنّ والديه مات لهما ثلاثة أولاد قبل أن يولد هو، وأن كل واحد من أولئك الأبناء قد مات بعد الختان مباشرة. وعندما ولد هو سمّاه أبوه علوان، أضحية؛ وقد عمل هذا الإسم على حمايته واستمر في الحياة.]

٦٢- [كان] هنالك نموذجان ضمن مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ٥٦:٣٩ و٦٢:٣٩.

9

اليهودية الكُردية

إن مسألة رسم صورة واضحة للمرأة اليهودية الكُردية تعتبر مهمة صعبة من وجهة نظر الرجل المعاصر. وذلك لأن المرء ينجرّ في هذه الحالة الى رسم صورة أحادية الجانب ما يؤدي بالتالي الى حرمانها من مكانتها الحقيقية التي تحتلها في البنية الثقافية.

إن دراسة أنثروبولوجية للمرأة اليهودية الكُردية تظهر لنا بأنها ذات هيكل جسماني ممتليء، خشن، ذي عظام ضخمة. ويمكن للمرء أن يجد أحياناً بين الفتيات الشابات فتاةً ذات جمال شرقي أخاذ؛ إلاّ أنه يندر أن نجد بينهنّ ذوات الشكل الجذاب. فالعمل الشاق، والمعاملة السيئة، والحمل المتكرر، وظروف الحياة البدائية التي تعيش في ظلها المرأة، كلها أمور تسلبها جمالها وجاذبيتها في وقت مبكر. ولايبقى لها بعد ذلك سوى قسمات المرأة الفلاحية النموذجية.

وما اللعنات التي تنهال من فم اليهودية الكُردية إلاّ نتاج لهذه البيئة القاسية التي تعيش فيها. وهي ليست رقيقة، ولذلك لا تُظهر في مشاعرها وأحاسيسها ما اعتدنا أن نسميه بالأنوثة. ومن الصعب أن نحظى بلمحة عن حياتها العاطفية، إلا أن إنطباعاً يتكون لدى المرء بأن أي شيء يحاذي العاطفة في حياتها سرعان ما يتعرض للقمع من قبل البيئة القاسية التي تعيش فيها.

وفي تبادلهن اللعنات تستخدم النسوة اليهوديات أسماء *ڤاشتي وزَرَش* المرأتان الشريرتان من سِفر إيستر. وهنا تمسُّ الحاجة لتفسير أولي لفهم إحدى هذه اللعنات المستخدمة من قبلهنّ، والذي يتضمن كشفاً عن نوعية المعاملة التي تلقاها اليهودية على يد زوجها. فالكيتوبّه "عقد الزواج" يوضع فور الإنتهاء من قراءته أثناء البركات السبع في حقيبة صغيرة، وتحافظ المرأة على إبقائه تحت وسادتها على الدوام. ومحظور إخراج *الكيتوبّه* من الحقيبة، لأن ذلك يتسبب في موت الزوج. وفي هذه اللعنة التي نتحدث عنها، تلعن إحدى النسوة واحدة أخرى بقولها أنها أخرجت *الكيتوبّه* ليموت زوجها: *ڤاشتي پيتخات كيتوبات طار گوراخ مايس إشاللا دايم قايم هاوه طار نيخيراخ تاويرا* "ڤاشتي، لقد أخرجت عقد زواجك، وذلك لكي يموت زوجك؛ ولكن (لعل) الله أن يبقيه حياً، لكي يحطم أنفك!" (في العماديه، وكذلك

نموذجان لليهودية الكردية

في زاخو). [يبدو أن إسم ڤاشتي يستخدم في لعنة أخرى: *ڤاشتي ماري دوما* "ڤاشتي ذات الذيل!". وهذا يتماشى مع التقليد القائل بأن ڤاشتي رفضت المثول أمام ضيوف أهاسورس لأنها لم ترغب في أن يروا بأن لها ذيلاً[*]. (العماديه)]. يرتبط العديد من هذه اللعنات بتقاليد الموت. فإذا ما مات أحد الأطفال، تقوم الأم أحياناً بقص جدائلها (أنظر ص١٠٥) – ولهذا تُنطق اللعنة هكذا: "*هاي مِن صوصياخ قطيع إيلاخ* "آه، ألا قُطعت جدائلك!" (في زاخو). وبما أن الموتى يُغسلون فوق لوح (دَرگه)، فإن بعض اللعنات تتمنى صاحبته الموت للمرأة التي تكرهها حينما تقول لها: *رَبي صوصياخ ريش دَرگه* [أو دَپه] *خَبيلو* "جعل الله جدائلك تُغسل على اللوح!" (في زاخو والعماديه) [أو تنيشه *مَردَشي* "غسلتِ شعركِ مرةً واحدة!" أو بمعنى آخر "فليأخذك الموت ويغسلوا شعركِ مرة واحدة والى الأبد!" (في العماديه)].

ويشيع بين الرجال اليهود اليمانيين شيء من الـ*بيرفونگستيپوس* [(نداء باطني] بأن المرء مدعو للقيام بعمل ما إجتماعي أو ديني – المترجم) – لإستخدام تعبير كلاوس بعكس معناه أو بمعنى آخر ليس سعيداً جداً لطريقة تصنيفه للأشياء[١]. وينطبق الأمر نفسه على المرأة اليهودية اليمنية، التي تعتبر عموماً من الصنف الأكثر

* نُفيت بأمر من زوجها أهاسورس بعد رفضها تنفيذ أمره. (سفر إيستر ١: ١٠ -٢، الكتاب المقدس) – المترجم.

١– ل. ف. كلاوس *Von Seele und Antlity der Rassen und Völker* ميونيخ ١٩٢٩، ص١٦.

تهذيباً ورقة. وهذا يعود الى الموقف الديني. فوجه اليهودية الكُردية، من ناحية أخرى، يعكس إمارات الخشوع.

إنّ المرء يندهش من بدائية وفلاحية روح المرأة اليهودية الكُردية. فأفقها محدود بعائلتها وبحياة مجتمعها الصغير. ولا تحصل البنات على أي نوع من التعليم، عدا القليل منهن وفي ظروف إستثنائية. ومعظم المتعلمات هنّ بنات الحاخامات اللواتي يتلقين التعليم حينما لايكون في العائلة إبنٌ تنفق وقتها في تعليمه؛ علاوة على وجود هدف عملي من وراء تعليمهنّ. فهؤلاء الحاخامات هم معلمو مدارس، وإذا لم يكن لديهم أبناء أو كان أولادهم الذكور أطفالاً صغاراً، فإنهم يعلمون كبرى البنات القراءة والكتابة كي تتمكن من مساعدة والدها في تعليم التلاميذ. ويرجع ذلك الى أن المعلم اليهودي في القرية الكُردية هو في نفس الوقت شوحيط وموحيل وفي كثير من المناسبات يرسلون في طلبه ليؤدي واجباته التعليمية.

ومن الأمثلة المثيرة للإهتمام بهذا الصدد، حادث من القرن السادس عشر صادفتنا أثناء قراءة إحدى رسائل اليهود الكُرد التي نشرها مان[٢]. الرسالة واحدة من رسائل عدة تناقش نفس الموضوع، وهو موضوع يعقوب بن يهودا مزراحي[٣] الذي كان كما يبدو يهودياً كُردياً أدار مدرسة في العماديه ثم في الموصل. وكما يتضح من رسائله، فإن إدارة المدرسة كانت تعتمد في نفقاتها أساساً على المنح والهبات التي كانت تقدم لها من المحافل اليهودية في كُردستان (أنظر ص٧٢). أخذت أرملة مزراحي عقب وفاته على عاتقها إدارة شؤون المدرسة. أما الرسالة موضوع الحديث هنا، فهي بالكاد من إنشائها هي[٤]، سيما وأن الرسالة حافلة بالـ*ميليتزوت* [التعابير الشعرية] وتكشف تمتع كاتبها بقدرة لايُستهان بها في اللغة العبرية وأدب الأحبار اليهود. ومن خلال الرسالة إتضح لنا بأن أرملة مزراحي تلقت تعليمها على يد والدها ساموئيل ليڤي، إذ تقول: ["لم يعلمني أي شيء أو عمل خلا

٢– مان: نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٥٠٧، الرسالة الرابعة، قارن مع أسّاف "*لي تولدوت*"، ص٩٣.

٣– إسم مزراحي ليس دليلاً على كون الرجل من بغداد كما يفترض مان (نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٤٨٠). ففي القدس مثلاً تجد إسم مزراحي من أكثر أسماء العائلات شيوعاً بين اليهود الكُرد. أما في كُردستان نفسها فنادراً ما نصادف هذا الإسم.

٤– المصدر السابق، ص ٤٨٣، فيه مجال لقليل من الشك ("على فرض أن الرسالة من إنشائها هي"). ويجب أن لا ننسى أن اليهود الكُرد يحتفظون بنسخة من كل رسائلهم كنوع من دليل الرسائل يستخدمونه في كتابة أنواع رسائل الإستجداء وما الى ذلك.

عمل السماء لتنفيذ ماهو مكتوب" و: "بأنكِ سوف تدرسين هذا ليلاً ونهاراً". "بسبب الخطايا الكثـيـرة، لم يُرزق بأولاد بل رُزق البنات فـقـط"] (السطران ٦٥ و٦٦ من الرسالة). هذا علاوة على تصريحها بأن والدها أصرّ لدى تزويجها على إستمرارها في دراستها للتوراة: ["كما جعل زوجي يقسم أمامه بأن لايكلفني بأي عمل، فوافقه زوجي على ما أراد"] (السطران ٦٧ و٦٨).

وهكذا يتبين أن مسؤولية المدرسة بالكامل كانت ملقاة على عاتقها: ["كان الحَبر، بوركت ذكراه، منشغلاً من البداية بدراساته ولم يكن لديه وقت لتعليم التلاميذ، فكنت أقوم بالمهمة نيابة عنه، وكنت له في ذلك عوناً كبيراً. والآن ولكثرة ذنوبي، تركني زوجي ليخلد الى الراحة (الأبدية)"] (السطران ٦٨ -٦٩). وتناشد هذه الأرملة المحفل اليهودي شد أزرها وإجابة طلبها حين تقول في رسالتها: ["من أجل الوالد، بوركت ذكراه، والحَبر بوركت ذكراه، وحتى لاتذهب أعمالهم مع التوراة وذكراهم سدى في هذه المحافل، ولأنني ساظل معلمة توراة والمرأة التي توبّخ وتطالب مثيلاتها من النساء (بالإلتزام) بالغطس والسبت والتطهّر عقب الحيض وبالصلاة وما الى ذلك"] (السطران ٥٨ و٥٩). وهكذا تؤكد هذه المرأة على نشاطها في مجال نشر تعاليم التوراة بين النساء، اللاتي تعظهن بالإلتزام بالتعاليم المتعلقة بالنيدّه وقوانين السبت.

هناك إرث حي يتعلق بهاته النسوة المتعلمات بين اليهود الكُرد، وهي حقيقة تبيّن مدى ندرة هذه الظاهرة، أي النساء المتعلمات. إذ يقال بأن زوجة الحَبر سيمون كانت في القرن السادس عشر معلمة تلاميذ في العماديه. وفي أواخر القرن الثامن عشر، كانت زوجة الحَبر آشر معلمة تلاميذ في العماديه ايضاً. وفي حوالي ١٨٤٠م كانت شقيقة الحَبر إلياهو مساعدةً له في تعليم التلاميذ (حسب شَبتاي بَرَشه) ومن بين قلة من اليهوديات الكُرديات في القدس من اللواتي يعرفن القراءة والكتابة يبرز إسم إبنة حاخام نيروه، التي كانت لثقافتها واعظة لكل نساء المنطقة. وفي الوقت الذي عاش فيه محدّثي في العماديه لم يكن يوجد فيها سوى إمرأتين تعرفان القراءة والكتابة، ووجود نساء من هذا الصنف في زاخو أمر مشكوك فيه حتماً[٥].

أما كلام النساء، فمعظمهنّ يتحدثن لغة التارگوم، والنساء في بعض المناطق (كالعماديه مثلاً) يتكلمن الكُردية بطلاقة. أما النساء اليهوديات في زاخو فإنّ معرفتهنّ بالكُردية قليلة بسبب من قلة فرص إختلاطهنّ بالكُرد. هذا ورغم كون

٥- قبل وقت قصير كانت هناك فتاة في بيجار تساعد والدها في تعليم التلاميذ. وبعد وفاة والدها قرأت له *القاديش* في الكُنيس.

الأغاني التي تغنيها النسوة في حفلات الأعراس كُردية صرفة، إلاّ أنّهن لايفقهن منها إلاّ القليل. هذا ولم أجد أي دليل على وجود لغة سرية بين النسوة اليهوديات الكُرديات (كتلك التي تجدها عند النساء في الشرق الأدنى). أما ما يتعلق بالعبرية فمعظم النسوة لايعرفن منها إلاّ تلاوة بعض التبريكات الى جانب صلاة *الشيما ع*[٦]، وهنّ الى جانب ذلك ملتزمات جداً بأداء الواجبات الدينية.

تعدد الزوجات

يُسمح بتعدد الزوجات بين اليهود الكُرد لكنه لايمارس إلاّ نادراً. ففي العماديه كان هناك في ١٩٣٠ حوالي عشرة رجال لهم زوجتان، وفي أشنويه كان هناك سبعة. وفي سنه تبلغ نسبة الرجال ممن لهم زوجتان ١٪ . هذا فيما يندر وجود من لهم ثلاث زوجات[٧]. ففي سنه على سبيل المثال، في وقت إعداد بحثي هذا [أواخر ١٩٣٠] ما عرف محدثي بوجود ولو حالة واحدة من هذا القبيل[٨].

أحد أسباب زواج الرجال من إمرأة ثانية هو عدم تمكن الزوجة الأولى من إنجاب إبن يرث الأب. فالعوامل الإقتصادية في الريف أكثر منها في المدن – تلعب دوراً كبيراً في تعدد الزوجات. لقد إتخذ يهودي يبلغ من العمر ثلاثين عاماً ويعيش في أشنويه الريفية فتاة تبلغ العشرين من العمر زوجة ثانية له – والسبب الوحيد الذي برر لي ذلك به قوله أن العمل في بيته قد زاد الى درجة لايمكن معه لزوجة واحدة أن تقوم به. فقد كان يملك أربع أبقار، وكان واجب العناية بهذه الأبقار يقع على عاتق

٦- قيل بأن أفراد عائلات الحاخامات لم يكونوا يتحدثون بغير العبرية في السابق، وهذا يوضح سبب تعلم نساء هذه العائلات هذه اللغة (في العماديه).

٧- يوجد في القدس يهوديان كُرديان لكل منهما ثلاث زوجات، أحدهما: هـ. ز من نيروه وله ثلاث زوجات وإثنتا عشرة بنتاً، ومات له عدد من الأطفال في كُردستان. والسبب الرئيس لزواجه من ثلاث زوجات هو أنه لم يرزق بإبن من زوجتيه الأوليين، وقد رزق أخيراً بصبي من زوجته الثالثة.

٨- في سنه يستعان بالمتزوج من ثلاث، حيث يقصده المريض المحموم ويسأله: "*ميردي سى ژنان چ خاسه بو دَرمان* (بالكردية) "يا زوج الزوجات الثلاث ما هو الدواء الناجع للحمى؟". وعادة ما يصعب العثور على رجل متزوج بثلاث فيستعينون بمن له زوجتان ويقصده المريض بقوله: *ميردي دوو ژنان* "زوج الإثنتيْن". وفي العماديه تذهب زوجة المصاب بالحمى (بالكردية، *شَوتائي*: حمى الليل) الى المتزوج من اثنتيْن أثناء تناوله الطعام وتقول له: "*خوداني دوو ژنا كورَبن دوژمنا* (قارنها مع – *دوژمن* – في قاموس ژابا، ص ١٨٣) *دَرماني شَوتايي چنه* ؟(بالكردية) "يازوج الإثنتين (أعمى الله أعداءك) ما علاج الحمى؟" فيعطيها الرجل بعضاً مما بين يديه من طعامه ليتناوله زوجها المريض كدواء.

الزوجة الثانية لوحدها. والحالة الأخرى التي يكون فيها الدافع الإقتصادي الأساس هو زواج الرجل من أرملة ثرية وإتخاذها زوجة ثانية له. ومثل هذا الزواج، الذي يدخله الرجل لأسباب مالية بحتة، ليس شائعاً بين اليهود الكرد.

تكافح الزوجة الأولى بكل ما أوتيت من عزم وقوة لتحول دون زواج زوجها من أمرأة ثانية. لكنها تدرك رغم ذلك بأن عويلها ونحيبها سيذهبان دون جدوى[٩]. وحين يدخل زوجها زوجته الثانية الى الدار، فإن الأولى قد تلجأ الى السحر الذي تحدثنا عنه والمتعلق بإستقبال العروس في بيت العريس – فتصعد الى سطح الدار وتقذف الحصى على منافستها لدى دخولها وتضرب الأرض بقدمها. وهي تضمن بهذه الطريقة هيمنتها على الزوجة الثانية (في العماديه).

تختلف تقاليد الزواج التعددي، إختلافاً جوهرياً عن تقاليد الزواج الأول. وإذا ما كانت الزوجة الثانية فتاة عذراء، فإن الإستعدادات للإحتفال تستغرق ثلاثة أيام. وهذا ينطبق على الزوجة لوحدها. فالزوج مستثنى من الصبغ بالحناء ومراسيم الإستحمام . ولكن على الزوج أن يجلس مع زوجته الجديدة الثانية ثمانية أيام في *الگنونه*. [وفي حال كانت الزوجة الثانية أرملة أو مطلقة (*تولاقتا*) فتجري حينها مراسيم تناسب حالتها تلك (أنظر ص ٢٢١).

معاملة النساء

تُعامل المرأة اليهودية الكُردية نفس المعاملة الشائعة التي تلقاها النساء بين الشرقيين، وخصوصاً المعاملة الشائعة عند الفلاحين الشرقيين. فالمرأة هنا خاضعة تماماً للرجل. وإستناداً لهذه الحقيقة فليس بإمكان المرء الحديث عن الحب أو المعاملة القاسية إلاّ نادراً. ومعظم النساء ينظرن الى أزواجهن منذ البداية كسيد ومولى. وحتى في المقاطعات التي بإمكان المرء أن يتحدث فيها عن معاملة النساء معاملة جيدة (العماديه مثلاً)، فإن العمل المنزلي كله يقع على عاتق المرأة، ليس هذا فحسب بل ينبغي أن تكون دائماً على أهبة الإستعداد لتلبية مطالب زوجها. والأهم من ذلك العائلة، وهنا تكون المعاملة أكثر تطرفاً. فالزوج نادراً ما يخطو خطوة في الدار أو يرفع أبداً إصبعاً في طلب. فهو يأمر زوجته «هاتي لي الكتاب. هاتي لي

٩– في القدس حيث يمنع الرابي الزوج من إتخاذ زوجة ثانية إلاّ بعد موافقة الأولى وقعت هذه الحادثة: أراد أحد اليهود الكُرد الزواج بإمرأة شابة، ولم يكن ذلك في مستطاعه لصعوبة إستحصال موافقة زوجته الأولى فأراد تطليقها، لكن الزوجة الأولى رفضت الطلاق وتمسكت حتى أنّها عرضت عليه منحه كل مدخراتها المتواضعة من عملها في غسل الثياب.

غليوني، الشاي» وما الى ذلك – فمن المعيب للرجل أن يفعل شيئاً من ذلك بنفسه. وهم يقولون عن الرجل الذي يأمر زوجته على الدوام: *مانه إيلا باخته خابره خييه يريخيلو* "الذي تقف زوجته طوع أمره، سيطول عمره».

ومن ناحية أخرى فإنهم يقولون عن الزوج الذي لايأمر زوجته على الدوام: *مانه ليوه باختـه خابره أمره*[١٠] *كري لي أجاله*[١١] *زيليلو* "الذي لاتقف زوجته طوع أمره، حياته قصيرة، وأيامه معدودة».

والنسوة يتناولن الطعام لوحدهن بمعزل عن الرجال، وفي الغالب بعد تناول الرجال طعامهم[١٢]. وفي الأعياد فإن الصينية التي يقدم الطعام فيها للنساء تحتوي فتاة مائدة الرجال. وإذا ما ذهب الرجل وزوجته الى نفس المكان فإنهما لايمشيان معاً، بل تتخلّف الزوجة عن زوجها في المسير بضع خطوات.

ورغم أن معاملة الزوج زوجته تماثل معاملة الحاكم رعاياه، وليس هناك داع رغم كل شيء لمعاملتها بقسوة. فإنّ اليهود يميلون رغم ذلك للقسوة مع زوجاتهم وضربهن ضرباً مبرحاً تسقط الزوجة على أثره طريحة الفراش في أغلب الأحيان.

وخلال حفلات الأعراس والأعياد – حينما يلعب العرق والمزّه برؤوس الرجال يقع على الزوجة واجب إحضار صينية الطعام لزوجها. حيث تلقى الزوجة التي يحدث أن تتأخر في جلب ما يطلب الزوج الضرب من قبل زوجها أمام الحاضرين. ويريد الزوج من وراء ذلك عرض عضلاته أمام الرجال الآخرين.

العمل اليومي

يمكننا القول أن من الطبيعي أن يقع عبء العمل البيتي كله على عاتق الزوجة. فهي تستيقظ صباحاً قبل زوجها. وبينما تغتسل الزوجة تردد التبريكات اللازمة، التي تعرفها كل إمرأة، ثم تتوجه الى *الميزوزا* على الباب وتتلو صلاة *الشيما* ع، التي

١٠– الصحيح (*عَمرا*).

١١– قاموس ژابا، ص ٢، *أگل* [= *أجَل*] "اللحظة الأخيرة، ساعة الموت. وبالعربية (الأجل)، وتترجم بالقول "إنتهت أيامه". لذا يقال عن الرجل الذي يلقى حتفه إثر حادثة في الطريق: *أَجَلا زكوالي لاو زلله*، "إنتهت أيامه ولهذا رحل".

١٢– وكذلك بين النساطرة والكُرد تتناول النسوة الطعام لوحدهن (في العماديه).أما بخصوص النساطرة فقد كتب رايت يقول: "النسوة لا يأكلن مع الرجال، بل تخصص لهنّ – بدلاً من تناول ما يتخلف من طعام الرجال – حصة من الطعام". وفي سنه يتناول الرجال والنساء الطعام معاً، لكن في حال عدم وجود ضيوف (النساطرة، أو القبائل المفقودة، ص٧٥).

تحفظ منها نساء العماديه حتى فقرة (*أوقئوخول مئوديخا*)[١٣]. بعدها تحضر لزوجها الماء كي يغتسل، وحينما يتلو الزوج تبريكاته تردد الزوجة لفظة آمين. وحينما يكون الزوج في الكنيس لحضور المراسيم الصباحية، توقد الزوجة الفرن وتعد الفطور (كَدبيه: أنظر ص١٢٦). ثم يستيقظ الأطفال لتناول الفطور.

بعد ذهاب الأطفال الى المدرسة، تضع الأم *التالا* على ظهرها وتذهب لجلب الماء من النهر أو النبع. وفي العماديه تستأجر زوجات الأثرياء (*سقايي*) يحضر الماء بدلاً عنهن. أما النسوة الأقل حظاً فيذهبن الى النهر أو النبع في مجاميع مرتين كل يوم، في الصباح والمساء. أما في سنه فذهبن في المساء فقط. بعد ذلك ترتب الزوجة أمور المنزل وتباشر بإعداد وجبة الغداء (*شاروسه*: أنظر ص١٢٦). وحين تسمع صوت المؤذن (*مَلا*) يصدح في المنارة، تدرك بأن النهار قد انتصف (*پالگيت يوم*) وأن الأطفال عائدون من المدرسة.

أما غسيل الثياب فيتم في يوم محدد في كردستان، وهو الخميس عادة، وذلك لكي يجدوا ثياباً وأقمشة نظيفة يوم السبت. وتجتمع النسوة بغسيلهنّ عند النهر، حيث ينظفن الملابس بغسلها في مياه النهر والضرب عليها بلوح خشبي (*خاتوره*)[١٤]. ولدى الإنتهاء من غسل الثياب، تبدأ النسوة في حمام السبت (*كيايا*). وتجلب النسوة لهذا الغرض الى ضفة النهر قدراً كبيراً لغلي الماء. وقد تذهب النسوة في العماديه شتاءً الى أحد الينابيع الحارة (*إين خاتون*. وبالكردية: *كانيي خاتوني*) وتعني بالتحديد نبع السيدة. ويعتبر يوم الغسل على ضفة النهر عطلة للنسوة. إذ يشرعن بالغناء والرقص حتى وقت متأخر من المساء، ثم يعدن الى بيوتهن مجتمعات (في العماديه وفي زاخو).

وعند الظهيرة تجلس النسوة للعمل في بقعة ظليلة بالباحة (*بَربانكي*)، ويعملن شتاء داخل الغرف. واليهودية الكردية، مثل يهوديات الشرق عموماً، مكتفية بمنزلها. فلاتذهب الى السوق ونادراً ما تغادر الحي اليهودي، وتنحصر صلاتها الإجتماعية بأقاربها وجيرانها. وتشكل أوقات الظهيرة هذه، مع الأعياد، إطار حياتها الإجتماعية. في الصيف تجلس النساء في أشنويه في باحة الكنيس - وهي أقرب ما يكون الى الحديقة التي يمكن أن يتفاخر بها اليهود.

١٣- وتعرف نساء سنه هذه الصلاة لغاية فقرة: *عاال ميزوزوت بتيخه أوفيشعاريخا*. وفي العماديه تضيف النسوة صلاةً خاصة بهنّ بالتارگوم - "وفق مشيئتهنّ".

١٤- في سنه بالكُردية: كلاف كو.

الحرف اليدوية وأشغال الإبرة

تختلف اليهودية الكردية عن مثيلتها اليمانية في أن أشغال إبرتها وعملها اليدوي لاتظهر قدراً كبيراً من البراعة - أو الأصح لم تعد تُظهر قدراً كبيراً من البراعة. إذ لانجد في تلك الأعمال ذلك الأسلوب الدقيق والذوق الفني المتوارث الذي طورته المرأة اليمانية في أعمال التطريز وصنع السلال.

أحد الأعمال الرئيسية التي تقوم بها المرأة الكردية هو إعداد الصوف. فهي تمشط[١٥] وتغسل وتغزل الصوف. إذ ترى المرأة الكردية، كلما سنحت لها الفرصة، واقفة أمام باب دارها وبيدها مغزلة الصوف الصغيرة (*تَشيه*)[١٦].

والنساء ينشغلن كذلك بحياكة الصوف، فالبسط البدائية (*گيله وشيويسه*) في العماديه هي من عمل النسوة. إلاّ أن هواية وعمل النسوة الرئيسي يتركز في خياطة الملابس وحياكتها (في زاخو ودهوك والعماديه وسنه). وتتألف خياطتهنّ الملابس من خياطة البياضات والملابس والتي غالباً ما تكون مطرزة (في زاخو ودهوك والعماديه وسنه). والقسم الأعظم من زبائنهن هم المسلمون الكرد[١٧]. والحياكة هي من الحرف اليدوية الدقيقة التي تظهر المرأة الكردية فيها براعة فنية فائقة حتى اليوم. وكنا قد تحدثنا عن حياكة الجوارب، وأردية الساق والقفازات، التي يمتاز بعضها بجمال استثنائي، والتي تحاك من الصوف الأبيض أو أصواف ذات ألوان متعددة بتصاميم فنية (أنظر ص١٠٢).

إن تعلم هذه الحرف هو نوع التعليم الوحيد الذي تتلقاه البنات؛ وهن لايتلقين هذا التعليم عادة على يد أمهاتهن، بل على يد إمرأة تشتهر ببراعتها في هذا المجال، والتي غالباً ما يكون لديها العديد من التلميذات اللواتي يتعلمن لديها في بيتها مجاناً. وعدا هذا النوع من التعليم تنشأ الفتيات جاهلات وأميات تماماً.

١٥- المشط الذي يستخدم في نفش الصوف (مَسيركه) ويصنع من الحديد، أو من الخشب وتكون أسنانه من الحديد.

١٦- [كانت] توجد نماذج في (مجموعة براوَر في الجامعة العبرية) من العماديه، وفي سنه (تَشي) وريكان (٣٧:٥س، ٩٦:٣٨ و١٥١:٣٨ على التوالي).

١٧- يصنع كثير من النسوة في سنه القبعات (عَرَقچين) من قطع القماش ويعشن على ما تدره هذه الحرفة، إذ يكسبن مبلغ (قرانين) في اليوم الواحد المبلغ الذي يكفي لتسديد نفقات العائلة كلها ليوم كامل.

قوانين الطهارة

في هذا المجال تشبه النسوة الرجال في الإلتزام الشديد بالشريعة. فهن أيضاً لهن معتقدات الفلاح الذي يكتفي بتنفيذ الطقوس على ظاهرها. فهن يتقيدن بالتعاليم الواجب على النسوة إتباعها بحذافيرها، ومن بين أهم هذه التعاليم تلك القوانين المتعلقة بالطهارة[١٨]. كنا قد تحدثنا عن بيوت العزل الخاصة في العماديه وفي منطقة نيروه، والتي تعتكف فيها النسوة خلال فترة النفاس أو خلال مرورها بفترة الطمث أو الأيام السبعة التي يكنّ فيه غير طاهرات (أنظر ص١٨٦). وهو تقليد ألغي في عام ١٨٦٠م.

إن الزوجة لاتخبر الزوج حينما تكون غير طاهرة، بل يتبين ذلك من الملابس الخاصة التي ترتديها الزوجة في هذه الفترة[١٩].

وحينما تكون الزوجة غير طاهرة لاينبغي لها أن تجلس على نفس البساط الذي يجلس عليه باقي أفراد العائلة. كما ينبغي عليها أن تأكل لوحدها، فلديها ملعقة خاصة وأطباق تُغسل جميعاً على حدة (في زاخو وسنه). وعليها أن لاتشارك في إعداد الطعام، ولايجوز لها أن تعطي الماء لزوجها[٢٠]. وهناك بين اليهود الكرد من هو متزمت بحيث لايأخذ أي شيء بتاتاً من يد زوجته مباشرة خلال هذه الفترة. ويحكى عن الشماش يصحاق الذي عاش في ١٨٧٠ في العماديه بهذا الصدد أنه ولكي يحافظ على أداء المراسيم في الكنيس في حالة طهارة دائمة لم يتسلم طوال حياته شيئاً من يدي زوجته أو إبنته مباشرة.

تنطبق على الفتيات غير المتزوجات نفس القوانين السارية على المتزوجات. وليس ثم مراسيم خاصة بالحيضة الأولى. والحاخامات يعاملون البنات والنساء المتزوجات المعاملة نفسها؛ كما لايأخذ الوالد شيئاً من يدي ابنته مباشرة أثناء فترة حيضها (في العماديه، لا في سنه).

١٨- أنظر كذلك: زلمان روباشوڤ (أورميه) في صحيفة (داڤار) اليومية الصادرة في تل أبيب، عدد ٦ أيلول ١٩٤٠.

١٩- وفي سنه ترتدي المرأة أردأ ثيابها، والتي تحفظها في صرة معمولة من قطع قماش كثيرة ذات ألوان فاقعة تسمى *چهل تيته* "أربعين رقعة".

٢٠- رغم أن الطبخ مسموح به في القانون اليهودي، ولكن العادة جرت أن تقوم نساء الجيران والأقارب بالطبخ نيابة عنها، ولكن للزوجة عند الإضطرار أن تطبخ بنفسها (في العماديه وسنه). ولكنها يجب أن لاتتذوق الطعام أو تضيف اليه الملح أثناء إعداده بيدها (في العماديه).

وفي العماديه تحجم النسوة عن إرتداء الملابس البيض خلال فترة الحيض البالغة سبعة أيام. أما في سنه فلا يرتدينها مدة خمسة أيام أو سبعة. وبعد سبعة أيام أخر تذهب النسوة الى (ميقڤه) للإغتسال الشرعي.

الميقڤه

إن ميقڤه اليهود الكرد التي يسمونها (گاره) هي على العموم عملية الإستحمام في النهر (في زاخو والعماديه). ويقال بأنّ الميقڤه في العماديه (*گاريت ألوچي* "حمام الخوخ" [والتسمية تطلق لوجود أشجار الخوخ بالقرب من المبنى]) قديمة جداً. والبناء محاط بأسوار قديمة ترتفع لأعلى من أغضان الأشجار الموجودة قربها، حتى لايمكن رؤية *الميقڤه* من الشارع، وقبل البدء بالإغتسال تقص النسوة أظفارهن ويشذبن جدائلهن ونساء زاخو كن يذهبن في السابق الى *الميقڤه* نهاراً أو في الليل. أما في العماديه فقد جرت العادة منذ القدم أن تذهب النسوة الى *الميقڤه* ليلاً. وسبب ذلك هو وجوب أن لاتلتقي المرأة اليهودية غير يهودي في طريق عودتها. أما الغطس في الماء شتاءً، وحينما يكون البرد شديداً جداً، فإنه مؤثر على الصحة لدرجة كبيرة؛ والنساء التقيّات بدرجة إستثنائية أظهرن ما يشبه المعجزة في البطولة إنْ صح التعبير لدى أدائهن هذا الواجب الديني رغم الثلج والصقيع، وطالما أن الواجب الديني يلزم اليهودي الكردي بأن يضاجع زوجته في الليلة التي تسبق السبت، فإن النسوة اللائي يطهرن من حيضهن يوم الجمعة يذهبن الى *الميقڤه* في مساء ذلك اليوم. هذا ويُروى أن زوجة الحاخام الحَبر شمعون من العماديه قد فعلته ذات مرة. فقد ذهبت الى النهر في الليل، وكان الفصل شتاءً وكانت الريح الباردة تهب. وفي طريق عودتها قابلت رجلاً - فعادت أدراجها مع المرأة التي كانت ترافقها، وغطست في ماء النهر مرة ثانية؛ ولكنها قابلت في طريق العودة رجلاً آخر. وظلت على هذا المنوال أربع عشرة مرة كلما عادت من استحمامها تقابل رجلاً في طريق عودتها الى البيت. بعدها بدأ جلدها يتقشر بسبب البرد، فما كان منها إلاّ أن غطت عينيها بشالٍ لها وتركت رفيقتها تقودها في طريق العودة الى بيتها (أخبرني بالحكاية س.ي).

هذا ويعتبر قيام الزوج بمعاشرة زوجته بعد اطهرها من الحيض مباشرة من الواجبات الدينية[٢١]. ولهذا ترى الرجال - الذين يكونون في الغالب بعيدين عن

٢١- إذا لم تكن الزوجة تتوقع عودة زوجها قريباً فإنها تؤخر التطهر لحين عودته سيما وأنها تخشى أن تعلم الشياطين بطهرها (في سنه والعماديه).

ديارهم – يعجلون بالعودة الى البيت ليكونوا موجودين حال تطهر زوجاتهم من الحيض أي في ليلة اغتسالهن؛ ولكن إذا تأخرت عودتهم نوعاً ما، يتملك زوجاتهم الخوف من أن يعرف العفاريت بطهرهن ويناموا معهن. ولكي تحمي هاته الزوجات أنفسهن من هذه العفاريت، فإنهن يحتفظن بسراويل أزواجهن تحت مخداتهن أثناء النوم (في زاخو وسنه)[٢٢].

الزنا والطلاق

على الرغم من حديث اليهود المستمر عن عزلة نسائهم، اللاتي يجلسن لوحدهن في باحات دورهن، فإن ما ورد إليّ من حالات إساءة التصرف من قبل النساء يثير الدهشة. والسبب الرئيس الظاهري لبقاء حالات الخطيئة هذه حية وعالقة في ذاكرة اليهود هو أنها جميعاً إنتهت بتحول المرأة موضوع الحديث الى الإسلام.

والقصة التالية التي تدور أحداثها حول إمرأة من بيتَنوره، تعطينا رؤية جيدة لهذه الحالة. فقد رواها لي شبتاي يوسف، وهو *أورڤات جَميعه* [زعيم الطائفة] في العماديه. عاشت في بيتَنوره فتاة بزّت كل قريناتها جمالاً في منطقة برويلنايا.

والد هذه الفتاة زوّجها لرجل، بينما هناك رجل آخر في برويلنايا يسعى للزواج منها. فلم تقاوم الفتاة الثاني ومكّنته من نفسها، فافتضح سرهما ووصل مسامع أهل العماديه. وبصفته زعيماً للطائفة بادر شبتاي يوسف الى إحضار الرجل أمامه، وطلب منه إبداء الندم على فعلته. لكن الرجل أنكر الأمر جملة وتفصيلاً. فجعلوه يقسم على إنكاره ففعل. وعندها أقاموا له *دانين أگاڤا سودار*: إذ كان عليه أن يمسك بأحد طرفي [*السودار*] والحازان يمسك بالطرف الآخر، ثم يقسم بأغلظ الأيمان أن يقع تحت طائلة كذا وكذا من العقوبات إن اقترب من تلك المرأة أو دخل في الشارع الذي فيه بيتها.

عاد الرجل الى بيتَنوره، ولم تمض بضعة أشهر حتى وصلت الأنباء مسامع أهل العماديه عنه وعنها ثانية، فأمر شبتاي يوسف بمعاقبته بخمس عشرة جلدة؛ أي أن يتلقى خمس عشرة جلدة على ظهره وساقيه لخمسة عشر يوماً متتالية، وهكذا أصبح بعد مرور بضعة أيام على بدء العقوبة غير قادر على السير، وتوجب عليهم في النهاية حمله على بغل. بعد ذلك، وبعد فرض غرامة مالية ثقيلة وتحذيرات إضافية، أعيد الى بيتَنوره، حيث ظل طريح الفراش عدة أسابيع حتى تعافى من

٢٢- يستخدمون في سنه قطع الثياب الأخرى العائدة للزوج لهذا الغرض (كالحزام مثلاً).

الجروح التي أصابته إثر ما تلقاه من عقاب.

وفي حوالي هذا الوقت تقريباً، جاء شاب – حائك من چالا- الى بيتَنوره وكان ذا قوة عضلية جبارة تتيح له لَيَّ قضيب حديدي بيديه المجردتين. وكان قد ترك چالا بسبب عراكه مع بعضهم. ذهب الشاب الى مير [سيد] برويلنايا وطلب منه الإذن في أن يستقر في بيتَنوره، فسمح له المير بذلك. وبعد حين وقع هذا الشاب في حب هذه المرأة ذات الحكاية نفسها، وحاز حبها وضاجعها. وفي هذه الأثناء، تعافى حبيب المرأة الأول، وقد حرص هذا في البداية على تفادي الإقتراب من بيت المرأة، لكن سرعان ما عاد الشوق يدفعه حتى ذهب إليها وجدد وصاله بها.

بلغت أنباء الشاب القوي مير برويلنايا. فحذره هذا وأنذره بالقتل إن لم يرتدع، ولما لم يرعو الشاب، أمر المير أتباعه بأن يحضروه. ولما أحضروه أنذره المير مرة أخرى وقال له بالرغم من أنه كان راغباً في السماح له بالإستقرار في بيتَنوره، إلاّ أنه لن يسمح بأي شكل بوقوع مثل هذه الأمور ضمن منطقته. ثم أمر بعدها بضرب الشاب بوحشية (كما هي العادة لدى الميرات – ج مير) ثم جعل خدمه أخيراً يغطسون الشاب في المياه المثلجة. إلاّ أن الشاب، ونظراً لقوته البدنية تعافى سريعاً من آثار هذا التعذيب وما عتم أن استأنف علاقاته بعشيقته.

في إحدى الامسيات، وبينما كان العاشقان كلاهما مع تلك المرأة، عاد زوجها الذي كان في حراسة حقول الرز التي يملكها. فما كان من الشاب القوي إلاّ أن ألقى بنفسه عليه ولوى أطرافه حتى ظنوا بأنه مات، ثم فرّ الشاب. لكن الزوج لم يمت متأثراً بجراحه. وتعافى وفي أحد الأيام وبدون أن يعطي زوجته الگيت "ورقة الطلاق" غادر بيتَنوره سراً. وذهب الى الموصل ومنها الى بغداد، وعبر مصر وصل الى القدس، حيث مازال يعيش الى اليوم. ولما أدركت المرأة أن زوجها هجرها دون أن يعطيها *الگيت*، توجهت الى العماديه لتسأل أن يحصلوا لها على *الگيت* كي تتزوج ثانية. فوافقوا على تعقب آثار زوجها لكنهم أنذروها بالكف عن سوء السلوك وإلاّ فإنها ستلقى أشد العقاب.

ولكن المرأة لم تكف عن سوء سلوكها وظلت على علاقتها بحبيبها الأول – فما كان من مير برويلنايا إلاّ أن أمر بإعتقاله وإحضاره أمامه. فأمر بإدخال عمودين خشبيين طول كل منهما خمسة أمتار في فتحتي سرواله، وعمود آخر خلال فتحتي كمي قميصه، وصلبه هكذا على حائط وأمر بضربه ضرباً مبرحاً حتى سالت الدماء من كلّ مكان في جسمه. ثم أخذوا الرجل الذي كان شبه ميت الى حظيرة الحيوانات

ووضعوه هناك وأشعلوا روثاً تحته.

أما الشاب الذي كان قد فرّ، فإنه عقب سماعه بأن زوج عشيقته لم يمت، عاد ثانية سراً ليصل عشيقته. وكان مير بروبلنايا قد ضاق ذرعاً بهذه المسألة، فاستدعى أقارب المرأة وأخبرهم بأنه يعطيهم مطلق الحرية ليفعلوا ما يرونه صواباً.

وبحلول المساء عندما علم اخوة المرأة بأن العشيق موجود مع أختهم توجهوا الى بيتها واقتحموا غرفتها وقتلوا الرجل الذي وجدوه معها، لكن اتضح لهم بأنه لم يكن الشاب القوي بل عشيقاً آخر لشقيقتهم.

وتوجب على أشقاء المرأة الفرار. فتزوجت شقيقتهم أحد الكرد واعتنقت الإسلام. وسرعان ما توفي زوجها. فتزوجت من مسلم آخر وانتقلت معه للعيش في دهوك. وبعد بضع سنوات. حينما توفي زوجها الأخير أيضاً، أراد يهودي الزواج منها لكن المرأة لم ترغب في العودة الى اليهودية مرة أخرى.

وبعد مرور عدة سنوات أراد اخوة المرأة العودة الى بيتَنوره ثانية. ولكن المطلوبين في ثارات الدم لايستطيعون العودة إلاّ أن يطلب سكان المنطقة منهم ذلك. لذا قام الأخوة، متبعين التقاليد، بإضرام النار في زوايا أحد الحقول. وعندما لم يستدعهم أهالي بيتَنوره رغم ذلك أضرموا النار في المعلف. عندها طلب أهالي بيتَنوره عقد الصلح. فاستدعى مير بروبلنايا أحد الأخوة الخمسة ووالد الرجل المقتول. وتمّ تحديد دية القتيل بما يعادل (٢٥) جنيهاً استرلينياً من خزينة دار الصلاة وتعهد الأخوة بردّ المبلغ خلال بضع سنوات.

[من الصعب تحديد مدى صدق هذه الرواية وحقيقة ما حدث، والى أي مدى أضاف إليها الراوي من خياله. فإذا كانت صحيحة، فإننا نطلع من خلالها على تفاصيل مهمة بخصوص العلاقة بين الرجل والمرأة وبخصوص قوة العلاقات في المجتمع.

إلا أن أهم ملامح القصة هو عدم تعرض المرأة – المتهمة بتعدد العشاق والزنا المتكرر لأي عقاب. فالعشيق في جميع الحالات هو الذي يتحمل العقاب. وتتراوح العقوبة من التوبيخ الى الضرب والتعذيب والغرامات وفي النهاية الموت.

والمثير في القصة كذلك قوة العلاقة بين *أورقات* جَميعه، زعيم المجتمع اليهودي، والمير، الحاكم الكردي المسلم للمنطقة. فبإمكان الأول معاقبة المذنب بالجلد والغرامة، ولكن الأخير فقط بإمكانه تعريض المذنب للتعذيب الذي قد ينجم عنه الموت. ويظهر من القصة إضافة الى ما سبق بأن أقرباء المرأة (إخوتها) يسمح لهم بإتخاذ إجراء

ضد عشيقها فقط في حال سماح المير بذلك. وحتى الزوج يبدو في القصة مصمماً على الانتقام من العشيق. بينما لا أحد يمسّ المرأة بسوء، بل أنّ بإمكانها الذهاب الى أحبار العماديه تطلب منهم العون كي يطلّقوها من زوجها، ويوافق هؤلاء على طلبها.

لاشك أن بطلة هذه القصة كانت ذات جمال أخّاذ، فعشاقها يخاطرون في سبيلها بالتعرض للتعذيب والتشويه وحتى الموت دون أن يصبروا على الابتعاد عنها. وبعد اعتناقها الإسلام تزوجها إثنان من المسلمين تباعاً. وبعد كل هذا – كل هذا الزنا والارتداد عن دينها – فما زال هناك يهودي يريد الزواج منها. ولايتضح لنا من القصة كيف يمكن لهذا الرجل اليهودي أن يتوقع منها العودة الى الدين اليهودي، مع معرفته بأن الإرتداد عن الإسلام في الديار الإسلامية عقوبته الموت.

ومما يثير العجب أيضاً التفاصيل التي تنكشف لنا في الفقرة الأخيرة من القصة حول القواعد التي تتحكم بثارات الدم ودية القتيل. على أي حال، تصور لنا القصة موقفاً لايتفق أبداً وهيمنة الرجل على المرأة التي أكد عليها براوَر مراراً].

إن العقاب المعد للمرأة الزانية قاس. ففي زاخو أقامت زوجة أحد الأثرياء اليهود علاقة آثمة مع إبن الآغا. وعلى الفور أصدر زعيم الطائفة كتاب طلاقها. وقصّوا شعر المرأة الخاطئة[٢٣]، وأركبوها حماراً بوضع مقلوب، وهي ممسكة بذيله على أنه لجام – ورافقها الأطفال وهي على هذه الشاكلة وكل منهم يضرب على مقلاة يحملها ويلوثونها بما يلقونه عليها من لبن. (في زاخو).

والمسلمون كذلك يعاقبون الزانيات والعواهر بهذه العقوبة. ففي سنه كانت هناك يهودية بديعة الجمال أصبحت عاهراً واعتنقت الإسلام. وحينما لم تعد الحكومة تستطيع التغاضي عن مسلكها الشائن، ألقت القبض عليها وقص شعر رأسها، ثم جعلوها ترتدي ثياب الرجال وأخرجوها من المدينة.

وتلاقي القوادات (قوّيده) نفس المصير. فقد عاشت في العماديه يهودية عجوز كانت تعمل قوّادة. ولم ينجح اليهود في إقناعها بالكف عن هذا العمل فما كان منهم إلاّ أن اشتكوها لدى الحكومة. فأركبوها حماراً ووجهها الى الخلف وأحضروها الى موقع قرب سور المدينة حيثُ رُجمت هناك. ولم تمت العجوز المذكورة ويقال بأنها كفت عن عملها ودخلت حياة جديدة.

في بعض الأحيان ينفذ الأزواج القانون بأنفسهم. فقد خرج أحد يهود ريكان مع

٢٣– العادة أصلا مقتبسة عن الكُرد. وقصّ الجدائل كعقاب على الزنا كان يمارسه الألان أيضاً (أنظر: تاسيتوس، جرمانيا، ١٩).

زوجته الخاطئة لحلب أغنامه، فما كان منه في الطريق إلاّ أن استلّ خنجره (خَنجَر) وطعنها به وقتلها، وبعد فترة قتل عشيقها.

تعتبر هيمنة الرجل على المرأة في كل علاقة له بها وفي كل المراحل سمة مميزة لليهود الكرد. ويصعب جداً على المرأة أن تحصل على الطلاق من زوجها. بينما هو في المقابل يمكنه وببساطة إقناع الحاخام بإصدار كتاب طلاقه من زوجته. إن المرأة عاجزة شرعاً عن التحرر من قيود الزواج. وهو موقف صعب جداً بالنظر الى حقيقة أن الآباء يزوجون بناتهم دون رغبتهن. وهناك في هذا الصدد حالة عن امرأة في العماديه اشتهرت بجمالها، تركت زوجها لأنها لم تعد تحتمل العيش معه. وأخذت طفلها منه عائدة الى دار أبيها. وذهبت كل المساعي التي بُذلت لإقناع الزوج بتطليقها سدى. وقد استمرت تلك المحاولات خمس سنوات، حتى أنّ الحَبر في آشور (الموصل) تدخل في النزاع - وكل ذلك دون جدوى. ولكن تمت تسوية القضية أخيراً عبر توسط مبعوث حبري من فلسطين. إذ تعين على والد المرأة دفع ما يعادل (٤٠) جنيهاً استرلينياً ليضمن الحصول على *الگيت* لإبنته[٢٤].

أما الحال بالنسبة للزوج فمختلف. فاذا كان قادراً على الوفاء بإلتزماته التي يفرضها عليه الكيتوبّه، فإن بإمكانه التخلص من زوجته بسهولة. فالگيت الذي يصدره الحاخام يُسلم للزوجة حيث يمزق بالطريقة التقليدية الى أربع قطع. وبعد هذه المراسيم يذهب الطرفان، الزوج والزوجة كل على حدة، الى *الميقڤه*. ولايعود المشاركون في هذه المراسيم الى بيوتهم بطريق مباشرة بل عبر چَپه (طريق ملتوية): وهم في هذه الحالة يسيرون في طريق مثل تحويلة مؤقتة عبر السوق (في العماديه). بعدها يقوم الزوج الذي يمنح *الگيت* (*تولقه*) والمرأة المطلقة (*تولاقتا*) بتوزيع الخبز بين جميع أفراد المحفل اليهودي. يبقى الأطفال بعد الطلاق مع والدهم. أما المرأة فتفارق أطفالها بسهولة كما يقال (في العماديه). وإذا كان للمطلقة طفل رضيع، فعليها رضاعته حتى عامه الثاني - وهي خدمة تتلقى عنها أجراً - بعدها يعاد هذا الطفل أيضاً لوالده. وبعد الطلاق تنقطع كافة الروابط بين الأطفال والأم المطلقة - كما قيل لي. وعادة ما تتزوج المرأة المطلقة (*تولاقتا*) ثانية[٢٥]، رغم أن الرجال لايكونون

٢٤- تُختتم المسألة برمتها بعد إنجاز بعض الصفقات التي تتخللها. لقد جذب جمال هذه المرأة الشابة أحد الأغنياء اليهود، فتزوجها فور بعد إنتهاء عدتها الشرعية البالغة واحداً وتسعين يوماً. وقبلها كان والدها قد زوّجها لثري أعجب بها، فأصبحت زوجة هذا زوجة أب لزوجة أبيها.

٢٥- بقاء المرأة دون زواج ظاهرة معدومة تقريباً، إلاّ إذا كانت المرأة أرملة مسنة لها أولاد بالغون.

متلهفين للزواج من *تولاقتا* . وليست هناك أية طقوس عندما تتزوج المرأة المطلقة ثانية. إذ لايعدون لها الحناء ولايحمونها بالطريقة الإعتيادية بل يذهبون بها الى بيت زوجها دون أي إجلال يذكر. ويكون طبق طعام العروس بسيطاً، إذ يتالف من *شوربا* (عصيدة ثخينة معدة من الرز). وإذا كان العريس أعزب (جنكه) فتجرى كل المراسيم التقليدية لزفافه، وعليه أن يظل في *الگنونه* ثمانية أيام، بينما يمكن لزوجته المطلقة أن تغادرها بعد ثلاثة أيام[٢٦].

تزويج الأرملة من أقرباء الزوج[*]

لازال هذا الزواج (بالعبرية: ييوم) يُمارس من قبل اليهود الكرد، رغم أن ممارسته ليست شائعة بقدر التسريح أو الإعفاء من هذا الإلتزام من خلال (*حاليصه*)[٢٧]. ففي الرسالة الثانية من سوخو والتي سبقت الإشارة إليها (مان، نصوص ودراسات، الرسالة رقم ١٩: أنظر الص ١٢٢-١٢٣) يسعى كاتبها لإعلان بطلان الزواج على أساس كون زوج الأرملة المتوفى قاصراً لعدم إنتظار بلوغ الشقيق الوحيد المتبقي للزوج والبالغ ستة أعوام[٢٨] الثالثة عشرة، أو أن يتم تزويج الأرملة من أقرباء الزوج أو بال*حاليصه*.

وفي سنه تجري مراسيم *الحاليصه*، وذلك بسحب الحذاء [وهي مراسيم تهدف لإعفاء الأرملة وشقيق زوجها المتوفى من واجب زواجهما] خارج المدينة في مكان يدعى قَعد وكانت *الحاليصه* تقام في العماديه فيما مضى في كهف معين خارج المدينة، لكن الناس قاموا قبل مائة عام ببناء دار بالقرب من الكنيس خاصة لهذا الغرض وحذاء *الحاليصه* القديم جداً (پيلافتيت *خاليصه*) محفوظ في تلك الدار.

٢٦- عند البركات السبع لل(*تولاقتا*) فإن على الشخص الذي يعاني من السعال *شوبا* أن يشرب بعض الماء من مغرفة (*إترينا*) وحينها سيشفى من سعاله (في العماديه).

* Levirate Marrige تزويج الأرملة من أقرباء الزوج: عادة شائعة في العديد من المجتمعات الأبوية والعديد من المجتمعات السامية ومن بينها المجتمعات اليهودية القديمة، وتتمثل في إجبار شقيق الزوج أو أقرب أقربائه من ناحية الأب على الزواج من أرملة المتوفى. وذلك لكي ينجب منها أطفالاً يعدون شرعاً من ذرية المتوفى. الكتاب المقدس، سفر التثنية (٢٥: ٥-١٠) - المترجم.

٢٧- أسّاف، *"لي - تولدوت"*، ص ٩٢-٩٣ فيه رأي أحدث: "هناك البعض ممن يقر بوجوب اللجوء الى تنفيذ وصية زواج الأرملة بشقيق زوجها المتوفى - حتى إن كان هذا متزوجاً وله أطفال - قبل اللجوء الى *الحاليصه*". وذكر مصدر معلوماتي من سنه أن عدد حالات *الحاليصه* يفوق بكثير عدد حالات *الييوم*.

٢٨- مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٥٤٣ (فول، ٢، ريكتو) السطر الرابع.

أما في سنه فيذهب *الديانيم* والشماش والشهود –الذين يشكلون مجتمعين مينيان– مع *ياڤام* [الأخ الذي يتزوج أرملة أخيه بهذه الطريقة] و*ياڤامه* [أرملة المتوفى] الى المكان المعين قبل يوم من إجراء المراسيم، وهناك يجلسون بنفس الترتيب والنظام الذي سيجلسون بموجبه في اليوم التالي عند إجراء المراسيم. ويقول الحاخام: «لقد جئنا الى هنا اليوم لترتيب المكان للحاليصه بين فلان وفلانة". ويصوم هذان اليوم التالي. وفي الصباح يصل أعضاء فرقة *الحاليصه* مبكرين الى الـقُعد، معهم الطعام والبسط. وعلى أثر محاولة نهائية لتحقيق *الييوم* (زواج الأرملة من أقارب الزوج– المترجم) [وهو ما يعتبر من الأمور الضرورية] تجرى مراسيم سحب الحذاء التقليدية. إذ تضع المرأة غطاء رأسها على كتفيها وتضع قطعة قماش صغيرة على رأسها حالما تصل المكان. وعليها أن لاتبصق في هذا الوقت. ويدرب الحاخام المرأة مسبقاً تدريباً جيداً على مراسيم سحب الحذاء، وعلى البصق، وعلى الجملة التي يتوجب عليها ترديدها. ويحصل الشهود على مبلغ كبير من المال مكافأة على إشتراكهم في هذه المراسيم (في العماديه)، إذ تعتبر مراسيم *الحاليصه* خطيرة على جميع المشاركين؛ وهو ما يؤدي بالتالي لعزوف الجميع عن الإشتراك فيها. كما يحصل الحاخام والنسّاخ الذي يكتب وثيقة *الحاليصه* على مكافآت مجزية. ويصل مبلغ هذه المكافأة في سنه الى عشرة أضعاف الأجر الذي يتلقاه الحاخام من إصداره وثيقة گيت.

في سنه يذبحون ديكاً ودجاجة بعد *الحاليصه* على أنهما *كَپّاره*. وفي العماديه لايعود المشاركون فيها الى بيوتهم بطريق مباشرة بل يسلكون طريق چَپه، كما في *الگيت*.

وعلى الرجل والمرأة بعد إنتهاء *الحاليصه* الذهاب الى *الميقڤه*. وبعدها يتوجه كل منهما الى السوق لشراء الخبز لتوزيعه على الفقراء وتلاميذ المدارس. وكان توزيع الخبز في الماضي يحدث قبل إجراء مراسيم *الحاليصه* (في العماديه).

10

الوفاة والدفن(*)

في الوقت الذي نلاحظ فيه نفوذ البيئة غير اليهودية في المراسيم المتعلقة بالمناسبات الإنسانية من قبيل (الولادة والزواج)، فإن المراسيم المتعلقة بالموت تختلف في هذا. فاليهود الشرقيون – ومنهم يهود كردستان – لم يقتبسوا إلاّ نادراً من مراسيم الموت للشعوب المجاورة لهم، ولهذا بقيت تقاليد ومراسيم الوفاة لديهم يهودية خالصة.

فإذا كان أحد الرجال طريح الفراش وفي النزع الأخير، فإن الجميع وبدون إستثناء يغادرون الغرفة التي يوجد فيها. إذ يقال إن المحتضر لن يسلم الروح إذا بكى أحدهم (في سنه). وهم يعتقدون أنّ طول فترة الإحتضار هي إشارة الى أن الروح لاتريد فراق الجسد. ولهذا تجدهم يلجأون لإجراءات عديدة مختلفة لتسهيل خروج الروح وإراحة الرجل المحتضر. أول هذه الإجراءات وأكثرها فاعلية إجراء مراسيم *هطّاره* «الإطلاق». حيث يجتمع في غرفة المحتضر عشرة رجال بينهم عدد من الحاخامات يقيمون المريض ليقف على قدميه وهم يتلون *الهطّاره*. وما لم يكن مقدراً له الشفاء فانه لن يعيش يوماً غير يومه ذاك (في العماديه).

وفي هذه الحالة كذلك يغلقون الكُنيس ويضعون مفتاحه تحت رأس المحتضر. وعندها ستبذل الروح جهداً كبيراً للخروج من الجسد، وذلك لأن المحفل يكون في انتظار ذلك المفتاح (في سنه وأشنويه)؛ أو يعطون المحتضر ماء *قريعات شيماع*" ليشربه (قدح من الماء يقرأ عليه الحاخام *الشيماع*. في سنه).

وحين تخمد أنفاس المحتضر، يمددونه على وجهه على الأرض المجردة في نفس البقعة التي مات فيها، وذلك لكي تشبع نفس الميت من رائحة الأرض؛ وإلاّ سيتلوّن جلده باللون الأسود. ويضعون على جسده قطعة من الحديد وتوقد الشموع حوله، عند رأسه وقدميه وعلى جانبيه (في العماديه). ويمدّد الميت في وسط الغرفة (في

* [يحتوي الفصل العديد من التفاصيل المثيرة التي تظهر الهوية الأصلية للعادات التي تمارس في حالات ولادة الأطفال والزواج والوفاة. ولكن رغم الدراسات العديدة المكرسة لهذه الظاهرة، فإن الحاجة لازالت ماسة لإجراء تحقيقات إضافية وخاصة من الناحية السايكولوجية. ولغرض مقارنتها بالعادات اليهودية الأخرى، قارن ذلك مع: رافائيل پاتاي، العادات التاريخية وتقاليد الحداد عند يهود مشهد (باللغة العبرية) (القدس ١٩٤٥).

زاخو) ورجله ناحية الغرب ([أي متجهة ناحية القدس]، في زاخو والعماديه).

كل الموجودين في الغرفة يشقون ثيابهم. وكانوا في السابق يشقون الثياب الداخلية ايضاً. ويريق جيران المتوفى، خصوصاً في البيوت التي يمكن سماع نحيب ذوي الميت فيها، كل ما لديهم من مياه الشرب. والتفسير الإعتيادي الوحيد لهذه العادة وفي هذه الحالة، هو أن ملك الموت يغسل سكينه الملطخ بدم المتوفى في تلك المياه. ولهذا يقوم جيران المحتضر بنقل مؤونتهم من مياه الشرب مسبقاً الى بيوت بعيدة عن دار المحتضر (في دهوك والعماديه وسنه).

وتسود هيبة الموت المجتمع اليهودي. ففي العماديه كان أحد الرجال يجوب الشوارع وقد شدّ على أحد ذراعيه عصابة سوداء مطرزة بكلمة *أَڤليوث* "حِداد"، حاملاً بيده اليسرى راية سوداء، *سنجاق ئيڤيل*، كتب عليها "راية الحِداد؛ فهذا (مصير) كل رجل" (أنظر سفر تثنية الإشتراع ٢:٧)[1]. واذا كان المتوفى حاخاماً أو رجلاً ذا مكانة، يصدر الأمر بتوقف المجتمع اليهودي برمته عن العمل؛ أما إذا كان المتوفى شخصاً عادياً فإنّ الأعمال لاتتوقف إلاّ لفترة قصيرة قبل الجنازة.

جمعية الدفن؛ *الحَڤرييه*

بعد الوفاة يتم إعلام رئيس جمعية الدفن حيڤره *قَديشه* على الفور. وتمتلك مدينة العماديه جمعية مؤهلة على نحو خاص وبالغة القدم من الدفّانين تضم ٢٢-٢٤ عضواً[2]، يوجد بينهم دائماً حاخام، وگاباي، وگڤيرم.

يختار أعضاء الجمعية رئيسهم *شيخ حَڤرييه* الذي يعيّن نائباً له *بار شيخ*، وشماشاً. ويحتفظ هؤلاء بمناصبهم عدة سنوات، ولكن يمكن تغيير زعيم الجمعية إذا قصر في واجباته.

بعد انتخابه، يتلقى *الشيخ* هدية من *الحاڤيريم* وهي عبارة عن قطعة ملابس (كأن تكون *عبايكه* [أو *شالا تورما* "شال من تورما"]؛ ويرد هو على الهدية بدعوتهم الى مأدبة في داره.

من واجبات *الحَبرييه* الأساسية العناية بالمرضى، وتولي مسؤولية دفن الميت، وتهيئة كافة مستلزمات وترتيبات الجنازة؛ إلاّ أن هذه الجمعية قد تطورت في

١- النماذج [كانت] ضمن مجموعة براوَر بالجامعة العبرية (٣٨:٣٩ - ٣٩) وجدت في العماديه فقط، وكان ذوو الميت يشدّون مثل هذه العصابة خلال أسبوع الحداد.

٢- في الواقع يجب أن يكون ثمانية عشر.

العماديه لتصبح في الحقيقة نادياً للرجال يشمل على كافة النشاطات التي تقوم بها الأندية، كما أصبح النادي يمتلك نوعاً من النفوذ على المجتمع اليهودي فيها.

وللحَبيريم ما يرقى الى «نزل للرجال»، يتألف من غرفة في *بي حازان*، في البيت المشيد بجوار قبري الحازان ديڤيد والحازان يوسف بالقرب من كنيس سيّد يحزڤيال (أنظر ص ٢٩٧).

في هذه الغرفة يلتقي *الحاڤيريم* ثلاث مرات في الأسبوع لحفلات الشرب: في أمسيات الأحد، وأمسيات الأربعاء، وفي أيام السبت بعد الإنتهاء من المراسيم الصباحية مباشرة. وفي هذه الحفلات يشربون العرق، فيشرب كل *حاڤير* ثلاثة كؤوس. ويحضر *الحاڤيريم* المزّه معهم. وبعد تناول طعام خفيف، يلقي الحاخام بناءً على دعوة من الشيخ بإلقاء موعظة (*دريشه*). ويتم شراء العرق من نقود المساهمات المختلفة التي تصل بانتظام الى خزينة *الحَڤرييه*.

وتأتي تلك التبرعات من الرجال الذين يُدعون لقراءة التوراة - وعلى *الحاڤيريم* و*الگڤيريم* الذين يحظون بهذا الشرف التبرع ودفع أجور خاصة - من *الحاتان تورا* والعريس و*الششبينيم* و*أَڤي هابن* وما الى ذلك. وكل الرجال الذين يأتون من المقاطعات المختلفة الى العماديه للإشتراك في المراسيم أو الذين يحجون الى ضريحي الحازان ديفيد والحازان يوسف - وعددهم كبير بطبيعة الحال (أنظر ص٦٨) - يساهمون في إغناء خزينة *الحاڤيريم*.

وتجري زيادة موارد هذه الخزينة عن طريق جباية الغرامات، وخاصة التي تفرض على *الحاڤيريم* أنفسهم لإرتكابهم المخالفات. إن صرامة الضوابط التي تحدد تصرفات وسلوك كل عضو تجاه زميله - خاصة خلال إجتماعاتهم - تؤدي بطبيعتها الى فرض العديد من الغرامات من هذا النوع. والى *الشيخ* تعود صلاحية تسوية كافة الخلافات التي تحدث بين الأعضاء، وتفرض بعد التسوية غرامة تكون عادة في شكل بضعة قناني (*كانينا*) من العرق يتبرع بها طرفا النزاع. وعلى نحو مماثل، تستخدم الأموال من كافة مصادر دخل الحَڤرييه الأخرى في شراء العرق *للحاڤيريم*. باختصار، فإننا نرى هنا نوعاً من *الفرايبير* (المشروب المجاني).

وبالإضافة الى *بي حازان* فللحاڤيريم مكان للإجتماع عند ضفة النهر أيضاً. وهناك عند دوكه حَڤرييه "مكان الحاڤيريم" يوجد عدد من أشجار الجوز، ويتم أثناء حفلات الشرب شتاءً توزيع ثمار هذه الأشجار بشكل رسمي، حيث ينادي *الشيخ* كل عضو ويعطيه عشر جوزات. ويقومون بهذه *السَرينه* (النزهة) في أوقات الأعياد

وفي مناسبات رحيل أعضاء من المجتمع الى آشور (موصل) لأغراض التجارة (أنظر الص ٢٥٢-٢٥٣).

الحاڤيريم الأربعة والعشرون هم ستة عشر عضواً في الواقع (وعلى رأسهم *الشيخ*)، أربعة يغسلون الموتى، وأربعة من الأعيان (*حازان*، *گاباي* وإثنان من *الگڤيريم*). والخدمة التي يقدمها هؤلاء لعائلات المرضى تتمثل في تخصيص رجلين – يعيّنهما *الشيخ* – لمراقبة وضع المريض على مدار الساعة؛ لكن واجب الحاڤيريم الأساسي هو العناية بالموتى.

فحين يموت المريض، يكون *الشيخ* أول من يخطرونه، وهو بدوره يخطر *البار شيخ* الذي يخطر بدوره الشماش، الذي يستدعي إثر ذلك كل *الحاڤيريم* الى دار *البار شيخ*. وبعد إجتماعهم يتوجهون جميعاً الى دار *الشيخ*، وهناك يتلقى كل *حاڤير* كأسين من العرق. ولايخفى أن لشرب كأسيْ العرق هذين أهمية شعائرية. بعد انتهاء الشماش من إحضار كافة الأدوات الضرورية، يتوجه حفارو القبور الأربعة عشر – برفقة *الشيخ* – الى المقبرة لحفر القبر، فيما يتوجه غاسلو الميت الأربعة الى دار المتوفى لغسله.

لن يجد المرء تحول حيبرا *قادّيشا* الى نادٍ للرجال إلاّ في كردستان وفي العماديه تحديداً. فـ*حيبرا* زاخو يقتصر إهتمامهم على الإعتناء بالموتى فحسب. وهناك *شيخ خَپاره* "شيخ حفاري القبور" و*شيخ خَبيپه* "شيخ غاسلي الأموات" ولكل واحد منهما نائب (بالكردية: *ريسپي*، وتجمع على: *ريسپينا* "ذو اللحية البيضاء" – وجيه)[٣].

ولشيخ الغسالين أوانيه وأغراضه الخاصة التي يجلبها معه الى بيت المتوفى والتي تتألف من اللوح (في زاخو: *دَرگيت ميثه*)[٤] الذي يُغسل عليه الميت والمستلزمات الضرورية لخياطة الكفن. وفي زاخو يحتفظون بتلك الأغراض في الكُنيس، وفي العماديه يحتفظون بها في بيت *ال* ميصوه في *بى حازان* حيث يوجد حذاء *حاليصه* و*مَلْكوت* أيضاً. والوعاء الذي يحفظون فيه أواني غسل الميت يسمى *جِلّيت* ميثه (في العماديه) أو كيستيت ميثه.

عند نقل هذه الأغراض الى دار ما، يركض رجل في المقدمة وهو يصيح *دَرگيت ميثه*! فتسرع النسوة لدى سماع ذلك بإدخال أطفالهن الى البيوت والى حجرة

٣- في سنه ليس هناك *حيڤرا*، بل هناك روحيص أو *ميلاخلينا* (الذين يغسلون الميت) و*قابير* الذين يحفرون القبر.

٤- في العماديه: ديپت ميثه، وفي سنه: *تَحته*.

خلفية بعيدة أو الى سطح الدار، ولايُستثنى الرضع من ذلك حيث تُخرج الأم رضيعها من المهد وتحمله الى غرفة خلفية. والشيء نفسه يجرى للمرضى (في زاخو والعماديه). ويجب حسب قولهم أن لاتقرب أواني غسل الميت من الأطفال أثناء حملها ونقلها.

قماش الكفن (*خليعَته*)[٥] مصنوع من القطن (كيتين) ويكون ذا عرض خاص ويتم جلبه من الموصل. وفي زاخو يقوم كبير الغسالين بقص قماش الكفن بينما يقوم مساعدوه بخياطته. وإعداد كفن المرأة يكون من مسؤولية النسوة اللاتي يغسلنها. أما في العماديه فتقوم العجائز بخياطة كفن الرجال أيضاً.

واذا خشي شخص أن لايتوفر له كفن عند موته، فإنه يشتري قماش الكفن في حياته. وعادة ما تشتري العجائز قماش كفنهنّ بأنفسهنّ قبل الموت، ويدعين الخيّاطة وبعض صديقاتهنّ الى البيت حيث يقمن لهنّ مأدبة تسمى *سعودت خييپت كوريخه*. ويقدم قسم من هذا الطعام للأطفال *كسيگولا* "جالب للحظ" وكذلك *للحاڤيريم* (في العماديه)[٦].

يتألف الكفن من قطع ملابس تشبه تماماً الملابس الإعتيادية لكن خياطتها تكون أكثر بدائية، حيث يدخلون كل كف من كفي الميت فيما يشبه القفازات. وتتلقى جثة الميت *تالّيت كاطان* تفتقر الى صصيوت "الأهداب".

تسعى الأمهات جاهدات للحصول على قطع الكتان المتخلفة عن كفن حاخام أو أي رجل مسنّ مرموق. وقد ذكر لنا كيف أن الأمهات اللواتي فقدن عدة أطفال يسعين للحصول على قطع الكفن المتخلفة هذه ليخيطن منها ثوباً يلبسنه طفلهن المتبقي الذي يخشين أن يلاقي مصير من سبقه من أطفالهن (أنظر ص٢٠٣). كما تقطّع قطع القماش هذه الى قطع صغيرة تعلق في رقاب الأطفال كتمائم. (في العماديه وسنه).

تجتمع النسوة حول الميت المسجى في الغرفة وينُحن عليه وهن يلطمن خدودهنّ ويخدشنها حول الميت ويطلين بالطين رؤوسهنّ كما يلطخن وجوههنّ وأكتافهنّ بالطين وينتفن شعورهنّ[٧]، وإذا كان المتوفى آخر طفل لأم ثكلى فإنها تقص جدائلها.

٥- في العماديه: *خلِيعتا*؛ وفي زاخو: *خليته*. (ماكلين، القواعد، ص ١٠٠: *حَلعات*، *حَلات*، *حليتا* "رداء الشرف، الهَدية، الهبة"). في سنه وريكان وچالا (كوريخه) (وكذلك في العماديه: *خَليعتا*. وهي كلمة تستعمل كتعبير ملطّف). في سنه وبيجار: *مَلبوش* أو *لَبوشه*.

٦- في سنه يشتري المرء هذه المادة أثناء حياته.

٧- في سنه إعتادت النسوة اللائي يتساقط شعرهن على لصق شعر مزيف على رؤوسهن بالشمع. ولذلك يقمن – كعلامة على النواح واللطم – بنتف هذه الشعور المزيفة ويضعنها على قبر ميتهنّ.

وهناك أيضاً نساء يحترفن النواح (في العماديه [بَختيسه مع]مديدانه) وهن خبيرات في النواح وترديد المرثيات الحزينة المؤثرة. ولاتتلقى هاته النائحات أجراً في العماديه وزاخو. أما في سنه، فإن ذوي المتوفى من اليهود والمسلمين يستأجرون النائحة ويشجعونها بالقول: «نوحي عليه نَوحاً جيداً!»[٨]. والمرثيات التي ترددها النائحة [معِ]ددانه كردية مقتبسة من الكرد وهي في معظمها ترثي بطلاً أو حبيباً.

زواج الميت

يتخد النواح على الميت شكلاً خاصاً إذا كان المتوفى شاباً أو أعزب أو فتاة غير متزوجة. إذ تجري حينها للميت مراسيم تشبه الزواج، وتماثل التي تجريها رغم تنوعها شعوب عديدة وحافظت عليها حتى في أوروپا[٩].

فبعد موته مباشرة تخُضب جثة الشاب غير المتزوج بالحناء كما لو كان عريساً[١٠]. وأثناء تحضير الحناء وخلال صبغ الجثة بها، تغني النسوة نفس الأغنيات التي تردد في إحتفالات الزواج عدا أن تلك الأغنيات تقطع بين الحين والآخر بنوبات البكاء.

وإذا كان الشاب خاطباً قبل موته (بالعبرية: *ميقوداّش*) فإنهم يجلبون العروس أحياناً الى الغرفة التي فيها جثمانه وهي بكامل زينتها، وتجرى كذلك مراسيم تبادل الخواتم، وتعلق فيه ملابس العريس الميت الإحتفالية فوق جثمانه.

أما إذا كانت المتوفاة عروساً، فيخضبون جسدها بالحناء ويعلقون ملابس وزينة عرسها فوق جثمانها، وتغني النسوة أغاني العرس (*دي حَملولا، ناريكه*). وفي زاخو لايحضرون العريس الى غرفة الجثمان، رغم أن هذا كان يتم في العماديه فيما مضى، وتجرى في العماديه أيضاً نفس المراسيم التي وصفناها.

أما اليوم فلا يخضبون إلاّ خنصر العروس بالحناء، أما العريس المتوفى فيقيمون له نوعاً من حوپّه الموت من القماش الأسود. وتبقى حوپّه الموت هذه معلقة عدة سنوات بعد موته إحياءً لذكرى وفاته. ويعلق والدا العروس المتوفاة ثيابها وحليها فوق السرير الذي اعتادت أن تنام عليه.

٨- في الموصل كذلك يستأجرون النساء المسلمات كعدادات يَنُحنَ على الموتى.
٩- و. شرادَر، تزويج الميت، (جينا، ١٩٠٤). و. لوفر "تتويج الميت" مجلة *ZVV* العدد ٢٦: ص١٦ وما بعدها.
١٠- في أشنويه، يضعون الزهور على الجسد وبعض الورود على الوجه.

وفي سنه يحضرون ملابس وزينة العريس المتوفى أو العروس المتوفاة، دون صبغ جسد أي منهما بالحناء، وتطلق النسوة في بعض المرات الزغاريد بين نوبات البكاء. وفي اللحظة التي تدخل العروس لرؤية جثمان العريس المسجى يبلغ النواح ذروته.

في الماضي كانوا يدفنون مع الميت إن كان شاباً خاطباً أو شابة مخطوبة كل ملابسه وحليه (بإستثناء أزياء الزفاف)؛ لكنّ هذا التقليد ألغي بسبب نوبة غضب (في العماديه). إذ توفيت عروس قبل ثلاثة أيام من زفافها فدفنت بكامل حليها وملابس زفافها؛ فنبش أحد الكرد المسلمين القبر وسرق الحلي. وحسب مصدري، مات هذا السارق بعد أيام قليلة من إرتكابه هذه الجريمة. ومنذ ذلك اليوم يدعو اليهود والمسلمون عائلته: عائلة سارق القبور (*بي گاناوت ميته*).

غسل الميت

في زاخو يقيمون مأدبة جنازة (*گورپيله*) قبل غسل جثة الميت[١١]. ويؤتى بمكونات هذه المأدبة من دار أهل المتوفى. ولهذا يعد من *الميصفا* إرسال مستلزمات مأدبة الجنازة على الفور الى ذوي المتوفى إن كانوا فقراء لايملكون مؤونة في دارهم.

يشترك في هذه المأدبة كل الذين يغسلون الميت وكل الحاضرين في دار المتوفى. ويُبعث بشيء من الطعام الى حفاري القبر (في زاخو). وفي العماديه تقدّم (*گورپيلت ميثه*) للحاڤيريم فقط. ويسود الإعتقاد بأن الأكل من وجبة الجنازة مجلبة للحظ بالنسبة لرجل تقي أو طاعن في السن. وتأخذ الامهات من هذا الطعام الى بيوتهن لإطعام أطفالهن منه فيما يأتي ذوو المرضى يطلبون الحصول على شيء من طعام تلك المأدبة لحمله الى مريضهم (في زاخو والعماديه). وفي العماديه يرسلون من طعام *گورپيله* المعد لرجل مسنّ أو إمرأة عجوز متوفاة الى الشباب والفتيات المرضى بعد أن تتلى على الطعام عبارة كو *خول لي زادئيت أيّا زوبهينيله* كوريخوخ "إنهض وكل، لاتخف، لقد إشترى هذا كفنك" (العماديه).

وكنوع من *الميصڤا* يحضر جميع أصدقاء وجيران المتوفى ماءً جيء به حديثاً من النبع الى دار المتوفى لغسل الجثة. وبعد تسخين الماء، يطلب كبير الغسّالين من النسوة المنتحبات المولولات حول الجثة المسجاة، الخروج من الغرفة لتُحمل الجثة الى باحة الدار لغسلها[١٢]. وترفض النسوة الخروج لعلمهن بأنّه حال إخراج

١١- ولهذا فإن لعنتهنّ: *ياربّي گورپيلوخ أخلانه* "أطعمنا الله وجبة جنازتك" (في زاخو والعماديه).
١٢- لايجلس الرجال من أهل الميت قربه، بل يجلسون في غرفة أخرى. وفي كثير من الأحيان =

الجثمان لغسله فإنهنّ لن يرينه بعد ذلك أبداً. ولهذا يضطر كبير الغسّالين في الأخير للذهاب بنفسه وإخراج النسوة قسراً.

يغلى ماء الغسل في باحة الدار. ويستخدم الشباب الرماد المتخلف عن النار كتمائم للحب. إذ يأخذ هؤلاء قطع الفحم الذي لايزال يتوهج ويقولون: *كوداخ مودئيخلي*[13] *أيّا پالي هيداخ ديعخ ليبت تلويتي بيعيلي* "فيما أطفيء هذه الجمرة، لينطفيء كذلك قلب محبوبتي (أي: لايحب سواي) لكي تحبني». وإثر ذلك يفرك الشاب الجمرة لتنطفيء، ثم عليه أن يلقيها تحت أقدام حبيبته (في العماديه).

ترفع الجثة على خشبة الميت (في زاخو: دَرگه، وفي العماديه: دبپه)[14]. في الماضي كان الرجال أو النساء يتحلقون حول جثة الرجل أو المرأة المتوفاة على التوالي، لحجب الجثة أثناء غسلها عن المجتمعين في الباحة؛ أما اليوم، فيرفع الرجال ستاراً من قماش من أربع جهات على شكل غرفة حول الجثة. وفي سنه يستخدمون خيمة خاصة بهذا الغرض [وهذا يوافق تقاليد اليهود الفرس].

وينبغي أن يحمل غاسلو الميت شيئاً ما بأيديهم لدى دخولهم خيمة غسل الميت (بِردَبيت ميثه)، لكي لايدخلوها "بأيد خاوية" كالميت المسجى فيها. ولغسل الميت يستخدمون أكياساً قماشية صغيرة من قطن الكفن محشوة بالصابون المجروش. وتسعى النسوة اللائي مات لهنّ طفل للحصول على هذه الـ(ليفه) من كبير الغسالين ليغسلن بها من تبقى من أطفالهن (في زاخو والعماديه وسنه). كما تستخدم الأمهات هذه اللّيف لغسل بناتهنّ في *ليل بينيتا* قبل البيوريم (في العماديه). وخلال غسل جثة شاب أو فتاة تغني النسوة الأغاني التي تُغنى أثناء إستحمام المخطوبين.

تعتمد نسبة الحضور في مراسيم غسل الميت على المكانة الإجتماعية للمتوفى. وعند الغسل يُصبُّ الماء البارد على الجثة بطريق *طيڤيلا* "التغطيس"، ويكسر الغسّالون جرتين جديدتين على *الدَرگه*. ويقولون أثناء قيامهم بذلك: *جيمع ميفاحلوله* "يا أبناء المجتمع سامحوه"؛ فيجيب الحاضرون: *فيحَل حَلال هيوه* "سامحناه تماماً" (في زاخو).

وفي سنه يقف الحاخام خارج الخيمة ويقرأ *آنا* بَخوح سبع مرات. ويكسر الغسّالون مع كل قراءة ست جرار ليصبح مجموع ما يكسرون إثنتين وأربعين جرّة.

= يصحبهم الناس الى الكُنيس حيث يجب أن لايسمعوا نواح النسوة.

١٣- ماكلين، القواعد، ص ٦٨. وحسب ليدزبارسكي فإن (ديعي) تعني الإطفاء.

١٤- عن اللعنات التي تستخدمها النسوة، أنظر ما ورد منها في ص٢٠٦.

بعد الإنتهاء من غسل الميت يناولون *الشيخ* الكفن المهيّأ والمعطّر بالبَخور [أو في العماديه: بُخيره وهو غراء يُستخرج من البلوط] فيُلبَس الميت الكفنَ، ويوضع في يده "صك" *كتيڤا* تمليكه أربعة أذرع من الأرض في فلسطين (*كتيڤت أربا دريعه قورا*)[15]. ويباع هذا "الصك" بثمن باهض[16] من قبل مبعوث من فلسطين ويشتريه كل يهودي تقريباً.

وتروى بهذا الخصوص قصص عجيبة عن حالات جرى فيها لسبب ما نسيان وضع *الكتيڤا* في يد الرجل الميت. ففي چالا يقال أن ميتاً مد يده وبسط كفه طالباً وضع *الكتيڤا* فيها. وبعد الإنتهاء من غسل ذلك الميت حاول *الحاڤيريم* ثني ذراعه دون جدوى: فقد كانت ذراعه متصلبة كالحديد. ثم خطر لزوجة المتوفى أن زوجها يطلب *الكتيڤا*. فأسرعت تحضرها له. وحالما وضعوها في يد الميت، أطبقت أصابعه على *الكتيڤا*، وغدت الذراع لينة كالشمع وتمكنوا من وضع الجثة في وضعها المناسب دون عناء.

وفي أوقات الإضطهاد، يضعون مع الميت عريضة إسترحام ويُصلّون طلباً لخلاص مجتمعهم من الإضطهاد. وفي بعض الأحيان يضعون حجرة في فم الميت لمنعه من إبتلاع قماش الكفن (في سنه). ويجمع الرجال ما يتخلف من شعر لحاهم أثناء حياتهم ويحفظونه في كيس يوضع في كفنهم بعد موتهم (في العماديه).

وإذا كان المتوفى ثاني المتوفين في العائلة خلال عام واحد، فإنهم يضعون بيضة في كيس صغير يدفنونه معه. وهذا تقليد شائع جداً (في زاخو ودهوك وسنه). وبعد غسله وتكفينه يربطون الجثمان بأربطة عديدة (في سنه: *شال*)[17] أو يخيطون ما يشبه الكيس ويضعون فيه الجثمان (في العماديه). ثم يعيدون الجثمان المكفّن الى الغرفة، حيث توضع شمعة موقدة عند الرأس وأخرى عند القدمين. ثم يشرعون بقراءة *الزوهار* لحين انطفاء الشمعتين. ويعتمد طول مدة الدفن على المدة التي يحتاجها حفارو القبر (خَپيره) لحفر قبر الميت.

١٥- ماكلين، القواعد، ص ٧٠: دريعه أو دريبه هي وحدة القياس الفارسية التي تقابل المتر وطولها حوالي (٣٩) سنتمتراً.

١٦- السعر في دهوك دينار واحد أو ديناران، وفي العماديه أربع جنيهات استرلينية.

١٧- في أشنويه يلفون الرباط حول الجثة سبع لفات، ومع كلّ لفة يضعون فيه حصاة وقطعة من النقود، ثم يلقون بهذه الأشياء جانباً أثناء الـ(حَقّفوت).

القبر

كما رأينا فإن حفاري القبر في العماديه يتوجهون فور سماع نبأ الوفاة الى المقبرة يرافقهم *شيخ حَڨرييه* الذي يختار مكاناً لحفر القبر، وبعدها يجتمع كل الحڨرييه في بقعة قريبة من موضع القبر ويجلسون للأكل والشرب، حيث يرسل الشيخ في كل مرة واحداً منهم للحفر[18]. وفي زاخو يقيسون الجثة، ليقوم بعدها كبير الحفارين بتحديد أبعاد القبر. لقد كان منصب أو مهنة حفار القبر وراثياً في زاخو لعدة أجيال. وللمدينة حالياً حوالي ثلاثين حفار قبور. حفار واحد يقوم بالحفر في كل مرة؛ لأن الإعتقاد السائد بأنه لو كان إثنان في القبر أثناء حفره فإن أحدهما سيموت. وكـ*ميصڤا* يحاول كل حفار أن يعمل بكل طاقته حتى يغطي العرق جسمه. والحفار الذي يحل محل الحفار المتعب يجب أن لايتناول المجرفة من زميله مباشرة، إذ أن على الأخير أن يضعها على الأرض أولاً. وفي العماديه يقف شماش الكُنيس على سور المدينة في انتظار إشارة *شماش حَڨرييه* إيذاناً بانتهاء حفر القبر في المقبرة الواقعة عند وادي النهر أسفل المدينة. والإشارة تتمثل في قيام *شماش حَڨرييه* بقذف معطفه في الهواء كعلامة على الانتهاء من الحفر. عندها يسرع شماش الكنيس راكضاً عبر الشوارع وهو يصيح *ميصڤا*! وهذه هي إشارة التوقف عن الأعمال (في زاخو والعماديه).

شكل القبر موحد عند كافة اليهود الكرد[19]. إذ تحفر في البداية حفرة عمقها متر، وطولها وعرضها مطابقان لقياسات الميت؛ بعدها تحفر حفرة أخرى أضيق داخل هذه الحفرة بعمق نحو نصف متر، وعلى جانبي الحفرة درجات تسمى *بَري* قوره (في العماديه: أخوة القبر)[20] ويشيع هذا الشكل من القبور بين المسلمين الكرد ايضاً[21]. وتوضع الجثة في الحفرة الأضيق وتوضع ألواح خشبية (في زاخو: *فَرشه*)[22] معدّة لهذا الغرض فوق الدرجات لتغطية الحفرة. أما في بيتَنوره

١٨- الأراضي المخصصة للمدافن لاتسد الحاجة، لذا فهناك من العجائز مَن تشتري لها من شيخ *حَڨرابيه* قبل موتها قطعة أرض تدفن فيها، وتكون عادة بجانب قبر إبنٍ عزيز لها مات قبلها. وهنّ لايدفعن ثمن الأرض نقداً بل يقدّمن العرق ثمناً للقبر.

١٩- تسمى عموماً (قوره). وفي سنه (*زيارته*).

٢٠- في زاخو (*برا* قوره)، وفي سنه (*أَلحَدْ*) وفي أشنويه (*ميانگور*).

٢١- نيكيتين، الحياة العائلية الكردية، المجلة الاثنوگرافية للتقاليد الشعبية، العدد ٣ (١٩٢٢):٣٤٢.

٢٢- هي في الحقيقة "صخور". وهذا يؤيد إحتمال أن إستخدام الصخرة كان الشائع في الأصل. ويسمون هذه الصخرة في سنه (*كيپا أَلحَدْ*).

وچالا وما جاورهما فلايضعون درجات على جانبي اللحد، بل توضع أحجار تعمل كركائز تستند عليها الألواح الخشبية. وبعد وضع الجثة في اللحد، تُغطى بصخرة بدلاً من الألواح.

النعوش الخشبية غير معروفة في كردستان، إذا يوضع الجثمان في تابوت[23] مؤلف من عارضتين خشبيتين متوازيتين مربوطتين الى بعضهما بحبال (في زاخو والعماديه وبيتَنوره). ويستخدم يهود سنه كتابوت صندوقاً خشبياً ذا أربعة مقابض.

موكب الجنازة

توضع أفضل ملابس المتوفى أو ملابس عرسه على التابوت - وينبغي أن تضم *الصيصيت* إنْ كان المتوفى رجلاً مسناً، ووشاح الرأس إذا كانت المتوفاة فتاة شابة. أما في أشنويه فيحمل ملابس الميت أقرباؤه المنتحبون. وفي العماديه يغطون التابوت بقطعة قماش سوداء (*چارشَبَه كاسوُيِت* ميثه).

لايتسم موكب الجنازة بالنظام. إذ يتقدم الكهنة التابوت بمسافة نحو خمسة عشر متراً، يأتي بعدهم المسنون والحاخامات. وبعد هؤلاء تأتي الجنازة يتبعها ذوو المتوفى، ويتبعهم الغسالون وبعدهم العامة (في العماديه). و*ميصڤا* الإشتراك في حمل النعش يتناوب فيها الناس، حيث يقول كل واحد منهم عندما يحل محل آخر "بإذن الحَبر شمعون بن يوحاي". وفي أشنويه يرافقون جثمان العريس أو العروس الى أطراف المدينة بموسيقى *دولا وزرنا*. وإذا مر موكب الجنازة بدار فيها عروسان أو أم وضعت حديثاً، فإنّه يجب أن يكون كلّ هؤلاء ومنهم المولود في غرفة خلفية أو على سطح الدار عند مرور الموكب (في زاخو والعماديه). ويصبّ سكان كافة البيوت التي يمر الموكب من أمامها قليلاً من الماء في الشارع (في زاخو).

إذا كان الميت حاخاماً أو من الأعيان يحمل جثمانه أولاً الى باحة الكنيس، حيث يتلى عليه *ادوده* أو *معدوده* (في العماديه [موعظة الميت]). ويسمح في تلك الأثناء لنساء عائلة المتوفى وأولاده بالحضور هناك. لأنه بخلاف ذلك لايسمح للنسوة بمرافقة الجنازة إلاّ لغاية نهاية الشارع الذي فيه دار المتوفى، وللأبناء حتى بوابة المدينة. [عند بلوغ الموكب بوابة المدينة يتوقف الحاخام الذي يسير في مقدمة الموكب ويقول «إنه قرار رابينو گيرشون، وضياء الشتات أن *ليت راشوت* مين *إنس* جنس

٢٣- في زاخو: *ميطا*؛ وفي العماديه: *شَقليت* ميثه؛ (وإذا كانت الجثة محمولة عليها تسمى: *ميطا*)، وفي سنه (*تاڤوت*: والكلمة كُردية) (واليهود كذلك يسمونها) "*داربَسته*".

ديلو بيريه مين دييه ناشا ماها لي پييت ئيلا دَير "لايسمح للرجال ولا للأرواح الشريرة التي ولدت من هذا الرجل [تحديداً، أن تؤذي]؛ إنها لن تعبر هذا المكان، بل ستعود أدراجها". و"الأرواح الشريرة" المشار إليها هي – حسب المعتقدات السائدة بين يهود السيفاردي والمجتمعات اليهودية الشرقية عموماً، وكذلك بين يهود الاشكنازي – التي ولدت من المني المقذوف لا إرادياً خلال نوم الرجل، أي عند إحتلامه[٢٤]. وبعد سماع هذه الكلمات من الحاخام يعود أبناء المتوفى من عند أبواب المدينة الى ديارهم].

ويجب على النسوة أن لايدخلن بيوتهن ثانية بعد الخروج في اتباع الجنازة دون إغتسال؛ ولهذا يصب الجيران الماء على أيديهنّ لدى عودتهنّ. ولايجتزن عتبة باب الدار إلا بعد عودة الرجال من دفن الميت.

وفي المقبرة خارج المدينة يوضع النعش على بعد أربعة أذرع من القبر؛ ثم يُطاف بها *الحَقَّفوت* [الطواف] سبعاً، يتبع ذلك المراسيم المعتادة. بعدها ينزل كبير الحفارين ونائبه الى القبر وينزلون الجثة اليها كما هي ولايضعون شيئاً آخر في القبر. يضعون الجثة على ظهرها والقدمين [ناحية الغرب] في إتجاه القدس. بعدها توضع الألواح الخشبية المهياة (أو الأحجار كما في سنه وبيتَنوره وچالا) على درجات اللحد بدءً من ناحية الرأس. وخلال ذلك يردد الجميع هذا الشعر: *ڤئـهو راحوم يئخاپِر عَڤون ڤئلو يَشحيط، ڤئهيرباه لئهاشيڤ أپّو، ڤئلو ياعر كول حماتو* ثلاث مرات ويلقي كل واحد منهم حفنة من التراب في القبر عند نطق كل كلمة فيلقون بذلك جميعاً تسعاً وثلاثين حفنة تراب في القبر.

ثم يتلو الحاخام *الهَشكاڤا* [«الاستلقاء للراحة»]، ويجتث كل واحد من ذوي الميت حزمة من الحشائش يقذف بها الى الخلف من فوق الكتفين. ويتلقون بعدها التعازي وفق التقاليد المعتادة. ويجب حمل النعش قبل أن يغادر أحد المقبرة. وهم لايحملون التابوت الفارغ، بل يدحرجونه مرة وثانية وثالثة حتى يخرجوه من المقبرة، حيث يقومون بتفكيكه على الفور (في زاخو والعماديه).

ثياب الحداد

يعود ذوو الميت من الجنازة حفاة يرتدون ثياباً سود، ويجلسون على بسط مفروشة على الأرض. ويضعون في الغرفة مصباحاً يشتعل ليلاً ونهاراً والى جانبه

٢٤- [قارن: جَي. ل. زلوتنيك، *معاسه يروشالمي*، القدس ١٩٤٦، الص ٣٢، ١٠٢.]

قدح ماء (في العماديه).

ليس هناك في كردستان *سعودات هَڤرَع* خاصة، لأن أول وجبة يتناولها ذوو الميت بعد الجنازة تعتبر *سعودا هَڤرَع* [«وجبة العافية»]. ويتوافد الزوار على ذوي المتوفى ليلاً ونهاراً، جالبين معهم طعامهم الذي يتناولونه مع العائلة الثكلى. *والمزّه* التي يجلبها المحزون لابد أن تحتوي بعض البيض، وفي بعض المناطق القليل من العدس (في العماديه وسنه). وبعض الناس يتبعون عادة إحضار كأس من نبيذ تلا عليه الحاخام تبريكاته الى ذوي المتوفى (في سنه والعماديه).

وفي العماديه يعيّنُ *شيخ حَڤريبه* من سيزور ذوي الميت في كل يوم من أيام الحداد السبعة. إذ يدعو *شيخ حَڤريبه* الأثرياء خلال أمسيات الحداد إذا أمكن، طالما أن وجبة المساء يجب أن تشتمل على العرق الذي يحضره الأثرياء معهم إضافة الى الطعام [الذي يحضرونه] للعائلة المنكوبة.

شَحاريت، ومنحه، ومعاريف هي الصلوات التي تتلى كل يوم في دار المتوفى. وفي اليوم الذي يقرأون فيه التوراة، يرافق الناسُ ذوي المتوفى الى الكنيس بعد صلاة *شَحاريت*. ويتم تأخير القراءة في الكنيس لحين حضورهم، إذ يأتون حفاة ويحتلون أماكن غير أماكنهم المعتادة في الكنيس – وتكون عادة قرب الباب.

وتقدم لذوي الميت يوم السبت وجبة طعام دسمة مع العرق. أما إعداد طبق *الميبوسه* في دار الميت فأمر يتولاه الأقارب (في زاخو).

وتخضع الدار التي زارها الموت، خلال أسبوع الحداد، لنفس الحظر الذي يفرض على الدار التي ولد فيها حديثاً طفل. إذ يُحظر على الآخرين إقتباس نار أو خميرة من أهل هذه الدار (في زاخو والعماديه). وفي بيجار يحرم على ذوي المتوفى أن يأكلوا من الخبز الذي يعدونه بأنفسهم، بل يؤتى إليهم بالخبز من البيوت الأخرى. وعموماً ينبغي أن لا يتناول ذوو الميت خلال الأيام الثلاثة الأولى من الحداد طعاماً معداً في بيتهم. ولكن هذا لا يسري في مدينة سنه، ففيها قد ينحر أحد الأغنياء بالمناسبة شاة لإعداد وجبة *سعودا هاڤرَع*.

بإقتراب أسبوع الحداد من نهايته تأتي *سعوديت*[٢٥] *رَش تيمانيا* [وجبة "بداية اليوم الثامن]، وهي وجبة طعام يصرف عليها الأغنياء ببذخ. إذ يدعى اليها عدد كبير من رجال المحفل، وهم يقضون الليل في قراءة *الزوهار* وما شابه من الأسفار

٢٥- [يبدو أن تنويعات *سعودات*، *سعوديت*، سببها إختلاف نطق الكلمة وتنوعه لدى محدثيَّ العديدين].

المقدسة. ولابن المتوفى عادة ثمانية شماشيم لتقديم: القهوة والفاكهة والسكائر. وبعد صلاة معاريف يتناولون العشاء لتتواصل بعدها القراءة حتى الصباح دون نوم. ويقدم أهل الدار لهؤلاء وجبة طعام أخرى في الصباح (في العماديه وزاخو).

عند انتهاء القسم الأول من المراسيم الصباحية، يخلع أفراد عائلة المتوفى الثياب السود البالية التي إرتدوها طوال أسبوع الحداد ليرتدوا بعدها وطوال العام الثياب السود الخاصة بعام الحداد. بل إن النسوة يرتدين ثياباً داخلية سود (في العماديه) وينبذن أيضاً كل حليهنّ ويكتفين بضفر شعورهنّ بضفيرتين أو ثلاث بدلاً من سبعة أو عشرة كما اعتدن قبل أن يخطف الموت عزيزاً لهنّ.

كما يحرم خلال عام الحداد تبييض جدران البيت، وتحجم العائلة أيضاً عن الإشتراك في احتفالات الأعياد و*السيرانه*. وهناك تقليد آخر شائع أيضاً يمارسه أفراد عائلة المتوفى يكمن في الامتناع عن تناول الحبوب والمكسرات، ظاهرياً لأنها تصدر ضجيجاً عند كسرها والضجة محظورة في هذا الوقت (في العماديه). ولهذا ترى ذوي المتوفى يحرصون خلال هذا العام على التحدث برقة وتجنب المشاحنات فيما بينهم.

وفي زاخو يرسل ذوو الميت، طوال عام الحداد، حصته من الطعام في مواعيد الوجبات اليومية الثلاث (*أَشييه گيدايت ميثِه*) الى الحازان أو أحد الحاخامات. وحين تتلقى زوجة واحد من هؤلاء هذا الطعام، فإنها تقول: *ماتيا گو نَشيمه* "عسى أن تبلغ روحه" (في زاخو والعماديه). [وفي العماديه يرسلون كل مساء طبقاً من الطعام الى الفقير طوال عام الحداد. ويقول مَن تلقى هذا الطعام: "*ماتيا إلنشيمه* گو قصريت گان ئيدن "عسى أن تبلغ روحه في برجها بجنة عدن"]. ويشيع كذلك قيام ذوي المتوفى بشراء كل أنواع الفاكهة التي تدخل السوق حال بدء موسمها وتوزيعها على مَن يلاقون في طريقهم ليتلوا عليها التبريكات. وفي *روش حودش آدار* وخلال *الپيوريم* يرسلون *الزلوبيه* [فطائر مقلية] الى الكُنيس لتوزيعها على الناس (أنظر ص ٤١٦).

وفي مساء كل سبت والمساء الذي يليه طوال عام الحداد تتلى صلوات مِنحا ومعاريف في دار المتوفى.

بعد مرور ثلاثين يوماً على وفاة الوالد يقوم الأبناء بحلق رؤوسهم وإرتداء ثياب جديدة ويذهبون الى *الميقْه*. ويخاطب الناس هؤلاء الأبناء بقولهم: *لي خيپيتون أَنا خيپِه* "[عسى أن] لاتغتسلوا مثل هذا الغسل أبداً" (في العماديه وزاخو)، [أو

إشاللا أَنّا خيپِه لي خيپتولو إلاّ بَأْفَرحيّي "إن شاء الله لن تستحموا هذا الإستحمام مرة أخرى، بل ستستحمون في فرح"(في العماديه)]... وعموماً يجبر الحاخام أبناء المتوفى على حلاقة رؤوسهم لأنهم يتمنعون بالقول بأن لا عزاء لهم.

بعد مرور شهر على الوفاة ثم بعد عام أيضاً، يقيم ذوو المتوفى وليمة تسمى *سيعودت رَش يَرخه* [وليمة الهلال الجديد] و*سيعودت رَش شاته* [وليمة السنة الجديدة] على التوالي ويدعون اليها الحاخامات وعدداً كبيراً من أفراد المجتمع اليهودي، وتقرأ خلال الوليمة *الزوهار* والكتب المقدسة الأخرى. هذا ويقيم المسنون، وخصوصاً الذين لا أولاد لهم ولا يأملون أن يكون لهم أولاد، هاتين الوليمتين أثناء حياتهم لإدراكهم بأنها لن تقام لهم بعد موتهم.

المقبرة وزيارة القبور

بما أن مرافقة النسوة لجنازة الميت يوم دفنه محظورة، فإنهنّ يقمن بزيارة قبره في اليوم التالي ويقمن برش القبر بماء الورد. وفي العماديه تقوم نساء عائلة المتوفى بزيارة القبر ثلاثة أيام متتالية، أما في زاخو فتكرر هذه الزيارات (*زارتياسه*) مدة أسبوع إلا في يوم السبت. وعادة ترافقُ نساء المتوفى نسوةٌ من الجوار، وتضع نساء المتوفى ثيابه على القبر ويبكينه، وكذلك تحضر مرافقاتهنّ ثياب موتاهن ويبكين عليها. ولدى عودتهنّ من المقبرة تغسل النسوة أيديهنّ عند النهر، أما من يلتقيهنّ من الناس في طريق العودة فيبتعد عنهن ويختبيء لأنه لايريد أن يرى نساء الميت. وفي العماديه تُزار القبور خلال عيد الفصح والسوكوت. وفي زاخو في *التاسع من آب*، وعند بداية كل شهر خلال عام الحداد الأول، وكذلك في عشية *روش حوديش نيسان* وفي *التاسع من آب*.

تقع مقابر اليهود[٢٦] في كُردستان خارج أسوار المدن، وتقع مقبرة العماديه على سفح الجبل الذي تقع عليه المدينة وأما القبور الأحدث فتقع في الوادي، ويدفن يهود العماديه الحاخامات فوقها في موقع أعلى يقال له *تَپِيت أدونيم* [تل الأسياد]. ولايقيم الناس أسيجة للمقابر ولا يضعون للقبور شواهد[٢٧]. إذ يكتفي الناس

٢٦- في العماديه: *بيته حاييم*؛ وللنساء: *طَپييه* "كتف الجبل" [تَپه: كلمة فارسية تعني "تل"]؛ وفي سنه وأشنويه: *بيت هاحامي*؛ وفي زاخو ودهوك: *قوريثه*؛ وفي سنه وبيجار: *زيارَيي*؛ وفي زاخو وريكان: *زيارتييثا*؛ وبالكُردية: *زيارَتان*.

٢٧- يقال أن في العماديه قبوراً قديمة جداً يعود تاريخها لسبعمائة سنة، وأنّ على شواهد بعضها كتابات (عبرية) مثل ["هذا قبر فلان إبن فلان، الذي غادرنا في سنة كذا، في شهر كذا، في =

بتحديد مواقع المقابر ببناء جدار منخفض بدائي من الأحجار حولها، ولذلك تعطي هذه المقابر إنطباعاً بالوحشة الشديدة. ورغم ذلك توجد في مقبرة العماديه بضعة أشجار جوز تعود ملكيتها للـحَڤْرييه. وهنا نقتبس من والتر شوارتز الوصف التالي لمقبرة قرية سندور:

"مقبرة القرية مليئة بالقبور ومساحتها تتعدى مساحة القرية الحالية. وهي تماماً كالمقابر الكُردية تفتقر للعناية بها ما يُعدّ في الحقيقة سمة مميزة للمقابر الكردية والعربية، التي تنعدم فيها الأشجار وتحدد القبور بأحجار صغيرة مستطيلة تبدو من على بعد مسافة وكأنها مزرعة صخور. وتشاهد فيها أحياناً أحجار قديمة جداً بإمكان المرء أن يفك ألغاز بعض الحروف للكلمات العبرية المنقوشة عليها، وأما شواهد القبور الجديدة فلا كتابات عليها. وتقع المقبرة على موقع مرتفع عن القرية"(٢٨).

= يوم كذا الى الدار الأبدية، وترك الحياة لأبنائه، عسى أن تُربط روحه بحزمة الحياة"]. وفي سنه ايضاً هناك قبور عليها كتابات منقوشة. وكان الكُرد قد منعوا قديماً نقش الكتابات على شواهد القبور اليهودية.

٢٨- والتر شوارتز "حول اليهود الكرد" *JR*، عدد ١٢ تموز ١٩٣٥، ص ٣ [ترجمه عن الألمانية رافائيل پاتاي].



يهودي من العمادية



سيدة يهودية من دهوك



يهودي من دياربكر



سيدة يهودية من زاخو

القسم الرابع

الأوضاع الإقتصادية

11

الزراعـة

كُردستـان بلد زراعي سكانهـا مـزارعـون ورعـاة. أمـا الـتـجـارة والـحـرف الـيـدويـة واستـغـلال الموارد الطبـيـعـيـة فليس لهـا سـوى دوراً ثانوياً في إقـتـصـادها. ولو استقصينا عن موقع اليهود في هذا الإقتصاد لوجدناه يختلف إختلافاً بيّناً عن دور إخوانهم اليهود اليمانيين الذين شكّلوا في اليمن طبقةً واضحة المعالم من أصحاب الحرف في مجتمع *الفلاحين* العرب والسادة الإقطاعيين، وكان هؤلاء قبل الزحف المتزايد للفساد الإداري والحكم الشمولي في جنوب الجزيرة العربية الحرفيين الوحيدين في البلاد. وظل الحال على هذا المنوال حتى عقود قليلة مضت حين بدأ العرب – بسبب إنعدام المصادر الأخرى للدخل – يغزون عنوة هذا القطاع الذي كان حكراً على اليهود.

أما الوضع الإجتماعي والإقتصادي ليهود كُردستان فكان أفضل من نظرائهم اليمانيين، وذلك لعدم انعزالهم في شريحة محددة بذاتها من إقتصاد البلاد. فقد كان أكثر اليهود يعيشون في المدن والبعض منهم يعيش في القرى كذلك، أي كان منهم التجار وأصحاب الأراضي والفلاحون أيضاً. أما في كُردستان فيحرم القانون الإسلامي على غير المسلمين إمتلاك الأراضي أو البناء عليها ذلك لأن ضريبة العُشر لم تكن مفروضة عليهم.

وأما الخطر الذي كان يتهدد اليهود في كُردستان فكان نفسه الذي يتهدد يهود أوروپا؛ أي إنضمامهم المتزايد والمستمر الى شريحة التجار. وهناك خطر آخر يكمن في حقيقة وجود عدد ضئيل منهم يعمل في الحرف اليدوية. فاليهود هنا، بعكس يهود اليمن، ليسوا الوحيدين العاملين في قطاع الحرف اليدوية إذ يزاحمهم في هذا القطاع النصارى. وهكذا احتل اليهود والنصارى في كُردستان نفس المواقع التي إحتلها الأرمن في المجتمع الكُردي في شمال كُردستان.

أفول الفلاحة

من الأهمية بمكان بالنسبة لنا هنا التتبع الدقيق للأسباب التي أدت الى هذا التحول التقدمي لليهود في كُردستان من الفلاحة نحو التجارة. لقد امتلك اليهود في كُردستان كل ما يلزم من مقومات تطور طبقة فلاحين عظيمة، فقد أتيحت لهم الفرص

ليمدّوا جذورهم عميقاً في أرض هذه البلاد كفلاحين. ولم تك العقبات الخارجية التي تعترض استقلال الفرد أكبر من تلك التي واجهها النساطرة مثلاً والذين تمكنوا رغم ذلك من تثبيت أنفسهم كفلاحين في المجتمع الكُردي.

وبإمكاننا أن نبحث عن الأسباب المذكورة في عدد من الظواهر التي من بين أهمها تلك المتعلقة بكيفية تطور الوضع الإقتصاي في كافة البلدان الزراعية خلال الفترة من ١٨٩٠ الى ١٩٤٠. فالتقدم الهائل الذي حققته الدول الصناعية وما صاحبه من إزدياد هائل في عدد سكانها تسبب في دفع البلدان الزراعية ككُردستان للتوغل أكثر في ظلام تخلفها. وهكذا تناقصت أعداد الفلاحين[١] وتزايدت الهجرة الى المدن، الى حيث يعيش التجار عيشة مرفهة نسبياً قياساً بمعشية المزارعين.

وكان لتلك الظاهرة تأثير خاص على اليهود المتمسكين بدين تكيّف ليلائم الحياة المدنية بمرور الزمن. فحياة اليهودي الحضري، الذي يمكن أن يذهب يومياً الى الكُنيس ويحافظ على نظرة الآخرين اليه كمثقف، هي غاية المنى عند اليهودي الذي يعيش في قرية ليس بها (على الأغلب) كُنيس مما يجعل مراقبة إلتزاماته الدينية عسيراً. وفي المدينة – حسب إعتقاد اليهودي القروي – بإمكان المرء أن يعيش حياةً يهودية حقيقية. هذا علاوة على أن ثمّ قيمة عظيمة للإعتبار العملي القائل بأن المدينة توفر لليهودي قدراً أكبر من الأمن والسلامة.

ولابد أخيراً من التطرق الى عامل آخر ساهم ايضاً في جذب سكان الريف الى المدن وهو حالة انعدام الأمان العامة التي يعاني منها أفراد الطبقة الفلاحية في كُردستان. فيمكن ملاحظة هذه الحالة في كافة المناطق التي تعيش فيها العشائر الرحّل الى جانب العشائر المتوطنة واقتتال الطرفين المستمر. وبذا يصعب على المرء أن يعيش في كُردستان دون وجود مَن يحميه.

ويعطينا (سعد) مثالاً شيقاً لذلك. فبينما كان في خانقين عُرضت إحدى القرى للبيع هناك. فقرر شراءها؛ لكنه حين استشار القائمقام بخصوص ذلك شدّد عليه الأخير ناصحاً أن لايشتريها متسائلاً: "ماذا ستفعل هناك لوحدك؟ إن عليك على الأقل أن تجند ثلاثين رجلاً مسلحين ببنادق المارتيني ليحموك. فلو تعرضت الى السرقة غداً، فستأتيني... وسأرسل قائد الطابور حينها؛ وتعرف ما سيفعله؛ فعندما

١- كتب شوارتز عن اليهود في سندور: ["رغم أن المزارع وحقول الكروم تلقى عناية جيدة وتنتج ثماراً جيدة، ورغم أن حاجات اليهود الكرد متواضعة، فإنّهم فقراء لأنهم لايجدون سوقاً لمنتجهم" (والتر شوارتز "حول اليهود الكرد" *JR*، ١٢ تموز ١٩٣٥، نقله عن الألمانية رافائيل پاتاي)].

يكون اللصوص قد هربوا نحو اليمين يتجه هو نحو اليسار"[٢].

واليهود بخلاف النساطرة لم يفطنوا الى بناء قوة سياسية لهم في كُردستان. فهم يعتمدون في وجودهم فقط على حماية أحد الأغوات. ورغم أن موقعهم في تلك الحالة لايختلف كثيراً عن موقع النصارى والكرد المتوطنين فإنهم في الواقع لايتمتعون بنفس الحقوق السياسية، ولم يتمكنوا قط من توثيق إرتباطهم بالأرض الى درجة تمنحهم روحاً مقاومة لتحولهم عن الفلاحة. ورغم ذلك لانجد بين اليهود الشرقيين مَن هم أكثر إظهاراً للميزات الفلاحية القوية، من اليهود الكُرد. فكيان اليهودي الكُردي بالكامل من الخارج ومن الداخل كيان فلاح. وكثرة المرات التي تبرز فيها العناصر الفلاحية فجأة بين يهود الحضر إنما تدفعنا مباشرة الى الإفتراض المسبق القائل بأن الحركة نحو المدن إنما هي ظاهرة اقتصرت على العقود القليلة الماضية، ولسنا مخطئين في هذا الإفتراض؛ لذا يمكن أن نفترض ايضاً بأن أعداد اليهود الكُرد في كُردستان، في الماضي، كانت أكبر مما هي عليه الآن.

اليهودي كفلاح

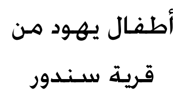
توجد في كُردستان اليوم قرى يهودية خالصة تماماً مثلما أن هناك قرى مسيحية بالكامل كتلك الموجودة في المقاطعة الواقعة شمال العماديه. ومن بين القرى اليهودية:

القرية	الموقع
تَل كَبّار	**قرب زاخو**
سندور	**قرب دهوك[٣]**
شَندوخه	**قرب دهوك**
بيتَنوره	**قرب العماديه**
سوندو	**قرب ريكان (وتعتبر إحدى أقدم المستوطنات اليهودية في كُردستان، تسكنها ٧٠ عائلة)**
كاني بَليوه	**قرب چاليك (كانت تسكنها قبلاً ٤٠ عائلة، تقلص عددها الى ١٥ عائلة)**

٢- سعد، ١٦ سنة، ص ١٧٧.

٣- زار هذه القرية الحبر ديڤيد دبيت هليل ايضاً (فيشل، *مسّاع ل كردستان*، ص١٠). ويقدم والتر شوارتز وصفاً جيداً لزيارة قام بها الى قرية سندور. ["يقطن قرية سندور اليهود فقط. لذا فقد كانت بعيدة أقصى ما يمكن من بعد" (أنظر الهامش ١؛ ترجمه عن الألمانية رافائيل پاتاي).]





أطفال يهود من قرية سندور



رجال يهود في قرية سندور



يهود من قرية مزور القريبة من دهوك

يهوديان في أحد أزقة سندور

وهناك بالإضافة الى ذلك قرى فيها مزيج من السكان. وكل اليهود الموجودين فيها، أو على الأقل معظمهم من الفلاحين وتقع مثل تلك القرى في أطراف باشقَلا (مثلاً قرية قَرَدا والعائلات الثمانون فيها "جميعها عائلات فلاحية")[٤] وأطراف العماديه (مثلاً قرى بَرَشه، هويرا، هير، هَركي، ميزه، شوخو). وتقع شوخو على مسافة يوم ونصف اليوم من العماديه وقد ذكرها (الحبر ديڤيد دبيت) بأنها قرية صغيرة تتألف من ثلاثين عائلة يهودية جميعها عائلات فلاحية[٥].

المحاصيل الزراعية الرئيسية لدى اليهود هي: الحنطة (*خطه*) والشعير (*شعيره*) والرز (*رزا*) والسمسم (*ششمه*) والعدس (*تلوخه*) وكذلك التبغ[٦]. كما يمتلك اليهود بساتين الفاكهة والكروم وقطعان الماشية التي يتولى أمر رعايتها الكُرد في الغالب. ويحصل اليهود أيضاً على جانب من دخلهم من جمع ثمار البلوط والثمار الأخرى التي "يجمعونها" ومن زراعة أشجار (*سپيندار*) الشائعة في المنطقة والتي تُستخدم أخشابها في البناء، ويطلقون على مزارع هذه الأشجار (*جنينكا سپيندارا*).

زراعة الرز

الى جانب محاصيل الحبوب التي تدخل في إعداد الخبز، يعتبر الرز من أهم المحاصيل الزراعية في كُردستان لأنه يباع بأسعار ممتازة، ويعتبر حقل الرز المروي

٤- الرابطة الأنگلو يهودية، لندن، التقرير السنوي السادس ١٨٩٧، ص ٩٧.

٥- فيشل، *مسّاع ل كردستان*، ص١١.

٦- في بَرَشه مثلاً. وفي السابق، كانت في أشنويه ٢٥ عائلة تعمل في زراعة التبغ فيما صار العدد اليوم خمس عائلات فقط.

جيداً من أغلى الأراضي الزراعية. ومهنة يهود بَرَشه الرئيسية كانت زراعة الرز.

عند البدء بحراثة حقل الرز لابد أن يتولى الحراثة أكبر أفراد العائلة سناً لاعتقادهم بأنّ ذلك يجلب حسن الحظ. ثم يتم بعد الحراثة تقسيم الحقل الى ألواح مستطيلة تُغمر بالمياه وتترك على تلك الحال عدة أيام. وعندما يحين موعد البذار لابد أن يقوم ثانية أكبر أفراد العائلة سناً بحمل الرز المخصص للبذار من الدار الى الحقل مشياً لينثره في الحقل، حيث تبدأ بعد البذار عملية التعشيب. ويُترك قسم من الحقل غير مزروع ولكن يمر فيه الماء، ويخصص لرعي ثيران الفلاح.

والفلاح عند الحراثة يخاطب ثوره قائلاً: "*بو وَره مالا بابي من نيسو حَتا مورن كَرينا*" الى الأمام والى الخلف، نيسو، يا ملك والدي، سنظل نجتهد حتى الموت".

النشاطات الجماعية

في موسم حصاد الرز (*جزيدت رزا*) يجتمع الفلاحون في عمل جماعي يسمونه (*زباره*)، وهي كلمة تعني تجمع المسلمين واليهود للعمل الطوعي لصالح أحد رجال الاقطاع في القرية أو لإحدى عائلاتها الغنية (يستوي الأمر بالنسبة للعائلة اليهودية والكردية). الزباره ليست عملاً إجبارياً عكس عمل الـ*سخرة* الإجباري (وهو حق من حقوق الآغا الإقطاعية، أنظر ص ٢٦٩)، بل هي نوع من العمل التطوعي لصالح أناس يمتلكون مزارع كبيرة. وطلب الخدمة من شخص ما أمر له أهميته. وهناك من *الزباره* أنواع في قرية بَرَشه قرب العماديه:

١- حراثة بساتين الكروم (*خَپيره*).

٢- الحصاد (*جزيده*).

٣- حصاد الرز (*جزيدت رزا*).

٤- جمع الحطب للشتاء (*قطيت طاريا*).

وبما أن عائلات عدة تشترك في *الزباره*، فإن جزيربيه خادم الـ*موختار* ينادي قبل يوم من العمل الجماعي من على سطح أعلى بيوت القرية بأن *زباره* لفلان ستجري في اليوم التالي. وفي صباح اليوم الموعود يجتمع الرجال أمام بيت مَن تُقام له *الزباره* في وقت مبكر ليتوجهوا بعدها على أنغام الـ(*دولا وَزرنا*) للعمل في الحقل. أما عدد المشاركين في هذا العمل الجماعي فيعتمد (إضافة الى حجم القرية وعدد سكانها) على مركز العائلة ونفوذها في القرية. وقد يصل عدد المشتركين في هذا العمل الجماعي أحياناً الى (١٥٠) رجلاً.

يتولى ريش زباره توجيه عمل *الزباره*، وتتخلل العمل فترات إستراحة يتناول خلالها الرجال الطعام[7] ويرقصون على أنغام الموسيقى. وعند انتهاء يوم العمل يتوجه الجميع الى دار سيد *الزباره* لتناول *إيخالا عَشيرَتي*، أي وجبة العشيرة.

ولتمكين اليهود ايضاً من المشاركة في وجبة الطعام هذه، يقتصر المضيف على تقديم الأطعمة التي تحتوي اللبن. إذ تتألف الوجبة الرئيسية من الرز واللبن والزبدة. وتتحمل النساء عبئاً كبيراً لإعداد الوليمة لهذا العدد الكبير من الرجال.

زراعة الكروم

تعتبر كُردستان بلد زراعة الكروم. والنبيذ الذي كان يُصنع فيها كان يعد من أجود أنواع النبيذ في الأزمان القديمة، ولازال النبيذ يلعب حتى هذا اليوم دوراً كبيراً في إقتصاد هذا البلد. ولليهود الكُرد باع طويل في مجال زراعة الكروم، وصناعة وبيع النبيذ سيما في أرض بلد يحكمها الإسلام. والواقع هو أن اليهود الكرد يعتبرون خبراء في زراعة الكروم.

إن قسماً كبيراً من بساتين الكروم (في التارگوم: كَرمت *إنڤه*؛ وبالكُردية *رَزا تري*) الآن يمتلكه اليهود، وهناك دلائل تشير الى أنهم كانوا يمتلكون في السابق عدداً أكبر مما يمتلكون الآن. وامتلاك مزارع الكروم لاينحصر في يهود القرى فقط، بل يتعداه الى يهود المدن الذين يرثون هذه المزارع جيلاً عن جيل. وبساتين الكروم العائدة لليهود توجد في مناطق عقره[8] وزاخو ودهوك والعماديه. وهناك في أشنويه عشرون عائلة يهودية لديها بساتين كروم. والنبيذ الذي ينتجه يهود هركي (*خَمرا هَركيي*) وچالا (*خَمرا چالنيا*) يعد من أجود أنواع النبيذ. إلاّ أن من الملاحظ بأن يهود هذه المناطق هم وحدهم من يعمل في زراعة الكروم، فيهود المناطق الأخرى (في أشنويه) مثلاً يؤجرون بساتين كرومهم للكُرد.

وفي بَرَشه تمتلك كل عائلة يهودية عدداً من بساتين الكروم، ويصل الإنتاج السنوي لبعضها الى (٤٠٠٠ روتل) أي (١٠٠٠٠ كيلوغرام). ويبدأ العمل في بساتين

٧- هذه "الوجبات" هي مادة المقطع الشعري القائل: *مامّي خول إخالت كَلبا قو قيامتت أريه*، "أيها الأخ الصغير، كل طعام كلب وانتفض كالأسد"، أي كل طعامك سريعاً كالكلب لتعود سريعاً لإكمال عملك وأنت قوي كالأسد (في بَرَشه).

٨- "توجد حول المدينة حقول مثمرة تلقى عناية جيدة. وتنمو أشجار الزيتون والنخل وكذلك الكروم على المنحدرات، ويعود قسم يعتد به من هذه الحقول والبساتين الى المجتمع اليهودي" (بنيامين الثاني، ثمان سنوات، ص ٧٤).

الكروم في شهر *نيسان* بالـ(خَپيره)، تقليب التربة. وإذا كانت العائلة المالكة للبستان ثرية يتم إنجاز هذا العمل عن طريق الـ(*زباره*) (أنظر ص ٢٤٨) إلاّ أن الفلاح العادي يستعين بفلاحين من جيرانه على أن يرد لهم تلك الخدمة في عمل مماثل يحتاجون اليه لاحقاً. وبعد شهر *نيسان* يشرع الفلاح بعملية التقليم (كزيخه)[9].

وفي تموز[*]، حين تبدأ العناقيد تتدلى من الأغصان يستعين صاحب البستان بحارس ليلي يحرس له بستانه - لا من البشر بل من تخريب الحيوانات البرية كالدببة والخنازير البرية (*خازورا*) التي تلتهم كميات كبيرة من العنب. وتسكن عائلات مزارعي الكروم في زاخو في أكواخ (كَپرينه) خلال موسم القطاف لحراسة بساتينهم، وليس هناك حاجة لحراسة البستان من اللصوص وذلك لإنخفاض أسعار الكروم في الأسواق المحلية ولأن بإمكان كل شخص الحصول على ما يريد من العنب من أي بستان لقاء مبلغ زهيد بل وربما مجاناً.

لا يتناول الفلاحون إلاّ جزءً قليلاً من المحصول طازجاً، ذلك لأنهم يحولون القسم الأكبر منه الى (*مي يوختا*) عصير العنب المركز (الدبس)، والذي يعد بديلاً مهماً للسكر (أنظر ص١٢٢) أو الى زبيب (*بيشيسه*؛ وبالكُردية ميوژ). وللزبيب قيمة تجارية كبيرة جداً ويعد من الصادرات الرئيسية في كُردستان. ولصناعة الزبيب يُستخدم عمال يهود، رجالاً ونساءً تدفع لهم أجورهم على شكل كميات من الزبيب. ويبلغ الأجر اليومي للرجل ستة (*روتل*) وللمرأة ثلاثة (*روتل*).

ويحضّر الزبيب بغمس عناقيد العنب في الماء المغلي الذي أضيف اليه الرماد (*مَزايته*) ثم تُفرش على (*مشطيخه*) وهي مساحة من الأرض مكبوسة بقوة وخالية من الأتربة، حيث تقوم النسوة بتصنيف العناقيد الى ثلاثة أصناف:

١- (قوشموشيه) ذو الحبات الصغيرة معدومة النواة (وهو أغلى الأصناف ويصنع من عنب *زَرك*)

٢- (بيبره) وحباته أكبر من *القوشموشيه*.

٣- (*بارات مشطيخه*) وهو أردأ الأصناف.

٩- أصناف العنب هي: *زَرك*: أفضل الأصناف، دائري الشكل أبيض اللون (يستخدم للزبيب)؛ *رَشمَعو*: أسود اللون ذو حبات بيضاوية (يستخدم للزبيب)؛ *سَليپي*: صنف جيد ولونه أبيض؛ *ميراني*: أبيض؛ *سَعداني*: أبيض وحباته بيضاوية؛ *تَعليك*: أسود (يستخدم للنبيذ).

*- تموز: الشهر العاشر في التقويم اليهودي المدني، والرابع في التقويم الاكليريكي. ويبدأ في حزيران ويشغل جزءً من تموز ايضاً. (المترجم).

ثم تُفرش العناقيد على الـ*مشطيخه* وتترك لمدة أسبوع لتجف. وعندما يتم إحضار الزبيب الجديد الى البيت[١٠]، يرقى مالك بستان الكروم فوق سطح داره ويلقي بحفنة من الزبيب القديم على الناس وهو يقول:

يي بروني ميسون قايم أيبوكون پيسوق: ياأبنائي أجلبوا (الزبيب)، وفيكم ينطبق قول الشاعر:

أخليتون آتيقه مَعيتيقا آتيقه من قيمات كيسا پالطيتون: ستأكلون ما كنتم خزنتموه طويلاً، وستجلبون المزيد وتأكلون القديم قبل الجديد (سفر ليڤي ١٠:٢٦)

ويتم الإحتفاظ بعُشر محصول الزبيب لتوزيعه على الفقراء (على أن يتم ذلك في جنح الظلام، كذلك في زاخو)، وعُشر آخر يُدفع للحكومة، ويعطى قسم من العنب الأسود للكُنيس لخمر (*قدِّوش*) في (*بَرَشه*).

١٠- يجري النقل في زاخو تحت جنح الظلام تجنباً لـ"العين الشريرة".

التجارة

من ملاحظتنا السابقة لأوضاع اليهود الكُرد يبدو أن هؤلاء كانوا في الماضي منهمكين في الزراعة والحرف اليدوية أكثر مما هم عليه الآن. وتحول اليهود الى التجارة ظاهرة حديثة نسبياً ترتبط بزيادة تركّزهم في المدن[١].

إن غلبة التجار على الحرفيين تظهر بوضوح أكبر في شرق كُردستان. فمن بين (٣٠٠) رب أسرة يهودي في أورميه نجد أنّ (١٢٠) منهم أصحاب حوانيت و(١٠٠) منهم باعة متجولون. وفي كركوك لايوجد حرفيّ يهوديّ لأن جميعهم من التجار[٢]. وفي زاخو يبلغ عدد التجار (١٥٠) من مجموع (٣٠٠) رب أسرة يهودي. وفي العماديه كان التجار (خاصة الباعة المتجولون) يمثلون الأغلبية في السابق، ولكن يقال بأن عددهم تناقص بشكل كبير منذ تعرضهم للنهب على يد (ميرا كوره).

ويمكن تصنيف التجار اليهود في العماديه الى ثلاثة أصناف:

١- تجار الجملة، أو (تيجيره)؛ ٢- أصحاب الحوانيت (*دوكانديره*)؛ ٣- والباعة المتجولين (*گاديره* أو *باقيله*).

التجارة الرئيسة لتجار الجملة هي المتاجرة بالأقمشة (*بَزيزي*) ويحصلون على بضائعهم من الموصل أو من الشرق من أورميه وتبريز. ويستورد معظم تلك الأقمشة في الأصل من مانچستر من قبل تجار بغداد[٣].

في الوقت الحاضر [عام ١٩٤٠] يقطع التجار رحلة الشراء الى الموصل

١- لا نملك معلومات تاريخية تتعلق بالأوضاع الإقتصادية والإجتماعية لليهود في الماضي. ولايمكننا إلاّ القول بأنّ المستوطنات اليهودية في الحضر قديمة جداً. وفيما يتعلق بالهجرات المشابهة من الريف الى الحضر وما يصحبها من ظواهر قارن مثلاً هجرة اليهود البابليين في العصر الگاووني.

٢- "في كركوك كما في كردستان كلها، تعدّ تجارة الأقمشة المهنة الرئيسة لليهود القاطنين بها. ويهيمن تجار الأقمشة تماماً على سوق الأقمشة القطنية والأقمشة المطبوعة"؛ وكان في القافلة التي غادر سون كركوك معها يهوديان متوجهان الى داخل كردستان لبيع ما عندهما من الأقمشة القطنية المطبوعة (إي. ب. سون، رحلة متنكر الى ميسوپوتاميا وكردستان، الطبعة الثانية، لندن ١٩٢٦، الص ١٢٣، ١٦٤). وواضح أن الوضع مشابه لهذا في هالابيا: "يوجد في سوق هالابيا ٥٢ دكاناً، يشغل ٢٠ منها تجار الأقمشة القطنية والكتانية وهؤلاء بالدرجة الأساس من اليهود الذين يشكلون القسم الأساسي من شريحة التجار" (المصدر السابق، ص ٢٣٢).

٣- المصدر السابق، ص ١٢٣.

بالسيارات في بضع ساعات، المسافة التي كانت تستغرق في الماضي عدة أسابيع، حيث كانت مغادرة التجار حدثاً يشارك فيه سكان المدينة. فكان التجار عشية هذا الحدث وفي صبيحته يدعون أصدقاءهم ومعارفهم الى بيوتهم، كان الجميع يرافقهم لمسافة قصيرة خارج المدينة عند بدء رحلتهم. وكان التجار يقدمون الهدايا لحاملي الماء الواقفين عند بوابات المدينة ولمديري المدارس والطلبة الموجودين ضمن جمهور الحضور. وكان الحاڤيريم ايضاً يتلقون هدية من كل واحد من التجار المسافرين ثم يجتمعون لاحقاً في مكانهم المعتاد لشرب العَرَق الذي يشترونه بالمال المهدى لهم.

ولتجار الجملة دكاكين (دكينه) في السوق أو مخازن في بيوتهم. وحتى في حال تجار الجملة هؤلاء، فلابد للمرء أن يتصور عملهم في ظل ظروف بدائية جداً. وللتجار الأصغر وأصحاب الدكاكين الآخرين مواقعهم في السوق. ويعتبر عدد اليهود الذين يمتلكون المحلات والدكاكين الصغيرة كبيراً. ففي العماديه يملك اليهود كافة دكاكين بيع الأقمشة[٤]. وغالبية أصحاب الدكاكين الصغيرة في خانقين يهود[٥].

ليس هناك ما يميز محلات اليهود في العماديه و سنه فهي موجودة بجانب محلات المسلمين. أما في زاخو، فعلى النقيض من ذلك يقع *شوكتِ هوديعي* [السوق اليهودي] بجوار الحي اليهودي. وينطبق الشيء نفسه على أربيل وكركوك.

وإضافة الى الألبسة والأقمشة يبيع اليهود في دكاكينهم مواد البقالة والأدوية والتوابل[٦]، وبعض تلك الدكاكين يبيع هذه المواد بالجملة.

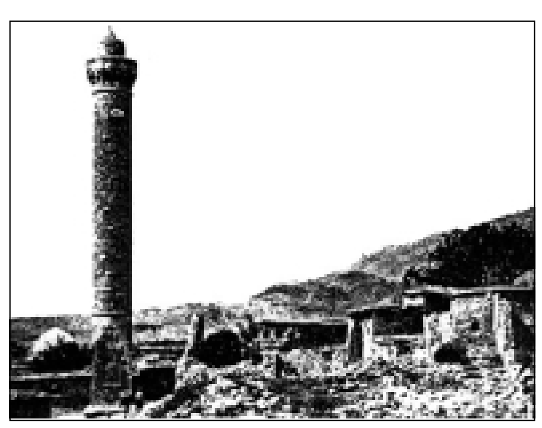
وتجار الجملة العاملون في تجارة الحبوب يسمون (*عليفه*) وفي زاخو توجد أربعة من هذه المحلات. يقوم تجار الحبوب هؤلاء بشراء الحبوب من قرى المنطقة ويبيعونها لسكان المدينة. كما يشتري هؤلاء التجار الحبوب من الفلاحين الكُرد في بارزان. ويشترون ايضاً محاصيل بساتين الفاكهة والكروم برمتها قبل قطافها ليبيعوها بعد ذلك في عقره والموصل.

ترتبط تجارة الجملة في الواقع إرتباطاً كبيراً بالصفقات المالية، لأن تاجر الجملة عادة ما ينتظر قيام الكُردي بتسديد المبلغ في موسم الحصاد أو لحين بيع *الكوچَر*

٤- للحصول على صور توضح دكاكين العماديه أنظر: بَنديه، كردستان، ص ٢٠٦.

٥- ألبالا، نشرة الرابطة الإسرائيلية العالمية – پاريس، ١٩١١:٧٤. ويملك اليهود دكاكين ضخمة ايضاً: "في الأسواق، يملك وجوه اليهود مخازن كبيرة" [الترجمة عن الفرنسية لرافائيل پاتاي].

٦- تجار الأقمشة، باعة الخردة، بقالون، أصحاب حانات، صرافون متجولون، والى آخره" (في خانقين، نشرة الرابطة الإسرائيلية العالمية – پاريس، ١٩١١:٧٤؛ [الترجمة عن الفرنسية لرافائيل پاتاي] ولايزال هؤلاء التجار كلّهم يعرفون بإسم *بَقيله* (في العماديه).



منظر للعماديه
(عن بنديه)

(أي الرُحَّل) أغنامهم لتسديد ديونهم لتجار الجملة. ويحدث في كثير من الأحيان وبهدف تفادي الوسطاء، أن يعقد القرويون الصفقات مباشرة مع تاجر الجملة الذي يجلب لكل واحد من سكان القرية ما طلبه من بضائع على أن يدفع ثمنه في موسم الحصاد، ويمنع سكان القرية مسبقاً في هذه الحالة من بيع أي من محصولاتهم. وعند حلول موسم الحصاد يأتي المختار [كبير القرية] المتعامل أو التاجر الى القرية، حيث يتحاسب هذا مع كل فلاح لوحده وفي داره. ويتصرف المتعامل في هذه الحالة على أساس كونه البائع والمشتري في آن واحد، لأنه يشتري الحبوب مقابل البضائع التي كان قد جلبها ولم يسدد الفلاح ثمنها له، وهو لذلك يكون في موقف المستفيد من الصفقة فائدة كبيرة (في العماديه). فقبل كل شيء يكون بائع الجملة هذا بمثابة البنك للبائع اليهودي المتجول (*بَقيله*) وهم يشكلون القسم الأكبر من مجتمع التجار اليهود[٧]. ويمكننا أن نميز بين الباعة مجموعتين: (١) الذين يعملون برؤوس أموال كافية. (٢) الذين يتجولون في القرى حاملين كميات ضئيلة من البضائع.

والصنف الأول يعمل أساساً في تجارة الأقمشة التي يحملها على ظهور البغال أو الحمير، أما الصنف الثاني فيزود الكُرد في القرى بمواد البقالة من قبيل السكر والتوابل والثقاب والقهوة والشاي والمواد الأخرى كالإبر والخيوط والمرايا والخواتم، أو بإختصار يزودهم بما يحتاجونه من مواد في إقتصاد مجتمعهم المكتفي ذاتياً. وقد لاتتجاوز قيمة مجمل ما يحمله بائع من هؤلاء جنيهاً استرلينياً واحداً.

وحين يدخل البائع اليهودي المتجول أي قرية فإنه يبحث عن دار المختار، إذ

٧- ما بين ثمانين ومائة بائع متجول من مجموع ثلاثمائة تاجر. في العماديه ٤٠ من ٢٠٠؛ وفي سنه ١٢٠ من ٤٠٠؛ وفي أورميه (في حوالي عام ١٩٠٠) ١٠٠ من ١٠٠.

يعرض بضاعته في داره، ويقضي ليلته هناك أيضاً، فالمختار هو الذي يستضيف الغرباء عن القرية (في زاخو وأشنويه). وقد يتلقى المختار في بعض المناطق أجراً معيناً من البائع المتجول لقاء ذلك (في زاخو وبارزان، وسابقاً في العماديه).

الفلاح عاة ما يلتزم بالشراء من بائع متجول يهودي معيّن، لذا فمع وصول أي من هؤلاء الباعة يجتمع زبائنه الدائميون حوله مساءً في دار المختار. وإذا كان هذا البائع يهودياً عادياً (وهذا ما ذكره لي شبتاي يوسف) فعليه أن يسلّي الكُرد المجتمعين لديه بحكاياته.

وللباعة المتجولين طرق محددة يطرقونها حيث يسافرون في مجموعات تتألف من إثنين أو ثلاثة. ولكون عدد الباعة المتجولين بين اليهود كبيراً، فإنّك تجد في معظم أيام الأسبوع قسماً كبيراً من الذكور متغيبين عن بيوتهم. ولايتناول اليهود خلال رحلاتهم إلاّ أطباق الحليب – رغم أن معظمهم ليس ملتزماً بدقة بالطقوس الدينية، فمثلاً لايحملون معهم *التفللين* (الحقيبتان الجلديتان اللتان تضمان نصوصاً من التشريع اليهودي يحملهما الذكور من اليهود المتديّنين في صلوات الصبح لتذكرتهم بواجباتهم الدينية وقوانين الشريعة، وتشدّ إحداهما على الجبهة والأخرى على الذراع الأيسر – المترجم). وتعتمد مدة تغيب الباعة اليهود المتجولين على الظروف المختلفة. فقد يمتد تغيبهم في بعض الأحيان بضعة أشهر. وهكذا ترى بعض الباعة المتجولين من يهود سنه الذين يبيعون الأقمشة يغادرون بيوتهم في عيد الفصح في الربيع ولايعودون من جولاتهم إلاّ عند بداية الشتاء (*كيسليڤ*[*]). ويبقى هؤلاء في بيوتهم حتى عيد پيوريم عند نهاية الشتاء خلا قيامهم برحلات قصيرة ولذا تجد معظم الولادات عندهم يحدث في الخريف.

وقد يغادر البائع المتجول اليهودي في يوم أحد لكن هذا لايعني بأنه سيعود في نهاية الأسبوع. فالطريق التي يسلكها بائع أقمشة خارج من زاخو – والذي قد يسافر ببغلته – قد تبلغ به الى مناطق تابعة لمنطقة وان في الشمال أو الى كويسنجق في الجنوب[٨].

وهناك من الباعة المتجولين مَن يرافق بعد *شاڤوعوت* – *الكوچَر* الكُرد (أو القبائل

* *كِسليڤ*: الشهر الثالث في التقويم المدني اليهودي والتاسع في التقويم الاكليريكي، ويوافق أجزاء من شهري تشرين الثاني وكانون الأول.

٨- هناك مخاطر حقيقية تتربص بهؤلاء الباعة المتجولين في المناطق الجبلية، أنظر ص ٢٧١. وقد شاع القول بأنّ باعة زاخو المتجولين لايموتون في بيوتهم: بل في الطرق بعدما يلاقون ميتة طبيعية أو إعتداءً.

الكُردية المرتحلة) الى مراتعهم الصيفية (*زوزان*) محمّلين بغالهم بما يحتاجه هؤلاء، ويعود الباعة الى منازلهم بعد *سوكّوت* (في منطقة زاخو مثلاً).

وتجارة هؤلاء الباعة في معظمها قائمة على المقايضة لذا فإنها مرتبطة بموسم الحصاد وجز الأصواف وما الى ذلك. وكثمن لبضائعم يقبل الباعة المتجولون أشياء من قبيل الصوف والقطن وثمار البلوط (*أپسه*) والحبوب والرز والجلود والزبدة والزيت وما الى ذلك من المواد التي تشتهر كُردستان بتصديرها. والنقود التي يحصل عليها الباعة المتجولون من تجار الجملة يشترون بها البضائع التي لايمكن لهم أن يحصلوا عليها عن طريق المقايضة.

تعتبر ثمار البلوط (*أپسه*؛ وبالكردية *مازي*) من صادرات كُردستان الرئيسة[٩]. وهذا المحصول النباتي من نتاج الإقتصاد القائم على جمع الثمار الطبيعية. وتعتبرالغابات الطبيعية المنتشرة بين العماديه وراوندز من أغنى غابات البلوط في كُردستان، ولذلك تعد المدينتان بالنتيجة سوقين رئيستين لهذا المحصول[١٠]. ولكل قرية فيما يخص تلك الغابات حدودها الخاصة، وهناك حراس في مناطق معينة لمراقبة الغابة. وحصاد ثمار البلوط يبدأ دائماً في الثامن أو التاسع أو العاشر من *آب* (أي في نهاية تموز وبداية آب) حيث يتوجه جميع سكان القرية الى غابات البلوط على أنغام الطنبور والناي والطبل والمزمار. ويشترك السكان اليهود كذلك في هذا الحصاد الجماعي. ويحمل كل واحد من الفلاحين عصا طويلة ذات نهاية معقوفة تسمى (*جَليگه*) لقطف ثمار البلوط. وإذا كان المحصول وفيراً فقد يتمكن كل فرد من جمع ما مقداره ٤٠ (*روتل*)[١١]، واليهود هم أكثر من يشتري هذه المحاصيل من الفلاحين.

إن من الصعوبة بمكان الحصول على معلومات دقيقة عن مقدار مبيعات ودخل تاجر الجملة أو البائع المتجول في كُردستان. كما لايمكن بأي حال من الأحوال المقارنة بين هؤلاء التجار اليهود وتجار بغداد أو بومباي. وقد تعطينا الحالة – التي تركت إنطباعاً عميقاً لدى المهتمين بها – والتي سنشرحها فكرة جيدة عن طبيعة

٩- تظهر هذه في رسائل يعود تاريخها الى أواسط القرن الثامن عشر ايضاً، والتي نشرها مان (نصوص ودراسات، المجلد الأول، الرسائل ٦ [الص ٥٢٠-٥٢٢] و١٢ [الص ٥٣٠-٥٣١] و١٣ [ص٥٣١]). ومن هذه الرسائل ايضاً يبدو أن النشاطات التي تم التطرق اليها كان من صغائر الأمور.

١٠- بانس، تركيا، ص ٢٣٠.

١١- يعود باتمان واحد (٤ روتل) على صاحبه بما يتراوح بين خمس وعشر روپيات (في العماديه).

وأهمية الصفقات التجارية (في العماديه). فقد تنازع أمير قبيلة برويلنايا مع إحدى القبائل وقام بعدها شيخ بامَرني بترتيب صلح عُقد بين الطرفين. وأراد الأمير من أجل مراسيم المصالحة توزيع هدايا ثمينة، أرسل رجاله مع جياد وبغال الى العماديه لجلب أفضل تاجر فيها مع بضائعه الى برويلنايا. فأخذ التاجر معه معظم أصناف الأقمشة والألبسة. وبعد جدال مطول حول الأسعار إشترى الأمير بضائع من التاجر بقيمة ٤٠ جنيهاً استرلينياً. وكانت الصفقة ستغدو بالنسبة للتاجر المذكور صفقة خاسرة لو لم يحالفه الحظ في بيع ما حصل عليه من المواشي لقاء ما ابتاعه الأمير بأسعار جيدة.

وأرباح الباعة المتجولين ضئيلة بطبيعتها، إلاّ أن ما يتيح الإرتزاق بهذه المهنة والإكتفاء بها هو رخص أسعار المواد الغذائية في كُردستان ومستويات المعيشة البدائية فيها. فقد كان البائع المتجول من سنه، الذي يبلغ دخله السنوي ٢٠ توماناً (ما يعادل خمسة جنيهات استرلينية) يعتبر في ١٨٩٠ من ميسوري الحال. إذ كان بإمكانه أن يوفر خمسة تومانات كل عام من دخله السنوي هذا.

ويجمع الباعة المتجولون القسم الأكبر من أرباحهم عبر صفقات المقايضة. ففي موسم الحصاد يستطيع البائع اليهودي المتجول أن يحصل على كميات كبيرة من الرز أو الزبيب أو ما شابه مقابل أشياء ليست بذات قيمة. وقد يبلغ ما يكسبه البائع المتجول ذو الرأسمال المعتدل في بعض الحالات، خمسين جنيهاًاسترلينياً أثناء موسم الحصاد عبر مقايضة بضائعه مع الفلاحين.

النقود عزيزة في كُردستان، وأفضل من يخبرك بذلك هو التاجر الذي لايملك رأس المال الذي يعمل به، أو البائع المتجول الذي أنفق رأسماله وعليه أن يكافح من خلال العمل كوسيط (في زاخو چوركچويه) فيشتري البضائع من الكُرد الذين يأتون الى المدينة ويبيعها على الفور، أو من خلال العمل لدى شخص آخر. فقد كان صبي في الثانية عشرة يحصل على أجر شهري من عمله في أحد الحوانيت مقداره قرانان (أي ما يعادل شلناً واحدا). والذي زودني بهذه المعلومات يهودي من سنه في العشرين من عمره كان يعمل هو الآخر كبائع في دكاكين القماش لدى أحد *البزيزي* بأجر سنوي قدره ١٨ توماناً (ما يعادل أربعة جنيهات استرلينية ونصف) وكان المذكور حسب قوله موضع حسد كبير من الآخرين بسبب مدخوله الكبير هذا.

إن اليهود في كُردستان يحتلون عين الموقع الذي يحتله الأرمن في المقاطعات التي لايوجد فيها يهود، فاليهود يعتبرون كالأرمن ذوي دهاء كبير، ولهذا لايرى الكُردي

نفسه نداً لليهودي في مجال التجارة. وهناك حكاية طريفة عن يهودي جاء مرة الى بيت أحد الأغوات الكُرد الذي خاطبه قائلاً: "اليهود دهاة لذا أريدك أن تعلمني فن الخداع". فانتاب اليهودي الخوف ولم يدر ماذا يفعل. فقال اليهودي للأغا: "ليحضروا گوصه (كرة من خيوط قطنية مغزولة) كبيرة". وحينما أحضروا له ما طلبه ربط اليهودي طرف الخيط في كرة الخيوط حول أطراف أصابع الأغا وهو يقول له: "أمسكه بقوة حتى أعود إليك". فأمسك الأغا بالخيط، وخرج اليهودي من الدار وهو يفك الخيط عن الكرة تدريجياً حتى ابتعد مسافة عن الدار وربط الخيط بقطعة من الخشب وقطع الباقي، ثم توجه الى السوق وباع كرة الخيط التي كانت كبيرة ولم يستهلك منها مقدار كبير من الخيوط. وفي تلك الأثناء ظل الأغا جالساً ينتظر الساعة تلو الساعة دون أن يعود اليهودي، فأمر الآغا بالتحقق من الأمر ليتضح له بأن اليهودي قد علمه درساً في فن الخداع.

13

الحرف اليدوية

الى جانب الفلاحين والتجار، هناك في كُردستان حرفيون يعيشون في المدن والقرى. ورغم أن اليهود الكُرد، بخلاف اليهود في اليمن، ليسوا الحرفيين الوحيدين في البلاد (طالما أن تواجد الكُرد والنصارى أكبر في مجال الحرف اليدوية) لكن ذلك لايلغي دورهم المهم في مجال الحرف اليدوية. ففي كل قرية تجد عائلات يهودية تعمل في مجالات الحياكة والصياغة وصبغ الأقمشة وصنع الأحذية وما الى ذلك. ونظراً للتطور الثقافي الضئيل في البلاد – أو ربما نتيجة للتدهور الثقافي – لاتنتج الحرف اليدوية الكُردية الآن سوى أعمالاً بدائية توفر الحد الأدنى فقط من المواد الضرورية والحيوية التي يحتاجونها في أعمالهم اليومية.

إن النماذج الحرفية القليلة التي شاهدتها من أعمال صاغة الفضة والحاكة كانت ذات جودة وإتقان عاليين. إلاّ أن الإضطرابات السياسية وما ينجم عنها من عواقب مقلقة تسببت في إصابة البلاد بفقر وصل الى درجة جعلت الفن المحلي ينقرض إنقراضاً تاماً بعدما كان له حضور قوي في وقت ما. ولهذا كان على اليهود الكُرد تجاراً ومزارعين وحرفيين أن يكافحوا في سبيل بقائهم فحسب[1]. فالطبيعة الفلاحية التي تنكشف في أخشن صورها لاتكون قادرة على توفير تربة ملائمة لإنبثاق الفن المحلي. وأفضل فرصة نالها الفن المحلي ليزدهر تمثلت في أشهر الشتاء الطويلة وما تفرضه من خمول إجباري على المزارعين اليهود والذي دفعهم الى الإنهماك في بعض الحرف اليدوية كالحياكة على وجه الخصوص.

الحائكون

أكثر الحرف شيوعاً في كُردستان هي الحياكة. إذ تجد الحاكة اليهود (*زاكيره* وتجمع على *زاكيري*؛ وبالكُردية: *بيركار* والجمع *بيركاره*)[2] الى جانب المدن، في

١- والتر شوارتز، *Bei den Kurdischen Juden*، *JR*، ١٢ تموز ١٩٣٥، يقول عن اليهود في سندور: ["الحرفيون في القرية يتعرضون الى الإضطهاد بالدرجة الأساس". ترجمه عن الألمانية رافائيل پاتاي].

٢- يتحدث بنيامين الثاني ايضاً عن كون اليهود الكرد يعملون في الحياكة: "الأنواع المختلفة من المنتوجات الصوفية التي يصنعها اليهود في كردستان، يتم ايضاً تصديرها الى الموانيء =

القرى كذلك وبصورة أكثر إنتشاراً. والكثير من الفلاحين اليهود يمارس الحياكة كمهنة خلال فترة بطالتهم في أشهر الشتاء.

وهناك أيضاً الحاكة النصارى في كُردستان الذين تفوق أعمالهم أعمال اليهود جودةً وإتقاناً. ولكن على العموم تنحصر الحياكة في بعض المناطق باليهود فقط. ففي العماديه مثلاً، يوجد أربعون حائكاً يهودياً وحائك مسلم واحد ولايوجد فيها حائك مسيحي. ومن بين ستين رب أسرة يهودي في رواندز يعمل خمسة وعشرون منهم في الحياكة، وكان في زاخو في ١٩٢٠ عشرون حائكاً يهودياً يقابلهم خمسة وعشرون حائكاً مسيحياً.

وبغض النظر عن إحتراف اليهود للحياكة شتاءً لتوفير ما يحتاجونه أو قسم مما يحتاجونه في الشتاء، فإنّك تجد في كل قرية حائكيْن أو ثلاثة من اليهود، وأغلب هؤلاء الحاكة اليهود هم من الحاخامات الذين يعملون في بيوتهم.

أما الصوف الذي يستخدمه هؤلاء الحاكة اليهود فيأتي من مواشيهم نفسها من أغنام وماعز، ويتم تهيئة الصوف بأيد يهودية. أما المتاجرة بأصواف الأغنام فهي عموماً بيد اليهود ويعود ذلك في قسم منه الى الحقيقة (التي ذكرناها سابقاً) قيام اليهود بوظيفة الصيرفة بين ظهراني الكُرد. إذ يقترض أصحاب الأغنام الكُرد الأموال من اليهود لتسديد ضريبة الماشية (*قَمجور*) للحكومة في الربيع، ليقوموا بتسديدها في موسم جز أصواف الأغنام. وبحلول موسم الجز يدعو شيخ الكوچَر اليهود الى مراتعهم الصيفية (زومه) لحضور عمليات وزن الأصواف (*هري بر*). وعادة ما يجني اليهود من وراء تلك الصفقات فائدة إضافية من خلال فرضهم السعر الذي يختارون على ما يشترونه من صوف مقابل قروضهم.

عموماً يصنف شعر الماعز الى ثلاثة أصناف هي: (*مَرعَز خويره*) وهو شعر أبيض ممتاز يستخدم في صناعة أقمشة (*شالا شاپوكسا*) ويُصنع منه قماش له رونق كرونق الحرير[3]. و(*مَرعَز سموكه*) وهو شعر الماعز الأحمر. و(*كوما*) الذي هو شعر الماعز الأسود وكلاهما يستخدمان لنفس الغرض. و(*سيعيرا*) شعر أسود خشن يصنع منه الكُرد خيمهم وهي خيم لايستخدمها اليهود.

= الأجنبية. وهذا ايضاً نوع من التجارة التي يعتبرها الكثير منهم صناعية. ويشتغلون في صناعة البسط ايضاً. وآلة النسج عندهم بسيطة للغاية، فهي تتألف من خشبتين موضوعتين على الأرض والبعد بينهما ثابت، ويصنعون بضاعة جيدة بل رائعة." (ثمان سنوات، الص ١٢٩-١٣٠). في سنه يطلق على الحائك جولا ، مثلاً عيزرا جولا .

٣- بغية الحصول على بريق حريري يغمس الغزل الصوفي في مستخلص نوع من البص يسمى گَلكه.



الكرد الرحّل (كوچَر) وخيمهم المصنوعة من الشعر. (عن بنديه)

أما صوف الأغنام *أمْره* (خويره، *سموكه*، *كوما*) فيستخدم في صناعة الألبسة الخشنة، كما يصنع منه أحياناً (*شالا شاپوكسا*) المخصص للعمل اليومي. أما الإستخدام الرئيسي لصوف الغنم هذه فهو لحياكة البسط والأغطية.

ومن مسؤوليات المرأة إعداد وتهيئة الصوف للحياكة (أنظر ص٢١٤)، حيث تبدأ العملية بغسل الصوف ثم تمشيطه بمشط حديدي (*ماسييركت پريزلا*) لينتج عنه ثلاثة أنواع من الصوف: صوف طويل الشعرات (*سَرشوف*)، والمتوسط الطول (*نافشيكا*) والقصير (*كولكه*).

أما آلة الحياكة – النّول (في زاخو والعماديه: *گوبا*؛ وفي سنه: *چارج جوليه*؛ وبالكُردية: بير) فهو في شكل نموذج بدائي مسطح يجري العمل عليه بدون دواسات عادية أو دواسات غارقة في الأرض. وهو نول مصمم لحياكة الأنسجة البسيطة كحياكة السجاد.

الخياطون

في كُردستان تكاد تنحصر ممارس مهنة الخياطة بالنساء فقط، ولكن هناك في أربيل وأشنويه خياطين من الرجال (*خايط*، *خاييطه*) وفي سنه يقوم الرجال المسلمون بخياطة الألبسة للرجال فيما تقوم النساء بخياطة ملابسهن.

أما في العماديه فتحتكر النساء حرفة الخياطة إحتكاراً تاماً (*خييطه*)، وكذلك في زاخو التي فيها أربعون خياطة من النساء وخياط واحد من الرجال. وفي كل من زاخو والعماديه يشرف رجال مسلمون وكذلك يهود[٤] على النسوة الخياطات لعدم وجود الخياطين الرجال فيها. وفي الأماكن التي يوجد بها خياطون رجال يوجد عدد من اليهوديات يعملن كخياطات لدى النسوة الكُرديات.

يفتقر عمل الخياط الكُردي وبشكل كبير للحس الفني، وعلى كل حال نحن لا نرى اليوم أي قطعة فنية في هذا المجال ولو كانت قديمة، طالما أن الثياب هنا تستخدم حتى تبلى تماماً. والخياط هنا لايكلف نفسه مشقة أخذ مقاسات الزبون. فأهم شيء في العمل هو الزخرفة (*نَقْش*) التي تطرز بعض هذه الملابس وتحدد أسعارها.

وتزود الخيّاطات الباعة المتجولين بالألبسة الجاهزة، وخاصة السراويل والسترات، وهو المجال الذي تبرز فيه زوجات الحاكة بروزاً كبيراً. وتبيع النساء كل سترة أو سروال بثلاث أو أربع روپيات وأقل من ذلك بقليل للألبسة التي يرتديها العامل الأجير أو الراعي (في العماديه).

الكلاّكون

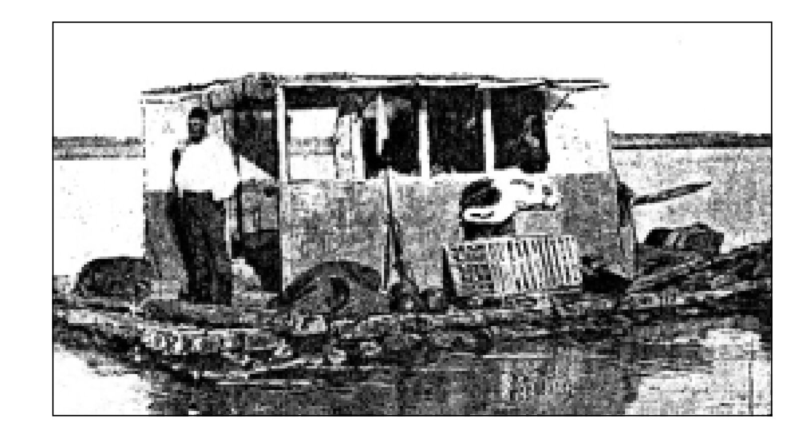
يعمل العديد من اليهود في مجال النقل. وفي العادة يمتلك التاجر اليهودي بغلاً أو على الأقل حماراً لنقل بضائعه، ولكن هناك علاوة على ذلك يهود يعملون كسائسي بغال في القوافل (*قاترچي*) – في بارزان وزاخو على سبيل المثال[٥].

يسيطر اليهود نوعاً ما على نقل البضائع في المجالين البري والنهري. فيهود زاخو على وجه الخصوص اتجهوا الى هذا العمل بتأثير من الموقع المركزي لزاخو الواقعة على جزيرة وسط نهر الخابور الممر الرئيس لشحن البضائع من كُردستان الوسطى الى السهول المحيطة بدجلة. فقد كان (٧٠) رب أسرة من بين (٤٠٠) كانوا يعيشون في زاخو قبل الحرب العالمية الأولى يعملون كلاّكين (*طَريخا*، والجمع *طَريخه*) وهي مهنة لها إرتباط وثيق بتجارة الأخشاب. وحقيقة كون عائلة بي دَحليكا أقدم العائلات اليهودية في زاخو، عائلة كلاّكين دليل على طول باع يهود زاخو في الملاحة النهرية بواسطة الأكلاك.

وهناك نوعان من الكلاّكين: *طَريخت بار إيلي*، الكلاّك الأعلى (أي العامل في منطقة التلال) و*طَريخت بار تَختي*، الكلاّك الأسفل (أو العامل في السهول). والأول

٤- في زاخو، طالما أدى هذا الى مضاعفات حيث استعاض الكرد الخياطين اليهود.

٥- لاميك سعد، ١٦ سنة، ص ٢٥٤. "اليهود (في زاخو) يقودون البغال بين الموصل والجزيرة".



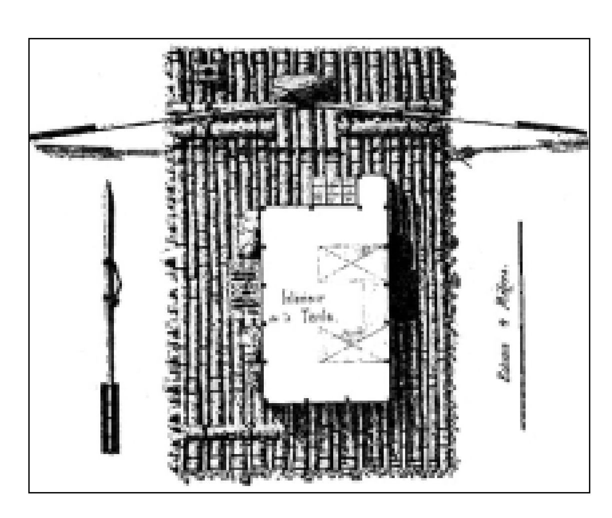
الكلك. (عن بنديه)

ينقل الألواح الخشبية من التلال الى السهول، بينما ينقل الثاني (وهو الكلاّك الحقيقي) تلك الأخشاب الى الموصل. يذهب الكلاّك الأعلى بعد عيد الفصح الى الجبال لشراء الأخشاب من الفلاحين الكُرد. وعادة تكون كلها من الحور البيضاء (سپينديره). ويقوم الكُرد بقطع تلك الأشجار بعد بيعها وتقطيعها الى ثلاث قطع (*إقري*، الجذر؛ *نافتييه*، القسم الأوسط؛ *سَرتييه*، القسم الأعلى) فيقوم الكلاّك بنقلها بعد ذلك الى ضفة النهر بواسطة البغال. بعدها تُلقى الجذوع في النهر لتعوم في مجموعات (*جَلَبْ*، قطيع) يسوقها (تربيْت *جَلَبْ*، سواق القطعان)، أو ينقل الجذوع على أكلاك صغيرة (كَرخه) تقاد بواسطة مجاديف صغيرة (گارَگي). أما الطوف – *الكَلَك* الكبير، أو *أبري* (الجمع *أبره*)[٦] – فيستخدم في بعض الأحيان لنقل جذوع الأشجار الى زاخو؛ وتصنع هذه الأكلاك في زاخو فقط.

بعد وصول الأخشاب التي يحمل كل جذع منها علامة خاصة بمالكها[٧] الى زاخو يجري تجميعها (سنگور: كومة جذوع الأشجار) لتستخدم بعدها في صناعة الأكلاك حسب الطلب. فمن القسم الأعلى من الجذع يتم تشكيل مستطيل (*مالَبَن*) تربط أضلاعه بألواح أخرى. وتستخدم الأغصان الصغيرة (شيوه) في صنع المفاصل المتحركة. وتحت الكلك يربط الكلاّكون ١٢٠ – ٢٠٠ قربة منفوخة من جلود

٦- [يبدو أن هذا الإسم مشتق من نفس الأصل التلمودي للكلمة التي تعني طوف، *مَبّاره*: قارن رافائيل پاتاي، الملاحة اليهودية في العصور القديمة [بالعبرية] (القدس ١٩٣٨) ص ١٤٨.]

٧- للعلامات أشكال كالأشكال الآتية: ꝏ أو X



مخطط للكلك. (عن بنديه)

الحيوانات (*دَرفه*، وفي الموصل يقال لها جربان). بعد ذلك يتم إنزال الكلك في الماء ليتم تحميله بالبضائع. ويعمل على المجاديف (*مَچرفه*) في الكلك من إثنين الى أربعة كلاّكين حسب مستوى مياه النهر وسرعة التيار فيه. ويتم بيع الجذوع التي تؤلف *الأبره* عند وصول البضاعة الى المكان المحدد، أما *الدَرفه* فتعاد ثانية الى زاخو.

[ويتحدث هيرودوتس عن أناس يصنعون الأكلاك في أعالي نهر دجلة ويعوّمونها بواسطة القرب الجلدية المنفوخة ليركبوها الى مناطق معينة في أسفل دجلة، وعن قيام هؤلاء بتفكيك تلك الأكلاك هناك وبيع أخشابها ثم إعادة القرب المنفوخة على ظهور الحمير الى المكان الذي جاؤا منه (هيرودوتس، ١، ١٩٤). صحيح أن هيرودوتس يتحدث عن كل ذلك في سياق الحديث عن *القفّه* "القارب المدور الصغير" الذي لا زال يستخدم الى يومنا هذا في نهر دجلة، ولكن وكما أوضح السيد جيمس هورنيل في رسالة وجهها اليّ، فإن هذا خطأ لأن وصف هيرودوتس هذا ينطبق بدقة على الأكلاك الكبيرة، *كَلَك*.]

القسم الخامس

التنظيم الإجتماعي والتعليم

14

الآغا واليهود التابعون له

أوضحنا خلال تطرقنا لموضوع التاريخ أنه رغم فصل المقاطعة عن نفوذ الحكومة المركزية في بغداد، إزدادت قوة الزعماء الكُرد (*آغيعه، مفرده آغا*). وقد كانت سلطات هؤلاء في السابق مطلقة. ويصف بنيامين الثاني ذلك بدقة حين يقول: "إن تبعية كُردستان للمملكة التركية هي بالإسم فقط". ويقدم لنا الكاتب المذكور الوصف التالي لأوضاع اليهود في ١٨٤٠:

اليهود مبعثرون هنا وهناك، وهم مرغمون على البقاء في الأماكن المحددة لهم، إذ تحيطهم قبائل متوحشة بكل ما في الكلمة من معنى. وعادة ما ترى خمسة أو عشرة أو حتى عشرين عائلة يهودية تعيش ضمن أملاك كُردي واحد يثقل كاهلهم بالاتاوات ويسيء معاملتهم. حيث تُفرض على اليهود اتاوات مجحفة تصل المفروضة منها على أفقر عائلاتهم الى (٥٠٠) قرش. وأخيراً تجد السيد يرغم اليهود في أوقات مختلفة من السنة على العمل كاقنان في الأرض، فيزرعون حقوله دون أن يتلقوا أو يستحقوا جراء ذلك أبسط أجر لقاء أعمالهم...... وللسيد السلطة المطلقة على حياة وموت كل عبيده، [و] بإمكانه متى شاء أن يبيعهم الى سيد آخر إما مجتمعين أو فرادى[١].

إن التهدئة التقدمية لهذا البلد تمخضت عن تغييرات عدة. ورغم ذلك، لايزال المرء الى يومنا هذا يجد أجزاء من كُردستان يحكمها الآغا حكماً مطلقاً[٢]. وبالنسبة لليهود يمثل الآغا مصدراً هاماً للدعم السياسي. ولأنّ اليهود عاجزون سياسياً، فإنهم يدخلون في حماية واحد من الأغوات يعاملهم بعد ذلك وكأنهم من أفراد قبيلته. فهو يحميهم من الإعتداء ويعاقب كل من يعتدي عليهم وفق القانون الكُردي.

كان في منطقة العماديه ثلاثة أغوات يحكمون، وفي السليمانية أربعة[٣]، ولايوجد

١- ثمان سنوات، ص ١٢٦.

٢- حول وضع الأغوات في عهدنا أنظر: هاملتون، طريق في كردستان، الص ٩٣ وما بعدها و١٠٥ و١٢٢، عن حمد (آغا قَلاجن) وسيد طه وإسماعيل بگ الرواندزي.

٣- شرق وغرب، برلين ١٩٠٩، ص ٥٧٥.

في زاخو سوى آغا واحد[٤]. وفي أحيان كثيرة لايلجأ اليهود في المقاطعات الريفية الى الزعماء القبليين طلباً للحماية، بل الى عائلات متنفذة يسمون رؤساءها آغا أو پس مير "أي إبن الأمير" (في چالا). ففي نيروه مثلاً ظلت العائلات اليهودية العشرين في المنطقة تتمتع لأجيال بحماية رئيس إحدى هذه العائلات المتنفذة[٥].

أما الخدمات التي يقدمها اليهود للكُرد مقابل هذه الحماية فتختلف باختلاف المقاطعة التي يقطنونها. ويصف لنا بنيامين الثاني هذا الموقف بأحلك الألوان، فهو يصف تلك الظروف بأنها كانت حتى بدايات القرن العشرين صعبة جداً في بعض الأماكن كالسليمانية على سبيل المثال:

[لايجبر اليهود على أن يدفعوا للآغا مبالغ محددة، لكنهم مرغمون بأن يرسلوا لهم هدايا في كل عيد ومناسبة، سواء كانت إسلامية أو يهودية، كأن يرسلوا مخاريط السكر أو الأقمشة أو الملابس. فمثلاً ترى أحد مرافقي الآغا يدخل دكان يهودي لشراء شيء ما ويدفع نصف الثمن أو ربعه أو لايدفع الثمن أصلاً وقد يتردد الإسرائيلي في الشكوى. وعلى كل يهودي لدى عودته من رحلته كبائع متجول سواء كان غنياً أم فقيراً أن يدفع للآغا قسماً من أرباح سفرته][٦].

أما في المقاطعات الريفية فيقدم اليهود خدمات من نوع آخر. فخلال الأعياد الإسلامية يقدمون الهدايا لحُماتهم والهدايا تكون غالباً ملابس أو مواد غذائية (في چالا يقدم اليهودي ثلاثين بيضة ومَنَّ زبدة). وفي المناطق التي يوجد بها حائكون يهود يوفر الحائك اليهودي للآغا ما يحتاجه من منسوجات. وفوق هذا كلّه، يكون اليهودي بمثابة مصرف للآغا فيمنحه قروضاً معفاة من الضرائب. كما يقدم اليهودي الذي يزوّج إبنته ثلث مهر العروس (نقِده)[٧] للآغا، وفي المناطق التي لازال

٤- لضمان دوام سلطتهم كان الأغوات يبعثون الى السلطان في القسطنطينية إتاوات كبيرة. وبالمقابل كانوا ينهبون ضحاياهم - المسلمين وبدرجة أكبر غير المؤمنين من اليهود والنصارى - وكانوا يلجأون الى القتل ان دعت الحاجة. فعندما رفض اليهود في كويسنجق، ذات مرة، دفع الاتاوة للآغا هوجم حاخامهم وقُتل لإخافة بقية أفراد المجتمع. أنظر نشرة الرابطة اليهودية العالمية، ٢١ (١٨٩٦)، ص ٥٤.

٥- [قارن ايضاً وصف ويگرام المشوق لليهود الذين "دجّنهم" الأغوات الكرد (دبليو. أي وأدگار تي. أي. ويگرام، مهد البشرية [لندن ١٩١٤] الص ٣١٧-٣١٨)]

٦- [ن. ألبالا، شرق وغرب، برلين ١٩٠٩، ص ٥٧٩؛ الترجمة عن الألمانية لرافائيل پاتاي]

٧- في هذه المناطق يتحمل العريس تجهيز الصداق، نقِده (أنظر الص ١٢١-١٢٣).

نفوذ الآغا فيها قوياً (في أوره مار ونيروه) يقدم اليهودي للآغا مهر العروس بأكمله. في حين يمنح الـ*پس* مير "الآغا الصغير" اليهود الذين يعيشون في كنفه كمية من الرز أو المحاصيل الأخرى التي ينتجها[٨]. أما في المناطق التي تدهورت فيها سلطة زعماء العشائر فتكون الاتاوة التي يدفعها اليهود لهؤلاء رمزية تتخذ طابع الهدية (في دهوك والعماديه وسنه)، ففي العماديه تكون تلك الاتاوة في هيئة سبع الى ثلاثة عشرة بيضة، ويجب أن يكون عددها فردياً لأن أحد أفراد العائلة سيموت إذا كان العدد زوجياً.

ورغم ذلك لم يختفِ عمل السخرة (*سُخره*) حتى غزو البريطانيين العراق وكان أمراً شائعاً. ففي منطقة العماديه مثلاً وحينما كانت الحاجة تدعو *للسُخره* كان أغوات المنطقة الثلاثة يرسلون أتباعهم يومياً لإحضار اليهود التابعين لهم. ويعد الحصاد من المناسبات الرئيسية *للسُخره*[٩]. وكان من حق الآغا أن يجمع إضافة الى غلّة حقوله ضريبة العُشر (*تَعشير*) التي اشترى من الحكومة حق جبايتها من حقول القرى التابعة له. والآغا الغني كان يجمع العُشر من قرى كثيرة قد يبلغ عددها عشرين قرية، وجمع هذه الضريبة كان يتطلب أعمال نقل وتحميل الحبوب وتفريغها وما الى ذلك من أعمال. وينطبق الأمر نفسه على موسم حصاد الرز وقطاف الكروم. هذا ويقوم اليهود بنقل جذوع *السپينديره* للآغا من ضفة النهر الى القرية علاوة على مشاركتهم في أعمال البناء التي يحتاج اليها الآغا. إذ كان على كل يهودي أن يعمل لما لايقل عن ثلاث ساعات يومياً.

ويشير بنيامين الثاني الى أنه كان بإمكان الآغا أن يبيع يهوده الى أغا آخر إما جميعهم دفعة واحدة أو فرادى. ويتحدث ألبالا عن الشيء نفسه في منطقة السليمانية: [«لقد وزّعوا اليهود فيما بينهم. فأخذ كلٌ منهم عدداً من العائلات وضعها تحت "حمايته"... ومؤخراً حينما كان البگ الكُردي يبيع أرضاً كان يبيع معها في الوقت نفسه اليهود الذين يعيشون عليها»][١٠].

كان اليهود في المقاطعات الريفية، ولكونهم تحت رحمة الآغا أكثر من يهود المدن، يعتبرون رصيداً مهماً للآغا. وكان هؤلاء اليهود يعتبرون من موروثات عائلة الآغا

٨- أبلغني محدّثي بأنه عند نفاذ ما عند ربة البيت اليهودية من رز أو *ماستا* (اللبن) فإنها تذهب الى زوجة پس مير التي تقوم بتزويدها بما تحتاج اليه.

٩- هناك في العماديه ثلاث عائلات مستثناة من السخرة من بينها عائلة بي يوسف بَرَشه. ويمكن للعائلات الثرية الحصول على إعفاء عن طريق تقديم بديل.

١٠- ألبالا، شرق وغرب، برلين ١٩٠٩، ص ٥٧٩؛ [الترجمة عن الألمانية لرافائيل پاتاي].

يرثهم جيلٌ عن جيل. والآغا الذي يوجد في كنفه وحمايته ثلاثة يهود أو أكثر كان يعتبر من الأغوات الأغنياء والمتنفذين لأن اليهودي يمثل رصيداً للآغا، لا من الناحية النظرية فحسب، بل لقيمته التجارية المرتفعة ورواجه للبيع بسبب ما يستطيع تقديمه من خدمات.

كان الآغا في السابق يتاجر بيهوده ويجني من ذلك أرباحاً قد تتراوح بين (٣٠٠-٤٠٠) قران (ما يعادل ١٥-٢٠ جنيهاً استرلينياً) لكل يهودي يبيعه. فكان الآغا كلما إحتاج مالاً يبيع أحد يهوده[١١]. وكان بإمكان الآغا أن يبيع اليهودي على مراحل، إذ كان يبيع قدم اليهودي أولاً وهو يقول : "*پيـﭽكي جو بو خو دي فرووشم*" أي (سأبيع إحدى رجلي اليهودي) وكان ثمنها يبلغ عشرة جنيهات استرلينية.

وتُظهر لنا القصة التالية كيف أنّ حياة اليهودي تعتمد على رواجه. إذ ذهب أطفال يهودي في چالا يوماً الى الجبل لجمع الحطب، فحاول إبن أحد الأغوات إعاقتهم وقطّع حبالهم. فنشبت جراء ذلك مشاجرة بين صبي يهودي وإبن الآغا فقد على أثرها إبن الآغا أربعة من أصابع إحدى يديه. فلم يجرؤ بعدها الصبي اليهودي على العودة الى منزله وفر الى الجبال. ولما عاد إبن الآغا الى البيت وقص ما وقع له، استشاط والده غضباً لكنه لم يكن قادراً على عمل شيء لأن عائلة الصبي اليهودي كانت تعيش في حماية *پس* مير كُردي آخر. فذهب الآغا والد الصبي الى الپس مير وقال له "بعني يهوديك" لكن الپس مير رد قائلاً "لن أبيعه".

أخيراً وعد الآغا الصبي اليهودي بالأمان (*رييو باخاد*)، وعندما عاد الصبي الى منزله بناءً على ذلك الوعد حاصر الآغا دار الصبي برجاله وقبض عليه، إلاّ أنه لم يجرؤ رغم ذلك على تنفيذ إنتقامه من الصبي اليهودي، بل أرسل بطلب *الپس* مير وعرض عليه شراء الصبي بمبلغ مائتي قران (عشر جنيهات استرلينية). فوافق *الپس* مير ولكن زوجته أشفقت على الصبي مما ينتظره وسهّلت له أمر الهرب. فهرب ولاذ بالنساطرة النصارى في كوچانس.

كان الآغا يحمي اليهود من التعرض للإعتداء سواء من العشائر الأخرى أو من أفراد عشيرته نفسها[١٢]. وكان البائع المتجول اليهودي يقصر نطاق رحلته عادة

١١- يعاني النصارى ايضاً الورطة نفسها. فقد قال رئيس البلدية الكردي في زاخو لسعد: "في الفترة الأخيرة كتب اليّ أحد البيگات الكرد، وهو مدين لي بمبلغ من المال، أنْ ليس عنده الآن نقود. لكنه سيبيع قريباً أحد نصاراه، أي ينقله الى سلطة بگ كردي آخر، عندها سيدفع لي" (١٦ سنة، ص ٢٥٥؛ [الترجمة عن الألمانية لرافائيل پاتاي].

١٢- في حالة القبائل الكردية الضعيفة قد يحدث العكس ايضاً. فعن السليمانية مثلاً كتب ألبالا:=

على القرى التي تتبع الآغا الذي يعيش هو في كنفه. وإذا أراد الذهاب الى القرى التي لاتتبع آغاه يستحصل موافقة الآغا لذلك.

لم يكن تعرض اليهودي الى السرقة والإعتداء مقتصراً على ما يطاله من أسياده، بل ما يطاله ايضاً لإعتباره فرداً من أفراد العشيرة التي يعيش في ظل حمايتها. ويمكن لذلك أن يقع بسهولة ضحية لثارات بين العشائر ويدفع حياته ثمناً لها. ولكن المؤكد أن الثأر لدم اليهودي المقتول كان يتم بنفس طريقة الثأر لأي فرد آخر غير يهودي من العشيرة. ومثال ذلك عائلة الحاخام شالوم التي كانت تعيش في زاخو في كنف طي الذين يعيشون بين الجزيرة وزاخو والتي فقدت إثنين من أبنائها أثناء تجوالهما في ضواحي زاخو لبيع البضائع حيث التقيا جماعة من الشرنخيين الذين كانت لهم ثارات مع طي فقتلوا ولدي الحاخام ونهبوا بضاعتهما. ورداً على ذلك أغارت طيء على بعض قرى الشرنخيين ونهبتها (ناحوم وزاخو).

أما ديّة القتيل (دیمّه**) فليست محددة لأنها تعتمد على مدى سلطة ونفوذ حامي اليهودي القتيل. وحسب مصدر معلوماتي، لم تقع سوى حالات قتل قليلة لليهود في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى.**

ففي قضية البائع المتجول اليهودي شابو من زاخو الذي قتل قرب العماديه، شكّلت محكمة فصل عشائرية من يهوديَيْن ومسلميْن. طلب اليهود تعويض عائلة القتيل بمبلغ قدره (١٠٠٠) روپية بالإضافة الى ديّة القتيل. ولكن أولاد اليهودي رفضوا تسلم ديّة أبيهم[١٣]، فوافقت المحكمة أخيراً على تعويضهم بألف روپية تدفعها القرى الثلاث الواقعة قرب مسرح الجريمة.

في المقاطعات التي يكون اليهود فيها في حماية عائلات متنفذة قوية يذهب الپس مير الى الآغا إذا انتهك أحدهم حق أتباعه اليهود ويطالب بتعويض عن هذا الإعتداء (نَخپوسه**، والمعنى الحرفي للكلمة: "الإذلال") فيعمد الآغا الى إستحصال مبلغ التعويض من القرية أو القرى التي كانت وراء الإعتداء، وإذا لم يتم للآغا تحصيل المبلغ بهذه الطريقة فإنّه يلجأ حينها الى السرقة. والسرقة هنا على ثلاثة أنواع:**

١- السطو على قطعان الماشية والبغال والحمير وما الى ذلك (گارينه**).**

= ["السرقة في الليل شائعة في الأحياء اليهودية. حيث يقوم عدد من الأفراد المدججين بالسلاح بكسر الباب واقتحام الدار وحمل كل ما يختارون... واللصوص هم أتباع للأغوات ويعملون لحسابهم" (شرق وغرب، برلين ١٩٠٩، ص ٥٧٩؛ [الترجمة عن الألمانية لرافائيل پاتاي]).

١٣- ثم مقولة شائعة بين الكرد: دمِّت بيبوخ *خيلوخ*، "أكلت دية أبيك".

٢- سرقة حيوانات الحراثة (جوتييره).

٣- الإغارة على قطعان الأغنام والماعز (إربت ميسه**).**

وهناك قصة مثيرة عن سرقة جوتييره في منطقة نيروه. فقد خرج الحاخام مردخاي المذكي الشرعي في نيروه، في رحلة ذات مرّة حاملاً معه أدوات الكتابة التي يستخدمها في كتابة التمائم، التي يسعى وراءها اليهود وغير اليهود على حدّ سواء، مع بعض خيوط الكتان التي يصنع منها حبالاً مفتولة (گيگلا كتينه) لإستخدامها في علاج الحمى.

ولما بلغ الحاخام حقلاً يحرثه فلاحان كُرديان بثيرانهما، وكان نير أحد الثيران مكسوراً، سأل فلاح الحاخام ما إذا كان يحمل معه بعض حبال الكتان ليربط بها النير المكسور، فأنكر الحاخام أن معه حبالاً. لكن الكُردي لم يصدقه وفتش أغراضه ثم أخذ منه حبال الكتان عنوة. فعاد الحاخام الى نيروه على الفور وأخبره حاميه الكُردي بما وقع له. فما كان من هذا إلاّ أن إستدعى بعض رجاله وأرسلهم الى الفلاحَيْن اللذين إعتديا على الحاخام وأخذوا منهما ثيرانهما وجلبوها الى دار الحاخام.

ونتيجة لذلك أغارت قرية الفلاحَين المذكورَين على نيروه وفي القتال الذي تلى ذلك قُتل سبعة من الكُرد. وبعد فترة توقفت الإشتباكات بين الطرفين وجرت تسوية المسألة بالمفاوضات، فأُرغمت قرية الفلاحين اللذين إعتديا على الحاخام على إعطاء الحاخام ثوراً كتعويض له (شاباتاي والعماديه).

15

المجتمع اليهودي

[يشكّل اليهود أينما وجدوا، في كل قرية ومدينة مجتمعاً متماسك الأجزاء يفرض سيطرته على كل اليهود الذين يعيشون في نطاقه. ولايتصورنّ أحد بأن اليهودي أينما عاش ليس عضواً في مجتمع يهودي، يشترك في نشاطاته الإجتماعية – الدينية ويخضع لقوانينه وأحياناً لنزوات قادة المجتمع. والسلطة في المجتمع تكون في يد *الگڤيريم* (أي "الأسياد") و*الگاباي* (أي رئيس الكُنيس) الذين يختارونهم. والأدوار التي يلعبها رجال الدين من *حاخام* (حَبر) و*حازان* (مُنشِد وقائد الصلاة) و*شوحيط* (المذكّي الشرعي) و*معلم* أو *أستيد* (مدير المدرسة) و*موهيل* (ختّان) هي أدوار هامة. والذي يساعد كل واحد من هؤلاء بطريقة ما هو *الشَمّاش* (سادن الكنيس) الذي ينجز أنواعاً مختلفة من المهام في الحياة اليومية للطائفة اليهودية. وكانت مراقبة ومعرفة توقيت الطقوس والشعائر الدينية والمراسيم والأعياد العائلية كلها تتم في إطار المجتمع اليهودي ويشارك فيها جميع أعضاء المجتمع، وهو الذي أضفى على حياة اليهود الكُرد المعنى والإثارة والمتعة والرضا].

الگاباي

يسمى رئيس الكُنيس *گاباي* [بالعبرية: رئيس الكنيس]، وهو منصب ينحصر عادة في عائلات يهودية معينة يتقلد أفرادها المنصب بشكل وراثي. وتتميز هذه العائلات بثرائها ومكانتها الإجتماعية ويحمل أفرادها لقب *گاباي* مثل يعقوف گاباي (في العماديه) أو إسحاق گاباي (في زاخو). وبما أن منصب الگاباي وراثي فهذا يعني أنه يبقى في منصبه لحين وفاته، لكن هذا لم يمنع تعرض عدد من هؤلاء للطرد والإعفاء بسبب عدم أدائهم مهام منصبهم على نحو مرضٍ. ففي العماديه مثلاً طرد من كانوا يشغلون منصب *الگاباي* أربع مرات خلال ثلاثين عاماً، أول هؤلاء إستقال لعدم إستطاعته التفرغ بشكل كامل لمهام المنصب. وثانيهم لم يستحق البقاء في المنصب لأنه كان يستغل أموال الكُنيس في تجارته، وقد وجد اليهود قسماً كبيراً من أموال الكنيس مفقودة من الخزينة بعد تركه المنصب.

وبما أن رغبة اليهود الكُرد في شغل منصب *الگاباي* لم تكن كبيرة (ربما بدأت هذه الظاهرة في السنوات الأخيرة) فقد كان يجري إختيار *الگاباي* من قبل ثلاثة من

الگيڤريم وسبعة بينونيم، وكان يجري ترتيب المسألة على النحو التالي: يقوم الرجال العشرة المذكورون (*الگيڤريم* الثلاثة و*البينونيم* السبعة) بإختيار ثلاثة مرشحين لمنصب *الگاباي*، يقوم هؤلاء الثلاثة بعد إختيارهم بإجراء القرعة بينهم ومن يعلو سهمه في القرعة يجب عليه أن يقبل بالمنصب (في العماديه).

لم يكن الأثرياء من اليهود الكُرد الأغنياء يسعون لنيل منصب *الگاباي*، الذي كان في الواقع منصباً فخرياً لأن إدارة الكُنيس في كُردستان مهمة سهلة لاتتطلب كثير جهد. والكُنيس هو المنظمة الوحيدة التي يستخدم اليهود الكرد أموالها لتغطية نفقات الخدمات الدينية والإجتماعية الهادفة لإزدهار المجتمع اليهودي. وليست هناك ضرائب يفرضها الكُنيس على أفراد المجتمع بل تتألف الأموال التي تتجمع لديه من التبرعات التي ترتبط جميعاً بالطقوس والشعائر الدينية اليهودية. والذي يشرف على هذه التبرعات هو *الگاباي*. وتاتي أموال الكُنيس من المصادر التالية:

١- المبالغ المستوفاة من بيع المناصب الفخرية، وهي غالباً ما تأتي من تلاوة التوراة (أنظر ما سيأتي)[١].

٢- التبرعات المدفوعة الى *قوپّات أريخا* إذ يتبرع كل فرد لهذا الصندوق بقرش واحد أسبوعياً. هذا علاوة على ما يجمعه الشَمّاش للصندوق يومياً داخل الكُنيس. وگابيثه *صَديقه* [الگاباي-المرأة المشرفة على جمع الصدقات] هي التي تجمع هذه التبرعات من النسوة. والصدقات المخصصة لفقراء المنطقة ولفقراء المناطق الأخرى الذين يأتون الى العماديه تدفع لهم من *قوپّات أريخا*. وعادة ما تدفع أثمان أكفان الأموات للفقراء، والعطايا للشَلَحيم رسل الحاخام الذين يأتون من فلسطين في الغالب (في زاخو ودهوك والعماديه وبَرَشه).

٣- المبالغ المستوفاة عن طريق تغريم المخالفين.

٤- المبالغ التي تأتي من أنواع التبرعات الأخرى، كمؤن الزيوت والخمور وأخشاب الوقود وما الى ذلك. وتشمل هذه التبرعات في سنه التبرعات المقدمة من كل فرد من أفراد العائلة للكُنيس في يوم كيپور.

المبالغ التي تدخل في خزينة كُنيس العماديه تتراوح بين (٨٠-١٠٠) جنيه استرليني سنوياً في المواسم الجيدة، ما يعد مبلغاً ضخماً جداً بالقياس الى مستويات المعيشة في كُردستان. والقسم الأكبر من هذه التبرعات يدفعه الرجال

١- جرت العادة أن لايدفع من يسعى لنيل مراتب الشرف الثمن نقداً بل يدفع سلعة. وعلى الگابّاي بيع تلك السلع وإدارة الأموال.

الذين يُستدعون لقراءة التوراة. ومن بين واجبات الگاباي إدارة كافة الأمور المتعلقة بالكُنيس، كالإشراف على البنايات الجديدة فيه وترميم القديم منها والحفاظ على تحفه الثمينة (التوراة، التيجان، *لوحوت* ......الخ)، كما ويدير الگاباي أوقاف الكُنيس.

في بعض الأحيان تستخدم أموال الكُنيس في تغطية نفقات لا علاقة لها بالكُنيس، وهو ما يوضح حقيقة كون هذه الأموال في الواقع ملكاً لجميع أفراد المجتمع ويتم التصرف بها وفقاً لإحتياجات هؤلاء الأفراد. فذات مرة سحبت الطائفة في ﭼالا من أموال الكُنيس لتسديد ديّة قتيل لإحدى العائلات. وفي قرية (قَردا) جاء الى الكُنيس ذات مرة كُردي مسلم يندب المصيبة التي ألمّت به إذ كان سيدخل السجن إن لم يدفع ديناً مستحقاً عليه يبلغ خمسين فرنكاً. فما كان من الگاباي إلاّ أن نقدهُ المبلغ من أموال الكُنيس، وكان لذلك أثر عميق في المسلمين.

لايتلقى الگاباي أيّ أجر عن الواجبات التي يؤديها، فگاباي زاخو أشرف مدة عام كامل على أعمال ترميم كُنيس زاخو دون مقابل. ولكن مؤخراً كانت هناك حالات مشابهة تم فيها دفع مقدار معين من الأجر عن هذا النوع من المهام.

وجرت العادة في العماديه أن يقيم الگاباي مأدبة للطائفة بعد عيد سوكّوت، يطلق عليها *سعودت كَتيڤت فصله*، "أي وليمة توثيق الحسنات" وكان يتم خلالها تسجيل المناصب الفخرية في (*سيمحات تورا*). وفي زاخو يُحفظ *اللولاڤ* في بيت الگاباي ليؤخذ بعدها الى الكُنيس (أنظر ما سيأتي). أما *سعودات كوهين هاگادول*، "مأدبة الكاهن الأعلى" فتقام في عشية يوم كيپور من قبل الگاباي أيضاً (في زاخو).

الحازان (المُنشِد)

لازالت إقامة الشعائر والطقوس الدينية محصورة بيد فرد واحد في المجتمع اليهودي، يكون عادة من بين أكبرهم سناً. وكذلك قد يقوم بواجبات المنشد "*حازان*" و*الشوحيط* [المذكي الشرعي] ومدير المدرسة والختّان شخص واحد فقط. فلذلك ترى الحازان في كُردستان هو نفسه الحاخام، هذا علاوة على قيامه بكتابة الأدعية لليهود وللمسلمين كذلك. ولكون القيام بالمراسيم والشعائر الدينية واجباً دينياً وطاعة لايتلقى الحازان أجراً على قيامه بها[٢]، فإنّ عليه أن يكسب قوت يومه بالعمل مدير مدرسة أو قصاباً، وهناك *حازانيم* يعيلون عائلاتهم بالعمل في الحياكة.

ومع ذلك يتلقى الحازان بعض الأجور، فمثلاً يتقاسم مع الشَمّاش التبرعات التي

٢- أصبح في زاخو مؤخراً حازان خاص، لكنه غير مجاز للعمل كشوحيط.

يقدمها *أوليم*: الغرباء الذين يأتون الى المدينة للإشتراك في السبت والأعياد وهم الذين تسميهم التوراة *موسيف*. ومثل الشَمّاش يحصل الحازان على قسم من الهدايا التي تُقدم عند اللجوء الى *حطاره* (أنظر ص ٣٦٦) وكذلك على قسم من المبالغ المستحصلة عن طريق الغرامات. كما يحصل الحازان أيضاً على أجور مقابل إصدار الكيتوبوت وأوراق الطلاق (أنظر ص١٤٧).

أما واجبات الحازان الإعتيادية فتتمثل في ترتيل الصلوات وقراءة الحصة الأسبوعية من التشريع اليهودي لأنه (وكما أسلفنا) لايستطيع اليهودي الكُردي قراءة الحصة الأسبوعية من التشريع بنفسه. وفي كثير من الأحيان يوكل الحازان أمر ترتيل الصلوات الى المغنين في الطائفة. كما يشرف الحازان عادة على مراسيم الـ(*دراشه*) بلغة التارگوم في السبت الذي يلي مينحه. وكل هذه الطقوس تستند الى الحصة الأسبوعية من التشريع، باستثناء الفترة بين الپاسوڤر وعيد شاڤوعوت حيث يتعاملون مع پيرقه *آڤوت* [فصول الآباء].

ومن واجبات الحازان الأخرى الحفاظ على دفتر الطائفة (*دَفتر كَنيشته*) وسجل الوفيات (*دَفتَر ميثه ليهاشكاڤا*). وفي يوم كيپور يقرأ الحازان خلال *هاشكاڤا* على المصلين الأسماء الداخلة في (*دَفتَر ميثه ليهاشكاڤا*) وعادة تستغرق هذه العملية ساعتين (في العماديه).

وفي سنه لا يحتوي *دَفتر كَنيشته* إلاّ على قائمة بالبضائع والمواشي التي يمتلكها الكُنيس، ولا تسجل فيه الولادات ولا الوفيات إطلاقاً، فكل عائلة تدون ولاداتها ووفياتها على الصفحات البيض الأولى أو الأخيرة من كتاب الصلوات.

الشمّاش (السادن)

في كُردستان كما في الأماكن الأخرى يطلق على سادن الكُنيس إسم (شماش) (عموماً في العماديه وبالكُردية)[٣] ولأن الشَمّاش هو الذي يقدم الطعام للغرباء فإنه يطلق عليه أحياناً إسم *پارناسا* (في زاخو). يعيّن الشَمّاش من قبل الگيڤريم ولمدة غير محدودة، ورغم أن أجر الشَمّاش الذي تدفعه الطائفة قليل، إلاّ أن الكثيرين يسعون حثيثاً للحصول على هذا المنصب لما يتلقاه الشَمّاش من أجور إضافية تجعل عمله سهلاً خالياً من الهموم. وفي سنه يتلقى ايضاً سكناً مجانياً في الكنيس.

وثمّ *شمّاشيم* يؤدون مهامهم تطوعاً كواجب ديني ولايقبلون أجوراً بأي شكل عدا

٣- في سنه بالكردية: *خادام*.

الملابس التي يشتريها لهم الگاباي من أموال الكُنيس في عيد الفصح. ويوزع الشَمّاش زيويتت *شماش* (الخبز) الذي يجمعونه يوم الجمعة للفقراء. ومن هذا الخبز يأتي القسم الأعظم من دخل الشَمّاش، ففي زاخو يتجول الشَمّاش في شوارع المدينة عند انتصاف نهار الجمعة وهو ينادي *تلومست شابسا إلليها مازيدلوخون*، "خبز للسبت بارك الله لكم فيه". وتساهم كل عائلة برغيف من الخبز للفقراء. وقد يتمكن الشَمّاش التابع لكُنيس كبير من جمع حوالي مائة رغيف، فيما يجمع شماش كُنيس صغير حوالي خمسة وعشرين رغيفاً (وكذلك في العماديه). أما في سنه فينادي الشَمّاش لنفس الغرض: *الله مازيز* «مَزيد» *إلاخوم بريخا ويتا* «زَويتا» *شابات*، "زاد الله من بركاته لكم خبزٌ للسبت"[٤]. بعض النسوة يتبرعن برغيفين واحد عنهن والآخر عن أزواجهنّ. ويتقاسم الشَمّاش مع الحازان المبالغ المستحصلة من الرجال الذين يُدعون لقراءة التوراة، أو يتبرع بها من ثُليث من أجلهم *مي شَبَراخ*. وتضم التبرعات ما يتبرع به الغرباء *أوليم* الذين يحجون الى كُنيس المنطقة.

ويتلقى الشَمّاش كذلك الهدايا في الأعياد، ففي العماديه مثلاً يقدم الحاڤريم للشماش الذي لايعتبر منهم بطبيعة الحال – دلواً من العرق كل سبت من الشاڤوكوت حتى السوكوت. وفوق ذلك يتلقى الشَمّاش قسماً من *الگوريپله*، طبق الرز والدجاج الذي ترسله عائلة المتوفى لحفاري القبر أثناء مراسيم الجنازة، وتفرق زوجة الشَمّاش عادة محتويات الطبق على أطفال الجيران كصدقة تحمي العائلة. وفي سنه يقدم للشماش رأس وحواصل كل ذبيحة من ذبائح *الكَپّا*ره الكثيرة.

ومن بين واجبات الشَمّاش دعوة اليهود للصلاة وإيقاد القناديل والشموع وتوفير المياه لغسل الأيادي وتغيير كسوة التوراة وتغيير تيجان التوراة وما الى ذلك. وفي بعض الأماكن على الشَمّاش أن يصنع الشموع التي يستخدمها الكُنيس لأغراض معينة وتوزيعها على أعضاء المحفل في مناسبات معينة.

أما أعمال تنظيف الكنيس فتتولاها إمرأة عجوز في كل كُنيس يطلق عليها *ميصڤا* ولكن بإشراف الشَمّاش. وقد قيل عن إسحاق شماش العماديه بأنه كان يتأكد من أن صحائف التوراة قد تم إزالة الغبار عنها بشكل ممتاز عن طريق إختبار نظافتها بشعر لحيته. وقد ظل هذا الشَمّاش في منصبه مدة ثلاثين عاماً لنزاهته وورعه. فخلال مسيرة حياته كلها لم يأخذ أي شيء من يد زوجته مباشرة؛ وكان دائماً يغسل يديه قبل أن يوقد أي قنديل أو شمعة.

٤- هذه العادة سارية بين المسلمين ايضاً في سنه.



الشوحيط في سندور

الشوحيط (المذكّي)

كما ذكرنا سابقاً، فإن مهنة الشوحيط [المذكي الشرعي] يمارسها بشكل رئيس الحازانيم ومعلمو المدارس. ويتدرب المرشحون لهذا المنصب على يد شوحيط أقدم. وفي الكثير من الأحيان تكون هذه المهنة متوارثة، حيث يتدرب أبناء *الشوحيطيم* على يد آبائهم. وعلى العموم فإن *الشحيطا* "[الذكاة] مهنة يتولاها الفقراء لأن أبناء الأغنياء يعملون في التجارة.

في السابق كانت سندور وبارزان مركزين رئيسين لتعليم الحاخامات والمذكّين. وحتى اليوم يقول الناس في كُردستان: "التشريع من سندور وكلمة الرب من بارزان". وفيما بعد آلت المرتبة الأولى الى نيروه[٥]، أما اليوم فتحتلها زاخو. ويجري تدريب المذكّين في العماديه وفي عقره ودهوك ايضاً.

وكان التدريب على *شحيطا* يقوم فيما مضى على *سفر يِّمين موشي* أما الآن فتتم الإستفادة من *سفر زفحي شيدق*. وهناك أيضاً كتاب كُردي للحاخام *شمعون بن يونا بارزاني* يتعلق بالموضوع بعنوان *شيهيطات بارزاني* لايزال مخطوطاً[٦].

٥- تنحدر عائلة بي أڤيداني، التي ينتمي اليها أربعة من حاخامات العماديه، من نيروه في الأصل. وفي الرسائل التي نشرها مان (نصوص ودراسات، المجلد الأول) يظهر أن حاخامات العماديه بالدرجة الأساس كانوا هم من يمنح الشهادات، مثلاً الحاخام شمعون شموئيل دوگا (الرسالة رقم ٨) وشمعون بن بنيامين هالاڤي (الرسالة رقم ١٥) – وربما ينتميان كلاهما الى أواسط القرن الثامن عشر.

٦- فيما يتعلق بهذا الكتاب أنظر، أسّاف، *لي تولدوت*، الص ١٠٩–١١١. وقد جاء وولتر فيشل بنسخة من هذه المخطوطة المؤرخة في ٥٤٢٠ = ١٦٦٠م من كردستان.

كان من بين الذين تحدثت إليهم شخص تدرب على *الشحيطا* في شبابه على يد والده لكنه لم يكن قد حصل على شهادة. وعندما بلغ السابعة والعشرين من العمر درس ثمانية أشهر على إثنين من الحاخامات في سنه. ويرافق التلميذ معلمه مدة ستة أو ثمانية أشهر للتدريب العملي. وعلى التلميذ كذلك أن يذبح بعض الحيوانات في حضور معلمه.

لا يحق لكل الحاخامات المختصين بالذبح منح الشهادات. وطالما أن الشهادة التي تُمنح في زاخو لها قيمة كبيرة في الوقت الحالي بصورة خاصة، فإن الحاخام إلياهو حاخام العماديه الحاصل أصلاً على الشهادة من حاخامات العماديه، يجب أن يحصل ايضاً على شهادة من حاخامات زاخو[7].

ويتوجب على المرشحين قبل الحصول على شهادة الإختصاص بالذبح أن يذبحوا بقرة بحضور الحاخامات. ويتم تناول لحم تلك البقرة في مأدبة *سعودات سميخه* [بالعبرية: وجبة الإنتظام في سلك المذكين] يُدعى اليها الحاخامات وأفراد المجتمع.

وبما أن عدد المذكّين يقصر عن تلبية الطلب عليهم، فإنه يُسمح بقيام من لم يكمل تدريبه منهم (الذين لم يحصلوا على شهاداتهم بعد مثلاً) بممارسة ذبح الحيوانات. ويعود ذلك في جانب منه الى أن الأرباح الضئيلة المترتبة على المجتمع الصغير لاتكفي في الواقع لدفع أجور شوحيط مؤهل. لذا فعلى التلميذ في تلك الحالة إما أن يعمل مع تلميذ آخر أو تحت إشراف إثنين من الحاخامات[8].

وعلى المذكي الحاصل على الشهادة إجتياز إختبار إضافي من قبل المبعوث القادم من فلسطين، ويعتبر هذا الإختبار غاية في الأهمية.

وعلاوة على *الشوحيطيم* المقيمين، هناك أيضاً *شوحيطيم* متنقلون يخرجون من مدنهم في جولات الى قرى المنطقة[9]. ويظهر هؤلاء كذلك في عيدي الفصح والسوكّوت لذبح الذبائح التي تحفظ العائلات لحومها للشتاء (أنظر ص١١٣) أو أثناء الإحتفال بالختان والأعراس. وعادةً يعتبر قدوم الشوحيط حدثاً هاماً في القرى النائية فهو ايضاً الحاخام المسؤول عن الإرشاد الروحي لهذه المجتمعات.

يتلقى الشوحيط أجراً على وظيفته وقسماً من لحم الذبيحة – باستثناء الدجاج

٧- هناك نسخة من شهادة المذكّي مؤرخة في ٥٥٢٥ (١٧٦٤م) أصدرها شمعون بن بنيامين هالاڤي، نشرها مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٥٣٣.

٨- المصدر السابق، الرسالتان ١٤ و٢٠ لهما صلة بالموضوع.

٩- كان يوجد في سنه عشرة من هؤلاء المذكّين المتجولين.

الذي يذبحه للناس مجاناً. ففي زاخو يتلقى الشوحيط حوالي ستة پنسات (*تَكّة* واحدة) مقابل ذبح ثور، وپنسين (*قَمَري* واحد) إضافة الى كمية من اللحم والأحشاء مقابل ذبح خروف. ويحصل الشوحيط من بيع حصته لباعة معينين على مدخول كبير. وفي العماديه يحصل الشوحيط إضافة الى أجره العادي على الذيل (*دوما*) اذا ذبح ثوراً أو بقرة وعلى الرقبة (*قيديله*)[10] إذا ذبح خروفاً أو نعجة.

أما الشوحيط المتنقل الذي لايتيح له وضعه الإستفادة من حصته من لحم الذبيحة وأحشائها، فيتلقى عوضاً عنهما أجراً أكبر وكذلك مواد من قبيل الزبيب والتبغ و*الميپوختـه* [عصير العنب المركز]. وفي أحيان كثيرة قد ترافق زوجة الشوحيط المتنقل زوجها في أسفاره، وتعمل *نَقدينه*. وتتمثل مهمتها في إزالة العروق والأوردة من لحم الذبيحة. وفي العماديه تنجز *النَقدينه* عملها دون مقابل لأنهن يعتبرن ذلك حسنة، *ميصڤا*. أما في زاخو فتتلقى أجراً على ما تقوم به.

وبما أن ذبح الحيوانات مهنة مربحة في المجتمعات الكبيرة، فإن تعيين الشوحيط في كُردستان يكون عادة سبباً في خصومات عنيفة قد تنتهي في بعض الأحيان بإراقة دماء بين المتخاصمين[11]. وقد جرت محاولات للحصول على منصب الشوحيط بوسائل ملتوية. إذ يذكر بنيامين في كتابه حالة وقعت في المناطق القريبة من بارزان إشترى فيها يهودي أميّ تماماً هذا المنصب المغري من أحد زعماء العشائر مقابل مبلغ من المال يدفعه له سنوياً[12].

إن عقوبات إنتهاك قوانين الشوحيط شديدة جداً. وهذه حكاية بهذا الخصوص:

> عاش حاخام قديماً في منطقة هَركي وكان في عين الوقت شوحيطاً. وكان هناك سبعة حاخامات آخرين يعيشون في منطقة هَركي. وذات يوم خرج الحاخام لتفقد حقوله، لأن يهود منطقة هَركي يمتلكون أراضي كثيرة. أثناء غيابه ذبحت أخته ثماني دجاجات بنفسها وطبختها في قدر استعارته ودعت الحاخامات السبعة للعشاء. وعندما عاد أخوها في المساء ووصل الحاخامات السبعة الى داره. وضعت

١٠- لدى الشوحيطيم في سنه (الذين يعلّمون في المدارس ايضاً) الكثير من اللحم وخاصة في أيام الجمعة فيرسلون تلاميذهم ليجوبوا الأحياء ويبيعوا اللحم. واللحم رخيص الثمن لدرجة مثيرة. فسعر روتل واحد من اللحم في سنه پنسان فقط.

١١- المصدر السابق، الرسالة رقم ٢١، الص ٥٤٥ وما بعدها. تطلعنا على حادث من هذا النوع.

١٢- تظهر قضايا من هذا القبيل عند اليهود في القوقاز ايضاً.

الأخت النبيذ والـمَزّه أمامهم، ثم جاءت بالدجاجات الثمانية المطبوخة. وعندما انتهوا من تناول عشائهم، سألتهم قائلة: "كيف وجدتم مذاق لحم الدجاج؟" أجابها الجميع "جيداً جداً". ومضت الأخت في حديثها قائلة: "ليس هناك شيء غريب بشأن الدجاجات، أليس كذلك؟ فكما ترون ما تتطلب منكم وقتاً طويلاً كي تتعلموه تعلّمته أنا في ساعة واحدة، فها أنا قد ذبحت الدجاجات بنفسي وطبختها في الزبدة". عندها صرخ الحاخامات في أخيها: "ماذا فعلتَ؟" فأجابهم مرتاعاً: "لقد ظننت أن أحدكم هو الذي ذبح الدجاجات". إذن فقد ظن كلّ منهم أنّ الآخر هو الذي ذبح الدجاجات.

ونتيجة لذلك فرض الحاخامات على أنفسهم صيام ستة وعشرين يوماً كعقوبة. وحطموا القدور وحبسوا الفتاة ثلاثة أشهر في بيت منفصل (جودًا). وقد شاع حينها بأن جميع الحاخامات توفوا خلال تلك السنة، وهكذا انقرض جنس الحاخامات في منطقة هَركي.

16

تعليم الصبيان*

لانملك في الواقع مصادر مادية تتعلق بمستوى التعليم بين اليهود الكُرد في الماضي. فاليهود الكُرد يفتقرون الى نتاجات أدبية، إذ لم يظهر لهم لحد الآن عمل أدبي خاص بهم. ولانملك في هذا الصدد سوى الرسائل التي نشرها مان، وهي خمس[1] يعود تاريخها الى النصف الأول من القرن السادس عشر وتتحدث عن أمور تتعلق بنظام المدارس في كُردستان. وقد استعنّا بهذه الرسائل عند الحديث عن المرأة الكُردية وعملها في مجال التدريس (أنظر الص ٢٠٧-٢٠٨). فهي تحكي وضع المدارس في القرن السادس عشر والذي يختلف قليلاً عن مدارس اليوم.

كتب الرسائل الحاخام يعقوف بن يهودا مزراحي[2] وزوجته وابنه. كان الحاخام يعقوف يدير مدرسة في العماديه؛ وكان يمكن العثور على تلاميذ مدرسته السابقين في العماديه ونيروه وشَرانش (قرب بَرويلنايا) مثلاً. ولأسباب لم ترد في الرسائل، إنتقل من العماديه الى الموصل مخلفاً وراءه قسماً كبيراً من كتبه ومخطوطاته (أنظر الرسالة الخامسة السطر ٢٢-٤٠). وفي الموصل أسس مدرسة كان يدرس فيها تلاميذ من كُردستان نفسها. ولكن لم يكن ممكناً إبقاء المدرسة مفتوحة دون معونات؛ مما اضطر الحاخام يعقوف أن يخصص من وقته الكثير لكتابة رسائل يتوسل فيها المجتمعات اليهودية الكُردية وحتى المجتمعات اليهودية الموجودة في حلب وبغداد ودياربكر ومَراغه (أنظر الرسالة الأولى السطر ٦٩) طلباً للعون.

وما وصلنا من رسائله هي عرائض طلب مساعدة من المجتمعات اليهودية في نيروه والعماديه وسندور. لكن حظ رسائله من النجاح كان ضئيلاً؛ لهذا اضطرت أرملته (والتي كانت تساعده في التدريس خلال حياته، أنظر ص٢٠٨) بعد وفاته للإستمرار في كتابة رسائل طلباً للعون. وحينما كبر إبنه شموئيل بن يعقوف مزراحي، سار على خطى والده في التدريس بالمدرسة وكتابة رسائل طلب المعونة

* [قارن المعلومات الواردة في هذا الفصل مع: رافائيل پاتاي، التعليم العبري في مجتمع مراني بمشهد، باللغة العبرية، إدوث ١، رقم ٤، تموز ١٩٤٦، ٢١٣:٢٦.]

١- مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص٤٨٠ وما بعدها.

٢- يصفه مان بأنه "متعلم بارز" (ص٤٨١)، وربما في ذلك شيء من المبالغة.

الى المجتمعات اليهودية، ويظهر بأنه كوالده لم يلاق نجاحاً يذكر، إذ نجده يشتكي في الرسالة من أن عدداً من المجتمعات لم يقدم له أي عون طوال اثني عشر عاماً (راجع السطر الثاني عشر).

بالطبع لا يمكن جمع أدلة كافية عن أوضاع التدريس من هذه الرسائل فقط، لكن وبالإعتماد على الخط العام لها نستطيع إستخلاص نتيجة عامة مفادها أن المدارس اليهودية في ذلك الوقت كانت في نفس مستوى المدارس الكُردية الآن[٣].

المعلمون والمدارس

رغم أن المستوى الحالي للمدارس اليهودية في كُردستان ليس عالياً، ولكن الأمر الجدير بالذكر هو إرتفاع نسبة الصبيان الملتحقين بالمدارس والبالغة ٨٠٪ في مجتمع المدن الكُردية التي تعتبر في الواقع مجتمعات أمية تماماً.

ولا مفر هنا من التفريق بين مجتمعات المقاطعات الحضرية والمجتمعات الريفية. فاليهود الريفيون في كثير من الحالات يشكلون مجرد مجموعات صغيرة في القرى، ولايحظون بفرص توفير وسائل التعلم لأطفالهم. فإذا كان الوالد ميسور الحال في تلك المجتمعات فإنه يرسل ولده لكي يدرس لفترة في المدن، أو يوفر له التعليم حين يأتي *الشوحيط* الى القرية باستبقاء الأخير فترة تمتد لشهر أو أكثر في القرية لتدريس ولده. وعلى العموم يشبّ القسم الأعظم من أطفال القرى وهم لايستطيعون قراءة الصلوات أو ترديدها.

لكن الوضع مختلف تماماً في المدن حيث نسبة الملتحقين بالمدارس (كما ذكرنا) تبلغ ٨٠٪. ففي زاخو والعماديه يذهب جميع أولاد اليهود الى المدارس، وتبلغ نسبة هؤلاء في سنه ٥٠٪ فقط. وهكذا يمكن القول بإنه بخلاف الآباء المعدمين فإن جميع اليهود يرسلون أطفالهم الى المدارس. جميع التلاميذ اليهود (*تَلميذا* والجمع *تَلميده*) يدخلون المدارس في عمر أربع سنوات تقريباً، رغم أن هناك من الآباء مَن يرسلون

٣- من أشهر المعلمين الآخرين في العماديه: ح. ر. شمعون (في حوالي ١٦٤٠)، ح. ر. إيليا (في حوالي ١٨٤٠)، ح. ر. شمعون (في حوالي ١٨٦٠)؛ ومنهم في زاخو: ح. ر. موشي إسحيق باگلوگنايا، توفي عام ١٩٠٠ عن سبعين عاماً، وكان من مشاهير المعلمين. وفي سفر شيره *زيمرا* من تأليف ح. باروخ يوجد الكثير من أشعاره.

٤- في باشقَلا يبعثون الصبيان الى المدارس عند بلوغهم السادسة أو السابعة حيث يدرسون حتى بلوغ الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة. قارن ما جاء في التقرير السنوي السادس للجمعية الأنگلو يهودية، لندن ١٨٩٧، ص٩٨.

أولادهم الى المدارس في عمر سنتين ونصف[٤]. وتعتبر المدرسة (بالعبرية: بيت *مدراش*، وتسميها النسوة *كنيشتا*) وما يتعلق بها شأناً إجتماعياً عاماً ويتلقى المعلّم أجره من المجتمع اليهودي. وكان هذا الأجر يصل في السابق الى جنيه وعشرة بنسات شهرياً، لكنه ارتفع لاحقاً ليصل ثلاثة جنيهات، وهناك الى جانب الأجر الشهري الهدايا التي يقدمها أولياء أمور التلاميذ للمعلمين. وتعتبر الدراسة شأناً عاماً في مناطق چالا ونيروه وريكان، حيث يمكن للرجل الذي ليس له أولاد في المدرسة المساهمة في *ميصڤا* (حسنة) نشر التعليم.

أما في بقية أنحاء كُردستان فالمدارس خصوصية يمتلكها المعلم[٥] الذي يتلقى أجراً شهرياً من آباء التلاميذ، يتراوح من ثلاثة الى عشرة قروش. وقد يتعاقد والد التلميذ أحياناً كما في سنه على الدفع للمعلم بحسب تقدم سير الدراسة في كل فصل. فهو يدفع مثلاً مقابل تعليم *أليف* بيت [الألفباء] الى *سوف هَميقرا* [بالعبرية، "نهاية التوراة"] خمسين قراناً (خمسة جنيهات استرلينية تقريباً).

وليس في سنه عطايا أو هبات إضافية على الأجر الشهري للمعلم، بخلاف المدن الأخرى التي تشكل فيها هذه الهدايا القسم الأكبر من دخل المعلمين. إذ يحضر كل تلميذ معه كل يوم جمعة كعكة (في زاخو: *زووعتا*، والجمع *زوديڤا*)، ويحرص المعلم على أن لايتخلف أي من تلاميذه عن إحضارها لأنه سيعيده في تلك الحالة الى أمه البخيلة لإحضار الكعكة وتلقينها درساً في هذا الخصوص. وعلاوة على الكعكة يجمع المعلم من كل تلميذ رغيفاً من الخبز يحضره التلميذ في اليوم الذي تخبز فيه عائلته الخبز كل أسبوع، هذا علاوة على حصة المعلم من كل ذبيحة تذبحها العائلة. أما في أربيل فمن الطبيعي جداً أن يذهب التلاميذ لسرقة الجوز للمعلم.

ومن ناحية أخرى تزيد الهدايا التي تقدّم للمعلمين في الأعياد المناسبات من مدخولاتهم. إذ يرسل كل صاحب دكان من اليهود عادة هدية للمعلم مما يبيع من بضائع، فتاجر الألبسة يرسل له قطعة لباس والبقال يرسل له الرز أو الدقيق أو المواد الغذائية الأخرى، وعلى العموم يرسل له كل بقال هدية تليق بالمناسبة التي ترسل فيها اليه. وعلاوة على ذلك يتمتع المعلم بامتياز مالي آخر يكمن في إعفائه من دفع الرسوم المختلفة التي يجمعها أفراد المجتمع.

لايقتصر دور مدير المدرسة اليهودي الكُردي على التعليم فحسب، بل هو عادة

٥- المعلم: في العماديه وَسته مَعَلِّم أو مُعَلِّم. وفي زاخو ودهوك *إستاز*، وتجمع على *إستازواسا*. وفي العماديه (وخاصة للنساء) *إستادي*. وفي أربيل *أوستال* وتجمع على *أوستالا*، وفي سنه *كليفه*.

مسؤول عمومي ايضاً في المجتمع. فقد يعمل إضافة الى واجباته التربوية، عمل *الحازان* (المنشد)، و*الديّان*، و*الشوحيط*، و*الموحيل*. وعمله بصفة شوحيط عادة ما تكون له نتائج سلبية على أدائه التربوي[٦]، وذلك لأنه يضطر بسبب إعداد اللحم ليوم السبت في الكُنيس الى التغيب طوال صباح الجمعة. ومعظم معلمي المدارس في زاخو يعملون مذكّين لذا يطلب الناس خدماتهم بإستمرار في أيام الجمع، وفي باقي أيام الأسبوع أيضاً[٧]. ورغم أن تغيب المعلم في حد ذاته ليس بمصيبة في الواقع لأن التلاميذ الأكبر سناً ينوبون عنه في تعليم الأصغر منهم، لكن المصيبة تكمن في إستغلال هؤلاء لموقعهم ذاك في القيام بالكثير من التصرفات الطائشة.

أما موقع المدرسة فيكون إما في بيت مدير المدرسة أو في الكُنيس (في زاخو والجزيرة والعماديه). ومدرستا العماديه تقعان في الكُنيسين الموجودَين بها، وفي كُنيس ناڤي حزقييل تقع غرفة المدرسة بجانب غرفة *الحاڤَريم*. وللجلوس يجلب كل تلميذ معه قطعة من نسيج صوفي. وفي فصل الشتاء على كل تلميذ أن يجلب معه قطعة حطب يومياً لتدفئة غرفة الدرس، لذا ترى التلاميذ حينها متوجهين الى المدرسة وكل واحد يحمل قطعة حطب يسيرون كالجنود «حاملين أسلحتهم على أكتافهم» وهم ينشدون:

ساون آزاخن نوران أوداخلا: **دعونا نذهب لإشعال النار**

دوكان باسماخلا حيل أُستاديني آسه: **كي نجعل الغرفة دافئة قبل قدوم المعلم.**

زاڤنيني پسرت كسييسا: **سيشتري لنا لحم دجاج**

تار أخلاخني تا خيطر قاراخني: **كي نأكل ونتعلم.**

شيميت إيلاهيني پاسناخلي: **سنمجّد إسم ربّنا**

تا خاطر ناطريني: **كي يحرسنا ويحمينا**

٦- ["لأن أحبار اليهود وحاخاماتهم منشغلون طوال اليوم بأداء واجباتهم العديدة من ذبح للحيوانات وإزالة الشحم والأعصاب عن لحومها، وعمليات ختان للصبيان في بيوت المسلمين، وكتابة الرقى والتعاويذ وما الى ذلك، فإنهم لايملكون الوقت الكافي لمتابعة تعليم الأطفال اليهود" (جَي. باسان، نشرة الرابطة اليهودية العالمية، العدد ٢٦ (١٩٠١)، ص٢٧٧، ترجمه عن الفرنسية رافائيل پاتاي.]

٧- قارن ذلك بالرسالة التي كتبتها أرملة يعقوڤ مزراحي: [كان الحبر، تعطرت ذكراه، منشغلاً بمعايناته ولم يكن يملك الوقت الكافي لتعليم الأولاد، لذا فقد حللتُ محلّه في هذا العمل وكنت معاونة له". (مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص٥١١، السطور ٦٨-٧٠؛ ترجمه عن العبرية رافائيل پاتاي.]

من *گالوت خالسليني*: وينجينا من الگالوت (المنفى) (في العماديه).

هذا ويبيع الأولاد شتاءً في المدارس الأماكن القريبة من المدفأة بالمزاد فيما بينهم.

أما أعداد المعلمين والمدارس في أي مجتمع يهودي فتعتمد على حجم المجتمع أو المحفل. ففي أربيل هناك ست مدارس، وفي العماديه (كما أسلفنا) مدرستان في كل كُنيس مدرسة، وبيت *مدراش شل عيزرا* في العماديه السفلى لايدرس فيها شتاءً إلاّ عدد صغير من التلاميذ وذلك لأن الطريق الى المدرسة تصبح شاقة بسبب غزارة الثلوج. وعلى كل حال لا يعيش إلاّ عدد قليل من اليهود في العماديه السفلى شتاءً. أما في الصيف فيزداد عدد التلاميذ في كل مدرسة ليبلغ ٤٠-٥٠ تلميذاً. وفي زاخو لا توجد سوى مدرسة واحدة لها أربعة من المعلمين، فيما بلغ عدد التلاميذ فيها في ١٩٢٠ حوالي (٢٥٠). أما في سنه فكان يدير المدارس فيها أربعة حاخامات لكل منهم بين ٤٠-٥٠ تلميذاً في بيته[٨]. أما عن المدرسة اليهودية في خانقين، التي سكانها يهود وكُرد فقط، فنستعين بالفقرة التالية:

> **"ليس هناك تلمود توراة. وقد جمع حبران فقيران معدمان بمشقة كبيرة، كل في منزله الحقير، حوالي عشرين صبياً يلقنانهم المبادىء الأولية للعبرية"[٩].**

التعليم

اليوم الدراسي (*دانه*) مقسم الى نصفين: (*دان بينوكه*) الذي يمتد من الثامنة صباحاً حتى الثانية عشرة ظهراً، و(*دان أصرته*) الذي يمتد من الواحدة من بعد الظهر حتى السادسة مساءً. وفي فترة الإستراحة من الثانية عشرة الى الواحدة، يذهب الأطفال الى البيت لتناول الطعام (في زاخو والعماديه).

يدرس الصبيان في المدرسة جميعاً في غرفة واحدة ولكن يتم تقسيمهم فيها الى فئات مختلفة حسب العمر[١٠]. وحينما يحضر أحد الآباء إبنه للمرة الأولى الى

٨- من ناحية أخرى ["فإن تلمود التوراة، حتى في أكثر أشكاله بدائية ونقصاناً، لا وجود له في سنه. والقليل من اليهود يستطيع تلاوة الصلوات من كتاب الصلوات" (جَي. باسان، نشرة الرابطة اليهودية العالمية، العدد ٢٦ (١٩٠١)، ص٢٧٧، ترجمه عن الفرنسية رافائيل پاتاي.]. ولكن ربما لم يعتبر باسان مدارس الحاخامات مدارس بمعنى الكلمة.

٩- نشرة الرابطة اليهودية العالمية، ٣٦ (١٩١١)، ص٧٤، [ترجمه عن الفرنسية رافائيل پاتاي.]

١٠- تسمى المجموعات: في العماديه (*جِوات*) وفي زاخو (*جِواته* والجمع *جِواته ياسا*) وفي سنه (*گاوكه* أو *دَسته*).

المدرسة فإنه يحمل إبنه على كتفه كما يُحمل الخروف الى الجزار. [حين ياتي صبي الى المدرسة أول مرة، يكتب المعلم كل حروف الهجاء بحروف كبيرة على ورقة، ثم يلطخ الحروف بالعسل ويطلب من التلميذ أن يلعقها. عندها يردد المعلم قائلاً: ريبونو *شيل عولام، يي إيليها ماتو دوشا خيليا إيله هيدَق تورا خاليا گو پوميت دايا يالا*، "يا سيد الكون! اجعل التوراة حلوة في فم هذا الصبي كما الشهد!" ثم يخاطب الشخص الذي أحضر الطفل الى المدرسة (الأب أو الأم) المعلم قائلاً: *إستادي، بسرا تيلوك گرمه تيلان*، "معلمي، اللحم لك والعظام لنا." وهو يعني بذلك "لاتحطم العظام، ولكن إضربه حتى يتعلم." (في العماديه)]. وهكذا تتم تحلية اللحظة المرة بحلاوة السكر. حيث يجلب الشخص الذي أحضر الطفل معه مخروط سكر، وحلوى سكرية، وبعض البيوض الملونة باللون الأحمر للمعلم (في سنه). ويتظاهر المعلم بعدها بأن الحلوى قد نزلت من السماء بطريقة عجائبية للتلميذ الجديد؛ وفي كل مرة يعود فيها الصبي الى البيت يحصل على بيضة أو قطعة من الحلوى فيركض عائداً مسروراً الى أمه ليحكي لها الحكاية.

القراءة هي أول ما يُدرّس في المدرسة. ويجلب كل تلميذ معه لوحاً صغيراً[11] الى *الميدراش*. ويتم لصق قطعة من الورق على لوحته، يكتب المعلم بعدها بقلم القصب (*قَليمه*) والحبر (في زاخو *دَوويا*؛ وفي العماديه حوبره؛ وفي سنه *مَرَكَّف*) حروف الأبجدية العبرية على الورقة بشكلها التقليدي تماماً. ويضم السطر الأول مما يكتبه المعلم على الورقة الحروف من *أليف* الى يود، والسطر الثاني من *كاف* الى *عَين*، والثالث من پي الى *تاڤ*. وهناك بضع وسائل تساعد في رسم شكل الحروف وترسيخ الصورة في عقول الأولاد، حيث يتم غرس أشكال الحروف الموجودة في السطر الأول عن طريق الأشعار التالية:

ألف إيتلا أربه ريشاواث: أليف، له أربعة رؤوس

بي داخ كانونالا: بيت، مثل الموقد

جيمَل إيتلا دوما: جيمل، له ذنب

دال داخ دَرگيلا [*مَگليلا*]: داليت، مثل الباب

هي برونا ويلله گو خيييڤا: هي، لها إبن بداخل جسمها

ڤاو داخ قَطيعه إيلا: ڤاف، مثل العصا[12]

١١- في العماديه (*لوحا*) وفي سنه والعماديه (دَپه) وفي سنه (تَخته).

١٢- قَطيعه: العصا التي يضرب بها المعلم تلاميذه.

زين إيتلا شَشتا: زَين، لها عمامة

حيت داخ حودا [13] *إيلا*: حيت، مثل دورق الماء

طيت إيدا ويلله گو إيبا: طيت، يدها على ثديها

يود زورتيلا ميخواتوخ: يود، صغيرة مثلك أنت (في العماديه)

[والنسخة التي ذكرها محدِّثي، وهو ايضاً من العماديه تتماشى مع القصيدة المذكورة أعلاه لغاية الحرف (هي). والبقية هي كالآتي:

واو داخ صوبوبيتالا: ڤاف، مثل الإصبع

زَين شَشتيله بريشا: زَين، لها تاج على رأسها

حيت داخ دَرگا إيلا: حيت، مثل الباب

طيت ريشا لكيپا علگاوا: طيت، رأسه ملتو الى الداخل

يود زورتيلا ميخواتوخ: يود، صغيرة مثلك أنت

السطر الثاني:

كاف حور كنونا: الكاف مثل الجحر المستدير

لامد ... ... (؟): لامد ...... (؟)

ميم إيللا غَلَقتا: ميم، مغلقة (الميم المنتهية)

نون ريشا ئيللا مومتا إلي ئودوما ئيللا دعيبتا إلي: نون، رأسها مستقيم وذيلها منحنٍ

نون پورشاقتا: نون، ممدودة (النون الآخرية)

ساميخ جنجوگير ئيللا: ساميخ، مدورة

عَين تري ريشي ئيللا: عين، لها رأسان

السطر الثالث:

پي ريشا ئيللا دعيپا علگاوا حور خووا: رأس پي ملتو الى الداخل كالأفعى

پي پورشاقتا: پي ممدودة (پي المنتهية)

صاديك گيمشابيا إلعيني أوناخيرا أوپوما: صاديك، تشبع العين والأنف والفم

صاديك پورشاقتا: صاديك الممدودة (المنتهية)

١٣- بالعربية (حوض)، ماكلين، القواعد، ص٩٤.

قوف (ريش، شين) إيلا حميلتا ريش دا أقلا: قوف، (ريش، شين) تقف على رجل واحدة[١٤]

تاو أخلتا پلومتيلا: تاو، رجلها معقوفة.]

إضافة الى ما تقدم يتم إدخال الحروف في كلمات سهلة على الصبي وتكون ضمن نطاق تفكيره. وهناك سلسلتان من الكلمات، تضم إحداهما أسماء الأطعمة والأخرى أسماء المدن والقرى. وسلسلة الكلمات الخاصة بالأطعمة هي: *أرعورا* (المن) *بيعه* (البيض) *جوزي* (الجوز) *دوعه* (ناتج فصل الزبده عن اللبن) *هناره* (بالكُردية، رمان) *وَرده* (وردة) *زَبَشا* (بالكُردية، رقي) *حَبرمين* (عصير الرمان) *طاحين* (زيت السمسم - الراشي) *يَقشاتا* (زبيب) (في زاخو والعماديه)[١٥]. [وأضاف محدّثي من العماديه *زيتي* (الزيتون) *وحونّه* (الحناء). والسطر الثاني يرد فيه: *كاميسري* أو *كارصيني* (الكمثرى) *لوبيه* (اللوبياء) *مشمشه* (مشمش) *نيمويه* (الليمون) *سوسينه* (ثمرة تنمو في الجبال؟) *علوجه* (الأجاص). ويرد في السطر الثالث: *پرتاقيله* (البرتقال) *صَنصَفي* (نوع من الثمار؟) *قَرعه* (القرع العسلي) *ريشتَنيسه* (الرشتة أو الشعرية) *شَعده* (اللوز) *توسه* (ثمار التوت) أو *تَرعوزي* (خيار الماء).]

أما أسماء المدن والقرى وغالباً القريبة من العماديه فهي كالآتي: (١) ورمي (أورميه، بغداد، گارَگو، دهوك، هيزان، وان، زاخو، الخليل، طبريا، القدس؛ (٢) كركوك، ليوين (قرب تياري)، ملاختا، نصيبين، سابرا، العماديه؛ (٣) پنيانيش، صيوا (قرب العماديه)، قَدش ([عِقدش] وتبعد عن العماديه مسيرة ساعة ونصف الساعة) رَڤلا، شَرانش، تاصيا (قرب أورَمار). [وهناك نسخ مختلفة ايضاً من السطر الثالث لأسماء المواقع: صابلاق (والأصح صابلاغ)، قارو (قرية تبعد عن العماديه مسيرة يوم) روبار (إسم لنهر وللقرية التي تقع على ضفته، وتقع قرب العماديه) أو رولكه (مدينة تبعد عن العماديه مسيرة يومين)، وتفليس].

وبعد أن يستوعب التلاميذ الحروف يقوم المعلم بكتابة مجموعات مركبة منها على لوحة التلميذ. حيث يجري مزج الحرف الأول بالحرف الأخير والحرف الثاني مع

١٤- ["يقول المثل: شيقر (الكذب) لا أرجل له." والمعنى أن الحروف شين وقوف وريش لا أرجل لها لذا فلايمكن للكذب أن يظل واقفاً.]

١٥- في هذا السياق توجد في سنه تنويعات عدة: *دوشا* (عسل) *حَلوا* (حلوى) *زاتيه* (كعك) حنّه (حناء) تينه (تين).

الأخير ولكن ليس مع الأول وهكذا دواليك كل حرف مع الذي يليه فقط. لذا يقرأ التلاميذ تركيبات مثل: *أليف-تاو، آت؛ بي-شين، باش؛ هي-صاد، باصوطه* (الصاد المنتهية)، *هاص* وهكذا دواليك. وتنتهي هذه القائمة بتركيبات الحروف يود ميم *يام*، *كاف لامد كول*، أما السطر الأخير فيرد فيه: موشي، *حازاق، حازاق، حازاق* (في العماديه وزاخو ودهوك وسنه). وفي أربيل يتعلم الأطفال تركيبات الحروف أبجد، هَوَّز، حطي، كَلَمن، سعفص، قرَشَت[١٦].

ولمدارس العماديه نظام خاص للمبتدئين، حيث يتعلم الأطفال الأساسيات بطريقة عملية. إذ يضع المعلم ثمرة معينة أو أي طعام آخر في يد الصبي ويقول: *بروني بيرَخ*، "ياولدي، ردد البركة" وفي نفس الوقت يتعلم الأطفال الألفباء أيضاً بهذه الطريقة. والخطوة الثانية هي *ماخوره* (مثل هذا). ويجب على الطفل أن يعيّن بإصبعه في كتاب مطبوع الحروف التي تعلمها. وبعد الماخوره تأتي *نوقطه*، "نقاط أحرف العلة" - تعلم أحرف العلة؛ وفي الختام *حُجه*، "المقطع"، أي مزج الحروف والنقاط لتشكيل المقاطع (في العماديه)[١٧].

وحينما ينتهي الطفل من تعلم *الحُجه*، يحتفل بالمناسبة بجلب إناء من الثمار الى المدرسة للمعلم والتلاميذ لأنه سيشرع بعد هذا في القراءة من كتاب مطبوع.

دراسة الكتاب المقدّس

تبدأ دراسة اليهود الكُرد للكتاب المقدّس بسِفر ليڤيتيكوس (ليڤي)[١٨]. ويتوج الوالد اللحظة السعيدة التي يبدأ فيها طفله قراءة التوراة، بإقامة مأدبة عشاء يدعو إليها المعلم وعدداً من الأعيان وبعض التلاميذ الأكبر سناً من إبنه. وفي صباح اليوم التالي يحمل الصبي إناءً آخر من الفاكهة الى المدرسة هدية لزملائه التلاميذ (في العماديه وكذلك زاخو).

ويتشابه الأمر في سنه حيث يبدأ الصبي قراءة التوراة من سِفر ليڤيتيكوس؛ ولكن الذي يختلف هو أن المعلم يكتب له البداية - حتى يصل الى الفصل الثاني - على

١٦- حدثني آيرين گاربيل بأن هذه التراكيب نفسها كانت تستخدم في السابق في تعليم الألفباء في المدارس العربية. [ولازالت تستخدم الى يومنا بين يهود إيران وكثير من الدول الشرق أوسطية؛ قارن كتاب التعليم العبري لپاتاي، الص ٢٢٠-٢٢١.]

١٧- يسمى الصف الدراسي في زاخو: *تنياسا*، نوكته حُرفه، *ميهاگوي*. وفي سنه *ألف* بيت، نوكده، حجوهي.

١٨- في سنه؛ قارن مع "*شبتيت ديلومخه*" ليوسف ي. ريڤلين، *زايون يَديعوت*، ١:٤:٥٩.

صحائف منفصلة يقرأ منها التلميذ. ويطلق على هذه الدروس في سنه *پالي* "الصحائف". ولايشتري الوالدان للتلميذ توراة مطبوعة إلاّ بعد إنتهائه من *الپالي*، حيث تقدّم في احتفال بالمناسبة هدية لمعلم التلميذ. وفي الصباح التالي يأتي الأب ونساء العائلة الى *المدراش* جالبين معهم عدداً من مخاريط السكر.

وقراءة سفر ليڤيتيكوس هو مجرد تدريب على قراءة الكلمات. والأطفال لايفقهون منه شيئاً، لأنهم يقرأونه دون ترجمته. وحين يبلغ التلميذ فقرة *ياتوت ئوتا* پيتيم (ليڤي ٦:٢) يجرّ المعلم أذن التلميذ قائلاً: "ماذا ستدفع لنا؟" فيذكر الصبي مبلغاً من المال يتماشى وقدرة والده المالية، حيث يشتري المعلم بذلك المال فاكهة لتلاميذه (في العماديه وسنه)[١٩]. أما في زاخو فعند بلوغ التلميذ الفقرة المذكورة يحضر التلاميذ طعامهم الى المدرسة ويأكلونه في تلك اللحظة، ويقومون خلال وجبة الطعام بتقطيع الخبز قطعاً صغيرة يلقونها في المرق. وهو ما يفهمه الأطفال من فقرة *ياتوت أوتا* پيتيم. أما في أشنويه فيطلب والد التلميذ الذي بلغ في قراءته تلك الفقرة من إبنه قراءة سفر ليڤيتيكوس من البداية. بينما تهدي والدة التلميذ في تلك الأثناء الى المعلم مبلغاً من المال مع صينية من الطعام والعرق. وبعد إنتهاء التلاميذ من قراءة سِفر ليڤيتيكوس ينتقلون لدراسة الأرقام وسفر تثنية التعاليم وسفر التكوين وسِفر الخروج بهدف تعلم القراءة فقط دون فهم لمعناها (زاخو والعماديه وأشنويه)[٢٠].

يختلف تسلسل المراحل في أشنويه، حيث ينهي التلميذ قراءة فصول من سِفر ليڤيتيكوس لحين تيسّر القراءة عليه لينتقل بعدها لقراءة سِفر التكوين. وبعد سِفر الخروج يأتي سفر يشوع وكافة الأنبياء والكتابات، ولكن مع هذا يظل الأطفال جاهلين معنى ما يقرأون. وخلال هذه الفترة يحضر كل تلميذ إناءً مملوءً بالطعام الى المدرسة خمس مرات: حين يبدأ بقراءة سِفر ليڤيتيكوس، وفي بداية قراءته سِفر يشوع، ولدى قراءته سِفر الأناشيد، وأخيراً عند إنتهائه من كلّ الأسفار (في زاخو).

لايبدأ التلميذ قراءة *الشَرعه* إلاّ بعد بلوغه العاشرة، *والشَرعه* هي دراسة تفسير (*پيروش*) للنص التوراتي وترجمته الى التارگوم، لغة التلميذ. وترجمة النصوص شفاهية توارثها اليهود جيلاً عن جيل. وسِفر الأناشيد هو السفر الوحيد غير المترجم (في زاخو).

١٩- في سنه يقول المعلمون: *خا أكليلا خوارتا هاميتي! كميتي؟*، "هات لي دجاجة بيضاء، هلا قرعت الجرس؟"

٢٠- أنظر ايضاً: ريڤلين، شبتيت *ديلومخه*، ص٥٩، ن ١.

ويختلف ترتيب مراحل هذه الدراسة في العمادية ايضاً. إذ يقيم والد التلميذ مأدبة *سعودت تييمت تورا* [مأدبة ختم التوراة] عقب انتهاء ابنه من القراءة البسيطة للتوراة... بعدها يبدأ الصبي بقراءة سِفر التكوين ثانية ولكن في هذه المرة مع تلميذ أكبر سناً يجلس الى جانبه وهو يتلو عليه ترجمة السِفر مع قراءته هو.

أما واجب تعليم التلاميذ فليس مقصوراً على المعلم لوحده، إذ يساعده في ذلك تلاميذ الصفوف المتقدمة. ويمضي هؤلاء نصف ساعة يومياً في تعليم تلاميذ الصفوف الأولية. بعدها ينهي تلاميذ الصفوف المنفصلة (أو التلاميذ المنفصلون) حصة الدرس بأنفسهم. إذن لا يدرِّس المعلم سوى المبتدئين وكبار التلاميذ فقط. وهناك في كل يوم دراسي إمتحان (*تينايا*) يقف فيه التلميذ ومعلمه–التلميذ أمام مدير المدرسة يستذكران ما تعلّما. وإذا أخطأ المبتدىء يستجوبه المعلم ليعلم أهو المخطيء أم معلمه التلميذ، بعدها يتعرض المقصر الى العقوبة. لا شك أن المعرفة التي يكتسبها هؤلاء التلاميذ سطحية، إذ لايتعلم سوى عدد قليل منهم القراءة بطلاقة وأقل من هذه القلة يفهم ما يقرأ.

التلاميذ الأكبر سناً يقرأون (*عين ياكوڤ وبيت ياكوڤ*) بالإضافة الى الكتاب المقدس. أما المصادر المتعلقة بالتشريع فيدرسون منها الـ*ميشنا وأوراح حاييم*، ولكن دراسة الـ*جيمارا* (شروح الأحبار بالآرامية على *الميشنا*، والتي بإجتماعها مع الميشنا تؤلف التلمود – المترجم) نفسها غير معروفة (العماديه، زاخو، دهوك، سنه). وبما أن معظم الطلاب يترك المدرسة في الثالثة عشرة أو قبل ذلك للعمل وكسب الرزق، فإن عدداً قليلاً جداً منهم يتجاوز في دراسته الكتاب المقدس.

وعند بلوغ التلميذ تُضاف الى منهاج المدرسة بعض دروس تعلم الكتابة والحساب، ويتم تدريس المادتين في فترة ما بعد الظهر. ويتركز درس الحساب (رَقَم) يتركز في تعليم التلاميذ المعلومات التي ستفيدهم في حياتهم العملية من قبيل حساب الأرقام وأسعار البضائع وكيفية ترتيب فواتير التجار[٢١].

العقوبات

العقوبات المدرسية فصل قائم بذاته، فقد إتضح لنا بأن اليهود اكتسبوا بعضاً من قسوة وخشونة البيئة الكُردية. ويتضح ذلك من سلوك المعلم ومن طبيعة العقوبات

٢١- في باشقَلا يستخدمون المسبحة (تسبي) لتعليم التلاميذ الحساب (التقرير السنوي السادس للجمعية الأنگلو يهودية، ١٨٩٧، ص٩٨).

(في العماديه، *جزا*؛ وفي سنه، *جَريمه*) التي سرعان ما يفرضها على تلاميذه.

ويدعم والدا التلميذ قسوة المعلم هذه، وقد رأينا كيف أن ولي أمر التلميذ حين يحضر الطفل للمدرسة لأول مرة يجيء به وهو يحمله على كتفه. ويظهر لنا هذا أنه ينظر الى إبنه كضحية *قوربان*، يسلمه للمعلم بهذه العبارة: "*ميخواثت قوربان طي إستيدت عولام*، "ضحية لرب العالمين". ويضيف الى هذا القول: *پسره طيلوخ گارمه طيلي*، "اللحم لك والعظم لي"[22]. [فهم يعتقدون بأن الأجزاء التي تتعرض لضرب المعلم من جسد الصبي تحرم على نار جهنم. وهكذا فحينما يعود الصبي الى بيته متشكياً من ضرب المعلم، يواسيه الوالدان بالقول: *بروني، مل مَخيلوخ إستيدوخ، كو دوكيت شَبوقيت علاكلي إيبا نوري جهنم لي غاكيم إيبا*، "دع المعلم يضربك، فلن تطال النار ما تلمس عصاه من جسدك". (في العماديه)].

ويعاقب صغار التلاميذ بإجبارهم على الوقوف على قدم واحدة (في العماديه) أو الوقوف حفاة على الأرض الساخنة (أربيل). وهناك عقوبات أخف كجرّ الأذن الذي يسميه التلاميذ (*مَرواده*) القرط، وجرّ الأنف الذي يسمونه (*حوزيمتا*) قرط الأنف. ولضرب التلاميذ يستخدم المعلم أنواعاً متعددة من العصي (في العماديه: *شيبوكه*، وفي سنه: *طول*) والعصا الغليظة (في زاخو: *قطيعه*، وفي سنه: *صيوه*). ويطلق التلاميذ على ضرب باطن الكف بالعصا *دَس گوركه*، "القفازات". هذا ويغتنم التلاميذ كل فرصة تتاح لهم لإخفاء أو كسر عصي المعلم.

أما العقوبات الأشد من هذه فهي *تالتوعه* (في سنه: *تالوعه*)، "التعليق" و*فَلَق* (في سنه: *فَلَقه*) وهي عقوبة معروفة وشائعة في المنطقة إذ يشد تلميذان بإحكام قدمي المذنب بين لوحين معدين لهذا الغرض ويقوم المعلم بضرب باطن القدمين بالعصا. أما *التالتوعه* فيجري فيها تعليق التلميذ المذنب من قدميه بحبل يمر من فوق عارضة خشبية معدة لهذا الغرض. وفي مصطلح الصبيان يطلقون إسم *قَناره* على المكان الذي تجري فيه عقوبة *التالتوعه*، أي مكان تعليق الذبيحة بعد الذبح. فتراهم يقولون للتلميذ المذنب *قناره ويلا مَحدَرتا طيلوخ*، "لقد أعدوا لك المذبح" (في العماديه). ولزيادة الأمر سوءً على المذنب يضع الصبيان كمية من الروث على الأرض قريباً من أنف المذنب ويشعلون فيها النار فتنفث عليه رائحة خانقة. وبعد ذلك، وكأن ما تعرض له لم يك كافياً، يجبرون التلميذ المعلق على إستذكار وتلاوة حصة التوراة

٢٢- في سنه يقول الوالد للمعلم: "*پسَرو طالوح* گرمه *أو* مشكو هو *لوا باكي*، "خذ لحمه وأعد إليّ جلده وعظمه فحسب".

الأسبوعية وهو على تلك الحالة (في العماديه).

هذه العقوبات رغم كل شيء ورغم قسوتها لاتُفرض على نحو علماني (إن جاز التعبير)، بل تُفرض وتنفذ على أنغام آيات التوراة. فترى الأطفال يضربون على إيقاع سفر الأناشيد ٣٨:٧٨ *قَئهو ورا*حوم وهكذا دواليك (في العماديه وزاخو وسنه). وفي سنه إذا ضرب المعلم طفلاً أثيراً لديه فإنه يقرأ الآية: "ليمنحك الرب من ندى الجنة وأماكن الأرض الغنية وكثيراً من الذرة والنبيذ" (سِفر التكوين ٢٨:٢٧).

ويشيع كذلك في المدارس اليهودية معاقبة الأطفال مقدماً كإجراء وقائي. إذ يصفّ بعض المعلمين مثلاً التلاميذ مرتين كل يوم - عند الظهيرة وفي المساء قبل ذهابهم الى بيوتهم - في صف واحد ويضربهم بخفة على أكفهم المبسوطة على إيقاع الأشعار التي يرددونها ونصها: ["لك شكري يا إلهي، يا إلهنا وإله آبائنا إذ جعلتني من الذين يجلسون في بيوت التعلم ولم تجعلني ممن يجلسون في زوايا الطرق" (ب. بَراخوت ٦:٢٨)] (العماديه وأشنويه). وفي بعض المدارس يضرب المعلم التلاميذ يوم الجمعة كنوع من "الدفع مقدماً" ليضمن حسن تصرفهم في اليوم التالي[23]. هذا وتصل قسوة بعض مدراء المدارس حدّ الإفراط، إذ وعت حالات تعرض فيها التلاميذ لضرب مبرح أقعدهم في فراش المرض لعدة أسابيع.

أحياناً يذهب التلاميذ في الطقس الحسن الى ضفة النهر بدلاً من الذهاب للمدرسة، فيعاقب الجميع على إثرها *بالتالتوعه* (في العماديه). وقد حدثوني عن تلميذ خرج في نزهة بريئة الى محل يبعد عن العماديه مسيرة ساعة بدلاً من الذهاب الى المدرسة. فأسرع المعلم للحاق به، فما كان من الصبي المرتعب إلاّ أن واصل الهرب خوفاً منه وإستمر يعدو حتي بلغ بامَرني التي تبعد مسيرة ست ساعات عن العماديه. وهناك وبعد أن خارت قواه أمسك به المعلم الغاضب وأشبعه ضرباً حتى لم يعد الصبي قادراً على السير أو الكلام. فتعين على المعلم الذي كان لايزال يغلي من الغضب أن يحمل التلميذ في طريق العودة الى البيت. ولما ملّ من حمله الثقيل ألقى التلميذ على الأرض وكأنه يلقي كيساً.

ويستغل المعلم تلاميذه لأغراضه الخاصة. ففي سنه مثلاً وعند ذهاب المعلم للعمل كشوحيط عند شخص ما، فإنّه يفرض على تلاميذه إنجاز أعماله المنزلية اليومية والتي تتمثل في تنظيف البيت والتسوق وإحضار مواد البناء، أي باختصار يعامل تلاميذه معاملة العمال.

٢٣- في سنه يضرب التلاميذ يومياً، لكن دون أن يرافق ذلك ترديدهم الأشعار.

وإجمالاً يعتبر التعليم في مستوى متدن، إذ لايتعدى ما يتعلمه الطفل القليل من القراءة والكتابة دون فهم ما يقرأ. ولهذا ليس من الغريب أن تجد في بيئة كهذه عقوبة كالتي سنصفها فيما يلي: يوقف الطفل الذي لا يعرف شيئاً في إحدى زوايا الغرفة ويقول المعلم للتلاميذ: *روكون إيللي تار لايپ*، "ابصقوا عليه لكي يتعلم" – وهو ما يقوم به باقي التلاميذ (في العماديه)[٢٤]. فينعت التلاميذ الصبي الغبي بقولهم: *أماريصا*، *توركا ليسا*، "جاهل، كيس الصمغ". [ومرة أخرى يعيّرون صبياً كهذا بقولهم: *ريشوخ ريش كيپا إيله*، "رأسك رأس حجر!"].

ولعلاج تخلف التلاميذ يتم اللجوء الى العلاجات السحرية، حيث يقوم الحاخام كما في حالة الرجل المريض بكتابة أسماء ملائكة معينين على قصاصة ورق أو بيضة ويغسل الحبر عنها بماء يشربه الطفل. وقد يكون العلاج أكثر فعالية اذا كُتبت أسماء الملائكة على ثمار اللوز. وعلى الطفل وضع ثمار اللوز تحت وسادته عند النوم ليأكلها صباحاً. ويُنظر الى ثمار اللوز على أنها ذات فاعلية كبيرة لأن شجرة اللوز تحمل ثمارها قبل الأشجار الأخرى. وهناك علاقة بين اختيار اللوز وبين سفر الأشعار الذي يقول: "ثم قال لي الرب: لقد رأيتِ بنفسك، لأني أراقب [الضمير هنا يعود على شجرة اللوز] كلماتك لكي تنفذيها (سفر إرميا ١٢:١).

والأطفال ايضاً يمارسون السحر. حيث يلقون الورقة التي يكتبون عليها تمارين الكتابة في أحد الينابيع آملين أن يصبحوا (*معيان حوخما*) ينبوع حكمة. وثمّ ممارسة تناقض هذه تماماً وتكمن في قيام أحد التلاميذ بإحراق ورقة تمرين الكتابة العائدة لأحد زملائه معتقداً أنه بذلك إنما يحرق معها ذكاء صاحبها (في سنه). وكذلك حين يقوم التلاميذ بقص أقلامهم القصبية من نبات القصب يأكلون نخاع القصبة لإعتقادهم بأن ذلك يجعل منهم خطاطين مهرة (في زاخو). كما يعتقد التلاميذ بأن لعق الحبر ايضاً يجعل منهم خطاطين (في العماديه).

أما العلاقات السائدة بين التلاميذ في المدرسة فهي على العموم جيدة، حيث يتبادلون ألقاباً أبرزها وأحسنها لقب يوعاب بن صيروويا أو أفنر بن نير. ولقب إبن الكفير هو داويد. أما المشاكس فيُنعت بلقب تيتوس أو يروفعام بن نبات.

السفرات الطلابية

أهم أحداث العام الدراسي يتمثل في السفرات الطلابية (*سَرينه تَلميدا*) حيث

٢٤- فيما يتعلق بالبصاق علاجاً سحرياً، أنظر ايضاً ص١٨٨.

يشعر التلاميذ أنهم بالغون وبالمودة تجاه الأكبر منهم. وأهم تلك السفرات الطلابية يكون في الپاسوڤر (*سَرينه پاتيره*) وشاڤوعوت (*سَرينه زبيرا*) والپيوريم (*سَرينه ميگاله*) وهانوكّه (*سَرينه حَنوكه*). وإضافة الى هذه، هناك سفرات أخرى خاصة كما في *شاباث نَحامو* وفي المناسبات التي تخص التلاميذ مثل عيد ميلاد أحد أبناء المعلمين أو إنتهاء أحد التلاميذ من قراءة التوراة (*سَرينه خَتيمه تورا*).

للتلاميذ في كل مدرسة رئيس *أورويت تَلميدا*. يساعده *شَماش تَلميده* وإثنان من الصبية مهمتهما قطع الأخشاب لتوفير الحطب (*تَويرت صيوه*). وهؤلاء الثلاثة الشَمّاش والحطابَان مستثنون من دفع التبرعات لصندوق الطبلة.

للتلاميذ صندوق لجمع التبرعات يدعمونه بطرق متعددة، منها إستلام التبرعات من الرجال الذين يُدعون لقراءة التوراة والعرسان، وإشبين العريس، وآباء الأطفال المولودين حديثاً. وتستخدم أموال الصندوق لتغطية نفقات السفرات الطلابية. فقبل القيام بأي سفرة يجمع *أورويت تَلميدا* المال من التلاميذ، حيث يتم شراء خروف بذلك المبلغ – هذا إن لم يكن شراء الخروف من واجب والد أحد التلاميذ كما هو الحال عندما تكون السفرة بمناسبة إتمام إبنه قراءة التوراة في *سَرينه خَتيمه تورا* – بعدها يقوم *شَماش تَلميده* بجولة على بيوت التلاميذ لجمع بقية لوازم السفرة.

قد يدعو التلاميذ أحياناً البالغين للإشتراك في سفرتهم، وخصوصاً الأغنياء لأنهم سيحضرون معهم بعض العرق. وفي الموقع الذي يختاره البالغون للسفرة تخصص للتلاميذ زاوية خاصة بهم (*دوكه تَلميده*) حيث يشرعون في الرقص والغناء. بينما تقوم النساء المشتركات في السفرة تتزعمهم زوجة المعلم – بطبخ طعام السفرة في الموقع (في العماديه وأشنويه). وكما أسلفنا يقوم التلاميذ بالإعداد لسفرة اذا رزق معلمهم بصبي. ويقومون بجمع الطعام بنفس الطريقة التي يجمعونها للإحتفالات الأخرى، وتُقام مأدبة للإحتفال بالمناسبة في بيت المعلم (في العماديه).

17

الكُنيس

تتمحور الحياة الإجتماعية لليهود اليمانيين حول الكُنيس (كنيس). فالكُنيس عندهم ليس مجرد دار للصلاة فحسب، بل يمكن لنا نحن [الألمان] القول بأن ما يمثله بيت الرجال إنما يماثل بناية مقر النادي أو مقر مجتمع الهنود الأمريكيين أو سكان جزر بحر الجنوب[١]. أما بالنسبة لليهود الكُرد فإن الكُنيس لم تكن له هذه الأهمية. فالكُنيس بالنسبة لهم ليس سوى مكان يجتمعون فيه لأداء الشعائر الدينية. كما أنّ كون الدراسة الجماعية للتوراة غير معروفة عندهم إنما يساهم في تعزيز هذا الموقف. ففي كُردستان يعتبر المنزل مكاناً لتجمع الرجال أكثر من الكُنيس، وحتى لو دعت الحاجة كما في حالة الحاڤريه في العماديه لغرفة منفصلة للإجتماعات لايلجأ اليهود الكُرد الى الكُنيس بل يخصصون غرفة أخرى في مكان آخر.

أعمار الكُنيسات وأسماؤها

قبل الخوض في أية تفاصيل عن الكُنيسات[٢] في كُردستان يتعين علينا إجراء تحقيق شامل دقيق عنها وكذلك القيام بتنقيبات أثرية معينة عنها. لاشك أن العديد من الكُنيسات الموجودة الآن قديم جداً كما يظهر من خصوصياتها المعمارية.

حيث يُقال أن تاريخ بناء *صلولت قلعه*، "كُنيس القلعة" في أربيل القديمة (ذلك القسم من أربيل الواقع على التلة) يعود الى القرن السادس عشر. ولكن لم تبق سوى أجزاء من هيكله القديم وذلك بسبب تجديد بنائه مرات عديدة.

أما كنيس *ناڤى حزقييل* في العماديه الذي يعتقد أنه بُني في١٢٥٠ فيستحق بعض التأمل والإهتمام. إذ يوجد على أحد أعمدته الخشبية كتابة [لغتها عربية لكن حروفها عبرية] ليس عليها تاريخ تقول: [*أول عمارتها أتقنت ايضاً تجددت في ١٥٥٩، ايضاً تجددت في ١٥٦٠؛ ايضاً في ١٦٠٠ تجددت صفوفها*][٣]. ويعلق سفر *پيترون حالوموت*، "كتاب تفسير الأحلام" المكتوب في ١٧٨٨ والموجود الآن

١- براوَر، إثنولوجيا اليهود اليمانيين، ص ٣٠٣.

٢- في زاخو ودهوك والعماديه، والسليمانيه ايضاً تسمى كنيشتا، وفي أربيل: *صلولا*.

٣- [ترجمه عن العربية ر. پ.] (الموجود هو النص العربي وليس ترجمة پاتاي - المترجم.)



كنيس ناڤي حزقييل بالعماديه

لدى أحد حاخامات العماديه - على الكتابة المذكورة بقوله: "بداية بناية الكُنيس كانت في ١٥٥٩ [من تقويم] من الوثائق ولم يكتمل بناؤها إلاّ في العام الثاني أي في ١٥٦٠ من الوثائق. وبعد أربعين سنة بنوا القاعات المحيطة بالفناء أي في ١٦٠٠ من الوثائق"[٤]. [وتعبير "السنة كذا وكذا من الوثائق" الوارد في هذا التعليق إشارة الى العهد السلوقي، الذي كان أساساً لفصل التواريخ خلال عصر المحفل الثاني وظل يستعمل في بعض المجتمعات اليهودية حتى الأزمنة الحديثة. ويبدأ حساب العصر المذكور من بداية ٣١٢ أو ٣١١ ق.م السنة التي عاد فيها سلوقس الأول نيكاتور الى بابل عقب معركة غزة؛ أي أن العام ١٥٥٩ "من الوثائق" يقابل ١٢٤٨م، و١٥٦٠ من الوثائق يقابل ١٢٨٩م].

ومن المثير أن نذكر بأن الإسكندر الأكبر قد تم إستبداله في الذاكرة الشعبية بسلوقس الأول نيكاتور الذي ترتبط بإسمه الفترة المذكورة في الوثائق. وأحد محدثيَّ الذي ترك العماديه عام ١٩٢٥ قال لي في القدس في ١٩٤٥ بأن التاج الخشبي للعمود الجنوبي الغربي، أحد الأعمدة الأربعة المنتصبة في وسط الفناء الداخلي للكُنيس يحمل هذه الكتابة: [*أول أَمارتها* ١٥٤٩ [كذا] *ليشتاروت إسكندر*،

٤- أسّاف، "*لا تولدوت*"، زايون ٦ (١٩٣٤): ١١١، ص٢٧.

أَحـاري أربعـيم شَنَه بانو إيت هاعـازاروت، "بوشـر ببنائه في ١٥٤٩ من وثائق الإسكندر؛ وبعد أربعين عاماً بُنيت القاعات"].

أما أسماء الكُنيسات فمتنوعة، فبعضها يميّز وفقاً لحجمه مثل: كنيشتا *رَبته* [الكُنيس الكبير] وكنيشتـا *زورتا* [الكُنيس الصغير] (في زاخو وسنه وأربيل). والبعض الآخر وفقاً للمحل الذي يقع فيه مثل *صلولت قَلعه* في أربيل (المذكور أعلاه) والكُنيسين الأعلى والأسفل في العماديه.

وفي كثير من الأحيان يحمل الكُنيس إسم عائلة أو كَفير كما في اليمن – حيث تُبنى الكنيسات بمبادرات فردية خاصة لا كما هو الحال في كُردستان حيث الكُنيس شأن عام للمجتمع[٥]. وفي أشنويه يوجد كُنيس يطلق عليه إسم *كنيست موسا* [كُنيس موسى] على إسم الكاباي موسى، وفي السليمانية يوجد *كنيشتا مَعير موشاكا* [كُنيس معير موشاكا].

وإضافة لذلك هناك كُنيسات عريقة تحمل أسماء شخصيات الكتاب المقدس، على افتراض أن لتلك الشخصيات صلة من نوع ما مع تلك الكُنيسات أو (بأي حال) بالمناطق القريبة منها. ففي الموصل وبيت ناعورا هناك كُنيسات تحمل إسم النبي إيليا. وفيما يلي قصة عن *كنيشتا سيّد إيليا* [كُنيس السيد إيليا] في بيت ناعورا:

> قبل سنين عديدة عندما كانت توجد حوالي ثمانمائة عائلة يهودية في بيت ناعورا، أراد المجتمع اليهودي بناء كُنيس له. وشرع العمال في البناء؛ لكنهم حين بلغوا موقع البناء في صباح اليوم التالي لم يجدوا أي علامة لما قاموا به من عمل بالأمس. إذ كان النبي إيليا قد نقل الجزء الذي بنوه من الحائط الى بقعة قريبة من الكهف الذي يُقال أن قبره فيه، والذي يعتبر مزاراً في كُردستان. ولأن الكهف يقع خارج المدينة فقد فضّل أعيان اليهود أن لايبنوا الكُنيس بالقرب منه. لكن كلما بنوا جزءً من الكنيس في الموقع الآخر كانوا يجدونه في الصباح التالي قد انتقل الى الموقع القريب من الكهف. وذات ليلة برز إيليا في المنام ليهودي يدعى إيليا خديده، وقال له: "إذا لم تبنوا الكُنيس بالقرب من كهفي فسأدمركم جميعاً". وهكذا تم بناء الكُنيس قرب كهف إيليا.

٥- براوَر، إثنولوجيا اليهود اليمانيين، الص ٣٠٦-٣٠٧.

موقع الكُنيس

يمكن إعتبار بناء الكُنيس الكُردي قريباً من مصدر للماء الجاري سمة مميزة لكُنيسات كُردستان. والرغبة في الإغتسال الشرعي داخل الكُنيس هي الدافع لإختيار هذا الموقع. لذلك تعتبر ضفة النهر الموقع المفضل لبناء الكُنيس وقد يتم إختياره في كثير من الأحيان حتى لو كان بعيداً عن المدينة[٦]. فلزاخو ودهوك وبيت ناعورا جميعاً كُنيسات مبنية قرب ضفاف الأنهار. وقد تُمدّ الينابيع الى الكُنيسات في أماكن أخرى كما في نيروه وچالا وبيجار وأشنويه. فقد بُني كُنيس عقره خارج المدينة ليكون عند أحد الينابيع. ويتدفق ماء الينبوع في قناتين تدخل إحداهما البناء والأخرى تجتاز فناء الكُنيس. ويصف لنا بنيامين الثاني ذلك الكُنيس بالقول:

> "وسط الحقول وعلى نصف ساعة من المدينة، ينتصب الكُنيس المتميّز ببنائه القديم، وبالقرب منه خزان ماء يستخدم كحمام للنساء... وفي كل [في الطبعة الألمانية "جمعة"] ظهيرة يذهب اليهود الى النهر الجاري قرب الكُنيس" (ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، الص ١٠٤-١٠٥).

التصاميم

يقول يهود العماديه بأن تصاميم كُنيساتهم تماثل تصاميم كُنيس بيت *مقداش* [هيكل القدس الوارد وصفه في سِفر حزقييل]. وتتشابه غالبية الكُنيسات الكُردية في جانب من تصاميمها وبالتحديد في إمتلاكها جميعاً لباحة داخلية مسوّرة[٧] تستخدم صيفاً ككُنيس صيفي. وعلى النقيض من الكُنيسات اليمانية – التي تتألف عموماً من بضع غرف في أحد البيوت[٨]– فإن كُنيسات اليهود الكُرد تكون على الدوام بنايات مستقلة تُبنى لهذا الغرض. وهي حقيقة تشهد على الإختلاف الكبير بين هذين المجتمعين اليهوديين.

٦- [مع ذلك، قارن "تاشليك" ليعقوب ز. لوترباخ، النشرة السنوية لكلية الإتحاد العبري، العدد ١١ (١٩٣٦)، الص ٢٠٧-٢٠٨.

٧- نشر وولتر شوارتز خرائط أولية لكُنَيْسيْ العماديه، كنيس ناڤي حزقييل وسندور، *JR*، عدد ١٢ تموز ١٩٣٥. كما وهناك وصف لكنيس سندور: ["والكنيس في حدّ ذاته... يستخدم شتاءً كمكان للعبادة. أما في الصيف فيتحوّل الى مخزن لغلال المجتمع وقد وجدنا... في إحدى زواياه كومة كبيرة من الزبيب" (المصدر السابق، ترجمه عن الألمانية رافائيل پاتاي)]

٨- براوَر، إثنولوجيا اليهود اليمانيين، ص ٣٠٠.

لقد إخترنا كنموذج *للكنيشتا* الكُردي كنيشتت *ناڤي حزقييل* في العماديه العليا والتي بُنيت (كما أسلفنا) في حوالي ١٢٥٠. وتصميمه مشابه لتصميم كنيشتت *عزرا هاسوفير* الأقدم منه. حيث تظهر في خريطة تصميمه ثلاثة أقسام: الفناء، وبناية الكُنيس، وجناح (مرتبط بالبناية) مؤلف من غرف صغيرة.

باحة الكُنيس

باحة الكُنيس (*حَبيبل* [بيت البوابة])، على المرء أن يجتاز بوابتين للدخول الى الكُنيس، وهو مطلب تم إستنباطه من سفر الأمثال ٨:٣٤: "سعيد هو مَن يستمع اليّ، ويراقب أبوابي يومياً، ويقف على أعتاب أبوابي" (وكذلك في سنه). [عند دخول الكُنيس، يقف الناس للحظة في *الحَبيبل* حيث يتركون غلايينهم وما الى ذلك، ثم يدخلون الباحة.]

تشرف على الباحة منصة مرتفعة عنها (دَكّه، وجمعها دَكيثِه) يغطيها سقف قائم على دعائم خشبية مزينة (*ستون*) لها تيجان (*گولسه*) متدرجة تشبه التيجان الساسانية[٩]. [يبلغ إرتفاع هذه التيجان حوالى ٣-٤ أمتار وعرضها متراً واحداً؛ أما الأعمدة نفسها فإرتفاعها متران ونصف المتر]. وتختلف الأعمدة في تفاصيلها الدقيقة حتى ليبدو وكأن كل تاج ينتمي لفترة مختلفة. وفي وسط الباحة (المفتوحة على السماء والمحاطة بالأعمدة الخشبية) فسحة على شكل حديقة مزروعة بالأزهار والأشجار ومحاطة بحائط حجري منخفض. [وتحت القسم المركزي من الباحة يوجد خزان كبير جداً وعتيق لخزن المياه به فتحة صغيرة في وسطه وثقب في جانبه الجنوبي. كان هذا الخزان محطماً لعدد من السنين فكانت مياه الأمطار التي تدخل فيه تتسرب الى باطن الأرض.

وخلال أداء الصلوات لايجلس أي شخص على سياج الفناء لكن في أيام السبت بعد انتهاء صلاة *الموساف* يجلس أعضاء حيڤرا *قاديشه* لاحتساء العرق].

شعائر الكُنيس تقام في الباحة في أغلب أوقات السنة، أي من پيوريم الى هانوكّه. وفي الجانب الغربي من الكُنيس تم توسيع المنصة لتتسع لمنصة القراءة (*سِيدَه*) وجلوس كبار السن أيضاً.

أما للفترة من پيوريم حتى *هانوكّه* فتقام الشعائر داخل بناية الكُنيس وهي ذات

٩- حسب مصدر معلوماتي، لايوجد هذا النوع من الأعمدة إلاّ في العماديه وفي الأبنية اليهودية بالذات.

هيكل ثانوي من الحجر المقطّع. والجدارن - وهي حجرية ايضاً - يعود تاريخ بنائها الى عهد أحدث. وليس هناك نوافذ ولايدخل الضوء إلاّ عبر فتحات في السقف ومن خلال الأبواب الثلاثة المواجهة للباحة. ويطلق على تلك الأبواب *هيخالوت* [وتعني حرفياً القاعات] لأنها مغطاة بالستائر.

وسقف البناء [الذي يحيط بالباحة في شكل هيكل مربع] ينتصب على أعمدة خشبية نُقشت على تيجانها كتابات ونقوش معينة تتضمن التواريخ وبعضاً من أشعار سِفر الأناشيد، [أشرنا الى واحدة من تلك الكتابات في ص٢٩٧. ويحمل تاج العمود الجنوبي الشرقي كتابة (عبرية) جاء فيها: "كل الأمم التي خلقتها أنت ستاتي وتعرض نفسها أمامك وستمجّد اسمك، سَلاه" (سِفر الأناشيد ٩:٨٦، مع تحويرات طفيفة).]

يقول اليهود بأن قسماً [إثنين] من الأعمدة أشجار لازالت جذورها راسخة في الأرض[١٠]. [بُني الكُنيس في موقع كان مزروعاً بأشجار الجوز واللوز في السابق. وعند بناء الكُنس، صمم البناء بحيث تبقى شجرتان من أشجار البستان في مكانهما كدعامتين مركزيتين لبناية الكُنيس. فتم قطع الأغصان وأقيم سقف البناء على الجذعين المنتصبين. وتنتصب الشجرتان العمودان في وسط الكُنيس الى الشمال قليلاً من *باما*]. والمكان الذي يجلس فيه الرجال القرفصاء (الذي يسمى أيضاً دكه) مغطى بالحصران، بينما يجلس علية القوم على بسط خاصة تعود الى الكُنيس تؤجر لهم ويدفع المحفل أجرتها[١١].

لكل فرد مكان ثابت في الكُنيس يتوارثه عن آبائه ولايغيره إلاّ من كان في حِداد حيث يجلس هؤلاء في الزواية الشمالية الشرقية داخل الكُنيس. أما علية القوم فيجلسون على يمين الـ*هيخال* [تابوت العهد] الذي يوضع بمواجهة المحفل. وفي سنه لكل عائلة مكانها الثابت المتوارث، أي يجلس أفراد المحفل وفق ترتيب العائلات وليس حسب السن. وتجلس عائلات كافة الأطباء في مكان واحد. وكانت في السابق تحدث مشاجرات عنيفة بسبب تغيير أحدهم مكانه وجلوسه في مكان عائلة أخرى، لدرجة أنّ المنازعات كانت تصل حدّ عرضها على السلطات الحكومية.

١٠- ينطبق هذا على كنيس عيزرا ها سوفير في العماديه ايضاً. [ويذكّرنا العمود بأسطورة تلمودية تقول إنّ أعمدة هيكل القدس إنما كانت أشجاراً مخضرة وجذورها غائرة في أعماق الأرض.] (قارن رافائيل پاتاي، الإنسان والأرض، القدس ١٩٤٣، المجلد الثاني، الص ١٩٧ وما بعدها؛ المصدر السابق، الإنسان والهيكل، أدنبره ١٩٤٧).

١١- لـمّا سُرقت هذه السجاجيد ذات مرة في سنه، عوّضهم عنها حاكم المدينة بأخرى بديلة.

[الأرضية داخل الكُنيس منخفضة عن الباحة حيث ينزل الداخل اليه ثلاث درجات تماشياً مع الآية القائلة: "لقد ناديتك من الأعماق"] وهناك وسط بناية الكُنيس منصة ترتفع عن أرضيته (دوشكا)[12] تنتصب عليها منصة القراءة (سِيدَه) وهي منضدة طويلة ذات أربعة مساند (إقليثه) في زواياها توضع عليها تيجان التوراة وسبع تجاويف توضع فيها المشاعل في اليبوريم (فقط في العماديه، أنظر ص ٤١٧). أما في زاخو فلا وجود للمساند إقليثه لأن تيجان التوراة تبقى على رقوقها خلال القراءة ولايطرح شرف إزالتها أثناء القراءة في المزاد. وفي سنه تنتصب السِيدَه على منصة مرتفعة عن الأرضية بعض الشيء والى جانبها عدد من المقاعد لأعيان القوم وهي كذلك مقاعد تتوارثها العائلة جيلاً بعد جيل.

الهيخال - الحَرَم

في الجانب الغربي من كنيشتا ناڤي حزقييل ثلاث غرف، الوسطى تسمى دوكه أو مَنزَلْ وهي صغيرة جداً فيها دولاب خشبي بمجرات يسمى (صُندوق) لحفظ رقوق التوراة وله باب خشبي مغطى بستار. كما تحوي الدوكه على مَگيلا [رقّ إيستر]، وكرسي إلياهو [كرسي إلياهو]، والشوفار، والمَلقوت (أشرطة جلدية) للجَلد عشية يوم كيپور وجرة من زيت السمسم.

على الجدار الشمالي للدوكه قرب السقف هناك فتحة ضيقة مطلة على الغرفة الثانية التي تستخدم بمثابة بي جينيزا (غرفة خزن) للمخطوطات العبرية والكتب التي لم تعد تصلح للإستخدام لرثاثتها.

أما الغرفة الثالثة وهي بي خَمره (غرفة الخمر) فتتصل بالدوكه من الجهة الجنوبية، وفيها يتم خزن الخمور اللازمة للإستخدام من قبل الكُنيس أو الحاڤَريم. [وأرضية الجينيزا أقل إرتفاعاً من أرضية الكُنيس وهناك فتحة صغيرة في الكُنيس تؤدي الى غرفة الخزن التي تحتوي حوالي ثلاثمائة من رقوق التوراة وعدد كبير من كتب الصلوات]. أما في زاخو فهناك غرفة منفصلة للهيخال تقع في الزاوية الجنوبية الغربية من الكُنيس ومرتفعة عنه قليلاً، فيها رقوق التوراة موضوعة على رفوف (دَكانيثه) على جدرانها الغربية والجنوبية دون غطاء يغطيها أو يحميها. كما تحتوي هذه الغرفة في زاخو كرسي إلياهو، المَلقوت، والقناديل مع ملحقاتها ومؤونتها.

١٢- ژابا، القاموس، ص ١٩٤: دوشَك، "فراش، وتعني حرفياً الفرشة الخاصة بالنوم".

أما في سنه – في المناطق الكُردية الفارسية – فإن رقوق التوراة لاتُحفظ في غرفة منفصلة. إذ يشمل الهيخال هنا على محاريب (تيقه) في الجدار الغربي ولهذه المحاريب أبواب كما أنّها مغطاة بالستائر (پَردي) – وعادة ما تكون عدة ستائر الواحدة فوق الأخرى تأتي من الهدايا ويمتلك الكُنيس الكثير منها. وهناك في أربيل وأشنويه وقرية سندور نفس النوع من الهيخال.

رقوق التوراة

تحفظ رقوق التوراة في صناديق خشبية ثقيلة الوزن مربعة تسمى (تيك، وفي العماديه تيكه) ذات دعائم فضية عادة[13]. أما رقوق التوراة الأحدث فتحفظ في صناديق دائرية تشبه تلك التي يستخدمها يهود السيفاردي. وفي سنه تغطى هذه الصناديق الخشبية الدائرية (قاپ) بالقماش وتُزيَّن بمسامير معدنية.

تاج التوراة – بَرَشه ١٨٦٣.
مجموعة براوَر

أما عاصا حاييم [بالعبرية وتعني حرفياً "أشجار الحياة]، وهي العصي التي تُلف عليها رقوق التوراة فتسمى شيبوكا (في زاخو والعماديه) أو (عامود) في سنه. وللرقوق عباءة واحدة أو أكثر لتغطيتها (في العماديه: فَرَجي [أو حوپو]، وفي زاخو: كورتَك، وفي سنه: كابي)، تتبرع بها زوجات أو الإناث من أقارب المتبرعين بالرقوق، أو الأمهات اللائي أصاب المرض طفلاً لهنّ. وتخيط النساء أيضاً عملات وحبات المرجان (كِسنه) وحمالات التعاويذ (خياروكه) وما الى ذلك على عباءات التوراة ويقدمنها هدايا في مناسبات متنوعة وفاءً بنذور قطعنها.

وعلى قمة العصي تأتي تيجان التوراة (ريمّونيم أو ريمونيا)[14]. وكل الريمونيم

١٣- التيكه القديمة في العماديه، كانت عبارة عن صناديق خشبية غير مزخرفة.
١٤- تطلق على الريمّونيم عند البيع تسمية عاصا حاييم في العماديه. وفي سنه تسمى تاج تورا ايضاً وتعني "تاج التوراة".

الكُردية التي رأيتها مصنوعة من الفضة على الطراز الكلاسيكي والمواضيع الرئيسة لزخارفها قد تكون مستمدة من التراث التركي. فزوج *الريمونيم* من كُنيس قرية بَرَشه[١٥] مصنوع من الفضة على شكل تصميم لأوراق العنب، ويتألف من أربعة أقسام: (١) الساق، (٢) و(٣) الكرة التي يمكن فصلها الى نصفين؛ و(٤) اللولب يدور الى جهة اليمين. وقد رأينا (في ص١٨٢) كيف يصب الماء في نصفي الكرة ليباركه الحاخام وتشرب منه بعد ذلك المرأة التي تعاني مخاضاً عسيراً.

القسم العلوي من الكرة عليه سطر مفرد لكتابة (بالعبرية) محفورة على طول حافتها تقول: "هذه ريمونيم مقدسة لدى الرب، فهي لاتباع ولاتسترجع. [من ممتلكات] كُنيس محفل بَرَشه المقدس (لتُبنى مدينتنا [أي أورشليم]، آمين!) في العام ١٨٦٣م". وهناك أجراس صغيرة (في العماديه: زيگه [لسان الجرس، والجرس نفسه يطلق عليه إسم زِنگروگي]؛ وفي زاخو: زِنگلي؛ وفي سنه: زَنگُله) معلقة بالريمونيم.

في زاخو يتركون *الريمونيم* دائماً عى رقوق التوراة. ولايرفعونها إلاّ في حالات القلاقل حيث يخفونها في منزل *الگاباي* لحمايتها من الضياع. أما في العماديه وعلى النقيض من ذلك، فلايُبقون سوى ثلاثة أزواج من *الريمونيم* في الكُنيس فيما تحفظ البقية عادة في منزل *الگاباي*. ويجري استبدال هذه التيجان بأخرى مرتين كل شهر تقريباً حتى يكون لجميع التيجان شرف استخدامها زينةً لرقوق التوراة التي يقرأ منها اليهود فعلاً. وتستخدم *الريمونيم* كذلك لتزيين كرسي إيلياهو الذي توجد فيه مواضع خاصة توضع عليها التيجان.

في الماضي، كان في كُردستان عدد من معلمي التشريع اليهودي، لذا فإن قسماً من رقوق التوراة – المكتوبة على الجلود – هي من صنع محلي.ولكن منذ انقراض هؤلاء[١٦] فإنهم يجلبون الرقوق من الموصل وبغداد أو (في كُردستان الفارسية) من همدان. ويختلف عدد رقوق التوراة الموجود في كل كُنيس. ففي كُنيس زاخو الكبير يوجد عشرون رقاً، فيما توجد في الكُنيسات الصغيرة عشرة، وفي كُنيس عزرا هاسوفر سبعة رقوق أما كُنيس ناڤي حزقييل ففيه حوالي إثني عشر رقاً[١٧]. وفي

١٥– مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ٣٨:٧٠. هناك نموذج مماثل موجود الآن في الكنيس الذي شيده المهاجرون من بَرَشه بالقدس. والنموذج مشكّل بالطريقة ذاتها ويعود تاريخه الى ١٧٨٣م.
١٦– عاش في العماديه كل من الحاخام ريحاميم والحاخام حاييم (في حوالي ١٨٩٠) وقد اشتهرا بنسخ التوراة.
١٧– يقال أنه يوجد في جنيزا كنيس ناڤي حزقيل حوالي مائتي رقّ توراة قديم وبالٍ.

كُنيس سندور يوجد أقل من عشرة رقوق[١٨].

يُضاء في داخل الهيخال أو على بابه "قنديل أبدي" *شَريعه* (يسميه الحاخامات وحدهم وبالعبرية: نير *تاميد*). كان هذا القنديل يصنع في السابق من الحديد إلاّ أنه الآن يصنع من الخزف، ويوضع عادة على صندوق خشبي قرب الباب. فيما يضعونه في العماديه على حمالة حديدية ثلاثية الأرجل.

وعلاوة على القنديل الأبدي هناك وسائل إضاءة أخرى تضاء باستمرار. فالعائلات التي مات أحد أفرادها تقدم في بعض الأحيان هدية للكُنيس على شكل مؤنة من الزيت لكي يبقي الشَماش هذه القناديل مضاءة مدة عام كامل. وفي سنه تجد في الغالب ثلاثين الى أربعين من هذه القناديل تشتعل في نفس الوقت.

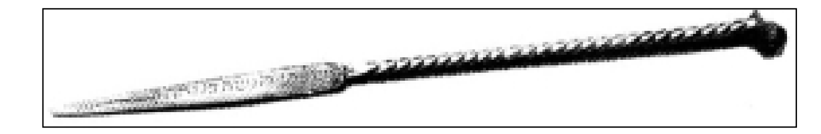
وفي أيام السبت وأيام الصوم خاصة تزداد أعداد هذه القناديل المضاءة. ففي بعض الأحيان تقوم أم ثكلى، أثناء حملها بطفل آخر، بإيقاد قنديل على أنّه "نور النبي إيليا" لطفلها كل يوم سبت مع إطلالة القمر في الشهر الجديد، وفي يوم الصوم لستة أعوام متتالية (زاخو).

الغبار وبقايا الزيت المتخلفة عن "القناديل الأبدية" هذه تعتبر وسائل علاج قيّمة. لذا تجد المصاب بآلام مبرحة يذهب الى الشَمّاش مستجدياً منه قليلاً من *شخِتت بينونتا* "غبار [مخلفات] الرفوف" ليستخدمها كمرهم (في زاخو والعماديه).

وخلال قراءة التوراة لايوضع الرق مفتوحاً على ظهره بل يُسند الى ظهر *السيدِه*. ويسمى المؤشر الذي يستخدم أثناء القراءة (في العماديه: يَد أو *ميخوثا*، وفي سندور: *مانخيدا*، وفي سنه وأربيل *قَلَم*) والذي ليس على نفس الهيئة – التي تصادفنا كثيراً في الأماكن الأخرى – هيئة كف إحدى أصابعه ممدودة. فلدينا مؤشر قراءة من بَرَشه[١٩] صناعته بسيطة لكنه يُظهر حساً راقياً في شكله وأسلوبه. وبعض المؤشرات عليها كتابات محفورة (كأن تكون مثلاً إسم الذي تبرع بها).

وخلال مراسيم البركات، يغطى رق التوراة بقطعة قماش، حتى لا يظن أحد بأي حال من الأحوال، بأن المراسيم المؤداة مكتوبة في التوراة، التي لايجب قطعاً إضافة أي شيء اليها كتابةً مهما كان صغيراً. وتعلّق قطعة القماش هذه (*شيشاك* أو *شيشه*) في العماديه بين *الريمونيم*. فيما تُلفّ حولها في زاخو، بينما إسمها كَفيه [بالعربية ويعني الوشاح]. وفي سنه فإن قطعة القماش تلفُّ حول العباءة مثل نطاق

١٨– في حوزة كنيس اليهود القادمين من بَرَشه بالقدس خمسة رقوق توراة.
١٩– مجموعة براوَر بالجامعة العبرية ٣٨:١٥٤، يقال أنّ تاريخه يعود الى العام ١٧٧٠م.



مؤشر قراءة – العماديه. عليه إسم واهبه: شاباتاي موشي مزراحي

وتسمى لذلك *خاسه*[٢٠] "حزام".

وفي بعض الكُنيسات (كما في زاخو ودهوك والعماديه وسندور وبيجار وسنه) تعلق قشرة بيضة فارغة بنية اللون كبيرة بواسطة خيط من السقف تسمى *بيته سيمُرغ* أو *بيته نشره* "بيضة النسر". و*سيمُرغ* هو الطير الخرافي الذي يحتل مكانة بارزة في الأساطير الفارسية[٢١]. ويربط اليهود إستخدام هذه البيضة الفارغة (التي يكتب عليها عدد من آيات التوراة أحياناً) مع ما جاء في سفر الخروج ٤:١٩ "أحملكم على أجنحة النسور" وسفر تثنية الإشتراع ١١:٣٢ "مثل نسرة تهيّء عشها". ويقال أيضاً بأن طائر *دوما كَسكه* "ذو الذيل الأخضر" الذي يجلب الطين من قبر موسى (في العماديه) يبني عشه على السقف فوق مكان البيضة تماماً.

القسم المخصص للنساء

القسم الأعظم من الكُنيسات القديمة في كُردستان ليس بها قسم مخصص للنساء، طالما أن النسوة نادراً ما يذهبن الى الكُنيس. أما القلة التي تذهب (من العجائز عموماً) فإما يبقيْن في الباحة، أو يدخلن محجبات للجلوس داخل الكُنيس. وفي زاخو تحتل النسوة والفتيات داخل الكُنيس في يوم كيپور بينما ينهمك الرجال في شعائرهم الدينية في الباحة.

وفي باحة كنيس ناڤي حزقييل في العماديه هناك منصة مرتفعة عن أرضية الباحة قليلاً (*ديكت أَڤيسلا* [منصة عصر الخمر]) كان يتم عصر العنب بالأقدام عليها لإنتاج خمر الكُنيس في الماضي. أما اليوم فتجلس النسوة هناك؛ بما أن المكان لم يعد يستخدم كمعصرة للخمر وقد باتت تسمى *ديكت بَختيثه*).

٢٠- ماكلين، القواعد، ص ٦٨: *حبيصه*، "حزام". وفي سنه يستخدمون تعبير *خيسي إستا*، "المتحزّم بحزام" عندما لايريد أحدهم أن يقول *سيفَر تورا*، "لفافة التوراة".

٢١- عن طائر *سيمُرغ* أنظر على سبيل المثال بيس آللن دونالدسن، نبتة برية، لندن ١٩٣٨، ص١٦٦؛ موسوعة الأديان والأخلاق، ١. ٥١٤ أ، ٣. ٤٤٨ ب، ٨. ٢٩٤ب.]

وفي كُنيسات أربيل الثلاثة تحتل النسوة قاعة مغلقة يستطعن منها النظر الى أسفل الى غرفة الرجال عبر عدة نوافذ صغيرة. ولايتردد على تلك القاعة سوى عدد قليل من النسوة العجائز.

وفي سنه ايضاً تقع غرفة النساء (*تُكه إنشي*) فوق بيت البوابة ولها شبابيك خشبية بمقدور النسوة أن ينظرن منها الى غرفة الكُنيس الداخلية. وأثناء الصيف تجلس النسوة على سطح بيت البوابة المشرف على الباحة.

جنيزا

لاحظنا فيما سبق أن *الجنيزا* في كُنيس ناڤي حزقييل بالعماديه تقع في غرفة منفصلة تسمى *بي جنيزا*. ولكن يظهر حالياً بأنه لايتم تخصيص غرفة *للجنيزا* إلاّ في العماديه (رغم إحتمال العثور على نموذج لترتيب قديم جداً).



حرز التوراة

كنيس قرية سندور

وفي سنه تكون منصة *السده*، *سَكو سِده*، مجوفة وتخدم كـ*جنيزا*، يجري إدخال وخزن الكتب وما شابه فيها عبر فتحة في أحد جوانبها[٢٢]. وفي زاخو يجري ترتيب مشابه، إذ تُخصص مساحة *للجنيزا* وتُترك تحت الدرج الذي يؤدي من الباحة الى سطح البناء. وفي أشنويه تقع *الجنيزا* في قبو تحت *الهيخال*، وفي دهوك في فسحة مجوفة في الجدار السميك. وحينما تمتلىء *الجنيزا* يصنف الحاخام محتوياتها. ويضع القطع عديمة الأهمية في أكياس تُدفن في باحة الكُنيس، بينما تعاد رقوق التوراة وكافة الكتب المقدسة ثانية الى *الجنيزا*.

٢٢- أشار براوَر الى *الجنيزا* بإختصار في: مي *پاراشوت ماسّاعوتاي*، سيناي، المجلد الأول، العدد ١١ (١٩٣٨): ٤٣٨: [يوجد في الكنيس *جنيزا* لم يتم إخلاؤها منذ عهد بعيد، لكني لم أتمكن من الإفادة منها. وربما وجد فيها المهتمون مواد تتعلق بتاريخ اليهود في كردستان الذي لانعلم عنه غير القليل" (ترجمه عن العبرية رافائيل پاتاي)]. وعن الجنيزا في سندور أنظر فيشل، *ماسّاع ل كردستان*، سيناي، المجلد الأول، العددان ٣ و٤ (١٩٣٨): ٢١٨-٢٥٤.

18

السبت

السبت هو محور الحياة الدينية بالنسبة لليهودي الكُردي، والتزامه الصارم بالشرع الذي يحرّم عليه الراحة في هذا اليوم يتماشى والصلابة التي هي من السمات المميزة لطبيعته الفلاحية. وهناك عناية فائقة بتصرف المجتمع أيام السبت، وأي إنتهاك لقوانين السبت يواجه بعقوبة شديدة.

ففي أربيل عوقب أحد الآباء لأن إبنه أشعل عود ثقاب يوم السبت بغرامة مالية قدرها ثمانون قرشاً. وفي العماديه يجب على المذنب دفع غرامة مالية يحصل الكُنيس على ثلثيها والحازان على الثلث الباقي. وعلى المذنب علاوة على ذلك أن يقدم للحاقيريم كمية معينة من العرق. وإضافة الى كل ذلك، فإنّه يُجلد أربعين جَلدة وفي بعض الأحيان يعاقب بالصوم ستة وعشرين يوماً.

وهناك وصف جيد للكيفية التي يتعامل بها اليهود الكُرد مع انتهاكات كهذه لقوانين السبت في القصة التي تحكى عن الحبر شموئيل البارزاني، هذا نصها:

قصة شجرة الرمان الشافية[1]

قبل (١٥٠) سنة في كُردستان وفي يوم جمعة من منتصف عيد السوكوت جلس الحبر ناثانيل هاليڤي، الذي كان قد تجاوز المائة، وابنه الحبر شموئيل جالسين في كشك لهما في قرية بارزان وهما غارقان في دراسة مقالة حَگيگه من التلمود ويناقشان موضوع *المَركاڤا* أي الملكوت أو عالم العرش الإلهي. وتاهت بهما الأفكار وهما يحاولان حلّ معضلة معرفة ما يوجد فوق *المَركاڤا* .

وفجأة هبط شعاع أخضر توقف فوق *السوكّه*. في تلك الساعة كان شيخ بارزان جالساً فوق سطح داره فرأى الشعاع الأخضر فوق كوخ

١- [سجّله براوَر باختصار في القدس قبل ١٩٣٧، وذلك نقلاً عن يهودي كردي من العماديه، ونشره في *Almanach des Schocken Verlags*، برلين ١٩٣٧-١٩٣٨، الص ١٦٤-١٧٣، بعنوان *Der Heilsame Granatapfelbaum*. ولتلائم الصيغة مستوى جريدة شوكن فقد رواها براوَر بعد أن صاغها صياغة أدبية رقيقة ربما تختلف كثيراً عن صيغة الرواية الأصلية التي سمعها من محدّثه الكردي. وقد حاولتُ خلال ترجمة رواية براوَر الألمانية مجاراة أسلوبه قدر المستطاع. رافائيل پاتاي.]

اليهودي، فدعا خادمه على عجل وأرسله لمعرفة ما يجري، ذلك أنه كان متعجباً لأمر الشعاع الذي كان يرتفع الى السماء دون أن يدمّر شيئاً.

أسرع الخادم الى الموقع، ولدهشته العظيمة رأى هو الآخر عمود النار الخضراء فوق السوكا والحبر وابنه جالسين منكبين على كتبهما لاتلمسهما النار. فعاد الى الشيخ وأخبره بما رأى. وحال انتهائه من روايته ابتدره الأخير قائلاً: "الأمر الواضح الوحيد، هو أن هذين الإثنين ليسا حَبرين بل سيّدان* من نسل النبي محمد (ص)، وإلاّ كيف تنزل شعلة خضراء من السماء على بيت يهودي دون أن تلتهمه أو تدمّره؟ إذهب وأحضرهما في الحال لأسألهما عن شجرة نسبهما".

إمتثل الخادم للأمر وعاد الى الشيخ ومعه الحبر ناثانيل وابنه الحبر شموئيل. فسألهما الشيخ: "ما معنى النار الخضراء التي وقفت ساكنة فوق سقيفتكما؟".أجابه الحبر ناثانيل: "لا علم لنا بعمود النار ولم نلاحظ شيئاً لاستغراقنا في قراءة كتبنا المقدسة". لكن الشيخ قال: "لا، ليس صحيحاً. لقد رأينا جميعاً تلك النار. والنار الخضراء هي نار السادة. فاذكروا لي شجرة نسبكم إذ لابد أن تكونوا من ذرية محمد (ص)". فأجابه الحبر ناثانيل: "أنت مخطيء وهذه شجرة نسبي" وراح يذكر له شجرة نسبه ويعد أسماء أجداده، لكن الشيخ لم يصدقه وقال: "أنتما من أولاد محمد (ص) ويجب أن تتحولا عن دينكما الى الإسلام وإلا لقيتما حتفكما". قال الشيخ هذا ثم أمر بحبسهما في زريبة الحيوانات، ولكي يعذبهما أمر بإشعال نار من الروث اليابس بالقرب منهما. فجلس الإثنان في الزريبة والدخان الخانق يدخل في عيونهما.

فكّر الحبر ناثانيل مع نفسه قائلاً "دعهم يقتلونني، لكني خائف على ولدي ويجب أن أنقذ حياته". ونادى الحبر الأب خادم الشيخ يطلب لقاء الشيخ. ولما حضر بين يدي الشيخ قال له: "ياشيخي، إنك تعلم بأنه محرّم علينا العمل ومغادرة منازلنا في السبت. فاسمح لنا أن نمضي يوم السبت في بيتنا كي نتمكن من التفكير بعناية فيما سنختاره مما تفرضه علينا، أننقلب الى دينك أم نختار الموت؟ وسنعود يوم الأحد لنبلغك بقرارنا".

* دأب أهل العراق، أن يصفوا من ينتسب الى آل الرسول محمد (ص) بسمة السيّد. (المترجم)

وافق الشيخ على إقتراح الحَبر ناثانيل، فاسرع الأخير مع ابنه الى دارهما وطفقا يرددان الصلوات والتبريكات لأن السبت كان قد بدأ فعلاً. وجلسا في البيت لتناول وجبة السبت وكانا خلال ذلك يتأملان مصيرهما المحتوم. سأل الحَبر شموئيل والده: "ألا يلغي خطر الموت الداهم قانون السبت؟". أجابه الوالد: "نعم يلغيه". وعندها نظر الإبن الى السقف حيث كان قد علّق رَشكه[٢] خفه الصيفي. ثم نهض وأنزله وانتعله. فبدأ الحَبر ناثانيل بالبكاء، فقال له ولده: "لا تبكِ، أليس اليوم يوم سبت؟ أو ليس البكاء محرماً اليوم؟". فأجابه الوالد: "دعني، فقد صار بكائي تسلية في هذا السبت لأنه يخفف عذاب روحي".

خرج الولد الى وجهته، وسار الليل كلّه خوفاً من أن يتبعه أحد. وفي الصباح بلغ نهر الزاب فرأى أمامه قرية صوريا، لكنه لم يلمح أي عبّارة تعبر به النهر. ثم أجال بصره في الأنحاء فرأى على الضفة المقابلة للنهر يهوديَيْن جاءا - جرياً على عادة الكُرد - الى ضفة النهر لقضاء الحاجة والإغتسال. فناداهما. وتولت المذكورَين دهشة كبيرة لرؤيتهما الحَبر شموئيل الذي كانا يعرفانه جيداً. فأسرعا بإرسال الكَلَك الذي يعمل عليه أحد المسلمين الى الضفة حيث شموئيل، لنقله الى الضفة المقابلة[٣]. وما أن وصل حتى تلقّياه بهذه الكلمات: "ياإلهي، شموئيل إنه يوم سبت. كيف جئت الى هنا في يوم سبت الله؟ يمكن لنا إذن أن نذهب للعمل على أنوال حياكتنا[٤]". فاستشاط الحَبر شموئيل غضباً ونظر إليهما بعينين تقدحان شرراً وقال: "أنتما شريران حقاً!" فتحولا على الفور الى شجرتي صفصاف يابستين لا أوراق عليهما إلاّ بضع وريقات صغيرة في قمتيهما كأثر يدل على أنهما كانا ذات يوم شجرتين خضراوين تطفحان بالحياة.

في ذلك الوقت كان الحَبر شيمون معلماً وقاضياً في العماديه، وكان كذلك منجّماً عظيماً. فاستنتج من قراءته تجمعات النجوم أن زائراً هاماً سيأتيه يوم السبت. لذا أخبر زوجته، التي كانت على وشك إعداد طعام

٢- أحذية الصيف مصنوعة بالكامل من مادة منسوجة ليس لها أي نعل جلدي، وهي تلائم تماماً طرق كردستان اللطيفة.

٣- يطفو الكلك على الماء بواسطة قرب منفوخة من جلد الماعز.

٤- الحياكة هي من الحرف اليدوية الرئيسة لليهود الكرد.

السبت، أن تعدَّ للوجبة الثالثة دجاجتين محشوتين بالرز بدلاً من واحدة إضافة الى جرتين من أفخر أنواع النبيذ.

وفي مساء السبت جلس يهود العماديه كما كانت عادتهم صيفاً، في باحة كُنيس عزرا النسّاخ. وكان المجتمع اليهودي في العماديه كبير العدد، فكان عدد الجالسين في المكان حوالي (٤٠٠) رجل يستمعون لخطبة الحَبر شيمون.

وفي منتصف خطبة الحَبر شيمون دخل رجل يعلو ملابسه غبار الطريق عبر الباحة خلسة ثم جلس في الكُنيس الخالي بجانب تابوت العهد المقدس. وتعرف الحاضرون على الفور على ابن الحَبر ناثانيل بارزاني وهم مندهشون لحضوره المفاجيء في السبت ويتساءلون ما إذا كان متواجداً في المدينة منذ الليلة الفائتة. ولما انتهوا من صلاة المِنحه نهض الحَبر شموئيل من مكانه في الكُنيس ووقف أمام المحفل اليهودي في العماديه وقال: "أتوسل اليكم أن تنطقوا بالحكم ضدي لأنني انتهكت حرمة السبت".

عندها قال الحَبر شيمون: "أنا أعرف عقوبتك. تعال الى داري فقد أعددنا لك الوجبة الثالثة. أعرف بأن خطراً قاتلاً كان يتهددك ولذلك انتهكت حرمة السبت". وفي يوم الأحد أرسل شيخ بارزان خادمه لجلب الحَبر ناثانيل وولده. فأحضر معه الحَبر ناثانيل وحده، وهذا أخبر الشيخ بهروب ولده وبقراره الذي اتخذه بتفضيله الموت على التحول الى الإسلام. فأوشك الشيخ بسبب غضبه أن يأمر بقتل الحَبر المسنّ، لولا أن رفع أحد مستشاريه وكان رجلاً مسناً يجلس الى جانبه، صوته قائلاً: "لمَ تريد قتل هذا الرجل المسنّ طالما أن رجله باتت أصلاً على حافة قبره؟ الأمر لايستحق سفك الدماء، بإمكانك صرف جهدك للقبض على إبنه".

إقتنع الشيخ بكلام مستشاره العجوز وأطلق سراح الحَبر ناثانيل وبعث برسائل الى جميع شيوخ الكُرد متقصياً مكان تواجد اليهودي شموئيل الذي هرب منه، طالباً إرساله حال القبض عليه مخفوراً الى بارزان، لأنه بخلاف ذلك سيلاحقهم وسيفه بيده. لكن كلّ الردود التي بلغته قالت بأنهم لم يروا أي أثر لليهودي شموئيل. إلا أن شيخ بارزان

لم يعدم الحيلة فقد كان يضرب الرمل، فكتب عدداً من المعادلات واسم الحَبر شموئيل على رمله، وعلم من النتيجة بأن الحبر شموئيل مختبيء في العماديه. فقام على الفور بتحرير رسالة لشيخ العماديه طالباً منه إعتقال وتسليم الحَبر شموئيل.

أما الحَبر شيمون فقد كان يعرف بأنه لابد وأن يأتي الى العماديه مَن يبحث عن الحَبر شموئيل، لذا فقد اصطحبه الى كُنيس عزرا النسّاخ وطلب منه الإختباء في غرفة الجنيزا الخاصة بجانب الكُنيس، فهناك ثلاث غرف كهذه ملحقة بالكُنيس: في أولاها يخزنون النبيذ الخاص بالكُنيس، وفي الثانية يحفظون رقوق التوراة شتاءً، وفيها نافذة ضيقة تؤدي الى الثالثة. والأخيرة مظلمة يخزنون فيها الرقوق القديمة المقدسة المخزّنة منذ مئات السنين للتوراة وكتب الصلاة التي لم تعد تصلح للقراءة والإستخدام لطول فترة تخزينها. وتسمى هذه الغرفة الأخيرة الجنيزا. أدخل الحَبر شيمون الحَبر شموئيل عن طريق النافذة الوحيدة في الجنيزا وزوده بالطعام والشراب، ثم أغلق عليه النافذة بعناية.

ولدى تسلم شيخ العماديه رسالة شيخ بارزان أمر بإجراء بحث دقيق بين اليهود ولكن دون أي جدوى، لأن بحثه لم يَطل غرفة الجنيزا التي ظلت عصيّة على الإكتشاف، فلم يتمكن لذلك من العثور على الحَبر الهارب. فكتب بذلك لشيخ بارزان. إلا أن الأخير لم يكن مقتنعاً، فسأل الرمال السحرية ثانية، فجاءته الإجابة بأن اليهودي الذي يبحث عنه موجود في العماديه. فأرسل لذلك رسالة ثانية الى شيخ العماديه فيها من الوعيد والتهديد أكثر مما في الأولى.

علم الحَبر شموئيل من مخبئه بأن شيخ بارزان لجأ الى السحر لكشف مكان إختبائه في العماديه. كما علم بانسداد منافذ الهرب في وجهه. فسأل الحَبر شيمون بأن يسمح له بترك مخبئه وأن يزوده بالتاليت (وشاح الصلاة) والتفللين، ثم رسم دائرة حول العمود الشمالي الغربي للكنيس وتضرع الى الله ليأخذ روحه في الحال حتى لا يقع في يد مطارديه فمات من فوره. وهكذا وجده يهود العماديه ميتاً فاخبروا شيخهم الذي أعلم بدوره شيخ بارزان. ثم دفن الحَبر شموئيل في مقبرة الأتقياء والقديسين، وأقيم نصب تذكاري على ضريحه، ونثرت

حوله بذور الرمان. ومن تلك البذور نمت حديقة رمان كثيفة اشتهرت ثمارها بين اليهود والمسلمين، لإعتقادهم بأنّ مَن يقطف ثمرة من البستان دون إذن الحَبر شموئيل يصاب بالحمى. لهذا يخشاه المسلمون ويسمونه *شيرا دين*، "الأسد المجنون"، لكن الشخص الذي يعاني من الحمى ويأتي الى هذا الضريح ويطلب الإذن منه بقطف ثمرة رمان ويتناولها بعد ذلك، فستزول عنه الحمى على الفور.

إن يهود الريف لقلة عددهم في مواطنهم، يكونون أقل صرامة نوعاً ما حيال قوانين السبت. ففي سنه مثلاً يقال بأن اليهود القرويين، لقلة معرفتهم باليهودية، ينسون في بعض الأحيان هل حلّ السبت أم لا. وهناك حكاية في هذه الصدد تقول:

ذات مرة أرسل يهود إحدى هذه القرى - بسبب إختلافهم على هذه النقطة - أحد الكُرد الى قرية مجاورة ليرى ماذا يفعل يهودها. فذهب هذا ثم عاد اليهم ليخبرهم قائلاً: "النساء جالسات على أعتاب الدور يصطدن القمل، والرجال يشربون العرق ويأكلون البذور". فردّ عليه أحد اليهود قائلاً: "إذا كان كما تقول، فإن اليوم هو السبت" (في سنه).

لكن اليهود، حتى في مدينة مثل سنه يتساهلون في مراعاة قانون السبت اليهودي، حتى أن بعضهم اعتاد في السابق الذهاب للسوق لشراء الفاكهة، ما دفع زعيمهم *روات جميعه* الطلب من الحكومة توفير حراس واجبهم التأكد من عدم ذهاب أي يهودي الى السوق في السبت.

في المناطق الجبلية وبسبب من برودة الطقس التي لايمكن معها إطفاء النيران حتى في أيام السبت، فقد تم تبرير انتهاك القانون اليهودي لهذا السبب[٥]:

يقال بأنه في مساء يوم جمعة قبل غروب الشمس، ظهر أحد رسل اليهود في قرية جبلية فيما كانت نارهم على وشك الخمود، فنادوا على "كُردي السبت"، *نورايا* [وتعني التسمية "رجل النار"] - الذي كان اليهود يستأجرونه للعناية بالنار في السبت[٦]. وهنا قفز الرسول وصاح بهم: "يُحرم تأجيج النار يوم السبت!" فأوضح له اليهود

٥- ينطبق الشيء نفسه على النساطرة، إذ يقول گرانت: "يقال أنّه يوجد نساطرة في تياري لايوقدون النار للطبخ في السبت؛ لكن شدة البرد في الشتاء عندهم تجبرهم على إيقاد النار لتوفير الدفء الضروري" (گرانت، النساطرة أو القبائل المفقودة، ص ٢١٥).

٦- في سنه، يسمى كردي السبت: *كَرْ ماله*.

المجتمعون بأن البرد سيكون غير محتمل بدون نار؛ لكن الرسول لم يصغ اليهم فانطفأت النار. واستمرت درجات الحرارة طوال الليل في الإنخفاض، وكان على الناس في الصباح التالي الخوض في الثلوج المتساقطة كي يصلوا الى الكُنيس. وكاد الرسول اليهودي أن يموت من البرد متجمداً وهو يرتجف ويصيح: "أسرعوا في صلاتكم!". فردَّ عليه الذي يتلوها: "لماذا، إنه يوم السبت؟". ولمّا عاد الرسول من الصلاة ظن بأنه سيتجمد فعلاً. وفي النهاية اضطر للسماح *للنورايا* بإيقاد النار (في العماديه)[٧].

يوم الإستعداد

تستغرق الإستعدادات الخاصة بالسبت شطراً من يوم الخميس إضافة الى يوم الجمعة بأكمله. فالنسوة ينهمكن في تمشيط شعورهن بعناية خاصة يوم الجمعة، إذ يحرم عليهن ذلك في السبت. ومن الأسئلة الشائعة بين النسوة في هذا الصدد: "*خوارسي إناخ كيخيلاخ بشكاخ يَتيليلاخ طا شَبسا؟*" "هل اكتحلت ياصديقتي وهل لففتِ جدائلكِ ليوم السبت؟". ولكن اليهود لايلبسون ثياب الأعياد إلاّ صباح يوم السبت، باستثناء الشابات اللائي يتخذن زينتهن في ليلة السبت.

الرجال ايضاً يستعدون ليوم السبت، فيحلقون رؤوسهم صباح الجمعة. والحلاقة مهنة متوارثة في العماديه تختص بها عائلات معينة. والحلاق اليهودي يحلق مجاناً معتبراً عمله هذا *ميصڤا* يقدمها تبركاً بيوم السبت[٨]. وعند حلول المساء يتأبط الرجال، شباناً ومسنين، ثيابهم الزاهية الخاصة بالمناسبات ويتجهون الى ضفة النهر حيث يقومون بالإغتسال الشرعي.

وإغتسال الجمعة (*خيايا*) هذا شبيه باغتسال العريس (أنظر الص ١٤٧-١٤٨). ويعتبر هذا الاغتسال بالنسبة لليهود – وخصوصاً للشباب – مناسبة عامة بهيجة. بعد الاغتسال يرتدي الرجال ملابس السبت ثم يعودون الى منازلهم (في زاخو

٧- ذات مرة وفي يوم سبت، وقعت شرارة نار على ثوب إمرأة وشبّت فيه النار فصرخت صراخاً مفزعاً لكن لم يجرؤ أحد على المخاطرة بإطفاء النار، الى أن أرسل في طلب *النورايه* لإطفاء النار (في العماديه).

٨- ليس في زاخو ولا في سنه. فلايوجد في زاخو سوى الحلاقين المسلمين. وفي اليمن يؤدي مدير المدرسة (موري) عمل الحلاق؛ وهو إنّما يؤديه مجاناً على أنّه نوع من الميتزڤا (الميتزڤا: الفريضة أو الواجب الديني أو الأخلاقي – المترجم)، أنظر إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراوَر، ص ٣٠٨.

والعماديه). أما في سنه التي تخضع لتاثير فارسي قوي، فقد أقام اليهود فيها حمامات ساخنة على غرار جيرانهم الفرس.

أما الإستعدادات الخاصة بإعداد طعام السبت فهي بطبيعة الحال من واجب النسوة، مع أن الأزواج لايعدمون وسيلة لـلإشتراك فيها. فطالما لاتذهب النسوة للسوق لشراء لوازم السبت، ومعظمها موجود في بيوتهم، فإن الرجال هم مَن يذهب لشراء اللوازم من قبيل الفاكهة والدجاج وما الى ذلك. والرجال يعتبرون قيامهم بهذا العمل *ميصڤا*، لذا يجلبون في كل مرة حاجة واحدة من الحاجات المطلوب شراؤها من السوق ليزدادوا أجراً. وقد أخبرني محدثي من سنه بأنه عادة ما يقوم بعشرين رحلة من البيت الى السوق كل يوم جمعة لإتمام شراء هذه الحاجات.

الخبز المعد ليوم السبت خبز عادي، ولكن البعض قد ينثر على *لاخميت هاموصي* [خبز بركة حاموصي] بذور السمسم أو الكَراويا[٩]. وأما عن مساهمة الشَمّاش في *تلومست شَبسا* فقد تحدثنا عنه فيما سبق (أنظر الص ٢٧٦-٢٧٧).

إن على ربة البيت أن تعد يوم الجمعة الطعام اللازم للسبت إضافة الى وجبة عشاء الجمعة. و*حامّين* اليهود الكُرد أو طبق سبتهم الساخن *ميبوسه*[١٠] يختلف باختلاف الفصول والوضع الإقتصادي لكل عائلة، ونحن حتى في هذه الحالة نلاحظ التحفظ الفلاحي لليهودي الكُردي. فالنوع المفضل من *حامّين* هو الكبة (*كوتيله* أو كفته؛ أنظر ص ١٢٠) التي تُطبخ بطرق مختلفة يتم في معظمها خلطها مع (كيسه) أو قطع من أمعاء الغنم المحشوة بالرز (في أربيل وزاخو والعماديه وچالا وسنه). وأما طبق *الميبوسه* الصيفي المفضل فهو الدجاج مع الرز، *رزا كسيسا*. ويطلق الكُرد على الكبه كفتَيْ *شَمّه* "كبة السبت" وينسبون اليها قدرات علاجية (أنظر ص ١٢٠).

يتم طبخ الميبوسه في الفرن (*كانونه*) الذي هو وعاء من الطين المفخور ذو ثلاثة جدران. ويستخدم في تسخين الفرن وقود الفحم (*پَليت نورا*)، ولكي يحتفظ الفرن بسخونته يغطى نار الفحم بالرماد الذي يسمي (*بَريش دژمنه* "على – رأس – الأثيم [العدو]") (في زاخو). وفي هذا إشارة ضمنية الى التقليد اليهودي المتبع بنثر الرماد على رأس الميت، والهدف منه كما يبدو أن لايطال ذلك الرماد أياً من أفراد العائلة. بعد تغطية النار بالرماد توضع بلاطة من فخار (*سَدوده*) على الطرف المفتوح للفرن

٩- في سنه، تخبز المرأة ستة أرغفة دائرية صغيرة من الخبز، جوجه *شابّات*، إثنان لكل وجبة من الوجبات الثلاث.

١٠- في زاخو: ميبوسه، وفي العماديه وچالا: ميبيسه.

ثم تُسد الثغرة بين القدر والفرن. ويضعون البيض في هذا الفرن المحكم لشيّه ويسمونه (*مَبيسه*).

ليس اليهود الكُرد، بخلاف اليهود اليمانيين الذين تكمن أهمية الفرن لديهم في الإبقاء على قهوتهم (*گيش*) ساخنة[11]، معتادين على تناول المشروبات الساخنة في يوم السبت، وذلك لإنهماك الرجال في شرب العرق بإفراط. أما النسوة فلايشربن غير الماء. وفي العماديه يرسل المسلمون الكُرد في كثير من الأحيان الشاي الساخن لأصدقائهم اليهود، وفي أربيل قد يطلب اليهود القهوة التي دفعوا ثمنها مقدماً من المقاهي الكُردية.

مساء الجمعة

في أيامنا هذه، لايُعلن عن قدوم السبت على الملأ. لكن فيما مضى كانوا مثلاً ينفخون في الشوفار علامة على قدوم السبت[12]. وفي بيتَنوره هناك شوفار خاص لهذا الغرض. النفخة الأولى من الشوفار تنذر اليهود الموجودين في الحقول بالتوقف عن العمل والعودة الى ديارهم. والنفخة الثانية للعاملين في بساتين قريبة من بيوتهم. أما الثالثة فلإضاءة القناديل. أمّا اليوم فيذكّر أذان ملا المسلمين من على منارة الجامع، النسوة بحلول ساعة الإنتهاء من إستعدادات السبت (في زاخو والعماديه).

وقبل مغادرة الزوج الى الكُنيس يحضّ زوجته قائلاً: "*مالَك مَعليك شَريعه ميشاڤه دوكسا ميَبس مبيسا* "أوقدي القنديل وافرشي السجاد وسخّني المبيسا" (في العماديه) [أو *موبيسلوخون مَعَلكون شَريعه خابجا هايا مروزدگلوخون شولحان دڤوكولا شَبسا هايا* "هل أعددت الحامين؟ استعجلي في إيقاد الشمعة بسرعة أكبر! هل أعددت المائدة؟ أنهي إستعدادات السبت بسرعة أكبر قليلاً!" وهو في كل ذلك يوجهها برقة].

في الماضي، كان قنديل السبت يصنع من الحديد أو الفخار في شكل بيضاوي كالقناديل القديمة التي يعود تاريخها الى العصر الپاليوليثي[13]. وفي نيروه لازالوا يستخدمون تلك القناديل الفخارية الى يومنا هذا. وهناك في سنه أيضاً قناديل

١١- أنظر إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراوَر، ص ٣٠٩.

١٢- فيما مضى، كان يتم الإعلان عن السبت في أربيل عن طريق النفخ في الشوفار (البوق) من فوق القلعة.

١٣- [كان] هناك *شَريعه شابسا* من حديد يعود الى حوالي مائتي سنة ضمن مجموعة براوَر بالجامعة العبرية (١٠١:٣٨).

فخارية ذات مقابض يطلقون عليها إسم *شَريعه هَمَداني* [قناديل همدان] ما يدل على أصلها الفارسي. أما أكثر أنواع القناديل شيوعاً في الوقت الحاضر فهو المصنوع على شكل دورق زجاجي مملوء بزيت الخروع وله عدة فتائل.

بعد إيقاد القناديل تعد ربة البيت صينية السبت. فتضع أربعة أو ستة أو اثني عشر رغيفاً من *لاخمت هاموصي* على الصينية أو في سلة[14] (عند الفقراء). وكانوا فيما مضى يضعون فوق إناء الخبز إناء آخر أصغر فيه ملح ثم تغطى الصينية بقطعة قماش (في العماديه: *ماده*)، وهي غطاء قماشي مؤلف من قطع قماش صغيرة مربعة مختلفة الألوان، ويطرّزون عليها في بعض الأحيان عبارة مأثورة باللغة العبرية من قبيل (تذكّر يوم السبت لكي تقدّسه). وفي سنه أيضاً نجد بعض هذه الأغطية الجميلة مزيناً بزخارف وكتابات عبرية، ويشبه واحدها الغطاء القماشي الذي يغطى به طبق الپاسوڤر.

توضع كأس التبريك الى جانب خبز السبت، وكأس (*كانينا*) – عادة – كأس عادي مصنوع إما من النحاس أو الخزف. واليوم يفي بالغرض كأس زجاجي، رغم أن بعض اليهود يستخدمون كؤوساً أو طاسات فضية نُقشت عليها أسماؤهم.

بعد أداء الشعائر الدينية في الكنيس، يبدأ الناس في تبادل التحيات بعبارة *شَبات شالوم*. وبعدها تقضي كل عائلة الأمسية فوق سطح الدار إذا كان الفصل صيفاً. ويعاد ترديد العبارات المستخدمة في طقس منح البركة على الخبز والنبيذ، بعدها يشرع الرجال بشرب العرق مع المزّه وهم يغنون أغاني السبت، ثم يأتي بعد ذلك وقت تناول وجبة السبت.

ليس اليهود الكُرد معتادين على تناول السمك مساء الجمعة في فصل الصيف، لأنهم يقولون بأن عليهم تناول شيء حامض في هذه الأمسية، وذلك لأن كوكب المريخ يكون في مسار نزول (گلاويژ). لذا فإنّ *خاموستا* (أنظر ص١٢٠) هو طبق يوم الجمعة بين يهود العالم قاطبة تقريباً. فلا تجد في زاخو مثلاً عائلة إلاّ وقد أعدّت طبق الخاموستا، وفيما يلي حكاية بهذا الصدد:

> يقال بأن بائعاً متجولاً يهودياً من زاخو عاد مساء الجمعة الى داره من جولة في القرى القريبة من زاخو بعد غياب دام أسبوعاً. وسأل زوجته: "ماذا أعددت للعشاء؟" فأجابته "*پيراخ*" (أنظر ص١١٩)، فقال

١٤- في العماديه، توضع الآن في الصينية ثلاث أرغفة فقط؛ وفي الماضي كان العدد إثنا عشر رغيفاً.

لهـا: "إذن ناوليني غليـوني لكي أدخن". فصـرخت بـه: "مـاذا! تريد أن تدخن في مساء الجمعة؟"، فأجابها الزوج: "كلا، فلايمكن أن يكون هذا مساء جمعة وإلاّ كنت طبخت الخاموستا".

ونادراً ما يخرج اليهود بعد تناول العشاء مساء الجمعة، لأنهم يشرعون في قراءة شيء من (*زوهار*) وينامون مبكراً، لأن عليهم الإستيقاظ في الساعة الرابعة من صباح السبت. وفي صباح السبت يرتل الرجال پيزمونيم [ترانيم دينية] ويذهبون الى الكُنيس دون تناول طعام الإفطار، والنسوة يتغيّبن - عدا بعض العجائز - عن طقوس السبت في الكُنيس.

صباح السبت

تحتل تلاوة التوراة القسط الأوفر من الفترة الصباحية من يوم السبت في الكُنيس، سيما وأن لكل فرد دور فاعل في طقوس هذا الصباح - بخلاف المناسبات الأخرى التي يكون له فيها دور سلبي. ويعتبر شرف استدعاء أحدهم لقراءة التوراة من الأهمية بمكان لدى اليهود الكُرد بحيث أنهم أوجدوا لذلك طقوساً خاصة.

ففي زاخو والعماديه (وكذلك في دهوك) تُباع مناصب الشرف[١٥] ذات العلاقة مع *عَليا* (الإستدعاء لقراءة التوراة) وما يتعلق به من طقوس مرة كل عام أثناء *سمِحات تُورا* (أنظر ص ٣٨٠). وفي سنه يبيعون تلك المناصب مرتين كل عام: أثناء *سمِحات تُورا* وفي آخر يوم من أيام عيد الفصح.

ولنورد مثلاً، المزاد الذي يجري في العماديه لبيع هذا المنصب أو الواجب، والذي تصاحبه في أحايين كثيرة خلافات ومشاجرات لأهمية منصب الشرف هذا الذي يطمح اليه الكثيرون. فشرف فتح حِرز التوراة (*پتيخات هيخال*) يباع لشخصين فقط، ويسعى أزواج النساء العواقر سعياً محموماً للفوز بهذا الشرف لأنهم يرون فيه علاجاً سحرياً لنسائهم.

أما المناصب التي تباع لشخصين فهي: قيپيت *سيفَر* الذي يخرج رقّ التوراة من الحرز ويضعه على *السيده*؛ وموقدوره الذي يفتح الرق ويريه لجماعة المحفل؛ و*الشوشبن* الذي يقف الى يمين الحازان ليضع القماش الحريري (شيشه) على رقّ التوراة حين ينطق الرجل الذي تم إستدعاؤه بدعاء البركة. وعلى يسار الحازان يقف الـسوميخ ومعه نسخة مطبوعة من التوراة في يده ليتأكد من أن الحازان لايخطيء

١٥- تسمى الوظائف التي يمكن شراؤها *فسله* (في العماديه).

في التلاوة (وهي وظيفة تباع لشخصين يؤديانها بالتناوب)، وإذا أخطأ الحازان في التلاوة فإن أفراد المحفل جميعاً - ولكونهم مستعدين لأمر كهذا - يرفعون أصواتهم أثناء القراءة الى أن يدرك الحازان خطأه ويعيد التلاوة على نحو صحيح. ولاتباع *عَليا* كوهين في المزاد لأن عدد كوهينيم في كُردستان قليل [إذ لم يكن في العماديه سوى *كوهين* (كاهن) واحد في السنوات القليلة الماضية]. وعلى النقيض نلاحظ وجود الكثير من اللاوية الذين وتجنباً للإحتكاكات بينهم حول هذه المسألة يُستدعون بالتناوب [أكثر من نصف أفراد المحفل اليهودي في العماديه هم من اللاوية]. إذ ينهض الشمّاش ويعلن قائلاً: *إليهي مَزيدبوخون، ليڤي* "فليضاعف الله عددكم أيها اللاوية!" وبقوله هذا تبدأ المزايدة على *الليڤايت*]. ولا يباع سوى نصف العَليا الثالثة.

ويتم تقسيم هذا المنصب الى أربعة أجزاء، كل جزء منه يسمى (*أقلاسا*) على نفس منوال تسمية الأجزاء الأربعة لجثة الذبيحة[١٦]. والرجال الأربعة الذين يحصلون على هذه الأقسام يستدعون لقراءة التوراة أيام الإثنين والخميس وصباحات السبت وأمسياته وعلى التوالي. أما النصف المتبقي من العَليا الثالثة فيحتفظون به للعرسان الجدد أو لمن رزق بطفل أو للضيوف أو ما شابه ذلك. وهناك عند اليهود الكُرد عادة أخرى تتمثل في دعوة *الـأوليم* [الغرباء "أولئك الذين يصعدون"] لقراءة التوراة. ففي حفلات العرس والختان أو المناسبات الأخرى التي يتواجد أثناءها غرباء في المدينة، يتم قبل "الثالث" إستدعاء كل مَن ليس له (*عَليا*) منهم ويرغب بتلاوة التوراة بالتناوب *كأوليم*. أما الجزء الخاص بـ"الثالث" فيقسم هو الآخر لعدة أقسام ويعاد تقسيمه إن وُجد ذلك ضرورياً. وبالنتيجة قد تطول فترة القراءة من التوراة الى حد مفرط في بعض الأحيان.

[أما في سنه فيستدعون الغرباء الى التوراة بصفة *موسيفيم* (أولئك الذين تتم إضافتهم) لقراءة التوراة عقب *ساموخ* (الـ*عَليا* السادسة). وقد جرت محاولة فاشلة لنشر هذه العادة في العماديه. ففي العماديه يتم إستدعاء الغرباء الذين لاتنطبق عليهم أشعار العَليا الثالثة للمثول أمام *الساموخ*، حيث يقرأ كل واحد منهم لهم الأبيات الثلاثة الأولى من قسم *الساموخ*، وتعاد قراءتها مراراً وتكراراً حتى ينال كل ضيف شرف العَليا ليأتي بعد إنتهائهم دور الساموخ.] أما العَليا الرابعة (رَڤِعي)

١٦- مراسيم بيع "الثالثة" تجري في العماديه على هذا النحو: يزايد أحدهم بأنّه يدفع ٢٥ روپية ثمنا للقسم بأكمله، ويزايد آخر بأنه سيدفع ٢٠ روپية لشراء نصفه، ويزايد ثالث بـ١٥ روپية ثمناً لقدم واحدة (أي ربعه)، بعد ذلك يحصل الثالث على "القدم" ثم يحصل الثاني على النصف بعدها تُعرض "القدم" الأخيرة للمزاد مجدداً.

فتُقسّم هي الأخرى الى أربعة أقسام كي يتيسر لكل الذين يتم تعيينهم لمهمة قراءتها أن يحظوا بفرصة القراءة في السبت الرابع من كل شهر.

وقد يتكرر حدوث المشاجرات أثناء بيع القسم "الرابع" الذي يرتفع سعره لكثرة التنافس عليه. ويقسّم القسم الخامس (*حاميشي*) لأربعة أقسام ولكنه ليس مرغوباً كالأقسام الأخرى لذا يكون سعره منخفضاً ويباع عادة لفقراء المحفل اليهودي.

أما أرقى مناصب العَليا شرفاً فهو القسم "السادس"، الذي يُقسّم كالأقسام الأخرى الى أربعة، ويذهب خُمس الريع المتحصل من بيعه الى الكُنيس ونصفه الى (*الحاڤريم*). أما الجزء السابع من العَليا (*ماشليم*) فيُقسّم ايضاً الى أربعة أجزاء ويُباع فقط لمن كان في فترة حِداد.

أما مهمة أو منصب (مَفتير) أو الذي يقرأ الجزء الخاص بسِفر الأنبياء، فلايباع مرة واحدة بل يباع جزء منه كل سبت. وغالباً ما يشتري أجزاءه مَن كان في حِداد، أو الذين يراقبون *ياهرزايت*، ويرغب الآباء في شراء منصب أو مهمة *المَفتير* ليمنحوا أطفالهم فرصة لممارسة القراءة.

[الإسم الأصلي *للياهرزايت* بين يهود كُردستان هو صوميت *بابا* "صوم الوالد" وصوميت *يما* "صوم الأم". حيث يصوم المرء في الذكرى السنوية لموت الوالد أو الوالدة. أما إذا صادفت الذكرى يوم سبت فلايصوم، إلاّ المتزمتون فيصومون في الأحد الذي يليه (في العماديه). إن كلمة *ياهرزايت* ورغم أصلها الييدي(*) تشيع بكثرة في العالم اليهودي، وتوجد الكلمة كذلك في الكتابات الدينية السفاردية كذلك].

تُقرأ *هَفتطارا* بالعبرية فقط، وفي الماضي – في العماديه مثلاً – كانت تُقرأ بلغة التارگوم حصراً(١٧). [وهناك في كُنيس العماديه حوالي عشرة ألواح فضية نُقشت عليها الوصايا العشر. وإذا ما رغبوا في استدعاء أحدهم لقراءة التوراة، يقترب الشَمّاش حاملاً إحدى الصفائح الفضية من الشخص المعين دلالة على إختياره للقراءة. ويقوم الشخص، إذا كان راغباً في القراءة والحصول على *عَليا* بتقبيل الصفيحة والنهوض من مكانه. بينما يكتفي بتقبيل الصفيحة دون أن ينهض إنْ لم يكن راغباً في القراءة والحصول على *عَليا*].

* الييدية: لهجة ألمانية يتحدث بها اليهود في دول الإتحاد السوڤيتي المنهار ودول أوروپا الوسطى، وهي تحفل بالكلمات العبرية والسلافية وتكتب بالحروف العبرية. (المترجم).

١٧– يُقال أنّ اليهود أجبروا في حوالي ١٩٢٥ على الرحيل عن باشقَلا وسَلماس وجاؤا الى العماديه، ونقلوا اليها عادة قراءة الأبيات الأولى والأخيرة من *هَفطَرا* بالعبرية، والبقية بلغة التارگوم، ومنهم أخذ يهود العماديه وتبنّوا هذه العادة.



لوح فضي عليه الوصايا العشر (من العماديه)

بعد مراسيم السبت يزور الناس بيوت العرسان، إذا كان هناك عرسان جدد، أو بيوت من رُزقوا حديثاً بطفل أو يزورون أماكن أخرى إعتادوا الإجتماع فيها(١٨).

ففي العماديه يجتمع الحاڤيريم في (*بي هازانه*) (أنظر ص٦٨) لحفلة شرب السبت الكبيرة، حيث يُحتفل بالعرسان وآباء المواليد الجدد وما شابه.

يذهب الرجال الى الكُنيس دون تناول "الوجبة الثانية" – التي تضم *حامين* (ميبيسه) – لحين عودتهم من حفلة الشرب المذكورة. وعن الشخص الذي يتخلف عن مراسيم الصلاة في السبت فقط نيخِپلوخ من ميبيسه *سيلوخ صيلوسه* "لقد إحترمت الحامين ولهذا جئت الى الصلاة "أي كنت خجلاً من كذا وكذا" (في العماديه وزاخو). وقبل تناول وجبة الطعام الثانية يمارس الكثير من اليهود – كدليل على الحداد – عادة أكل البيض المشوي في الفرن بتغليفه في كتلة من الطين وطمره تحت الجمرات (في العماديه وزاخو).

النساء لايحضرن مراسيم صلاة السبت خلا بعض العجائز، بعد إنجازهنّ المهام المنزلية الضرورية جداً (وغسل الأرضيات هنا محرم). إذ ترتدي النسوة ملابس السبت ويمضين ما تبقى من الصباح الى الظهيرة في زيارة العرائس الجدد أو أمهات الأطفال حديثي الولادة أو الثكالى. أما الفتيات غير المتزوجات فيتبرّجن ويلبسن ملابس الأعياد ومعظم ما لديهنّ من حلي ومجوهرات ثم يجتمعن في باحة

١٨– بعد انتهاء مراسيم السبت يقوم النساطرة ايضاً بزياراتهم بدل العودة الى بيوتهم "كان بعض الناس يذهب حينها الى دار خادم الكنيسة، ليشارك في مأدبة حافلة ذات طعام بسيط، ليعود بعدها الى البيت أو يذهب في زيارة للأصدقاء المقربين". ولم يكن النساطرة أقل تمسكاً من اليهود بقانون السبت: "يقال أنّهم كانوا في السابق يقدّسون السبت المسيحي لدرجة إنزال عقوبة الموت بمن يسافر في هذا اليوم من أتباعهم" (گرانت، النساطرة أو القبائل المفقودة، ص٨٠).

إحدى الدور للرقص أو يجلسن على سطح أحد المنازل للغناء وتبادل الأحاديث. فيما يلعب الصبيان والبنات في هذه الأثناء ألعاباً لاتدخل الكرة أو الأدوات الأخرى فيها.

بعد تناول وجبة الطعام الثانية يتوجه الرجال الى دور ذوي الموتى لقراءة *ميشمَره*، الحصة الأسبوعية من سِفر الأنبياء، و*هاجيوگرافا* و *ميشنا*. ويذهب التلاميذ الى المدرسة (بيت *مدراش*) لنفس الغرض.

بعدها يعود الرجال الى بيوتهم ويقيلون حتى حلول وقت *دريشه* (في العماديه وزاخو؛ وفي سنه: *ديروش* و *ديراش*، وهي ترجمة الحاخام للحصة الأسبوعية من التوراة [وللمفاهيم أو العادات]. وتستغرق فترة *الدريشه* في الغالب ساعتين، وهي الوقت الوحيد الذي يقوم أو يبذل فيه اليهود الكُرد مجهوداً كتابياً.

وفيما يندر تغيب الرجال عن الطقوس الصباحية، فإن عدد مَن يحضر منهم شعائر *المنحه* قليل، رغم أن الشَمّاش يكون قد تجول في الطرقات وطرق باب كل منزل مستدعياً كل رجل على حدة وهو ينادي (*شَمّو مينحه*)[١٩]. والسبب أن اليهود الكُرد يكونون في تلك الساعة والى ما بعد *المِنحه* مجتمعين لبحث أحد شؤونهم في مجموعات على أسطح المنازل – في الصيف – للغناء ورواية الحكايات وشرب العرق مع المزّه. وتكون الأغاني التي ينشدونها في هذه المجالس ذات طابع دنيوي – كالأغاني الكُردية التي تحكي مآثر بطولية مثلاً – والتي يبدأ الشباب معظم الأحيان بالرقص على إيقاعاتها. وفي هذه الناحية يختلف اليهود الكُرد عن اليمانيين – الذين يحرص حاخاماتهم على عدم انشغالهم بأيّ أمور دنيوية في السبت.

وإن لم يكن الزوج قد أخذ معه الوجبة الثالثة الى حفلة الشرب المذكورة، فإن زوجته هي التي تجلبها له الى مكان الإحتفال، وتتألف الوجبة من السمك والدجاج والبَيراغ، يتناولها الزوج مع أصحابه بمرح جماعي من تأثير شرب العرق. في بعض الأحيان تتبع حفلة الشرب التي تستمر لغاية الغسق، نزهة حول أسوار المدينة أو ضفة النهر، وهي الأوقات التي تعتبر بالنسبة لليهود الكُرد بهجة السبت الحقيقية.

أما الطقس الختامي ليوم السبت فهو قراءة (*هَقْدَلا*) التي نادراً ما تتم في البيت. فالبعض يقرأها في الكُنيس، ولكن في معظم الحالات يتوجه الرجال الى دار المتوفى لقراءتها، حيث يستمرون على قراءتها فترات تتراوح من شهر الى عام كامل وذلك تبعاً لمكانة الميت.

أما الشمعة الخاصة بالـ*هَقْدَلا* في الكُنيس فعادية وطويلة تصنع من أعقاب

١٩– في سنه مثلاً، ينادي الشمّاش: رعوين مَنحييه.

الشموع المستخدمة في يوم كيپور ويستمر استخدامها لغاية الپيوريم. أما الشمعة التي تستخدم بعد الپيوريم فيصنعها الشَمّاش من أعقاب *شَمَئيت مَگالا*، وتستخدم في أيام الشتاء المظلمة في قراءة التوراة الى جانب عشرة شموع أخرى صغيرة يحملها الأطفال لنفس الغرض.

ويستخدم *إيسا* "الآس" الذي يحفظ عند السوكوت عوضاً عن التوابل، حيث يحصل كل الموجودين في بيت المتوفى على حصتهم من هذا الآس المجفف. بعد الإنتهاء من توزيع الآس يأتي دور توزيع حبات القرنفل المخيّطة في كيس صغير، وبعدها الريحان (*ريحان*) الذي يتم توزيعه هو الآخر، وتقوم عائلة المتوفى بزراعة الريحان فوق سطوح منازلهم (في زاخو). أما عادة تمرير أظفار الأصابع على شعلة شمعة الهَقْدَلا، فشائعة بين يهود العالم كافة. وفي سنه يبصق اليهودي عدة مرات الى أحد جانبيه بعد تمرير أظفاره فوق الشعلة. ومن الطبيعي في هذه المدينة كذلك الجلوس أثناء الهَقْدَلا ولطم الركبتين بطريقة خاصة بحيث يصدر عن اللطم صوت أشبه برنين النقود المعدنية.

وحينما يلفظون كلمات *بورى معوري هاعيش* خلال مراسيم منح البركة حول الشمعة ينادي الأطفال الحاضرون بصوت واحد:

كاته دژمنيت يسراعيل لي پيپْس "قد لا ينجو أي من قلوب إسرائيل"،

أود پيپْس ريسه بيويس "لكن ليبقى رأس مَن ينجو عالياً" (يتشابه الأمر في العماديه وزاخو).

بعد إنتهاء السبت يجلس الرجل مع أصدقائه حتى وقت متأخر من ليلة السبت جلسة سَمَر وشرب عرق مع المزّة. ويحتفل العديد من العائلات في ساعات الليل هذه *بليل كسيسا* "ليلة الدجاج" وهي الليلة التي تختلط فيها الأغاني بالرقصات والعرق لترفع من الروح المعنوية للجميع وتثير عواطفهم.

القسم السادس

الأعياد

19

الپيساچ

يعتبر الپاسوڤر، عيد الفصح (وبالعبرية *پيساح*) بالنسبة لليهود الكُرد، كما هو لليهود في كل مكان، عيداً من الأعياد الرئيسية. وتتوجه بهذه المناسبة العائلات اليهودية من القرى الى المدن للإحتفال مع الأقارب. لهذا تتدفق على العماديه أفواج القرويين اليهود من قرى بامَرني، ئينيشكي، أَرَدِنْ، قَدِشْ، بيئناتان وحَمدية [وجميعها في ضواحي العماديه]، جالبين معهم المواشي والنبيذ.

والإسم الشائع لهذا العيد بين اليهود هو *پاتيره* [أو عيدَت *پاتيره* "عيد پاسوڤر" (في العمادية)]. والمصطلح المستخدم في التارگوم هو الخبز المعمول من عجين غير متخمر[١](أي الفطير – المترجم)، ولكن التسمية المتعارف عليها له خلال أيام هذا العيد هي *پيسحه*. ويطلق اليهود الكُرد على هذا العيد تسميات وتعابير عدة هي:

عَيدا بُهيره، عيد الربيع (في العماديه)

عَيدا مينه بي كعوه، عيد الخبز غير المملح (في العماديه)

عَيدا تَحليشكي، عيد الأعشاب المرّة (في العماديه)

عَيدا نيسينه، عيد نيسان (في زاخو ودهوك والعماديه)

وبما أن الكثيرين من أرباب الأسر لايستطيعون قراءة *الهاگاداه*، فإن إحتفالات *السَدَر* لذلك لاتجري في كل البيوت اليهودية، إذ تلجأ العائلات عوضاً عن ذلك للإجتماع (قد يصل عددها في أحايين كثيرة الى أربعين عائلة) في بيت أحد الحاخامات أو بيت رجل يستطيع القراءة يطلقون عليه بسبب هذا الإختيار *ميري پيسحه* [سيد عيد الفصح][٢]. وحصول المرء على رتبة ميري پيسحه يعد تشريفاً كبيراً، لذلك يطلب مَن يسعى للفوز بها من الحاخام إعداده وتدريبه على شعائر *السَدَر*. وبما أن التنافس للفوز بهذه المرتبة شديد، فقد يستمر التنازع عليها وعلى

١- تسمي النسوةعيد الفصح ئيز *پاريتيلي*، العيد الذي يسبب إنفجار المرء، وذلك لأنهنّ مثقلات جداً بالعمل في هذا العيد. (في زاخو).

٢- يقوم يهود القوقاس بنفس الشيء. أنظر: *سِفر هاماساعوت*، يوسف يهودا چورني، سانت پترسبورگ، ١٨٨٤، ص ١٩٦. أما بين اليهود اليمانيين فتحتفل كل عائلة لوحدها *بالسَدَر*. أنظر: إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراور.

الضيوف الذين سيحلون على دار *ميري* پيسحه العام كلّه، ولكن يجب في كل الأحوال حسم النزاع قبل معرفة *ميري پيسحه* عدد الضيوف الذين سيستقبلهم.

شَبات هاگادول

شَبات هاگادول [بالعبرية تعني السبت الأكبر] وهو الذي يسبق عيد الفصح ويمثل حسم النزاع حول إستقبال الضيوف، إذ يعلم فيه ميري پيسحه عدد وأسماء الضيوف الذين سيحلون في داره في *السَدَر*. وفي زاخو يطلقون *شَبات هاگادول* تسمية *شَبات باطيه* سبت الفرح[٣]. [وفي العماديه يسمونه *شَبسا ياقورتا* أو *شَبات هاگادول*]. في هذا اليوم يتم إعداد كعكة خاصة يسمونها فَرنيه معدّة من البيض والسمسم، في بيت *ميري پيسحه* قبل يومين أو ثلاثة من *شَبات هاگادول*. ويرسل ميري پيسحه عن طريق زوجته من هذه الكعكة لكل الأشخاص الذين يقبلون دعوته بالحلول ضيوفاً عليه في منزله في *السَدَر*. وأما رفض الدعوة فيكون لخلاف شخصي مع ميري پيسحه حول المنصب أو بسبب تفضيل دعوة من ميري پيسحه آخر. ويجري في أمسيات *السَدَر* (كما سنرى) تقديم عروض فنية درامية كاريكاتورية تقدمها عائلات أشتهرت بهذا النوع من الفعاليات الإحتفالية. وعلى الرغم من رفض البعض قبول دعوة ميري پيسحه، إلا أن الأخير يزور العائلات التي رفضت دعوته مستصحباً شخصية هامة، في مسعى أخير لإقناعهم بقبول دعوته.

وعند حلول *شَبثيت باتييه* تحضر العائلات التي قبلت الدعوة الى منزل ميري پيسحه، وعندها فقط يعرف الأخير عدد ضيوف عيد الفصح، *پيسحييه* الذين لبّوا دعوته لأمسية *السَدَر* بعد مساعيه طوال العام. فيسهر على راحتهم. ويتوجه كل ضيف إثر انتهاء شعائر صباح يوم السبت الى دار ميري پيسحه الذي قبل دعوته للأكل والشرب والمرح.

يرتدي الشباب في هذا اليوم ملابس عيد الفصح الجديدة ويخرجون برفقة الموسيقيين الى ضفة النهر للغناء والرقص. وفي العماديه أخذ شَبات هاگادول إسمه من ملابس عيد الفصح الجديدة هذه: *شَبثيت ماخوويت جلِه*، سبت عرض الأزياء. [ويسمى في العماديه *شبثت هرِگي*، سبت الملابس أيضاً]. وهنا فإنّ ميري پيسحه الذي أجهد نفسه طوال العام لإستقدام ضيوفه المرغوبين الى أمسية السَدَر عنده يعلم مَن سيأتي اليه. وفي صباح الجمعة تتوجه زوجة كل مدعو، *پيسحييه* الى دار

٣- هكذا عرّفها لي أحد محدثيَّ من زاخو. ومع ذلك فالمعنى هنا غير مؤكد.

ميري پيسحه لمساعدة زوجة الأخير في الإستعدادات الجارية ليوم السبت. وفي صباح السبت يتوجه الـ*پيسحييه* مع زوجاتهم لتناول وجبة طعام إحتفالية في دار ميري پيسحه، حيث يقام بالمناسبة إحتفال يقوم الكل في نهايته بغرز وردة في قبعته علامة على إشتراكه في مراسيم *السَدَر* في المساء. بعدها يخرج الجميع للتنزه. ولهذا يعتبر شَبات هاگادول سبت الفرح في عموم كُردستان.

تهيئة الماتزوت - توفير الحبوب

إن إعداد *الماتزوت* (مفرده: *ماتزو*؛ وبالعبرية *ماصّوت*) يحتل مكانة هامة في إستعدادات عيد الفصح. كان إنشغال اليهود الكُرد بالزراعة في السابق أكبر مما هو عليه الآن (وهي حقيقة أكدنا عليها مراراً في ثنايا هذا الكتاب)، لذا كان رب الأسرة يحرص على الذهاب الى الحقل ليحصد بنفسه الحبوب المخصصة لإعداد *الماتزوت*. فكان رب الأسرة يختار أبعد الحقول عن العمران، التي لا يصل الدجاج إليها لإعتيادهم القول: [*موسيلان شَمورا لاشميلا قيليت ديكليت ميصا تي ميصا* "نجلب *شَمورا* [(الحبوب) المحروسة] التي لم تسمع أصوات دجاج المدينة لصنع الماتزوت".

وبعد جلبها الى البيت كان رب الأسرة يدرس الحنطة بالـ(*خاتوره*) على سجاجيد مغسولة حديثاً (في العماديه). أما اليوم فيجلبون الحنطة المخصصة لعيد الفصح بعد الحصاد مباشرة، ويختارون لذلك حنطة من الدرجة الأولى يحفظونها بعد درسها وتنظيفها في جرار مُحكمة الإغلاق. في معظم المقاطعات هناك فرق بين الحنطة المستخدمة في تحضير الماتزوت العادي *لاخميت پيسحه* أو *لاخميت پَطيره*) وبين *ماصّوت شَموروت*، "الماتزوت المحروسة". ففي العماديه يشترون القمح المخصص لصنع الأخيرة صيفاً وهي سنابل على سويقاتها لتُدرس في البيت، بينما تشتري العائلة الطحين لما تبقى من عيد الفصح من السوق في شهر *آب* عقب انتهاء الحصاد. أما في أشنويه فتُحصد كل الحنطة المستخدمة في صنع الماتزوت تحت الإشراف، ولكن لا تُدرس في المنزل إلاّ الحنطة الخاصة بصنع *ماصّوت شَموروت*.

الطريقة التي يجمع بها يهود زاخو ودهوك الحنطة لعيد الفصح فريدة ومثيرة للإهتمام. فخلال الشاڤوعوت تتوجه حوالي ثلاثين عائلة من العائلات اليهودية الفقيرة من زاخو الى حقول الفلاحين المسلمين لإلتقاط ما يتخلف عن الحصاد من سنابل القمح. ويعتبر جمع سنابل القمح مهنة محصورة باليهود فقط، إذ تقوم كل

عائلة (النساء والأطفال مجتمعين) بجمع مخلفات الحصاد من السنابل في نفس الحقل سنة إثر أخرى[٤]. فيقول الناس *فقيريم پيزي إيل شوبلييه* "الفقراء ذاهبون لإلتقاط السنابل". ويطلق على الذي يجمع السنابل *شوبلييه* . تجمع كل عائلة من هذه العائلات يومياً ١٠ *روتل* (ما يعادل ٢٥ كيلوغراماً) من الحنطة. وبعد الانتهاء من العمل تفرش النسوة قطعة قماش على الأرض يكومن فوقها سنابل القمح ويدرسنها فوراً في الحقل. ويستغرق عمل هذه العائلات في حقول الحنطة حوالي ثلاثين يوماً.

ولدى عودتهم الى زاخو بعد الفراغ من عملهم ينتظر أهالي زاخو، يهوداً ومسلمين، كباراً وصغاراً مقدم العائلات لعلمهم أن *الشوبلييه* أحضروا معهم شيئاً لكل واحد منهم، وبالتحديد *كيلوري* "أقراص الخبز التي تشبه الكعك والمصنوعة من حبوب الحنطة التي جمعوها. ويحصل كل واحد من أقرباء *الشوبلييه* - بما فيهم الأغنياء - على رغيف من هذا الخبز.

وقد إعتاد *الشوبلييه* أيضاً على جلب شيء آخر معهم لتوزيعه كهدايا وهو نوع من المشط المصنوع من سنابل القمح الطرية المجدولة ويسمى *مَسيركيت خيته* [مشط الحنطة] يعلقه اليهود على أبواب دورهم كتعاويذ. ويعلم الشوبلييه أن أغنياء اليهود سيقدمون لهم بدورهم هدايا مقابل أمشاط الحنطة التي يقدمونها لهم. ويعتبر استخدام تعاويذ أمشاط الحنطة هذه أمراً شائعاً[٥]. الحنطة التي يجلبها جامعو السنابل تباع في زاخو لليهود الذين يستخدمونها في إعداد *ماصّا شَمورا* أو الخبز عموماً في عيد الفصح.

تنظيف الحنطة وخزنها يتم بحرص وعناية فائقين. ولأن هناك عائلات معينة تحتفل *بالسَدَر* في كُردستان (كما أسلفنا)، فإن على ميري پيسحه أن يتولى بنفسه القيام بهذه الإستعدادات؛ لأنه الوحيد الذي سيحتاج لكمية كبيرة من *الماتزو* و*الماصا شيمورا*. ففي أولى ليلتي *السَدَر* يأكل معه جميع الـ*پيسحييه* وكذلك في آخر ليلتين من الپيساچ. وعموماً تُستهلك كميات كبيرة من اللحم والقليل من *الماتزو* خلال عيد الفصح، ولذلك تخبز العائلات كميات قليلة من *الماتزو* لهذه الفترة.

يقع عبء تنظيف الحنطة كله على عاتق ميري پيسحه، الذي يجب عليه أن ينظف

٤- تشيع نفس العادة بين يهود القفقاس: ["ولا زالت العادة سائدة بينهم حتى اليوم، إذ تتوجه النسوة الفقيرات لجمع سنابل القمح في حقول الأمراء والملاكين... وتقوم العائلة بدرس ما جُمع من سنابل في المساء لبيعها للميتزوفوت، والسعر الذي تحصل العائلة عليه لهذه الشَمورا سعر مرتفع" (زڤي كاسادي، رحلة الى مملكة آرارات، ١٩١٢، ص ٣٣. ترجمه عن العبرية ر. پ)].

٥- قارن: ڤلهلم مانهارد *Wald- und Feldkulte, Berlin, 1875-77- index,*، مادة *"Erntrauss"*

ويخزن كمية كبيرة منها. ولهذا أصبح من المعتاد في العماديه أن يدعو ميري پيسحه الپيسحييه الى داره في الپيوريم ليساعدوه في *بَديقيت خيته*، "تصنيف الحنطة"، حيث يتناولون لذلك وجبة طعام واحدة في بيت ميري پيسحه. وفي اليوم التالي تأتي زوجات الپيسحييه ونساؤهم الى دار ميري پيسحه لتنظيف الحنطة والمساعدة في الأعمال الأخرى. في البداية يجري تنظيف الحبوب. تمر الحبوب بعدها بثلاث مراحل تنظيف على يد ثلاث نساء على الأخيرة منهن أن تكون ذات بصر ثاقب. وبعدها تأتي عملية تنظيف البقول. أما الرز فيجب أن يمر خلال ثلاث أو خمس مراحل للتنظيف، بينما يمر السمسم بمراحل تنظيف قد تصل الى عشرة مراحل لصغر حجم حبوبه. وبخلاف قلة من المتدينين فإن معظم يهود كُردستان يتناولون الرز خلال عيد الفصح وذلك بخلاف يهود فارس[٦].

طحن الحبوب

كان طحن الحبوب يتم في السابق بواسطة الرحا، كما هي الحال عليه الآن في السليمانية. أما الآن فيشيع استخدام الطواحين المائية التي يديرها المسلمون. ولكي يتمكن اليهود من استخدام هذه الطواحين كما يريدون خلال عيد الفصح، فإنهم يلجأون الى إستئجارها لفترة معينة من أصحابها، فيقومون بتنظيفها تماماً قبل أن يطحنوا فيها شيئاً. فقبل عيد الفصح بنحو أربعة عشر يوماً يذهب الگاباي والحازان والشَمّاش الى الطاحونة التي إستأجروها للتأكد من أن تنظيفها يجري على الوجه الصحيح. إذ يجري تشذيب رحا الطاحونة وتطهير كافة الأواني المستخدمة فيها وأرضيتها وتغطيتها بعد ذلك بالحصران. وفي يوم بدء الطحن يقوم الحازان بتنظيف كل شيء مرة ثانية بحرص وعناية مفرطين. وبعد هذا يبدأ الطحن، الذي وإن لم يكن يقوم به اليهود إلاّ أنه يتم تحت إشرافهم وتوجيههم الكامل.

تحضير الماتزوت

للماتزوت أسماء عديدة: *لاخميت إيزا* (في زاخو والعماديه)، *لاخميت پيسحه* (في العماديه)، و*لاخميت پاطيره* (في العماديه). [وفي العماديه يتم تحضير "الماتزوت المحروس" الذي يعدّ خصيصاً لوضعه فوق طبق *السَدَر* ليتم تناوله في أمسية *السَدَر* ويسمى "*ماصيت سيله*" "ماتزوت السلة" أي طبق *السَدَر*. أما كل

٦- [ولكن يهود مشهد ، في إيران، يأكلون مع ذلك الرز خلال عيد الفصح].

أصناف الماتزوت الأخرى التي يتم تناولها خلال *السَدَر* فتسمى *لاخميت عَيده* "خبز العيد". والمسلمون الكُرد مولعون بأكل الماتزوت ويسمونه "*تاني عَيدي* "خبز العيد"].

تحضير الماتزوت يبدأ في الثاني من شهر *نيسان* لأن المرأة اليهودية الكُردية لاتعمل في اليوم الأول من كل شهر قمري. يجب تحضير نوعين من *الماتزو*: من عجين الخبز العادي غير المخمر وتحضره النساء. ومن *ماصا شَمورا* الذي يحضره ويخبزه الرجال يوم *السَدَر*.

من أجل تحضير الماتزوت يتم بناء أفران جديدة، وتتولى النسوة عملية الخَبز بالتناوب دون توقف وفق خطة معدة سلفاً، وتتعاون عائلات عدة في هذا العمل. ويجب خلال عملية التحضير الإستمرار في تحريك العجينة وعدم تركها ساكنة للحيلولة دون تخمّرها. ولهذا تستمر النسوة في تحريك العجين وأواني العجين وحتى كتلة العجين التي يصادف أن يحملنها في أيديهن. وتحدد بدقة كمية العجين التي يجب أن تحملها المرأة في كل مرة. وهناك في العماديه آنية خاصة لقياس هذه الكمية يطلق عليها تسمية *عاجنه* لا تستخدم إلاّ في خَبز الماتزوت.

أما يهود سنه فلهم نظام آخر في تحضير الماتزوت، إذ يقومون قبل تحضيره بتقسيم الطحين المعد لذلك الى أربعة أقسام يزن كل قسم *روتل* واحداً، ويعجنون في كل مرة نصفه (يسمونه عومَر). ويسمى الماتزوت المخبوز من عومر الأول *ساله* ويُحفظ حتى الشاڤوعوت. أما الدقيق الذي يُنثر على عجينة الماتزوت فيعدُّ من الرز أو العدس.

لكل إمرأة أثناء تحضير الماتزوت دورها المحدد، ويمر رغيف الماتزوت من يد إمرأة لأخرى بسرعة لحين وصوله الفرن حيث يُفرش على وسادة صغيرة معدة لذلك ويُلصق بواسطتها بجدار الفرن. في الغالب يكون الماتزوت المعد بهذه الطريقة *لاخميت تَنوره* [خبز التنور] وليس *لاخميت دوكه* (الخبز المعد على *الدوكه* أو مقلاة الخبز؛ أنظر ص١١١). وفي چالا يخبزون لاخميت دوكا وهو لايختلف شكلاً عن *لاخميت تنورا* العادي ولكنه أكبر بقليل في بعض المناطق.

وأثناء العمل تظهر النسوة بأن العمل في تحضير الماتزوت أمر شاق ويقلن: *لبان قدله* "قلبنا احترق"، ولهذا يتم – في العماديه مثلاً – صنع مشروب خاص للنساء نادراً ما يقدم في المناسبات الأخرى ويسمى *شاهميزه* يتألف في معظمه من مواد حامضة مثل *مايّت سموكه* والبصل الممزوج مع *طيخين* وأصل ذلك كما يقال يرجع الى ماورد في (سِفر روث ٢:١٤): "وقالت لها بواز في موعد طعامها: تعالي قربي

وتناولي من هذا الخبز، وإغمسي لقمتك في هذا الخل".

يحضر الحاخام والحازان معاً عملية تحضير الماتزوت للتأكد من إلتزام النسوة بكافة الضوابط. بعدها يُحمل *الماتزو* على إيقاع التراتيل[٧] الى البيت حيث يوضع في سلة تعلق بسقف الغرفة كي لاتبلغه الفئران والهوام.

تطهير أواني الطبخ: البحث عن حاميص

قبل حلول عيد الفصح ببضعة أيام يقوم الشَمّاش بجولة على بيوت اليهود ليجمع من النساء الحطب اللازم لـ*عاگيله* أي تطهير أواني الطبخ. وهي عملية تجري في باحة الكُنيس، إذ يحفرون حفرة كبيرة لإيقاد النار يضعون فوقها قدراً نحاسياً كبيراً يعود لأحد أغنياء اليهود. وفي اليوم المحدد لعملية تطهير الأواني، يصعد الشَمّاش الى سطح الكُنيس وينادي في جميع الإتجاهات : "*عاگيله، عاگيله*!". فتلبي النسوة نداءه ويتجهن مسرعات الى الكُنيس وكل واحدة منهنّ تحمل ما ستستخدمه في عيد الفصح من أواني الطبخ.

في البداية يتم تطهير " *كاشَر* [كوشر] مرجلين كبيرين ضروريّيْن للعملية وذلك بملئهما بالماء الذي يُسخن حتى الغليان وحينها تلقى فيه ثلاث أحجار مسخنة في النار. وبعد هذا يبقى أحد المرجلين يغلي بإستمرار بينما يُملأ الثاني بالماء البارد كلما فرغ. ولا تُستخدم الحجارة المسخنة في تنظيف الأوعية والأواني الأخرى.

قبل *بَديقه* [في العماديه *بَديقيت حَميرا*] يأتي البحث عن *حاميص*، حيث تخفي ربة البيت [بناء على توصية من زوجها] بعض فتات الخبز أو أيّ *حاميص* في أماكن عدة من الدار. وكتذكير بالبلايا العشر تضع الزوجة عشرة قطع من الفتات في الزوايا ولهذا يسمون المراسيم *بَديقيت ئيسره پرتقيت حامِص* [البحث عن قطع الحاميص العشرة].

في عشية الرابع من *نيسان* يأخذ سيد الدار شمعة من التي يصنعها الشَمّاش لكل عائلة من شمع الكُنيس (في زاخو)، ليبدأ عملية البحث عن فتات الخبز. وفي سنه يحرصون على عدم لمس الحاميص بأصابعهم ويلتقطونها بملقط. وفي بعض الأماكن يضعون فتات الخبز في إناء يحتوي ملحاً[٨] (في العماديه). ويحمل الباحث

٧- مثلاً النشيد: *لو لانو، لو لانو*، بينخيم *لو لانو* – مِن مصراييم گآلانو، *إيت توراتيم* نيحالانو (ليس وارداً في سِفر ديڤيدسون ثيورسوروس).

٨- [الملح في التَقاليد اليهودية، ر. پ. حول الفلكلور اليهودي، ديترويت ١٩٣٨، ص ٣٨٨-٣٩٠]

عن فتات الخبز سكيناً يبحث بها في زوايا الدار. وفي أشنويه يضعون الحاميص الذي يعثرون عليه في *دوكه* أو قماشة حفظ الخبز. وخلال الليل يوضع الحاميص في مكان أمين كي لاتقترب منه الفئران والهوام. وفي صباح اليوم الرابع عشر من *نيسان* يحرقون الحاميص مع *إيتروج* و *لولاڤ* المحفوظين منذ السوكوت.

على الرجل الذي سيقام إحتفال *السَدَر* في داره الذهاب في عشية الرابع عشر من نيسان الى النبع أو النهر لإحضار الماء لإعداد ماصا شيمورا. هناك في العماديه خمسة أفران فقط لتحضير الماصا شيمورا، وعلى رؤساء المجموعات "*خوراويثا*" أي *ميري پيسحه* الخمسة الذهاب الى النبع بأنفسهم لإحضار الماء. ويرافق هؤلاء الشباب والصبية ويتجهون جميعاً بهدوء الى نبع الماء. وبعد أن يحصل الرجال الخمسة على الماء يعود الجميع وهم يغنون أغنية (*ألف* بيت "الألفباء"). وتتمثل الأغنية في تكرار إنشاد حروف الإسم المقدس (*يهوه*، *YHWH*) بتغيير ترتيب الأحرف مع كل مرة. وتبدأ الأغنية هكذا: *ألف*، بيت، جيمل، *داليت*، هي، ثم: *هي*، *داليت*، جيمل، بيت، *ألف*. ثم يعودون الى البداية وهكذا الى آخر حرف وهو يود. [في العماديه يغنون أغنية ألفبائية أخرى لا علاقة لها بإسم يهوه، بل تضم جميع حروف الأبجدية، والأغنية هكذا: *ألف*، بيت، *جيمل*، *جيمل*، بيت، *ألف* ثم: *ألف*، بيت، *جيمل*، *داليت*، *داليت*، *جيمل*، بيت، *ألف* وهكذا يمضي التكرار مع إضافة حرف في كل مرة لغاية الانتهاء من الحروف الأبجدية كلها]. ويحمل ميري پيسحهت الجِرار على أكتافهم وهم يغنون بينما يصفق الآخرون. ولدى انتهاء الرجال من الغناء يبدأ الصبية الصغار بترديد ترنيمة الشكر، هاليلويا:

هاليلويا، هاليلو عَڤدي أدوناي، حمداً، حمداً، يا عبيد الرب

هاليلو أَدير أديريم، أَدير أَدوناي، حمداً للجبار، الرب العظيم.

وحين تجتاز هذه المجموعة الحي اليهودي، تخرج الفتيات الشابات من المنازل ويغنين: *هالالويا ويهالالويا باخلاخ إيدليل بعه شليقي پسرا تويا*، حمداً وشكراً، سنأكل الليلة كثيراً من البيض المسلوق واللحم المشوي.

لا وجود لهذه العادة في سنه والسليمانية، لأن الفتيات هنّ مَن يحضر الماء من النبع وليس الرجال، حتى إن النسوة المسلمات الكُرديات، اللائي يعملن في بعض البيوت اليهودية كخدم، يشتركن معهن في هذا العمل. كما أنّ النساء يخبزن *ماصا شَمورا* في مدينتي سنه والسليمانية وليس الرجال.

يمكن تناول *الحاميص* يوم الرابع عشر من *نيسان* حتى الساعة التاسعة

صباحاً؛ ولكن الطعام يكون بارداً (الخبز والـ*ماستا*) لأن الطبخ محرم، ويتناولونه في باحة الدار لا في الغرف. وبعد تناول أخر قطعة حاميص يغسلون أفواههم ويجففون شفاههم. ويحرقون ما تبقى من *حاميص* في باحة الدار. وفي بعض المناطق يوقدون النار التي يحرقون بها *الحاميص* من إترو ⅟ ولولاڤ السوكّوت (في العماديه).

وفي بعض المناسبات يتخلص يهود سنه من *الحاميص* عن طريق إلقائه في النهر [وهذا من بقايا طقوس *تشليخ*]. ويغلق التجار الذين يمتلكون *حاميص* جاهزاً في دكاكينهم خلال العيد. ومن المعتاد في كُردستان (كما في الأماكن الأخرى) بيع ما تبقى من حاميص، وهو بيع حقيقي تماماً[9]. ورغم أن المسلمين في كُردستان يزورون اليهود بإستمرار ويأكلون معهم أيضاً، إلاّ أنه لا يُسمح لأي مسلم بدخول أي بيت يهودي خلال عيد الفصح ما لم يحمل في طيات ثيابه *الحاميص*.

قبل عيد الفصح تصبغ اليهودية الكُردية يديها بالحناء بإعتبارها ايضاً من الحاميص. وفي الرابع عشر من *نيسان* يستحم الجميع ويقصون شعورهم ويرتدون ملابسهم الجديدة. أما الأكثر تديناً من اليهود فيذهبون الى النهر لممارسة طقوس الإستحمام في مياه النهر.

وفي العاشرة من صباح الرابع عشر من نيسان يصعد الشَمّاش على سطح الكُنيس وهو ينادي بالتوقف عن جميع الأعمال، وخلا الانتهاء من أهم الإستعدادات للپاسوڤر يحظر القيام بأي عمل آخر. وعندها يبدأ الرجال في تحضير فطير *ماصا شمورا*[10]. فتذهب الخوراويثا (المجموعات) الخمس الى الأفران المخصصة لهم على التوالي (في العماديه)، حاملين الماء الذي أحضره رؤساؤهم وهم يغنون أغنية الألفباء التي ذكرناها. ويتسلم هؤلاء مهمة تحضير الخبز من النساء ويقومون بها كلها عدا الخطوة الأخيرة من العملية وهي وضع الرغيف في الفرن حيث تتولاه إمرأة عجوز.

في بيتَنوره وچالا، حيث تقوم كل عائلة بتحضير فطير *الماتزو* بنفسها تساعد الزوجة زوجها في تحضير *ماصا شَمورا*. أما إذا كانت *نيدّا* [حائض ليست على طهر] فتحل إحدى الجارات محلها. يملأ الفرن بأغصان الصفاصاف واللولاڤ التي

٩- الحنطة لا تباع في حين يباع الگرگر (البرغل) والطحين للبدو الكُرد الذين يدفعون ثمنها لاحقاً على شكل كميات من الجبن خلال الپيساچ(في زاخو). ويبيع التجار الحاميص في بعض الأحيان قبل الپيساچ بنصف السعر السائد (في العمادية).

١٠- في زاخو يخبزون *ماصا شَمورا* عند منتصف الليل.

كانت مخزونة منذ السوكوت، ويرددون بإستمرار خلال العمل كلمات كوهين، كوهين (أو *ليڤي* أو *إسرائيل* وذلك حسب الحالة) لمنع وقوع الأخطاء (في زاخو والعماديه)، لأن المتعارف عليه بين اليهود الكُرد أن هذه الأصناف الثلاثة من *ماصا شَمورا* تتميز عن الأنواع الأخرى بعلامات معينة.

في العماديه وبامرني يخطون على *الماتزو*، بعود من الآس، خطوطاً قطريه تقطعه بشكل مائل الى ست قطع: واحدة تمثل كوهين، واثنتان تمثلان اللاوية وثلاث تمثل إسرائيل. وفي هيل وبارزان وسندور يَسِمون الماتزوت بعلامة واحدة أو إثنتين أو ثلاثة بكُشتبان بدل تلك الخطوط. وكانت هذه العلامة تستخدم في السابق من قبل بعض العائلات في العماديه أيضاً. أما العلامة الأكثر شيوعاً في مناطق (زاخو، دهوك، سنه، بَرَشه، بيتَنوره، نيروه، ريكان، چالا، أشنويه والسليمانية) فهي في شكل نتوءات بارزة صغيرة تشبه حلمة الثدي في أحد جوانب الماتزو وبعدد مناسب – بحسب الدلالة المطلوبة [چيچكيثا (في بَرَشه)][11].

ولتوفير *الأفيكومان* يخبزون فطيرتي *ماتزوليڤي* كبيرتين. ويغني الپيسحييه التراتيل عند حملهم ماصا شَمورا الى ميري پيسحه الذي سيستضيفهم.

تهمة الدم في الفطير

إن الإتهام باستخدام اليهود الدم في فطير *الماتزو* حدث فقط في المناطق الكُردية الفارسية. فقد كتب ر. ديڤيد دبيت هِل، الذي تجول في أنحاء كُردستان بين ١٨٢٧-١٨٢٨، عن حادثة في هذا المجال وقعت في أورميه[12] قائلاً:

إختفى صبي مسلم، فاتهم اليهود باستخدام دمه في صنع *الماتزوت*. فحبسوا جميع اليهود، بمن فيهم زعيم الطائفة ملا رفائيل، وقتلوا يهودياً ومزّقوه أشلاء عند بوابة المدينة. وأوسعوا يهودياً آخر ضرباً حتى غاب عن وعيه. وفي النهاية أفرجوا عن اليهود بعد تدخل عباس ميرزا من تبريز ودفع غرامة بلغت ألف تومان لحاكم أورميه شقيق عباس ميرزا.

والحادثة الثانية من أورميه كتب عنها گرانت، الذي كان مبشراً مسيحياً لفترات

١١- وبالكُردية چچينه من *چچيك* (قاموس ژابا، ص ١٣٧) سنه، أشنويه والسليمانيه، ماما. وكانت هناك ماتزو بچچينه من زاخو في مجموعة براور في الجامعة العبرية (٣٩: ٣٠).

١٢- ديڤيد دبيت هليل، الرحلات. أنظر أيضاً: الترجمة العبرية للكتاب تحت عنوان "رحلة الى كُردستان " بقلم فيشل، ص٢٠.

متقطعة من ١٨٣٥-١٨٤٠م:

> تم أثناء إقامتي في أورميه إحراق يهودي حياً حتى الموت في ساحة المدينة بأمر من حاكمها وبناءً على إدعاءات بوقوع جريمة مزعومة! فقد صبوا النفط على اليهودي المذكور وأضرموا فيه النار، فإلتهمت الرجل على الفور![13].

وأخيراً تلك الحادثة التي كتب عنها ر. ديڤيد دبيت هليل والتي وقعت في مراغة حوالي العام ١٨٠٠[14]:

> طعن بعض المسلمين صبياً مسلماً، بهدف إلقاء تبعة العمل على اليهود، فهوجم اليهود ونُهبت منازلهم إثر ذلك وقضى عدد منهم متأثرين بجراحهم. ولدى سماع حاكم تبريز بما وقع، وكانت مراغة حينها تابعة لسلطته، أصدر أوامره على الفور بكفٍّ أيدي الناس عن اليهود وتركهم يرحلون بسلام الى مياندواو التي إستقروا بها.

طبق السَدَر

يعود الرجال من الكُنيس في وقت مبكر لأجل منحه و*معاريڤ*، ووضع عيروف *ماصّا* في *هيخال* "الحرز". وتذهب زوجات الپيسحييه أثناء وجود الأزواج في الكُنيس الى بيت ميري پيسحه الذي يستضيف عائلاتهنّ لمساعدة نسائه في الإستعدادات الجارية لإحتفال *السَدَر*، حيث تضاء الغرفة المخصصة للإحتفال بشموع كثيرة. وتجمع النسوة أطباق *السَدَر* معاً دون محاولة ترتيبها فتلك مهمة *ميري پيسحه*، الذي يقوم بوضع كل شيء في مكانه الملائم فيما بعد. وليس هناك إختلافات فيما يتعلق بهذا الجزء في مختلف أنحاء كُردستان.

يوضع فوق طبق *السَدَر* (ما يسمى في زاخو *ميدو پيسحه* وفي العماديه *سال پيسحه*) طبق منفصل هو (*فَرخاسيني ماصَه*) فيه *الماتزوت* شَموروت. وفي هذا الطبق سبع فطائر ماتزوت من كل صنف بسبب عدد الضيوف الكبير. أما المارور (زاخو والعماديه؛ وفي سنه يسمى *مَورور*)[15] فله موقع الصدارة في طبق *السَدَر*.

١٣- گرانت، النساطرة،أو القبيلة المفقودة. ص ٣٨٣.

١٤- فيشل، نفس المصدر السابق، ص٢٣.

١٥-[*المارور*، أو العشبة المرّة، الشائع بين يهود الأشكنازي هو الفجل].أما بين اليهود الكُرد فإسم المارور يطلق على النبتة التي يسميها الكُرد تَحليشكي. وحسب الحاخام أڤيداني، فإن المارور =

ميري پيسحه يكون في يوم *السَدَر* قد أرسل ومنذ الصباح الباكر أحد الصبيان لقطع *المارور* و *كَرپيسه* [الكرفس أو البقدونس] الذي ينمو بكثرة قرب النهر في العماديه. وبعد المارور يأتي البيض المسلوق بيته في الماء بدلاً من شيّه على جمر النار كالعادة، والخس (ويسمى في زاخو والعماديه *خاسي*؛ وفي سنه *كاهو*)، و*حاروسيت حَليق* (في العماديه وسنه) أو *حلِيق* (في زاخو) الذي يوضع على المائدة بكميات كبيرة لكثرة عدد الضيوف[16]. ويتم إعداد *السَدَر* من الزبيب المنقوع في الماء مدة يومين حيث يجري غليه حتى يصبح عصيراً كثيفاً، ويضاف اليه حينها السمسم (*شوشَمه*) والجوز المدقوق ومن ثم يتم غليه ثانية حتى يغدو كثيفاً لزجاً كالعسل. والبعض يستخدم العسل بدل عصير الزبيب هذا. وتُختتم عملية إعداد طبق *السَدَر* بإضافة العظام (في زاخو والعماديه *زيروعه چاچيكسه* وفي سنه *باسكه*) التي يستخرجونها من اللحم المحفوظ (*قليه*) المعد منذ السوكوت. تستخرج العظام قبل يوم واحد من عيد الفصح وتنقع في ماء دافيء ثم تُشوى. والعظمة توضع فوق طبق *سال پيسحه* خاصة برب الدار، والعظام الأخرى فتُقدم للضيوف.

أما يهود سنه فيأخذون قطعة من اللحم المشوي ويتبّلونها بتوابل خاصة إحتفاءً بذكرى اللحم الذي شواه يوشع في الصحراء والذي أغرت رائحته اليهود كافة. وبجانب طبق *السَدَر* يضعون إناءً يحتوي ماءً ممزوجاً بالسمّاق *سموكه*. يُغطى طبق *السَدَر* بقماشة تسمى *قَرَمتيت پيساح* (وليس *پيسحه*) وتصنع من قطع قماش عديدة مختلفة الألوان حسبما وصفناها سابقاً. وربما يعود استخدام القماش هذا في سنه الى التأثير الفارسي عليهم. [فأغطية أواني الطعام هذه تستخدم في العماديه أيضاً]. أما "كأس إيليا" فغير معروف في كُردستان.

أما المثير للإهتمام في أواني *السَدَر* فهو نوع *سال پيسحه* الذي يُستخدم في بيتَنوره وچالا، وهو على شكل طبق مصنوع من الأغصان المنسوجة له ثلاثة قوائم يستند عليها، مزين بغصن (*سيپه*) يوضع عليه كتاب. وعند دخول كل ضيف يرفع غطاء الطبق ويقبّل الكتاب وهو يقول: "*سالوخون بَريخه* "بورك طبق پاسوڤركم" ويقبّل خبز *ميري پيسحه*.

= المستخدم في العمادية ينمو في ابرية وهو يشبه تماماً (*عَرقَڤلين*) المذكور في الميشنا (إيورين ٦:٢) والتلمود (ب. پيساحيم ٣٩أ) والذي يستخدم للإشارة الى النباتات المتسلقة التي تتسلق أشجار النخيل].

١٦- أنظر: چورني، *سفِر هاماساعوت*، ص١٠٨، يتحدث عن كميات *حاروسيت* كبيرة يقوم بإعدادها يهود القوقَاز.

أمسية السَدَر

في العماديه يضعون الزوهار فوق طبق السَدَر. ولدى عودته من الكُنيس يبارك رب الأسرة عائلته. ولدى دخول الضيوف يقبّل كلٌّ منهم الزوهار أولاً، ثم *ميري پيسحه* ثم يجلس الجميع حول طبق *السَدَر*. بعدها يقف الجميع لسماع التبريك الذي يتلي على أول قدح نبيذ يقدم لهم، ويشرعون في الجلوس ببطء أثناء تلاوة التبريك حتى يجلسوا متكئين على أحد جانبيهم على مخدة. وبعد شرب كل قدح نبيذ يجمع الشمّاش الكؤوس ويغسلها.



نموذج لغطاء السَدَر (من سنه)

يبدأ تناول الوجبة بغسل الأيدي وترديد عبارة: *بيلو بريخه* ويضيف الشَمّاش: *دارينوخ گو ميزيخا*، "ساضعك في وعاء الحبوب (في الطاحونة)، حيث يرد عليه الضيوف: *قورونوخ لي كوريخا* "سأدفنك بدون كفن" (في زاخو).

ويستخدمون *كارپيسه* مع قليل من البصل في طقوس تبريك الفاكهة. وعند تقديم *كارپيسه* يلقيه الشَمّاشيم أمام الضيوف كمن يرمي "علفاً للدواب"، لذا يستخدمون في هذا الطقس كمية كبيرة من الكرفس.

في بيتَنوره وچالا هناك عادة ظريفة: يتوجه كافة ميري پيسحه والپيسحيه، بعد طقوس الكرفس الى دار الكَّفير. وعند دخولهم الدار يقبّلون الكتاب الموضوع فوق طبق *السَدَر* ثم الخبز ثم الكَّفير. ثم يشرعون في تلاوة *الهاگاداه* حتى فقرة *داپينو*، حيث يتوقفون لشرب ثلاثة أقداح من النبيذ. بعدها يتوجهون الى بيت ميري پيسحه آخر، ويقرأون الهاگاده ويشربون ثلاثة كؤوس من النبيذ كما فعلوا في بيت الكَّفير. وعلى هذا المنوال يزورون ثلاثة أو أربعة بيوت، لذا فإنهم حين يعودون الى بيت *ميري پيسحه* الذي يستضيفهم لإتمام قراءة الهاگاداه يكونون سكارى تماماً[١٧].

١٧- قارن ذلك بما كتبه المبشر ستيرنشوس في كركوك: "يحتفل اليهود هنا بهذا العيد، وكذلك =

الأفيكومان

عندما يبدأ ميري پيسحه بتوزيع *الماتزو* الوسطى على ضيوفه، يسألهم قائلاً: "هل تعرفون لماذا تم تقسيم *الماتزو* الوسطى الى قسمين؟". ويشرع بعدها في سرد قصة اليهود بدءً من عهد إبراهيم وانتهاءً بخروجهم من أرض مصر. وإذا لم يكن *ميري پيسحه* مؤهلاً لسرد الحكاية، فإنه يطلب من الحاخام أن يدونها له مسبقاً لكي يستظهرها لهذه المناسبة. وحينما يصل ميري پيسحه في قصته الى لحظة إنشطار مياه اليم، فإنه يقوم بشطر *الماتزو* الى نصفين (في سنه).

وتُشطر *الماتزو* بطريقة خاصة بحيث يشكّل قسماها الحرفين *داليت*، و*ڤاڤ* ويوضع القسم الذي يشبه *داليت* فوق طبق *السَدَر* فيما يقدم القسم الذي يشبه *ڤاڤ* بصورة *أفيكومان*. وفي سنه ينثرون الملح على القسم الشبيه بالڤاڤ ثم يطوونه ويلفونه بقطعة قماش حريرية يربطها الوالد على الذراع اليمنى[١٨] لأحد أبنائه قائلاً: "إن شاء الله ستربط *الكيتوبا* حول ذراع عروسك". وفي أغلب الأحيان يغلب النوم الطفل الذي حظي بالأفيكومان فيأخذ إخوانه *الأفيكومان* ويخفونها عنه، ولا يعيدونها له إلاّ بعد حصولهم على دجاجة منه كغرامة.

أما في العمادية فيقوم *ميري پيسحه* في الليلة الأولى، وكذلك إبنه في الليلة الثانية، بربط القسم الشبيه بحرف الڤاڤ الملفوف بقطعة قماش على كتفه ويشد نطاقه ويدخل الغرفة حاملاً عصاه بيده وهو يرتل سِفر الخروج ١١:١٢ و٣٤. وبعدها يبدأ بينه وبين الحضور الحوار التالي:

- من أين جئت؟ (ميعيكا *سيلوخ*؟)
- من مصر (*مِن* ميصر)
- مالذي جلبته معك؟ (*ليكا* بيزيت؟)
- عجين آبائنا من مصر، لم يتسنَّ لهم أن يخبزوه. تعالوا سأخبركم بقصة المعجزة التي أنزلها الرب على آبائنا[١٩].

= بالعديد من الأعياد الأخرى، بالإفراط في شرب الخمر. فهم يشربون النبيذ على وجه الخصوص أكثر مما يجب وفوق طاقتهم، ولهذا بالكاد يحتفظ الشخص بحواسه ويكون قادراً على الإستماع لأي شيء بله أن يكون روحانياً أو مقدساً" (ستيرنشوس، مركز المعلومات اليهودي، ٢٩٧:١٨٤٨).

١٨- ويرتدون تميمة بنفس الطريقة في فارس على أعلى الذراع مثلاً.

١٩- [وتسود عادات مماثلة في العديد من المجتمعات اليهودية الشرقية].

العادة المتبعة في زاخو تشابه هذه، حيث يضع صبي الأفيكومان شَمورا[٢٠] الملفوفة في قطعة قماش على كتفه ويتمشى في الغرفة جيئةً وذهاباً مسافة أربعة أذرع. وبعدها يعطي الأفيكومان للحاخام الذي يسلمها بدوره لأحد الضيوف كي يحفظها في مكان أمين، والـأفيكومان يجب أن يكون لها چچينه. ينصح الحاخام الضيف بالإعتناء باللولؤة، جوهر الموضوعة فوق الماتزو. فيتسلمها الضيف كمن يتسلم عهداً وهو يجيب الحاخام: "إني أتسلم هذا العهد الذي تتوّجه لؤلؤة[٢١] وأضعه في قطعة القماش الحمراء هذه"، ثم يخاطب الحضور بقوله: "ماذا تشبه هذه الؤلؤة؟". ويأتيه الرد: "تشبه الچچينه على نهد المرأة". بعدها يخفي الضيف الأفيكومان بين طيات ثوبه ويحرص عليها، لأن الآخرين سيحاولون سرقتها منه (في زاخو).

عند سماع الحضور عبارة هي لحَما عَنيا، ويلفظها الكُرد هي لحَما محاكاة لعبارة "هي لاخيم زيرا ع" (سِفر التكوين ٢٣:٤٧)، يقترب الرجال من طبق السَدَر ويمسكونه بأيديهم. وخلف الرجال تجلس النسوة والأطفال في بضعة صفوف ممسكين بأكتاف الرجال. عند بدء القراءة يحرك الرجال طبق السَدَر جيئة وذهاباً، وكذا تتحرك معهم النسوة والأطفال، والكل في فرح ظاهر، وعند سماع عبارة بنّه حورين يرفع الرجال معاً الطبق الى أعلى ما يمكن بينما ترفع النسوة أصواتهن بالزغاريد. هذا ويكتفون في المناطق الأخرى برفع سال پيسحه. ويرددون عبارة "هي لحَما" ست مرات، إذ يرددها أولاً ميري پيسحه بالآرامية وبالتارگوم، ثم يرددها أخوه بالآرامية والتارگوم، ثم يرددها إبنه بالارامية والتارگوم.

ما نيشتانّه

في سنه يطلقون على هذا الطقس شَلشَلَكين "مثل الرجل الأعرج" الذي يسبق طقوس ما نيشتانه، وفيه يغادر صبيّان أو أكثر الغرفة ويرتدون أزياء ملائمة ويضعون عمائم ضخمة على رؤوسهم ويحمل كلّ منهم عصاةً بيده. ويضع أحدهم لحية مزيفة ويحمل في صرة على ظهره أواني وأدوات الطبخ كما حملها أجداده اليهود لدى خروجهم من مصر. ويركب آخر على كتف الصبي الأول، الذي يطرق باب الغرفة ويرد على الحاضرين عندما يسألونه: "مَن الطارق؟"، "أنا". "وماذا تكون"،

٢٠- في العماديه: ماصا ميشوميريت.

٢١- جواهر بِريش دي أَمانيتا [لولؤة في رأس العهد].

"يهودي!"، فيقال له "أدخل!". فيدخل الصبي وهو يعرج ويتبعه الصبية الآخرون وهم يعرجون في مشيتهم مثله. وتفسير المشية العرجاء في هذه المراسيم يعود للمعنى المزدوج لكلمة پاساح التي تعني "العَرج في المشي" و"المرور". ويستمر الضيوف في توجيه الأسئلة لذلك الصبي: "كيف لنا أن نتأكد من أنكم يهود؟"، "إننا نتكلم العبرية". "هل تحملون معكم مؤونة الرحلة؟"، "نعم". "وماهي تلك المؤونة؟". فيجيب أحد الصبية "ما نيشتانه". ويقرأ بعدها أحد الصبية الفقرة المخصصة وينال بيضة مكافأةً له.

وفي العماديه يتلهف الصبية لقراءة ما نيشتانّه، إذ يقوم الرجال عند الوصول الى هذه المرحلة بإختيار إبن ميري پيسحه وبعض الصبية ويطلبون منهم "أن يخرجوا ويضربوا برؤوسهم الحائط". فيخرج هؤلاء ويشرعون في الطرق على باب الغرفة برؤوسهم، ويشجعهم الآباء على التنافس في قوة الضربات لأن الفائز هو الذي سيقرأ، فيشجعونهم قائلين: "إنكان لي ماخيتن ريشوخ بيش إلليت تارعه لي يواخلوخ بيعه "إذا لم تضربوا الباب برؤوسكم بقوة أكبر فلن تحصلوا على البيض". ويفعل الصبية ما يطلب منهم ويضربون بقوة أكبر، ولكن الآباء يظلون يصرخون من الداخل: "لا سمعيلان " لا نسمعكم. ويكررون القول مرات عديدة، والصبية يضربون بقوة أكبر حتى تدمى جباههم في كثير من الأحيان من أثر ضرب الباب. وفي النهاية يُفتح للصبية ويستجوبونهم بنفس الطريقة التي تجري في سنه. ويُبرز الصبية جدائلهم عندما يشكك الرجال في يهوديتهم، وحين يسألهم الآباء: "مَيلي زاويدوك "ما هي مؤونة (رحلتكم؟)" يرد أحد الصبية قائلاً: "إتلي زاويده؛ ما نيشتانه "لدينا ما نيشتانه" (في زاخو أيضاً). وهنا يشير الصبي الى ورقة كتب عليها المعلِّم ما نيشتانه. [وهناك شكل آخر من هذا الحوار: "ميكا كَسَت؟ "من أين جئتم؟، "من مصر". إيكا بازات؟ "الى أين تذهبون؟". "الى أورشليم". "مَيلا زاويدوخ؟ "ماهي مؤونتكم؟، "ما نيشتانه" (في العماديه)]. وبما أن اليهود الكُرد مولعون بمضاعفة أفراح عيد التحرر بالفكاهة – على طريقتهم الفلاحية والتي تكون في بعض الأحيان مزاحاً خشناً حد الإفراط – فتراهم يعلنون لدى التحقق من يهودية الصبية بأنهم غير مقتنعين بكل البراهين والأدلة التي قدموها ويطلبون منهم براهين أقوى. وحينها إما أن يسمح الصبي على سبيل الدعابة بأن يتفحصوه، أو يجبرونه على ذلك كما هي الحال في مسرحية شيلونا الهزلية القصيرة[٢٢].

٢٢- أنظر الص ٣٤٦-٣٤٨. يمارس يهود القوقاز هذه العادة بنفس الطريقة؛ راجع قسداي، مملخيت أرارات، [ديڤيدسون، ثيوساوروس، ص ٣٤].

بعد هذا يشرع الصبي في ترتيل *ما نيشتانّه*، ويحمل لذلك قدحاً من النبيذ دون أن يشربه – لأنهم سيستخدمون النبيذ بعدها لتعداد البَلايا العشر– ويعطى عوضاً عن ذلك البيضة التي وعدوه بها ليتناولها لدى تناول البيض قبل وجبة الطعام.

البَلايا العَشر

إن إرتباط طبق *السَدَر* بمراسيم البَلايا العَشر أمر شائع في جميع أنحاء كُردستان، وهذا مع وجود إختلافات طفيفة هنا وهناك. ففي أشنويه مثلاً يغمسون الإصبع في النبيذ لدى ذكر كل بلية من البلايا العَشر كما هي العادة في المناطق الأخرى؛ وهم يقطرون قطرة النبيذ العالقة بالإصبع في قشرة بيضة فارغة. ويضيفون الى ما يتجمع في قشرة البيضة الفارغة قليلاً من العرق والتبغ وبعض الأعشاب المرّة (*مارور*). بعدها يحمل أحد الرجال القشرة في صمت ويرميها على عتبة دار الشخص الذي يعرفونه كارهاً لليهود، ثم يعود كما ذهب في صمت ويغسل يديه ووجهه قبل إشتراكه في وليمة *السَدَر*. وتعتبر ممارسة "طقس" الصمت[٢٣] هذا واستخدام الآنية التي تحوي قطرات النبيذ لغرض السحر الأسود أمراً شائعاً في كُردستان. وقد يمتد ذلك الصمت أحياناً ليشمل كافة المشاركين في أمسية *السَدَر*.

قبل البدء بمراسيم البَلايا العشرة – وخاصة عند وصول القراءة الى فقرة *أَشر تَعاسـه بو* – يتعين على أهل الدار أن يغطوا كافة الأواني والأوعية التي تحوي الأطعمة (في زاخو وسنه ودهوك). ويقومون في سنه قبل حلول عيد الفصح بتهيئة وعائين فخاريين يسرعون بإحضارهما لدى نطق عبارة "أحضروا الطعام لفرعون والمصريين" والتي تبدأ بها مراسيم البلايا العَشر.

جرت العادة في الماضي على إلقاء قطرة النبيذ العالقة بالإصبع في وعاء ماء، ولكنهم إستعاضوا عن ذلك بإنزال القطرة في الوعاء مباشرة، سيما وأن إلقاءها هكذا قد يتسبب بحلول لعنة على الفاعل. توضع في الجرة ست وعشرين قطرة (عشر قطرات للأسماء العبرية، وعشر للتارگوم، وثلاث قطرات لكلٍ إسم مختصر).

ولدى سؤال الحاخام حول معنى الإختصارات الخاصة بالبلايا العشر (*دصاخ، عدّاش، بئاحڤ*) يجيب مازحاً شارحاً معناها: "*طلوخه مَبوشلي گو قوقي* "يُطبخ العدس في برميل[٢٤]" (في زاخو).

٢٣– [فيما يتعلق بالهدوء "الطقسي" راجع إنسايكلوپيديا الأديان والأخلاق، مادة "الصمت"].
٢٤– في العماديه: *طلوخه ميبيسه گو تَنورا* "طبق عدس السبت في الفرن".

بعدها تؤخذ الجرة الحاوية قطرات النبيذ الى الخارج وتُسكب محتوياتها على عتبة دار مَن يرون فيه عدواً لليهود، أو يسكبونها في بقعة نائية (في دهوك). وهم في كلا الحالين يتوخون أقصى درجات الحذر لأن لا تنسكب محتويات الجرة على عتبة دار أي يهودي، لأنهم مقتنعون بأن ذلك سيعني موت أحد أفراد عائلة صاحب الدار خلال العام المقبل. وتعزى نفس هذه القوى للماء الذي تُغسل به الكؤوس بعد كل دورة شرب نبيذ. وللكُرد المسلمين إعتقاد مشابه بخصوص هذا الماء، إذ تشتريه النسوة الكُرديات لسكبه على عتبة دار عدو (في سنه).

دَيّينو

"*كاما مَعالوت طوڤوث*" أغنية يؤديها رجلان بالتناوب. وعند نطقهما كلمة *دَيّينو* [سيكفينا] يرفع الرجال الآخرون طبق *السَدَر* عالياً. وفي زاخو يرفع جميع الحضور أيديهم لدى سماعهم الكلمة. أما في سنه فقد جرت العادة أن يتقاذف الضيوف بالبصل فيما بينهم عند سماعهم لها [ويقوم يهود فارس بعين الشيء].

بعد الانتهاء من غناء *دَيّينو* يدعون رجلاً مسناً مشهوراً برواية الحكايات ليروي لهم تاريخ *دَيّينو* (في زاخو والعماديه وسنه)، فيشرع العجوز في الرواية التالية:

> كان ثمّ حاخام فقير لايملك من المال ما يكفيه لشراء لوازم أمسية السَدَر، فقالت له زوجته: "إذهب الى السوق فقد تجد لك عملاً هناك تكسب منه بعض النقود". ففعل الحاخام ما أشارت به، ثم سمع وهو في السوق بتعرض الملك للسرقة وبحاجته لساحر يكشف له عن هوية السارق. فاستجمع الحاخام شجاعته وتوجه الى قصر الملك وقال له أن بإمكانه الكشف عن اللص. فوافق الملك على منحه مهلة أربعة أيام لإتمام مهمته، وإذا لم يجد بعدها اللص سيدفع حياته ثمناً لفشله. وتسلم الحاخام، من الملك دفعة مقدمة من المكافأة إشترى بها لنفسه ثياباً جديدة ومؤنة تكفي لأيام الأعياد.
>
> وفي المساء والحاخام جالس الى طاولته لقراءة *الهاگاداه* جاء الملك مع عدد من أتباعه الى دار اليهودي متنكرين. وأمر الملك قائد قواته بأن يتسلق حائط منزل اليهودي ويصعد الى سطحه وينظر من فتحة المدخنة ليرى ما يفعله اليهودي للكشف عن هوية اللص. وحينها كان الحاخام قد وصل في قراءة الهاگاداه الى فقرة *دَيّينو* فسمعوه يصيح عدة مرات

"*دَيّينو*!" فاستنتج قائد قوات الملك بأن الحاخام إنما كان ينادي بإسم اللص، فأخبر الملك بما سمع، وحدث أن رجلاً إسمه *دَيّينو* كان يعيش في المدينة. فأمر الملك بتفتيش منزله، الذي وجدوا فيه ما سُرق من بضائع من الملك.

وفي سنه رواية أخرى من هذه الحكاية، عن يهودي اتُّهم زوراً بسرقة أغراض للملك، فصدر الحكم عليه بالشنق. فطلب اليهودي من جلاديه خدمة أخيرة وهي أن يتركوه قبل موته يحتفل بعيد الپيساچ. فوافقوا على طلبه. وعند حلول المساء جاء اللصوص الحقيقيون ليروا ما يفعل اليهودي، فسمعوه يقول "*دَيّينو*" وظنوا بأنه يعرف إسم أحدهم فعادوا أدراجهم مسرعين الى حيث أخفوا ما سرقوا.

وفي العماديه جرت العادة أن يقوم *ميري پيسحه* – لدى وصوله في القراءة الى فقرة "*بأَخول دور ڤادور حاياڤ آدام*" بربط فتحتي بنطاله عند الكعبين وشدّ حزامه وحمل بعض *الماتزو* في قطعة قماش يربطها على كتفه وأخذ عصا في يده (كما وصفنا ذلك سابقاً)، ويخرج من الغرفة ويبتعد أربعة أذرع يعود بعدها اليها مسرعاً وهو يشير الى العصا والعجينة ونطاق خصره قائلاً: "هكذا خرج آباؤنا من مصر".

وليمة الپاسوڤر

قبل تناول هذه الوجبة يحضر الشَمّاش البيض المسلوق جيداً ليوزعه *ميري پيسحه* على الحضور: بيضة واحدة لكل *پيسحييه* وللآخرين، عدا الصبي الذي قرأ *ما نيشتانّه* فيحصل على بيضتين. وفي معظم الأحيان لا يكتفي الضيوف ببيضة واحدة بل يحضرون معهم البيض المسلوق ويتناول كل منهم ما يتراوح من عشرة الى اثنتي عشرة بيضة.

وبهذا البيض المسلوق يلعب الأطفال لعبة *هيلكه شكينه* "كسر البيض" (بالكردية في سنه) أو هيكينه (في العماديه وزاخو وذلك من *هيك* – كينه) بما لديهم من بيض، حيث يتنافسون في صدم البيوض ببعضها. ويخسر مَن تنكسر بيضته فيخسر البيضة. وهناك لعبة أخرى تسمى جزيركي (في العماديه) يلعبها إثنان وذلك بوضع مقدار من النقود – نصفها يُستثمر في البيوض – والنصف الثاني كرهان في اللعبة. ويجري صدم البيوض ببعضها كما في اللعبة السابقة، ويفوز مَن تبقى بيضته سالمة حتى انتهاء اللعبة (في العماديه وبيتَنوره وبارزان). وتعتبر هذه اللعبة لعبة حظ مجردة تُلعب في الأيام التي تتوسط بداية ونهاية العيد، حيث تتناقل أيدي

اللاعبين خلالها ألف بيضة.

ومن المتع الأخرى التي يلجأ اليها الأطفال صناعتهم سلالم صغيرة (بالعبرية *مَعالوت*. وفي التارگوم *دَرَجيت مالا*) من أوراق *سيپه*. وبهذه السلالم يزينون طبق *السَدَر*، بينما يغنون *كاما مَعالوت* توڤوث (في العماديه). وفي بيتَنوره يصنعون هذا السلم الدقيق في الأمسية الثانية، ويعلق الجميع صغاراً وكباراً سلماً دقيقاً في غطاء الرأس دلالةً على انتهاء أمسيتي *السَدَر*.

تتألف وليمة الپاسوڤر بشكل رئيس من الرز واللحم، ويدخل الرز في كل الأطباق التي يتم إعدادها خلال عيد الفصح. لذا يتدبر حتى مَن لا يملك رزاً في باقي أوقات السنة تأمينه لعيد الفصح، لأن غيابه عن أطباقهم في هذا الوقت سيكون إذلالاً كبيراً لهم. ويستهلك اللحم كذلك بكثرة خلال الپاسوفر، أما استهلاك *الماتزوت* فيكون قليلاً، والوحيد الذي يخبز كميات كبيرة منه هو *ميري پيسحه* لكثرة الضيوف الذين سيستقبلهم كما ذكرنا.

المسرحيات الهزلية القصيرة : شَلونا

تعزيزاً لأجواء العيد الإحتفالية يقوم اليهود في مراحل معينة من أمسيات *السَدَر* بتقديم مسرحيات كوميدية قصيرة يمكن إعتبارها بدايات لفن درامي. تبدو الأشكال الحالية من هذه المسرحيات وكأنها منحلة عن أشكال أخرى رائدة. وعلى كل يصعب التصديق بأنها مجرد مشاهد هزلية بسيطة.

إحدى هذه المسرحيات الكوميدية القصيرة تسمى *شَلونا*[٢٥]، وفيها يرتدي أحد الرجال زي *قَشه* القس النسطوري وفوقها ملابس وعباءة نسائية ويحشو ملابسه بحيث تبدو هيئته كالمرأة الحامل[٢٦]. يحتفظ بعض العائلات بأزياء خاصة لتمثيل الشَلونا لإختصاصها بتمثيلها. وأحد هذه الأزياء ينسج مثلاً في منطقة ريكان من أنسجة بيض وسود أو سود وصفر. أما الشخص الذي يمثل دور الشَلونا فيضع عمامة ضخمة ولحية مزيفة ويحمل بيده عصا، ويذهب الى غرفة النساء، حيث يختار

٢٥- لا يمكن إعطاء أي تفسير لهذه الكلمة. وتمارس هذه العادة في العماديه وبيتَنوره وريكان ونيروه ودهوك. وقد لاحظت وجودها في أشنويه أيضاً. ويقال بأن تاريخ هذا التقليد يرجع الى حوالي ٦٠٠-٨٠٠ عام.

٢٦- حين يرتدي الـ(*عَبايه*) يغني الناس: *سَري، سَري ميرانه، بني بني ژنانه* "رأسه، رأس رجل، بطنه بطن إمرأة" (في العماديه؛ بالكُردية).

فيها زوجات بعض الضيوف الحاضرين في المنزل مع عدد من الأطفال الصغار في بعض الأحيان. ثم يتوجه الى مجلس الرجال والنسوة يتبعنه، والكل يحبو على أربع.

عند دخول الجمع مجلس الرجال يسأل الحازان الشَلونا من أين جاء، فيجيبه هذا بالقول "من مصر". "ماذا أحضرت معك؟"، "أحضرت قطيعاً من الغنم، إشتروه مني". "إذا كانت الأغنام جيدة، فسنشتري منك القطيع. هل أحضرت بعض الشياه السمينة التي تصلح للذبح وإعداد *قَليه*؟" (أنظر ص ١١٤). "نعم لدي عدد منها"، ثم يأخذ الشَلونا مع هذه الكلمات زوجة الرجل الذي وجه له هذا السؤال ويرميها أمامه على وجهها، أو أن المرأة هي التي تحبو الى زوجها على أربع. ويشير الشَلونا على الرجل (الزوج) أن يتحسس الشاة (زوجته) ليرى مقدار سمنها. وما إن يشرع الرجل في ذلك حتى يضربه الشَلونا بعصاه بقوة على ظاهر كفه. ثم يرمي الشَلونا البنات بنفس الطريقة أمام الشباب. ويلجأ المحتفلون في هذا الطقس الى تنويعات مختلفة وأنواع من اللعب الخشن في بعض الأحيان في هذه المسرحية. وفي بعض المقاطعات (چالا ونيروه مثلاً) يأتي المسلمون لمشاهدة هذه المسرحية وطقوس الإحتفال، وتشترك النسوة الكُرديات في المسرحية بلعب دور الشياه الى جانب النسوة اليهوديات، حيث يرميهن الشَلونا أمام أزواجهن.

ويوفرالعرض الإحتفالي للصبية والأطفال فرصة ذهبية لممارسة شقاوتهم، إذ يقومون بوخز الشَلونا وأغنامه بالدبابيس المعدنية أو الخشبية، فيغضب الأخير حينها ويضرب بعصاه في كل إتجاه، مما يزيد من الهزل، طالما أن سرور الجمهور يزيد بإزدياد الخشونة.

بعد هذا يخرج الشَلونا من الغرفة ليعود بعد برهة وهو يشير الى طبق *السَدَر* بعصاه قائلاً: "ما هذا؟"، فيجيبه رب الدار: "إنه *پيسحه*"، فيحكي الشَلونا قصة الخروج من مصر ومعنى *السَدَر*، ثم يعبّر الـ(*قَشّه*) عن رغبته في الإشتراك بشعائر *السَدَر*، إلا أن الجمهور يأبى عليه ذلك مالم يبرهن بأنه مختون. وعندها يبدأ بعضهم بالتظاهر بأنهم يتفحصون الشَلونا للتأكد من ختانه، ليعلنوا بعدها بأنه غير مختون وبأن عليه أن يخضع لعملية الختان. وبعد فترة تردد يوافق الشَلونا على ذلك ويستلقي على ظهره، ثم يستدعون الحازان ليقوم بدور *الموحيل*. فينادي هذا بإحضار "السكين الكبيرة" فيحضرون له فأساً، ويستخدمون ملزمة خاصة *مَشقاس شَلونا* (أنظر ص ١٩٦) معمولة من قشرة يقطينة كبيرة[٢٧] في عملية ختان *الشَلونا*

٢٧- مجموعة براور، الجامعة العبرية ١٨:٣٩.

المسرحية. ويغني الحضور خلال عملية الختان هذه الترنيمة:

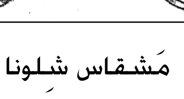
إيلي هاقشيف لي

أوشوعماً لعقولي

يحيّي نيمولي

ئوفعنه هيخال[٢٨]

وقد جرت العادة على ترديد الترنيمة عينها في حفلات الختان الحقيقية. وبعد أن يصبح *القشّه* يهودياً، فإنهم يسمحون له بالجلوس أمام طاولة *السَدَر* ويبدأون تناول وجبة العشاء. ويلعب الضيوف بعدها لعبة "بيع الجلود" (في العماديه).



مَشقاس شِلونا

قطع الأشجار

ومن ألعاب الپاسوڤر لعبة قطع الأشجار *قطيعات گوزا* "قطع أشجار الجوز"، وقد رأيناهم يلعبونها في بيتَنوره وإختصت بأداءها إحدى العائلات منذ عدة أجيال[٢٩].

وفي اللعبة يقف عدد من الشباب صفاً كأشجار الغاب، بعدها يظهر شابان هما اللاعبان الرئيسيان يحمل كل منهما فأساً. ويمضي كل واحد منهما ليتفحص الأشجار بالضرب على جذوعها (ظهور الشباب طبعاً) والإنصات للصدى الذي تردده لإختيار الشجرة المناسبة للقطع. وبعد تفحص عدد من الأشجار ينادي أحدهما على صاحبه بأنه وجد الشجرة الملائمة، قائلاً: *بيرا، بيرا، شَخنه دوشا* "تعال! تعال! خلية نحل. ويأتي زميله وينصت ثم يقترح أن يذهب للآغا ليشتري منه هذه الشجرة.

فيذهب الأول الى الآغا، فيمنعه الخدم أول الأمر من دخول الدار، ثم يدخل بعد صراع معهم الى الدار. وفي البداية يرفض الآغا بيع الشجرة، ولكن حينما يندفع

٢٨- [ديڤيدسون، الموسوعة، المجلد ١، ص ٢٢٧، العدد ٤٩٣٩].

٢٩- إسم العائلة هو بيت سيمان طوف. والمسرحية يتم تمثيلها في باحة كُنيس إلياهو هاناڤي وكذلك في الأيام الواقعة بين بداية ونهاية الپاسوڤر.

الشاب نحوه صائحاً "بووووه!" يقبل الآغا على الفور ويقول للشاب: "تعال، إجلس وكُل"، "كان طعامك فوق رأسك". ويتوصل الإثنان الى إتفاق أخيراً. فيعود الشاب الى زميله الثاني لكي يقطعا الشجرة، ولكن حالما يشرعان بقطعها تخرج أسراب النحل الذي يطنُّ بعنف من جذع الشجرة وتهاجم الأول. فيصرخ هذا، وتزداد أعداد النحل التي تهاجمه حتى يسقط مغشياً عليه من أثر وخزاتها. فينتاب الثاني – الذي كان لا يزال منهمكاً في قطع الشجرة – الخوف، فيسرع اليه ويرفع رجله ويتحدث من خلال فتحة بنطلونه قائلاً له: *بيرا*، *بيرا* "تعال، تعال" لكن الأول يظل في غيبوبته. فيشرع الثاني في البكاء والنحيب وترديد المرثية التي تغنى على الميت، ثم تحضر زوجة الضحية وأطفاله وينخرط الجميع في البكاء.

يستمر الشاب في لعب دور الفاقد لوعيه ولا تظهر عليه أية علائم للحياة، فيخبرون الآغا بذلك ويطلبون منه دية الشاب الذي قضى بسبب النحل. ومن جهته يحاول الآغا إعادة الشاب الى وعيه بعين الوسائل التي جربها الآخرون، ولكن دون جدوى. ويستمر الحال هكذا لبعض الوقت، ثم فجأة يعطس الشاب الفاقد لوعيه، فيغمر الناس الفرح والسرور. فيتظاهرون بأنهم يغسلونه ويحضرون له الطعام، ويطردون النحل ويستخرجون العسل، ثم تلي ذلك مصارعة مع خدم الآغا. ولنا أن نتخيل أي نوع من المرح الصاخب والحيوية يسودان عرضاً مسرحياً كهذا في جمهور مؤلف من اليهود الكُرد.

سرقة الأفيكومان

فيما سبق تحدثنا عن كيفية تسليم الأفيكومان لأحد الضيوف كي يحمله ويحافظ عليه من الضياع. بعد تناول طبق *السَدَر* تبدأ فصول مسرحية أخرى لا تقل هزلاً عن المسرحيتين السابقتين. وتبدأ اللعبة حين يطلب الحازان إستعادة عهدته – الأفيكومان، ولكن الرجل الذي استودعت عنده (الضيف) ينكر أي صلة له بالأمر، بل يمضي لأبعد من ذلك حينما يبدأ بقلب الموائد وهو يصيح متهماً الحازان بسرقة الأفيكومان منه. وإثر ذلك يقع عراك مزيف تتخلله محاولات لإنتزاع الإعترافات من خلال الـ"تعذيب" يقوم بها الطرفان الحازان واللص الحقيقي. وفي بعض الأحيان تكون الأفيكومان، لغفلة من الضيف، قد سُرقت منه فعلاً من قبل أحد الحضور، حيث لا يستعيدها الضيف إلاّ بعد إذعانه لدفع غرامة من بضع دجاجات. وإن لم يوافق على دفعها فإنهم يعلقونه من قدميه بالطريقة التي وصفناها (أنظر ص ٢٩٣)

حتى يرضخ ويقبل بالدفع.

وفي بعض الأحيان يوغلون في زاخو في هذا المزاح حتى يستحيل معه العثور على الأفيكومان ثانية بعد سرقتها من الضيف. لذا أصدر الحاخامات الكُرد مرسوماً يقضي بأنّه في حال حدوث أمر كهذا تجب إعادة طقوس هاگاداه والشعائر المتعلقة بالأفيكومان كلّها. يذكر أنّ عدة حالات من هذا القبيل قد وقعت[٣٠].

وفي الليلة الثانية يقدم *ميري پيسحه* لكل *پيسحييه* قطعتين من الأفيكومان واحدة تؤكل والأخرى تحفظ كتميمة. حيث تضع ربة البيت قليلاً منه في مخزون البيت من المواد الغذائية (كالرز والطحين والملح و... الخ)، ذلك لإعتقادهم بأن تلك التميمة ستجعل المؤنة تدوم عاماً كاملاً (في سنه). وتعزى للأفيكومان التي يبلغ عمرها سبع سنوات قوى سحرية خاصة، فهي تمنح مَن يرتديها على سبيل المثال قوة مضادة للرصاص، أما إذا أُلقيت في نبع ماء جارٍ فإن مياهه ستركد (في زاخو).

بعد هذه الطقوس تنتهي أمسية *السَدَر* في الحادية عشرة ليلاً، يذهب الرجال بعد انتهائها في زاخو مثلاً الى ضفة النهر للتخلص من العظام.

أيام العيد

يعتبر يوما عيد *السَدَر* مناسبتين لتبادل الزايارات المراسيمية. فبعد انتهاء طقوس صلاة الصبح يتوجه جميع الپيسحييه ثانية الى دار *ميري پيسحه* حيث تنتظرهم وجبة فطور "أفضل من وليمة عرس"، ولاتذهب بنات الضيوف وزوجاتهم الى بيت ميري پيسحه، لكن بعض مآكل هذه الوليمة تحمله إليهنّ زوجة *ميري پيسحه* ونساؤه.

وعقب الانتهاء من هذه الوجبة يتوجه *ميري پيسحه* مع ضيوفه لزيارة مجاميع الپاسوڤر الأخرى في بيوت الميري پيسحه الآخرين في الجوار. وتبدأ سلسلة الزيارات بزيارة بيت الگاباي أولاً، ثم الى الآخرين كل حسب مكانته. ونصف عدد هذه الزيارات يتم في اليوم الأول من عيد *السَدَر* والنصف الثاني في اليوم الثاني.

وفي مدينة سنه يضع كل ميري پيسحه إناءً كبيراً من الفاكهة في إستقبال الزوار، حيث يأخذ كل داخل للدار حبة فاكهة أو زهرة ويعطيها لأحد رفاقه، فيشمها هذا ثم

٣٠- أخبرني محدثي من العماديه عن حالة كهذه في چالا. ففي بيت ح. يديديا سُرق الأفيكومان ولم يستطيعوا بعدها العثور عليه. فبعثوا الى الحاخام ح. راحاميم في چالا يستفسرون عما يجب فعله، فقال أنه ينبغي على المرء في حالة كهذه إعادة المراسيم من الهاگاداه.

يقبّل يد صديقه ويتلو عليها التبريك ثم يعيدها اليه. بعد ذلك يجلس الضيوف حيث يقدم لهم رب الدار العرق والفاكهة. أما الشباب فيذهبون، أثناء قيام الرجال بتبادل هذه الزيارات المراسيمية، برفقة الموسيقيين الى ضفة النهر أو أي مكان خارج المدينة للرقص والغناء، حيث ينضم الكبار أيضاً لهؤلاء الشباب في المساء.

في الليلة الثانية من *السَدَر* يجري تكرار شعائر الليلة الأولى في بيوت *ميري پيسحه* بموجب التقاليد. وتتوقف خلال أيام عيد الفصح الثمانية كل الأعمال، ويعتبر اليوم الثالث منه في زاخو يوم نزهة عامة. وتسمى النزهة باسم "آغا" السفرة (*سَرينيت بي زيكين*، مثلاً) – هو اللقب الممنوح لليهودي الذي يتحمل نفقات السفرة (*سَرينه*)، حيث يدفع أجرة الموسيقيين ويقدم لهم وجبة خفيفة في *ديوان* الآغا.

وفي تلك السفرة يغني الرجال ويرقصون فيما تقوم النسوة بإعداد الطعام للرجال، وتتوجه الأصغر سناً والبنات منهنّ الى التلال المجاورة لرقص الـ(*درانگه*) في مجموعات وكلّ منهن تحمل غصن شجرة طرياً *طَراشتا* (جمعها *طَراشياسه*) [غصن بلوط]. وعندما تمرّ مجموعة منهن بأخرى يضربن بعضهنّ بعضاً بهذه الأغصان على سبيل اللعب. أما إذ حدث والتقت المجموعة بأحد الشباب فتحيط به وتضربه بالأغصان. وعند حلول المساء يعود الجميع الى المدينة يرافقهم الموسيقيون.

يخرج الناس خلال أنصاف العطل الى ضواحي المدينة في مجاميع للتنزه، وفي بيتَنوره وچالا والمناطق المحيطة بهما ورغم توقف أعمال اليهود خلال عيد الفصح ولكنهم لا يقومون بالسفرات، بل يقضون الوقت بتبادل الزيارات فيما بينهم. وفي كل بيت يقدمون *حَليق* (أنظر ص ٣٣٨) والعرق للضيوف. ولهذا ترى الرجال، وكذلك النسوة، يسكرون من كثرة زياراتهم وتناولهم العرق في كل بيت.

خلال اليومين الأخيرين يتلقى *ميري پيسحه* زيارة من الپيسحييه الذين كان قد إستضافهم وقد جلبوا معهم العرق والمزّه. وفي ختام العيد يحيي الناس بعضهم بعضاً بعبارة "*ريش شاتوخَ بريختا*" "تباركت بداية عامك الجديد" ويتبادلون القبل (في زاخو). ويرسل الكُرد لأصدقائهم لليهود الخبز والحليب والبيض، حتى أنّ الآغا كان معتاداً على إرسال سلال الخبز والبيض وما شابه لليهود في عيدهم، وذلك أن الكُرد يعتبرون المجاملات هذه بشارة خير للسنة الجديدة (في زاخو ولكن ليس في العماديه).

20

الشاڤوعوت

يطلق الكُرد على الشاڤوعوت أو ثاني أعياد الحج *زياره* الثلاثة لأنه وقت الحج الى الأماكن المقدسة[1] وأهم هذه الزيارات: زيارة ضريح النبي ناحوم حا ألقوشي في مدينة ألقوش القريبة من الموصل، حيث يجري تسلق رمزي لجبل سيناء؛ وزيارة قبري الحازان ديڤيد والحازان يوسف في بى حازاني بالعماديه؛ وزيارة قبر ر. ناثانيل هاليڤي بارزاني في بارزان؛ وزيارة كهف إيليا في بيتنوره؛ وزيارة ضريح دانيال في كركوك.

ويطلق كرد العماديه على العيد إسم *جا زيرا* [أو *أيدا جَزرا* "عيد الشعير الأصفر"] وهو تحريف لكلمة زيارة، بينما يطلق كُرد زاخو على الحج الى قبر ناحوم *عيدا سَيد ناحوم*. وفي سنه يسمي اليهود هذا العيد *أسارتا* (بالعبرية: *عَشَرَت*. وبالآرامية: *عَشَرتا*)، ويطلق عليه الكُرد *جَژن كالينا* "خَبز الكالانا" فطيرة الشاڤوعوت اليهودي النموذجية.

في كُردستان أيضاً تسود عادة تناول أطباق الطعام المعدة من منتوجات الألبان، ويدخل ضمن إستعدادات العائلات اليهودية لهذا العيد تأمين كمية كبيرة من الزبدة والجبن. ويميل الباعة اليهود المتجولون في القرى في هذا الوقت الى مقايضة ما يبيعون بمنتوجات الألبان.

في عشية الشاڤوعوت يُقدّم عشاء لايختلف عموماً عن وجبات العشاء في الأيام الأخرى، إلاّ في چالا التي يتناولون فيها على العشاء طبقاً يحتوي اللبن يسمونه *ماديرا* يعدونه من القمح المدقوق المطبوخ في اللبن الرائب مع الكبة (*كوتيله*) المحشوة زبدة وطحيناً بدلاً من حشوتها الإعتيادية المكونة من اللحم.

وبعد تناول العشاء يذهب الناس الى الكُنيس لأداء *حاتيمات زياره* التسمية التي يطلقونها على القراءة من التوراة في أولى ليالي الشاڤوعوت[2]. ولهذه الليلة مكانة أسمى عند اليهود الكُرد تفوق حتى ليلة *هوشانا رابا*. إذ يجتمعون فيها في بيوت ذوي الموتى، حيث جرت العادة أن يسأل *المينيات* الحاخامات القراءة في ذكرى

١- [يطلق يهود بغداد على الشاڤوعوت "عيد الزيارة" و"عيد الحج" ايضاً].
٢- وهم يعتمدون في هذه القراءة بشكل أساسي على طبعة بغداد من (*سَدَر كاريئه موعيد*).

موتاهم. أما في زاخو فلا يتوجه الى الكُنيس إلاّ قليل من النسوة العجائز. وفي العماديه تشترك كل النسوة والبنات تقريباً في هذه القراءة الليلية وفي زاخو يشترك بعض النسوة فقط في القراءة في بيوت ذوي الموتى.

وتوقد في الكُنيس في هذه الليلة المئات من الشموع أو الأضواء، لأن كل شخص يوقد شمعة على روح قريب له مات. ويستخدم الناس حالياً بدل الشموع الأضواء الزيتية التي تشتعل بفتائل، فيما لاتزال عادة استخدام القناديل سارية في بعض الأماكن (في دهوك وبيتَنوره).

وتجلب العائلات معها الى الكُنيس أواني مليئة بالفاكهة لمباركتها هناك. وإذا مات أحد خلال ذلك العام يسعى ذووه جاهدين لتوفير أكبر كمية ممكنة من الفاكهة (نيو) طالما أن نطق تعابير البركة (*شَهَحَيينو*) يكون فوق أواني الفاكهة، ولهذا ترى أغنياء اليهود يرسلون في طلب الفاكهة من بغداد خصيصاً لهذا الغرض.

وفي الصباح يتوجه المتدينون من اليهود الى ضفة النهر لإجراء طقوس الإغتسال الشرعي، وذلك لأنهم يريدون تسلم التوراة كما العرسان الجدد الذين يستحمون قبل *قدُّوشيم* [الزفاف]. وفي زاخو، تُمنح *عَليّا* "الوصايا العَشر" للكَّفير، أما في العماديه فكانت في السابق تُمنح لمن ينجح في الحصول على "الرابعة" لعام كامل. أما اليوم فتُطرح هذه *العَليّا* في المزاد على حدة في العماديه[٣] وفي سنه.

وفي العماديه تحضر النسوة *اليَپرا غ* بعد انتهاء المراسيم (أنظر ص ١١٩) والعرق والكعكات المثلثة (*كاده*) من بيوت ذوي الميت ويضعنها أمام *شيخ* الحاڤريم؛ لأن هذه الأطعمة عطايا مرتبطة بطقوس العزاء. فيقوم الشيخ بتوزيع اليَپراغ على الحاڤريم فقط والـ(*كاده*) توزع على أعضاء المحفل الآخرين.

وفي سنه كذلك يقيم ذوو الميت في اليوم الأول من العيد مأدبة يقدمون فيها اليَپراغ، ويقدمون *كالانه* وهو طبق مخبوز يعتبر غريباً عن اليهود يتالف من أقراص خبز مثلثة محشوة بالبصل بدلاً من الكاده. ومن هذا الطبق أخذ الكُرد التسمية التي أطلقوها على العيد *جَشن كالانه*.

[وفيما يتعلق بالكادة التي تؤكل في الشاڤوعوت، إليكم هذه الحكاية من العماديه:

يحل عيد الخمسين المسيحي *سوليكه* قبل الشاڤوعوت اليهودي ببضعة أيام؛ يخبز فيه النصارى *الكاده*، وهي عبارة عن لفائف عجين بالزبدة. في أحد الأيام رأى كلب يملكه يهودي كلباً آخر يعود لمسيحي

٣- كانت هذه *العَليا* أيضاً تُمنح في الأيام الخوالي للكَّفير في العماديه.

يحمل *الكاده* في فمه. فقال الكلب اليهودي الذي طمع في الحصول على قطعة منها للكلب المسيحي "أعطني منها". فأجابه الكلب المسيحي: "كلا". فقال له الكلب اليهودي: "سيحل عيدنا بعد أيام قليلة، وإذا أعطاني سيدي *الكاده* فسأعطيك بعضاً منها". فأجابه الكلب المسيحي: "لن أعطيك شيئاً". ففكر الكلب اليهودي مع نفسه قائلاً: "ما الذي يجب أن أفعله؟" ثم سأل الكلبَ المسيحيَّ: "ما اسم عيدكم؟" فأجابه هذا: "سوليكه" ولما فعل ذلك سقطت *الكاده* من فمه فخطفها الكلب اليهودي والتهمها. فقال الكلب المسيحي: "إنتظر! سيحل عيدكم قريباً!". ولما حل عيد الشاڤوعوت أعد اليهود *الكاده*، فأعطى صاحب الكلب اليهودي كلبه قطعة منها. وعندما رآه الكلب المسيحي قال له: "أعطني شيئاً منها!" فأجاب الكلب اليهودي: "لم تعطني شيئاً من *الكاده* التي كنت تملكها، لذا فلن أعطيك شيئاً مما لدي". فقال له الكلب المسيحي: "ما اسم عيدكم؟" فغرز الكلب اليهودي أسنانه بقوة في *الكاده* وأجاب من بين أسنانه قائلاً: "*زياره*" ثم أنهى أكل كادته][٤].

تتمثل أهمية عيد الشاڤوعوت الحقيقية لدى اليهود في زيارة الأماكن المقدسة، التي يحجون اليها من قريب وبعيد. فالزيارة الى بي حازان في العماديه تجتذب عدداً كبيراً جداً من اليهود، ويتعين على كل عائلة يهودية ساكنة قرب المحجّ توفير السكن لنحو خمس عشرة عائلة. ويقوم الرجال بزيارتهم في اليوم الأول من العيد، بعد الانتهاء من المراسيم – فيما تقوم النسوة بالزيارة في اليوم الثاني منه. وقبل التوجه الى المزار يغتسل كل حاج ويلبس ملابس جديدة. وعند وصول الحجاج يصطفون واحداً خلف الآخر ثم يقبّل كل واحد منهم القبر.

أما في اليوم الثاني، وخصوصاً عند زيارة النساء للضريح، يعم الفرح. إذ تبدأ النسوة بالغناء والرقص، أما البنات فيجلبن معهن المراجيح (*زانزوكه*). يجلس الگاباي عند مدخل الضريح حيث يقدم النبيذ أو الشربت للزائرين. وبعدها يقترب الگاباي من الضريح ويقبّله، ثم يدعو بدعواته ويضع بعدها ما إدخر من نقود طوال العام لهذا الغرض في صناديق الهبات المختلفة.

بعد انتهاء زيارتهن الى الضريح تجتمع النسوة ثانية للغناء والرقص وتبادل التهاني بقولهن *زياره بَريخه* "حج مبارك". وأكثر حِجات الشاڤوعوت إحتفالية هو

٤- حكاها لي الحاخام علوان أڤيداني من العماديه، وكان قد سمعها من الرجال المسنين في مدينته.

الحج الى ضريح نيڤي ناحوم في ألقوش والذي يشترك فيه الآلاف اليهود من الموصل وبغداد والبصرة ومن كافة أنحاء كُردستان[٥].

إحدى السمات المميزة لهذه الـ*زيارة* مراسيم تسلق جبل سيناء الرمزي، والذي يجري في كلا يومي العيد[٦]. بالقرب من القبر هناك مرتفع يسمونه *هار سيناي* جبل سيناي، يرتقيه الناس كي يقرأوا على قمته الوصايا العشر. ويقيم كل محفل طقوسه هناك على حدة. وتُباع *عَلّيوت* بالمزاد، وغالباً ما يضطرون الى شرائها بسعر باهض جداً لإشتراك يهود المحافل الأخرى في المزايدة – وذلك لأن السماح للغرباء بشراء العَليوت سيعد إنتقاصاً من مكانة المحفل. وبعد إتمام القراءة من التوراة ينزل الناس من الجبل بفرح عظيم، ترافقهم الفرق الموسيقية ويتقدّمهم أقوى الرجال لأداء رقصة السيوف.

تكرر القراءة فوق *هار سيناي* في اليوم الثاني من العيد. وفي اليوم الثالث يصطف الجميع عند القبر ويقدم كل واحد تبرعاته ويقدم له الگاباي *توباركه* تتألف من بعض الحلويات والثمار التي وضعت عند القبر خلال الليل.

بعد انتهاء مراسيم الصباح و*زيارة* التي تليها مباشرة، يعود الناس الي بيوتهم لتناول وجبة الألبان الخاصة بالشاڤوعوت والتي تتألف في العماديه من الزبده (كيعده) والعسل والحليب. بينما تقوم النسوة في المقاطعات الريفية بطبخ (*مادیرا*) (أنظر ص٣٥٢).

وبعد تناول الطعام يتوجه الجميع الى دار الرجل الذي اشترى *عَلّيوت* "الوصايا العشر"، حيث تبدأ حفلة الغناء والرقص وشرب العرق مع المزّه اللذين يقدمان بسخاء[٧]. في بعض المناطق يقيم الذي فاز بـ*عَلّيا* الوصايا العشر وليمة لبعض وجهاء المحفل. وحينما يرتل الرجال بالهاليلويا يضيفون بفرح غامر: "*هاليلويا*، *هاليلويا، باخلاخ بيعه شليكه پسرا تويا* "نريد أن نأكل البيض المسلوق واللحم

٥- ذكر لي أحد محدثي أن عددهم قد يصل الى عشرين ألفاً.

٦- تجد وصفاً لهذا الصعود لدى بنيامين الثاني في كتابه (ثمان سنوات، الصفحة ٩٩٩، الذي يقول عنه: "تُتلى الصلوات مع بزوغ الفجر، بعدها يتوجه الرجال – حاملين الپينتاتيوچ (*pentateuch*: أول الكتب الخمسة من العهد القديم ويحتوي أسفار: التكوين، الخروج، ليڤيتيكوس، الأعداد. وسفر التثنية الذي يحتوي الإعلان الثاني من الشريعة الموسوية.-المترجم)- مسلحين بالبندقيات والمسدسات والخناجر الى أحد الجبال القريبة، وهم يقرأون -إحياءً لذكرى التشريع الذي أُعلن على اليهود في هذا اليوم من جبل سيناء – من التوراة".

٧- وذلك دون إنتظار مرور الفاصلة الضرورية بين تناول أطباق الحليب وأطباق اللحم.

المشوي" (في العماديه).

لازالت عادة رش الناس بعضهم بعضاً بالماء شائعة بين اليهود الكُرد. ففي زاخو يرش الشباب الفتيات بالماء. أما في سنه – حيث حافظت العادة على شكلها البدائي – فيرشون الماء من سطوح المنازل على المارة، دون أن يستثنوا غير اليهود أيضاً، فيضطر الناس بسبب ذلك الى تغيير ملابسهم عدة مرات في اليوم الواحد.

التاسع من آب (آڤ)(*)

لقد أكدنا في كثير من الأحيان أن المعوقات التي تعترض عملية التحقق من الأعياد بين اليهود الشرقيين تتمثل في إشكالية تحديد أي من العادات أصلية في العيد موضع البحث. فليس هناك محفل يهودي منقطع تماماً عن المحافل اليهودية الأخرى. ومثال ما نقول العادات المرتبطة بالتاسع من *آڤ*.

ففي بعض المناطق (في سنه مثلاً) يبدأ الحِداد العام في وقت مبكر في السابع عشر من تموز؛ بينما لا يبدأ في معظم المناطق الأخرى إلاّ بحلول *روش حوديش آڤ*. ويطلق على الفترة الواقعة بين الأول والتاسع من *آڤ* تسمية *حِزينِي* "الحِداد" (في العماديه؛ وفي زاخو *حَزينه*).

والعادات التي تُمارس خلال هذه الفترات هي العادات المتعارف عليها. ولهذا يُحرّم أكل اللحم فيها. وإذا كانت العائلة تملك كمية من اللحم فإنها تطبخه كله في وجبة السبت في *روش حوديش آڤ*؛ حيث توضع القدور والأطباق التي استخدمت في إعداد اللحم في إحدى الغرف الجانبية التي قلما يستخدمونها. وتتحول الأسواق الى أسواق لا تبيع اللحم بتاتاً، بل يكثر فيها بيع الزبدة والجبن. كما يتجنب اليهود خلال هذه الفترة أي فعل يوحي بالإحتفال (من قبيل شرب الخمر أو إرتداء ملابس العيد)، ولا يبدأ أحد في تنفيذ مهمة جديدة. فلا يبدأ الحائك حياكة قطعة جديدة والنسوة لا يعقدن أو يغسلن الملابس خلال هذه الفترة.

وفي هذه الفترة أيضاً يحجم المعلم عن معاقبة تلاميذه مع تذكيرهم بأن كل مخالفة ستلقى جزاءها مستقبلاً (في زاخو والعماديه). وبما أن اللذائذ محرمة خلال هذه الفترة - يُمنع الأطفال من زيارة أصدقائهم أو الخروج للنزهة. ويحرص المعلم كذلك على منع تلاميذه من الذهاب للسباحة في النهر، وهو ما اعتادوا فعله أوقات الظهيرة. ويقوم المعلم لأجل تذكيرهم بالعقوبة التي تنتظر كل مَن يعصي أوامره هذه، بكتابة كلمة (*فَلَق*) (أنظر ص ٢٩٣) بالحبر الأحمر على بطات سيقان تلاميذه مرتين كل يوم (في زاخو). ويشرح المعلم لتلاميذه بأن سبب هذا المنع هو أن *ليل هوزا*

*- *آڤ* (*آب*): الشهر الحادي عشر؛ أو الثاني عشر في السنة الكبيسة من التقويم اليهودي المدني والخامس من التقويم الديني، ويبدأ في أواخر تموز أو بداية آب (المترجم).

"شيطان" (والمعنى الحرفي للكلمة هو "ليل اليهود") موجود في الماء خلال فترة الحداد العام تلك. ويقتنع الأطفال بما يقول لا بل يقولون بأنه قد لاحقهم وبأنه عريض وطويل. ويغني الأطفال عن *ليل هوزا* الأغنية التالية:

***ليل هوزا لي گو مايا*هي ليل اليهود في الماء**

ئيميد *أَزيل گو مايا* كل مَن يغطس في ذلك الماء

***مابيله ليل هوزا* يمسك به ليل هوزا (في زاخو).**

تتألف وجبة الطعام الأخيرة التي تسبق الصوم على العموم من الرز، فاليهود في سنه يتناولون طبقاً يتألف من الرز والعدس يُتبعونه بتناول بيضة مسلوقة نُثر عليها الرماد، وهي عادة يمارسها الحاخامات فقط في جميع مناطق كُردستان. ولا يتناول المتدينون في تلك الوجبة غير خبز الجاودار والماء. بعد الانتهاء من هذه الوجبة التي يتناولها كل فرد لوحده، ينثرون الرماد على الصحن المستخدم في هذه الوجبة ثم يحفظونه في مكان بعيد الى جانب أواني اللحم. ويُرسل قسم من هذه الوجبة الى الحاخامات والى الفقراء لتلاوة *هاشكاڤا* عليها.

وفي التاسع من *آڤ* يرتدي الناس الملابس القديمة ذات الألوان القاتمة قدر الإمكان. وكانوا في الماضي يرتدون غطاء الرأس *جَمَدانِي* بعد أن يقلبوه (في العماديه)، ولم يكونوا يكتفون بذلك بل يشقون جيوبهم كما في النواح على الميت (في العماديه وسنه). ويذهب الناس في هذا اليوم الى الكُنيس حُفاةً أو مرتدين الجوارب فقط دون أحذية أو (وهو ما يحدث في الغالب) مرتدين الحذاء الكُردي المصنوع من الخيوط *رَشكه*.

أما الكُنيس فتتم تهيئته بما يلائم هذا الحداد العام، حيث يقومون في عشية التاسع من *آڤ* بإزالة ما فيه من سجاجيد وطنافس، ويلقون جانباً العباءات التي تغطى بها التوراة وستارة تابوت العهد لتغطى بعباءات سود أو أخرى بالية. وتُزال كذلك تيجان رقوق التوراة، وفي بعض المقاطعات (في زاخو ودهوك وچالا وهورا) يستبدلون ريمونيم المصنوعة من الفضة بأخرى من خشب أسود، وكذلك مؤشر القراءة الفضي بآخر من عود من الآس حديث القطع (في زاخو والعماديه).

قراءة الإيخا

بما أن المراسيم الصيفية تقام عادة في باحة الكُنيس، فإن *الإيخا* (كتاب المناحات) يُقرأ في الباحة أيضاً. وعادة ما يكون الجو حاراً جداً في هذا الموسم

بسبب مناخ كُردستان القاري، لذا فهم يسمونه *صوميت صَهوين* (في زاخو) أو *صوميت سَحيون* (في العماديه) والعبارتان تعنيان صيام العطش. وقد جرت العادة على صنع مروحه (*مَرويخه*) تستخدم خلال المراسيم (في زاخو). [وفي العماديه يطلقون على التاسع من *آڤ* اسم *صوم سحيون أوروا* (صيام العطش الأكبر) وصيام السابع عشر من تموز، الذي يسبق التاسع من *آڤ* يطلقون عليه *صوم سيحيون زعورا* (صيام العطش الأصغر)].

في التاسع من *آڤ* لايجلس الناس في أماكنهم الثابتة في الكُنيس ولا يوقدون المصابيح، بل يستعينون عوضاً عنها بشمعة صغيرة توضع قرب كل مجموعة من المصلين. وإذا كان المحفل كبير العدد، فقد جرت العادة في كُردستان أن يقف الحازان ويقرأ *الإيخا* على ضوء شمعة يحملها طفل. في العماديه ويقرأ الحازان الأشعار الأولى من الفصول ١ و٢و ٣ والأشعار الثلاثة الأولى من الفصلين الرابع والخامس بالعبرية. وعقب كل قراءة للأشعار يجلس الحازان ليكمل أحد أفراد المحفل قراءة الفصل بالتارگوم.

وهناك في زاخو عادة فريدة تتعلق بقراءة *الإيخا* يسمونها *خَطاخ ناشه* وفيها يستغل الشباب الظلام فيخيطون ملابس رجلين مسنين متجاورين مستغرقين في القراءة ببعضهما. وهكذا تجد في نهاية مراسيم قراءة *الإيخا* حوالي عشرين زوجاً من هؤلاء الذين خيطت ملابسهم ببعضها. وتُمارس هذه العادة ليلاً كذلك فيخيطون أحدهم الى فراشه أثناء النوم. ولايوجد تفسير لهذه العادة الغريبة[1].

وبعد إنشاد المناحات تُطفأ الأضوية - لا في الكُنيس فحسب بل في الحي اليهودي بأكمله. فحينما تتوجه الأمهات مع بناتهن البالغات الى *الإيخا* ينصحن الصغار الذين يبقون في البيت بإطفاء الأنوار فيما بعد. وهكذا لا توقد الأضوية والنيران في الحي اليهودي إلاّ عند قدوم المذكّين في ظهيرة اليوم التالي لذبح الأضاحي المخصصة *للكَپاره* أو لوجبة المساء (في العماديه). وبعد ذلك، وحسب العادة المتبعة في كافة المجتمعات الشرقية، يعلن الحازان بالعبرية العامية (لهجة اليهود المحلية في كل منطقة يسكنونها - المترجم) عدد السنين التي مرت منذ تدمير الهيكل الثاني، عندها يسجد المصلون جميعاً واضعين وجوههم بين أيديهم ويبدأون

١- لا تقتصر ممارسة هذه العادة على زاخو، حيث تُمارس في المجتمعات اليهودية السورية (في حلب ودمشق) وبين اليهود السوريين في القدس. فقد إعتاد الأطفال خياطة ملابس الناس ببعضها خلال إستغراقهم في صلاة كينوث عشية التاسع من *آڤ* وهم يستغلون لذلك ظلمة المكان في الكُنيس أثناء المراسيم، كما إعتاد الأطفال كذلك على رشق الحازان بقشور البطيخ.

بالبكاء والعويل وهم يضربون على رؤوسهم. وفي زاخو عندما يصرخ الحازان *أوي لانو* "يا ويلنا" في نهاية مناحته ينقر الشَمّاش على باب تابوت العهد بمفتاح ضخم، فيأخذ الشباب وهم لا يزالون ساجدين بالصراخ: *هاهوهو قامقاتتله ليل هوزا* "هو، هو، هو الذي قتل ليل هوزا!"[2].

وبعد انتهاء هذه المراسيم يتوجه الناس الى بيوتهم في صمت حتى دون أن يحيوا بعضهم بعضاً التحية العادية. ويتوجه الرجال عموماً الى النوم لتجنب الإنخراط في الأحاديث الدنيوية. ويكون الفراش المعد في هذه المرة خشناً على نحو إستثنائي، وإضافة لذلك يضع النائم حجارة تحت وسادته.

أما النسوة فيجتمعن في بيت إمرأة قادرة على غناء الـ*هاليلا* وهي أغنية في التارگوم تحكي تدمير الهيكل (في العماديه). بينما يجلسن في زاخو على السطوح ويغنين أغنية ليل هوزا (أنظر ص ٣٥٨).

مراسيم الصباح

ينهض المتدينون في الصباح الباكر ويربطون *التفللين* على أذرعهم. ولايغتسل أحد، بل يكتفون بغمس أطراف الأصابع في الماء ثم ترطّب بها العيون. وعندما يُخرج الحازان التوراة، لايضعها كما في الأيام الأخرى على يده اليمنى، بل على اليسرى، بينما يحمل رقوق التوراة خلال القراءة رجلان (في زاخو والعماديه) بدلاً من إسنادها على *السِيده* كما هي الحال في الأوقات الأخرى. ويُستخدم بدل مؤشر القراءة الفضي عود من الآس (أنظر ص ٣٠٦).

بعد الانتهاء من قراءة *هَفتطِرا* (ذلك القسم من سِفر الأنبياء الذي يرافق قراءة كل شعر من أشعاره تفسير مسهب من التارگوم)، تُقرأ *الإيخا* بنفس الطريقة التي تمت في الليلة السابقة. تتبعها القراءة من سِفر النبي أيوب في التارگوم[3]. ولكن معظم الحاضرين يغادرون الكُنيس قبلها ولايبقى فيه غير الرجال المسنين وطلبة المدارس.

لدى عودة الزوج الى المنزل بعد مراسيم الصباح تتلقاه الزوجة بالقول: "إذهب واشتر لي بَرخه (بركة) فيذهب الزوج كما جرت العادة الى السوق لشراء كيس من

٢- نادراً ما يكون مزاج الشباب اليهود الكُرد في القدس مزاج حِداد حقيقي حزناً على تدمير الهيكل، إذ يستغل الصبية مثلاً إنبطاح المصلين على وجوههم على الأرض ليصرخوا بكل ما أوتوا من قوة صراخاً مصطنعاً، فلا عجب والحال هذه أن تسود الحال عينها في كُردستان كذلك.

٣- في التارگوم "أوص" تم ترجمتها بـ"إستنبول".

الرز وآخر من القمح (في زاخو) أو كمية من الفاكهة (في العماديه) من المسلمين. ويعبّر اليهود الكُرد عن مغزى ذلك بقولهم: "لقد دُمّر الهيكل، ولكن ها نحن اليوم نسكن بيوتاً جديدة ونشتري أطعمة جديدة".

يبدأ ذبح الذبائح في كافة أنحاء كُردستان في منتصف يوم التاسع من *آڤ*، ويكون اليهود متلهفين على تناول اللحم لإنقطاعهم عنه منذ بداية الشهر عند بدء الصيام، ولكن الشوحيطيم يرفضون مع ذلك الشروع بذبح الحيوانات مستائين من تغيير مزاجهم الحزين في هذا اليوم. وهكذا تؤجّل مراسيم الذبح ساعة إثر أخرى حتى ينتاب الناس القلق من تأخر الوقت وعدم إستطاعتهم تهيئة لحوم الذبائح وطبخها للعشاء. وعندها يضطر *ئوروات جميعه* "زعيم الطائفة" الى إجبار الشوحيطيم على أداء واجباتهم.

عند الذبح يغمس الشوحيطيم أصابعهم في دماء الأضاحي أربع مرات وينثرونه في الإتجاهات الأربع. بعدها وإحياءً لمن قضى أثناء تدمير الهيكل يرسمون بأصابعهم رموزاً على رقابهم ووجوههم وجباههم (في العماديه). أما في زاخو فيلحق الصبية بالشوحيطيم عند ذهابهم الى ضفة النهر – حيث تُذبح الحيوانات في هذا اليوم – فهو اليوم الذي ينتهي فيه حرمانهم من السباحة في النهر. ويصرخ الأولاد مع تدفق دماء الحيوانات الى مياه النهر بأنه دم *ليل هوزا*، ويسبحون مع الدماء ويلوثون أجسادهم بها.

ألعاب الأطفال في التاسع من آب

يلعب الأطفال في هذا اليوم ألعاباً معينة تستند حسب اليهود الكُرد الى أصول في *الميصڤا* لأنها تركز على إشغال النفس بالغبار والرماد في التاسع من *آڤ*. فالأطفال في مدينة سنه مثلاً يلعبون لعبة يسمونها *كيكله موشين* "لعبة الفئران"، ويلوثون فيها أيديهم بالتراب لمناسبة التاسع من *آڤ*. وتبدأ اللعبة بتجميع الأطفال كومة صغيرة من التراب يسكبون عليها الماء ويفتحون في كتلة الطين الناتجة ثلاث فتحات في الأعلى وفي الجوانب الثلاثة لتشبه حينها الفرن. ويمضي بعض الأطفال في بعض الأحيان الى حد أنهم يطبخون طعامهم في هذا الفرن. إن هذه اللعبة لاتخلف لدى المرء إلاّ الإنطباع بالعبثية.

أما في زاخو فيلعب الأطفال لعبة يسمونها *شَنشَلوتكات*. وفيها ينقسمون الى فريقين حيث تُخصص رقعة معينة من حقل أو شارع توجد فيه أسيجة ذات وجوه

كثيرة أو شيئاً مشابهاً لكل فريق. وقبل اللعبة يكون كل طفل قد أحضر من بيته كيساً من الرماد. تبدأ اللعبة بإنسحاب كل فريق الى موقعه المعين فيشرع اللاعبون بعمل كومات صغيرة من الرماد في صفوف يتألف كل صف منها من عشر كومات رماد على الأقل؛ إذ بخلاف ذلك لن تكون الكومة مرئية جيداً ولن تُحتسب في النهاية. ويحاول الأطفال وضع كومات الرماد في أماكن يصعب العثور عليها. وبعد الانتهاء من هذا العمل يعود الفريقان الى مكان متفق عليه مسبقاً، وعادة ما يكون عند حائط الكُنيس. وبعد أن يحضر جميع اللاعبين الى نقطة الإجتماع يبدأ الفريق (أ) بالتوجه الى الموقع العائد للفريق (ب) الذي يتجه بدوره الى موقع الفريق (أ).

المنافسة في هذه اللعبة هي أن يعثر كل فريق على *شَنشَلوتكات* منافسه وتدميرها. وبعد انتهاء البحث والتدمير يتوجه الفريقان لغرض إحصاء النقاط ومعرفة نتيجة اللعبة الى حقل الفريق (أ) معاً، حيث تُحصى كومات الرماد التي لم تُدمَّر. ويقومون بالشيء نفسه بالنسبة لحقل الفريق (ب). وإذا ما تساوى عدد الكومات الباقية لكلا الفريقين تكون النتيجة التعادل *ريشه بَريشه* [المعنى الحرفي هو: "رأس برأس"]. أما إذا فشل الفريق (ب)، الذي يبلغ عدد لاعبيه عشرين مثلاً، في إيجاد مائة *شَنشَلوتكات*، فإن عدد ما بقي من كومات مخفية لكل طفل في الفريق المقابل (أ) سيكون خمسة شَنشَلوتكات. وحينها سيكون من حق لاعبي الفريق (أ) إمتطاء ظهور لاعبي الفريق الخاسر (ب) خمس مرات ذهاباً وإياباً بين الكومات التي لم تُدمّر.

الكفّارة (كَپاره)

في سنه يجمعون تبرعات من أفراد الطائفة اليهودية لشراء بقرة، يذبحونها على باب الكُنيس *كَپاره* "كفّاره"، أو *قُرباني* [أضحية]. ويوزع اللحم على الفقراء. وتأخذ الأمهات قليلاً من هذا اللحم الى البيت لأطفالهن لإعتقادهنّ بأنه يجلب حسن الحظ.

ويسود الإعتقاد بأن عيون حيوانات الكَپّاره لها قوى خاصة، لذا فإنها تباع بأسعار مرتفعة وتُصنع من هذه العيون تعاويذ للأطفال. وإحدى هذه التعاويذ[٤] على شكل عين مثبتة في نصف كرة فضية على قمتها خرزة زرقاء بها سبعة ثقوب[٥]. وبعد الانتهاء من الكَپاره يسمح بإعداد وجبة العشاء وإرتداء الأحذية.

٤– (مجموعة براور في الجامعة العبرية ٣٩:٣١) من سنه.
٥– عيون أضاحي الكَپاره لها في العماديه هذه الأهمية. وتتكون واحدة من التمائم، من العماديه =

بعد عودة رب البيت الى منزله بعد أداء صلاة المساء تحطم زوجته جرة (وعاء فخاري قديم) أمام قدميه قائلة: "*ميخواسيت تويري*** **(ويلفظونها** ***تويزي*****)** *أَيا أَمان قام أَقلوخ هَداخ نَپلي دوشمنوخ قام أَقلوخ توري* **"فليتحطم أعداؤك أمام قدميك كما أحطم هذه الجرة"(في العماديه وزاخو) [أو على نحو أكثر إيجازاً،** *نَپلي دوژمنوخ كام أَقلاسوخ* **"فليقع أعداؤك على قدميك" (في العماديه). وفي زاخو تكون المرأة واقفة على سطح الدار أثناء هذه العملية.**

وبعد ذلك تبدأ الأسرة في تناول وجبة العشاء التي تتألف (كما أشرنا) من طبق اللحم. ويحجم المتدينون عن تناول اللحم حتى في هذا المساء، مفضلين تناول العدس.

= (مجموعة براور في الجامعة العبرية ٣٩:٣٨) من حبل عليه العينان المجففتان والخرزة الزقاء ذات الثقوب السبعة، وخرزة أخرى صغيرة بثقبين. ورأيت تميمة أخرى من العماديه مكونة من أنبوب معدني أبلغني مالكه أنه يحتوي قطعةً من (نيقوسا) خشبة مثقوبة بإبرة. والعين المجففة لأضحية الكَپاره مربوطة الى ذلك الأنبوب.

22

أيام التوبة

[*يميم نورائيم* **(أيام التوبة) هو المصطلح الذي يستخدمه عموم اليهود لما يسمى في الإنكليزية "أيام العطل المقدسة". وهي من أكثر الأيام قدسية في التقويم اليهودي، وتتألف من يومي** *روش هاشانه*** **(السنة الجديدة) الأول والثاني من شهر تشري ويوم** *كيپور* **(يوم التكفير) الذي يأتي بعدهما بثمانية أيام في العاشر منه. ويسبق العطلتين شهر التوبة الذي يبدأ بهلال شهر إيلول. وليهود كُردستان توجه عام نحو أيام الخشوع يختلف قليلاً عن المجتمعات اليهودية الأخرى في العالم].**

أيام التوبة - سليحوت

تبدأ أيام التوبة والزهد بين اليهود الكُرد مع حلول هلال شهر *إيلول*. **ويسمونها** *ريشيت سَهيريت راخاميم* **"بداية شهر الرحمة" [في العماديه]. وفيها يوزع الطعام على الفقراء حتى حلول يوم** *كيپور*، **ويرسل الخبز يومياً الى الفقراء من قبل ثلاث عائلات (في العماديه). ويبدأ ترتيل** *سَليحوت* **وصلوات التوبة في الليلة الثالثة – وتبدأ في العماديه في أول يوم أحد من شهر** *إيلول*.

ولغرض إيقاظ الناس لأداء العبادات الليلية، يتوجه الشَمّاش الى الحي اليهودي قبل منتصف الليل، ويطرق جميع الأبواب منادياً كل واحد بإسمه، حتى إنه ينادي الأطفال المولودين حديثاً من الذين لم يسمِّهم آباؤهم قائلاً *بونا* (*برونا*) *زورا* **"ولدي الصغير". وفي زاخو ينادي على الذين ماتوا حديثاً أيضاً. ولإعتقاد جيران اليهود من مسلمي زاخو أن من الفأل الحسن إستيقاظ المرء في منتصف الليل، فهم لذلك يدفعون للشماش كي يوقظهم أيضاً.**

وينادي اليهود على بعضهم بالقول مثلاً *موشي كوملوخ* **"موشي هل أنت مستيقظ؟". ومن هذا أطلق الكُرد على ليالي سيليحوت تسمية كو***ملوخ***؛ وبالنسبة للكُرد تعني كوملوخ موعد سقي حقول الرز (في زاخو). الأطفال كذلك يشجع بعضهم بعضاً على الإستيقاظ؛ وإذا ما تكاسل أحدهم يسكبون عليه الماء. وفي العماديه تحضر معظم النسوة تقريباً مراسيم** *سليحوت*.

يسيطر على أنغام تراتيل *السَليحوت* **الحازان أو أي فرد آخر من المحفل له صوت**

* *High Holydays*: أيام العطلة اليهودية في فترة روش هاشانان أو يوم كيپور.

غنائي جيد، وهناك تراتيل معينة مخصصة للأولاد، وغالباً ما تقع مشاجرات عنيفة حول مَن له الحق في تأديتها من الأطفال (في العماديه وزاخو). ليس من العادة في كُردستان أن يُنفخ في الشوفار بعد السَليحوت. وهي عادة كانت شائعة في العماديه فيما مضى؛ إلاّ أنها إندثرت بحلول عام ١٩٢٠ لإعتبارهم النفخ في الشوفار عدة مرات تقليلاً من قيمة النفخ الحقيقي في الشوفار بمناسبة السنة الجديدة ويوم الكفّارة.

وتعتبر ليالي السَليحوت ليالي ذات متعة خاصة للصبيان، وفيها يلعبون ألعاباً معينة لا يلعبونها إلاّ في هذا الوقت. ففي زاخو وحال انتهاء مراسيم *سَليحوت* قبل الفجر بقليل يسرع الصبية الى ضفة النهر ليلعبوا حتى شروق الشمس.

من الألعاب التي يلعبها الصبية خصوصاً في ليالي السَليحوت، لعبة *مَهينيسا* (ومفردها: *مَهيني*) "الأفراس". ويبدأ الصبية بالتحضير لهذه اللعبة قبل أسابيع من موعدها. إذ ينتقون أقوى رفاقهم في المدرسة ويسعون لضمان إشتراكهم معهم على أنهم *مهينيسا* لهم مقابل الهبات النقدية والحلويات والزبيب. وفي أحيان كثيرة يلجأ أحد الصبية لإغراء رفاقه كي يختاروه "فرساً" بوعود بمنحهم أفضل الهدايا. ويتسبب ذلك في مشاجرات عنيفة بين الصبية في الأسابيع التي تسبق *إيلول*.

ينجح في النهاية أحد الأولاد في ضمان "فرسَيْه" فيشرع حينها في تقويتهما إستعداداً لليالي السَليحوت. فهو يمنح فرسيه كل الحلويات التي يدخرها لهما ويدعوهما الى منزله، ويقول لوالدته "هاتان *المَهينيسا* لي"، "أنظري كم هما هزيلتان. يجب أن أجعلهما قويتين بحلول *إيلول*. أعطيني بعض الطعام لأقدمه لهما". حينها يتعين على الأم أن تقدم لهم *اليَپراغ*. ويصنع الصبية الجمةً "لأفراسهم" حيث ستجري في ليالي *السَليحوت* مباريات عنيفة بين الفرق المتنافسة.

وهناك لعبة أخرى تعرف بإسم تَكتَكوشكات، وفيها يبدأ الصبية بجمع روث الجمال قبل أسابيع من حلول *إيلول*، ويصنعون منه قنابل صغيرة يفجرونها على ضفة النهر (في زاخو).

السنة الجديدة

في عشية يوم الإستعداد لإحتفال السنة الجديدة، وفي وقت مراسيم السَليحوت، يتم *هطّارات نَداريم* "الحلّ من العهود". وعلى كل فرد فيه أن يعطي الگاباي هبة نقدية، پيريت *هطارا* يذهب نصف ريعها للحازان ونصفها الآخر للكُنيس؛ وبعد هذا

يرتل عشرة من الحاخامات الهَطارا. وتأتي النسوة والفتيات كذلك الى الكُنيس أثناء *الهَطارا*، ولكن جمع النقود بينهن يكون قد تم مسبقاً. وفي حال عدم إستطاعة المرأة حضور المراسيم في الكُنيس تُتلى *الهَطّارا* في دارها.

وفي كُردستان (كما في أي مكان آخر) جرت العادة على الصوم في يوم الإستعدادات. ولا تتوقف الأعمال حتى منتصف النهار؛ ويتوجه الرجال الى الأسواق صباحاً لشراء مستلزمات العيد، وخصوصاً الفاكهة وأنواع الأطعمة الأخرى التي يعتبرونها "فألاً حسناً"[1]. وفي العماديه يشتري رب الأسرة الفاكهة بنفسه. وبما أن *الشوحيطيم* لايذبحون عدداً كافياً من الأغنام فلا تتوفر رؤوس الأغنام لكل مَن يطلبها، فيشتري كل فرد جزءً من رأس شاة. وأما في زاخو فيجتمع عدد من الناس في دار *ميري پيسحه*، ويتركون له وحده أمر شراء الفاكهة ورأس الشاة.

وعند منتصف النهار في هذا اليوم يقصد الجميع الحلاقين لحلاقة رؤوسهم وبعدها الى ضفة النهر للإستحمام وإرتداء الثياب البيض المخصصة لإحتفال رأس السنة الجديدة ويوم الكفّارة.

إن العادات التي يمارسها اليهود الكُرد في *روش هاشانه*[2] لاتتميز بأية ملامح خاصة. فهو عيد يحرصون فيه على إيلاء عناية فائقة لتنفيذ الوصايا التقليدية. لقد جرت دون شك تنقية هذا العيد من الخصوصيات المحلية لصالح الصيغ التقليدية. وفعلاً فإنّ جانباً كبيراً من الصعوبة التي تواجه التحقيق في العادات الشعبية بين اليهود يعود في الحقيقة لإشراف الرسل الحَبريين وفرضهم التخلي عن بعض الاستخدامات المحلية لإحلال العادات اليهودية الأصيلة الصارمة محلها.

إعتاد اليهود الكُرد ترتيل صلاة *أحوت قتانّا* "الأخت الصغيرة"[3]قبل صلاة المساء بعيون دامعة، وهم يقرأونها بالعبرية وبالتارگوم وبالكردية في بعض المناطق (هَركي).

بعد انتهاء المراسيم يحيّي المصلون بعضهم بعضاً بعبارة *تيكّاتيف بَسيڤر حاييم توڤيم* "فليُنقش اسمك في كتاب الحياة الهانئة". وفي زاخو يذهب اليهود الى دار *ميري پيسحه* لتناول الفاكهة التي يعتبر إسمها الآرامي أو مذاقها وكذلك لحم رأس الخروف فألاً حسناً للسنة الجديدة. ويتجنب اليهود في هذا الوقت تناول الجوز، كما

١- ويسمون ذلك *زيوانيت طومئه* "شراء الفاكهة".
٢- يطلق الكُرد على روش هاشانه *عَيدا سَري سالي* "عيد رأس السنة".
٣- (أنظر ديڤيدسون، الموسوعة، العدد ٢٤٥١).

يحرّم عليهم تناول أي شيء حامض بخلاف الحلويات التي لهم أن يتناولوا منها قدر ما يشاؤون. وبعد تناول الطعام يجلس الرجال لمدة طويلة يقرأون فيها *الميشنا والزوهار*. أما المتدينون جداً منهم فيذهبون في الصباح الى ضفة النهر لطقوس الإغتسال الصباحي مرة أخرى.

وفي العماديه هناك مزايدة خاصة لبيع المهام المرتبطة بشرف القراءة من التوراة. وتشتري النسوة هذه المهمة وكذلك امتياز نصب ريمونيم لأولادهن الصغار؛ فيما يحمل الوالد ولده على يديه أثناء تادية تلك المراسيم، التي يقف خلالها إثنان من المساعدين (*سومخِيم*) بجانب الحازان، حيث يغني الثلاثة بعض الأغاني.

تُختتم المراسيم بالنفخ في قرن الكبش أو الشوفار (ويسمى في زاخو والعماديه *تَكيعه*. وفي العماديه وسنه: *شوفار*). يحظى الشوفار بعناية فائقة طوال أشهر السنة للحفاظ على جودة نغمته عند إستعماله في *روش هاشانه* ويوم كيپور. ويلجأ اليهود الى وسائل عدة للحفاظ على جودة النغمة: فيضعون ريشة طائر مبللة بالزيت فيه (في العماديه وزاخو)[٤]،أو يضعونه في الخل (في زاخو)، أو يصبون فيه العرق (في سنه). وعادة فإنّ الحازان هو مَن ينفخ في الشوفار ويتمرن كثيراً لينجح في أداء هذه المهمة نيابة عن المحفل اليهودي. في بعض المقاطعات يحظر الكُرد على اليهود النفخ في الشوفار، ربما لخوفهم من السحر؛ لهذا يجتمع يهود زيبار (شرق ريكان) في أحد الكهوف سراً لممارسة طقوس النفخ في *الشوفار*[٥].

بعد تناول الوجبة الصباحية يذهب الناس لأداء *يَشيڤا* [الجلوس] في بيوت مَن فقدوا عزيزاً خلال تلك السنة. ويقدم أهل الدار للمعزّين القهوة والفاكهة ليتلوا عليها البركات من أجل روح الميت.

بعد طقوس المِنحه يذهب الرجال – شيباً وشباباً – الى النهر لأداء مراسيم *تَشليخ* "نفض الخطايا"، التي لا تشترك فيها من النسوة سوى العجائز. وفيها يقف الناس على ضفة النهر صفاً واحداً – في وسطه تماماً يقف الحاخام – ويبدأون في نفض ثيابهم، دون إفراغ جيوبهم، وينفضون الثياب وهم ممسكون بحواشيها الأربعة (بالعبرية: *أربَع كانفوط*). ويصف لنا بنيامين الثاني مراسيم طقوس *تشليخ* في

٤- تم إلغاء هذه الممارسة في العماديه، "لأن العث يلتهم تلك الريشة".

٥- ذكر بنيامين الثاني الشيء نفسه عن رواندز: دخل الكُرد الى المعبد عنوة، "هاجموا النسوة، وعاملوهن معاملة سيئة، وحطموا البوق الرمزي وأجبروا اليهود على إيقاف مراسيمهم" (ثمان سنوات، ص١١٣).

رواندز على النحو التالي:

"هناك في يوم رأس السنة الجديدة عادة غريبة تُمارس عقب مراسيم الـ*تَشليخ* (الصلاة قرب المياه)، وتُمارَس في مناطق عديدة من أوروپا ايضاً. والطقس عبارة عن عمل رمزي، إذ يذهبون الى النبع عند الجبل حيث يتلون صلاتهم ويقفزون بعدها الى مياه النبع ويسبحون فيها. ويعتقدون أنهم بعملهم هذا إنما يتطهرون من جميع خطاياهم، متجاهلين خطيئتهم الجديدة التي إرتكبوها تواً بسباحتهم، لأن الإستحمام محرم في أيام الأعياد" (ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، ص ١٢٢).

ولكن لم يذكر لي أيّ من محدثيَّ ما إذا كانت هذه الطقوس تجري وفق ما أثبته بنيامين الثاني في أعلاه. أما في زاخو فيقف اليهود على ظهر طوف في وسط النهر، ويمضي بعضهم أبعد من ذلك بالخوض والسباحة في النهر، لإعتقادهم بتخلصهم من الخطايا على هذا النحو بصورة أفضل. أما في عقره فقد إعتادوا على الوقوف في مكان ضحل تبلغ مياهه الكعبين.

[أما في العماديه فهم يقفون أثناء مراسيم التشليخ على سور المدينة – فوق بقعة كانت فيما مضى بئراً إندرس – ويتجهون بأنظارهم الى بقعة تبعد عن المكان نحو أربعة آلاف ذراع فيها شلال تسقط مياهه من عَلٍ لتدير ثلاث طواحين مائية، وفي تلك البقعة يتلون صلاة التشليخ. ويرفع كل مصلٍّ لدى نطقه بعبارة *مي إيل كاموخا* "مَن يا إلهي يُشبهك؟" حواشي ثيابه، وعندما ينطق عبارة *تشليخ بيمتْزولوت* "ألقها في أعماق البحر" ينفض حواشي ثيابه ثلاث مرات].

يوم الكفّاره

بين يوم رأس السنة ويوم الكفّارة أيام التوبة العشرة. وقد إعتاد المتدينون من اليهود الصيام خلال هذه الفترة والإكتفاء بوجبة العشاء فحسب. وأما الممارسة الشائعة خلال هذه الفترة فهي الإمتناع عن تناول الطعام *خوواروسا* (الأبيض) أي الأطعمة البيضاء من حليب وزبدة وبيض وبصل وثوم. ويعزو بعضهم هذا الإمتناع بالقول أن الحليب ومشتقاته تُنتج من قبل غير اليهود، لذلك يحرم عليهم تناولها خلال أيام التوبة العشرة[٦].

يطلق اليهود الكُرد على يوم الكفّارة كيپور أو *صوما أورا* (الصوم الأكبر، في

٦- يهود بَرَشه يتناولون خواروسا، لأنهم ينتجون مشتقات الحليب بأنفسهم.

سنه والعماديه) أو *صوما أَريزا* (صوم المحبوب، في زاخو)، ولهذا يطلق المسلمون الكُرد على هذا اليوم أحياناً (*رويا مازانه جهييانا* (صوم اليهود الأكبر، في زاخو). إلاّ أن أكثر التسميات شيوعاً هي *عَيدا ديكلا* (عيد الدِيَكه)، حتى إن اليهود يستخدمون مصطلح (يوم *زَبيحت ديكلا* (يوم ذبح الدجاج).

يحضر الكُرد أعداداً كبيرة من الدجاج الى الأسواق في الأيام التي تسبق يوم كيپور، لعلمهم أن الطلب عليها سيكون كبيراً خلال هذه الفترة. وفي الليلة التي تسبق يوم الإستعداد *ليوم كيپور*، يوقظ الشَمّاش الناس فرداً فرداً لمراسيم السَليحوت وقبل ساعة من الموعد المعتاد. وهم يوقظون الأطفال كذلك لإعتقادهم بأن بقاء الناس نياماً خلال الكَپاره أمر مشؤوم. ولأُضحية *الكَپاره* يختار اليهود طائراً أبيض، ويفضل إختيار ديك للرجل ودجاجة للمرأة. ولهذا يجب تخصيص طائر واحد لكل فرد من العائلة، بإستثناء العائلات الفقيرة التي تستعيض عن الدجاج في هذه الحالة ببيضة لكل فرد[٧].

وأما العائلات الثرية فتخصص لكل فرد من أفرادها خروفاً كأضحية؛ ويمكن في هذه الحالة إعتبار ذلك *كَپّاره* عامة، وهي عادة يلجأ اليها اليهود في هذه المناسبة كما في المناسبات الأخرى (في حال المرض مثلاً)[٨]. إذ تحضر كل عائلة الى باحة الكُنيس جالبةً معها خروفها المخصص للتضحية به. فيدور *الشوحيط* بالخروف حول أفراد العائلة ويلمس كل واحد منهم الخروف أثناء دورانه حولهم وقبل ذبحه. أما دجاجة *الكَپاره* فتُذبح في البيت. ويبدأ الشوحيط في عمله عند منتصف الليل لكي ينتهي منه باكراً. وهو يترك دم الأُضحية يتدفق في *الدوكه* المملوءة بالرماد، ليبدأ رب الأسرة بعدها بتلاوة التبريكات على *كيسوي ها دَم* "تغطية الدم".

ولمناسبة الكَپاره يذبح الشوحيط، كما في المناسبات الأخرى، الذبائح مجاناً؛ خلا تبرع تلاميذه في بعض الأحيان بالطائر المذبوح على سبيل الهدية. ويترك أهل الدار رأس الدجاجة المذبوحة وأحشاءها فوق سطح الدار طعاماً للطيور، فيما يوزعون اللحم على الفقراء.

وفي الصباح ينقلون الشمعة الضخمة المسماة *شمعه ميڤوراخ* "الشمعة المباركة" الى الكُنيس[٩]. ويبلغ إرتفاع الشمعة المذكورة متران وسمكها (٣٠) سنتيمتراً

٧- لاينحر اليهود الكُرد للمرأة الحامل دجاجتين كما جاء في *شولحان عَروخ*، بل دجاجتيْن وديكاً.
٨- أنظر أيضاً براور "*مي- پاراشات ماساعوتاي*"، ص ٢٠.
٩- الوصف التالي للمراسيم خاص بزاخو: "وعندما نظرت، ماذا رأيت؟ كل اليهود مجتمعون، =

يصنعها الشَمّاش على نفقة الكُنيس. وفي العماديه يُشترى الشمع اللازم لصناعتها من الأموال التي يتم جمعها أثناء الجَلد بالسياط (*مَلقوت*) في يوم الكفّارة.

في زاخو ينقل الشَمّاش ليلاً الشمعة الضخمة الى بيت الگاباي قبل حلول يوم كيپور ببضعة أيام. وفي يوم الإستعدادات الذي يسبق يوم كيپور يحضر أفراد المحفل اليهودي الى دار الگاباي، الذي يقدم لهم المرطبات، ليبدأ بعدها بيع الشمعة في المزاد. وبهدف رفع السعر الى أعلى ما يمكن تجري المزايدة في جو يسوده الهرج والمرج واللهو.

وبعدها يحمل مَن ترسو عليه المزايدة الشمعة على كتفه ويتجه بها - يرافقه جميع أفراد المحفل - الى الكُنيس. وخلال مرورهم ترشهم النسوة الواقفات على السطوح بالحنطة والزبيب وهن يزغردن. وفي الكُنيس توضع الشمعة الضخمة المباركة قبالة *هيخال* "الحَرَم". ثم يوقد بعض الرجال قناديل زيتية لأطفالهم وزوجاتهم، والنساء لأزواجهن (في زاخو). أما في العماديه فيوقدون قنديلاً لكل فرد من العائلة.

يتم إطفاء *شمعه ميڤوراخ* الضخمة في اليوم الذي يلي الصوم ويستخدمون ما تخلف منها كشمعة *هَڤدَلا* في الكُنيس (أنظر ص ٣٢٣). وهم يعتبرون إنطفاء الشمعة في وقت قبل هذا نذير شؤم للمجتمع. أما في سنه فتوقد العائلات التي مات واحد أو أكثر من أفرادها خلال فترة معينة (تكون في بعض الأحيان عشر سنوات) فتضع شمعة ضخمة - إرتفاعها متر واحد - في الكُنيس، ولكثرة عددها يُضاء الكُنيس على نحو بهيج بهذه الشموع التذكارية الضخمة.

إن الجَلد بالسياط "*مَلقوت*" يحدث في الكُنيس بعد المينحه. وهي عادة يمارسها اليهود الكُرد بجدية وحماسة كبيرين لإتفاقها وطبائعهم الخشنة، ولأنهم يعلقون عليها أهمية كبيرة. ويستخدم في عملية الجَلد سوط خاص مصنوع من جلد الثور وجلد الحمار. ويعزون استخدام نوعين من الجلد الى سِفر أشعيا ٣:١ "عرف الثور مالكه والحمار إصطبل سيده"، ولكن هذا التفسير حديث لأن هناك أدوات قديمةً إستُخدمت في الجَلد. ففي مجموعة براور بالجامعة العبرية سوط يعد قطعة أثرية نادرة من سنه[١٠]. وللسوط المذكور مقبض خشبي طوله (٢٠) سنتيمتراً أُدخل فيه

= وفي وسطهم يسير أعلاهم مكانة يحمل بكلتا يديه شمعة ضخمة (الشمعة المخصصة *ليوم* كيپور)، وعلى صوت الطبول وإيقاع الرقصات يتقدم الحشد، والنساء اللواتي كنّ على أسطح المنازل شاركن الموكب الراقص بهتافات عالية ونباحٍ كالكلاب... حتى بلغوا الكُنيس. حيث وضعوا الشمعة في مكانها المخصص لها". (دبليو، شور، *ماحازوت هاحاييم*، ڤيينا، ١٨٨٤، ص٣٤).
١٠- وقد نجحت في الحصول على سوط آخر من هذه السياط النادرة، وهي أداة بدائية من ريكان، =

شريط رفيع من جلد ثور مطوي أربع طيات وحواف الطيات خيطت الى بعضها بخيط رفيع (طوله ٣٣ سنتيمتراً وعرضه ٦,٧ وسمكه ١,٢) هو الآخر من جلد ثور (مجموعة براور بالجامعة العبرية ٣٧:١١). المقبض والسوط مزخرفان بخطوط عميقة. وفي وسط السوط وعلى جانبيه شريط طويل من جلد حمار عرضه (١,٤) سنتيمترات وقد خيط الى السوط من وسطه بخيط رفيع من جلد ثور. وفي نهاية السوط يبرز شريط من جلد حمار تم لفه الى عقدة صغيرة.

ولكل كُنيس سوطه الذي يُحفظ في *هيخال*. وقد يكون السوط متاعاً متوارثاً لدى بعض عائلات الحاخامات، وفي زاخو حالتان فقط توارثت فيهما أسرتان هذه الأداة.

في العماديه يستخدم أحد أعمدة الكُنيس موقعاً للجَلد، إذ يتعرى المريض الى خصره ويلف يديه حول العمود. ثم يقوم أحد التلاميذ بربط يدي المريض بشال صلوات قديم. ويشرف على عملية الجَلد الحازان؛ وتكون الجلدات (بعدما عرفنا عن خشونة اليهود الكُرد) قوية. وعادة ما يقف الحازان أثناء الجَلد خلف المريض ممسكاً بالسوط بقبضتيه لتكون ضرباته قوية. وهو يجلد المريض ثلاث جلدات، أو إذا رغب المريض بذلك "أربعين جلدة إلاّ واحدة" وهو يردد كلمات الأناشيد ٧٨:٨٣ ثلاث مرات. ويطلق اليهود الكُرد صرخات عالية أثناء الجَلد – ليس من الألم بل بسبب الإهتياج الداخلي[١١].

وبعد الانتهاء من الجَلد يوزع المريض الصدقات، ويحيط به الفقراء وهم يصيحون *مامو، مامو* "ياعم ياعم" ولا يتركونه يرتدي ثيابه إلاّ بعد أن يرضيهم (في زاخو). بعد ذلك يتوجه المجلود الى النهر للإغتسال الشرعي. وفي العماديه إعتاد هؤلاء على الغطس في الماء خمس مرات، ولكن المتدينين منهم يغطسون في الماء "أربعين مرة إلاّ مرة" (في زاخو، والعماديه وسنه).

تضع النسوة الطعام قبل بدء الصوم في الفرن ويحذرن الأطفال من الإقتراب من الفرن الذي يحرسه في هذه المرة عفريت. وتتألف وجبة الطعام الأخيرة قبل بدء الصوم من الدجاج والرز عادة. ويصوم الكبار والصغار إذ تنصح الأم إبنتها قائلة:

= مصنوعة من جلد ثور وجلد حمار (الجامعة العبرية، مجموعة براوَر ١٢:٣٩).

١١– عملية الجَلد هذه حظيت بوصف حي من شور: "ومع كل جَلدة يتلقاها البربري من الشَمّاش، يصرخ الأول بصوت يمزق نياط القلب... وقد غطت الجروح ظهر الرجل المسكين... بضعة كُرد مسلمين، من المطلعين على هذه العادة اليهودية الشاذة، جاؤوا الى الكُنيس، وعرّوا ظهورهم، وقالوا للشماش ممازحين بأن يجلدهم هم أيضاً أربعين جلدة" (المصدر السابق). لكن محدثيَّ أنكروا هذا الزعم الأخير.

"*صومين بَريتي، نيپيكلاخ خي كيكت ديهڤا* "صومي يا ابنتي، لينبت لك سنّ ذهبي" (في العماديه).

ويتوجه الشماش بمقتضى المراسيم، الى الكُنيس حافياً، فيما ينتعل الكثير منهم رَشكه "الحذاء المصنوع من شعر الماعز (ص١٠٣)" ويشدون على خصرهم بدلاً عن الخيش حبلاً من شعر الماعز تحت الملابس يسمى *دالكه*.

يعود كل الرجال الغائبين عن بيوتهم قبل يوم كيپور. ويحضر الجميع أداء المراسيم في الكُنيس الذي تمتليء باحته بالمصلين. بينما تقف النسوة والفتيات على سطوح المنازل المجاورة للكُنيس.

وتُغنّى *كول نيدره* ثلاث مرات بلغتها الأصلية وثلاث مرات أخر بالتارگوم. ويبكي الجميع أثناء الغناء؛ وتبكي النسوة والفتيات ويندبن من على سطوح المنازل المجاورة، فتقول المرأة لإبنتها: "*بيخه بَريتي تخاترِ إلليهه بيولِ خايه طا بيبخ أخاويساخ*" "إبكي يا بنيتي، حتى يطيل الله في أعمار والدك وإخوانك" (في العماديه).

ويُلزم المتدينون أنفسهم بأن لايتكلموا لحين النفخ في الشوفار في اليوم التالي. ويظل العديد من هؤلاء وقوفاً طوال ليلة ونهار يوم كيپور[١٢]. ولتخفيف هذا العبء المفروض ذاتياً، يلف هؤلاء رباطات حول أجسادهم. ويقضي بعض الحاخامات الليل بطوله في الكُنيس لتجنب الإلتقاء بالنساء أو غير اليهود أو الإنشغال بالأمور التافهة. وفي زاخو تقطع الفتيات على أنفسهن العهد بإلتزام الصمت. لإعتقادهن بأن صمتهن سيعود عليهن بنعمة الحصول على زوج صالح.

في صباح اليوم التالي يكون الجميع في الكُنيس قبل شروق الشمس. ويتم تقسيم قراءة الصلوات بين ثلاثة *حازانيم*. ويتاح في يوم كيپور لعدد كبير جداً من المصلين القراءة من التوراة، لأن العديد من الرجال يقضون أيام السنة مسافرين بين القرى ولايكونون في بيوتهم مع عائلاتهم إلاّ خلال أيام التوبة وعيد الفصح. هذا علاوة على أنه يقدم الى المدينة كل مَن يستطيع ذلك خلال يوم كيپور. وقبل نطق التبريك الكهنوتي يتوجه *الكوهينيم* الى أحواض الغسل، حيث يصب اللاوية الماء على أيديهم، حيث يقدم ماء الغَسل هذا شراباً شافياً للمرضى والنساء العواقر (في العماديه وزاخو).

١٢– [ساد هذا التقليد في المجتمعات الأشكنازيه وبين المتدينين من أفرادها. فوفقاً لجدة والدتي، التي عاشت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في گروسڤارداين، ترانسلڤانيا، كان معروفاً أنها وقفت في مكان واحد طوال مراسيم يوم كيپور ولم تنبس بحرف خلا في صلوات هذا اليوم.]

ينتظر الرجال يوم كيپور بحماسة فلاحية، فهم لا يرون في الصوم مشقة كبيرة، ولكن تلاحظ حركة مستمرة بين النسوة، فخلال پيوتيم [أشعار دينية] التي تُغنّى بالتارگوم، تراهنَّ يفرطن في البكاء. وهناك العديد من الرجال ممن لايقضون اليوم كله في الكُنيس، بل يتوجهون عقب انتهاء صلاة الصبح الى منازلهم ليناموا حتى حلول وقت المينحه. وفي سنه يجلس الرجال على منصة *سِيده* المرتفعة خلال هذه الفترة، حيث يقدم لهم كل واحد من الصبية والصبايا في المَحفل منديلاً لأجل رقوق التوراة. ثم يتم بعد ذلك بيع هذه المناديل، التي قد يصل عددها الى أكثر من مائتين، ويخصص ريع البيع للكُنيس.

يخضع الرجل الذي يولد له طفل في يوم كيپور لمعاملة قاسية. لأن ولادة الطفل تؤكد إقترافه الخطيئة ونومه مع زوجته في الصيام أثناء العاشر من تيڤيت[*]، اليوم الذي حاصر فيه نبوخذنصر القدس. ولهذا يلفون الوالد المذنب في بطانية، ويدوسه كل فرد من الحاضرين ثلاث مرات. وعليه بعدها أن يقضي يوم كيپور برمته ملفوفاً في تلك البطانية (في العماديه). أما في زاخو فيفرجون عنه بعد تلقيه العقوبة الأولى. وبعد نفخ الشوفار عند صلاة المساء، تسرع النسوة الى منازلهن لإيقاد القناديل وإخراج *الميبوسه* من الفرن لأجل *فيتاريت* كيپور. والطبق الذي يتناوله اليهود الكُرد للإفطار بعد صوم يوم كيپور طبق حلو وحامض: كبة (*كفته*) الحنطة واللحم المطبوخة في عصير العنب غير الناضج *ميبيست خومسه* (في العماديه وزاخو والسليمانية).

*- تيڤيت : الشهر الرابع من التقويم المدني والعاشر من التقويم الديني، يقابل كانون أول وأحياناً قسماً من كانون الثاني. (تيبت Tebet أو تيبث Teveth).

23

السوكوت – السقائف

يسمي اليهود الكرد عيد السوكوت [السقائف] "*سوكّه* أو *سوكوت*". وفي سنه يستخدمون تسمية "*إيلانه*" وقت العيد؛ وذلك أنهم يعتبرون السوكوت في المناطق الفارسية – الكُردية (كما في الكتابات التلمودية) من أبهى الأعياد. يطلق المسلمون الكُرد على هذا العيد *كَپره شينه* "السقيفة الزرقاء" (في زاخو والعماديه وأشنويه).

هناك أماكن تبني فيها كل عائلة سقيفة لنفسها (في سنه والسليمانية)؛ ولكن في الغالب لا تقام السقائف إلاّ من قبل عائلات قليلة تدعو الآخرين للإحتفال معها، كما هو الحال في عيد الفصح.

في زاخو يبني ربع العائلات تقريباً السوكوت. وهناك في أربيل سقيفة واحدة في كل باحة؛ أما في العماديه فتقيم سبع عائلات فقط من أصل ثمانين السقائف، وفي بَرَشه إثنتان أو ثلاث من أصل خمس وعشرين عائلة. وفي أشنويه كانت هناك أربع سقائف فقط لمائة عائلة؛ بُنيت في بيوت الحازان، والگاباي، وإثنان من الأغنياء.

السقيفة

في كُردستان كما في الأماكن الأخرى، يبدأ بناء السقيفة قبل انتهاء يوم كيپور. وتُبنى في باحة المنزل أو، وهذا هو الشائع، على سطح المنزل. وفي زاخو هناك تقليد قديم يتمثل في قبول تاجر الأخشاب تأجير أخشابه لإقامة السقائف في عيد السوكوت. ولهذا يتوجه الرجال في المساء الى النهر حيث توجد ساحات بيع الأخشاب؛ وينال كل واحد منهم ما يحتاجه من أخشاب ويأخذها معه الى داره. وفي البيت يحفر أربع حفر يغرس فيها أربعة أعمدة خشبية من التي أحضرها معه.

في صباح اليوم التالي يتوجه اليهود الى الغابات ببغالهم للحصول على أغصان *خيلابتا* "الصفصاف" لجدران وسقف السقيفة. وبما أن الصفصاف يوضع على السقيفة عشية عيد السوكوت، فهم يسمون ذلك اليوم يوم *جيزيلت سوكّه* (في زاخو) أو يوم *كاسويْت سوكّه* "يوم تغطية *السوكّه*" (في العماديه). ولاتستخدم المسامير في بناء *السوكّه*. ويتم ربط كل شيء فيها بالحبال أو الأغصان الطرية.

تفرش أرضيات السقائف بسجاجيد وأقمشة ذات ألوان فاقعة، إلاّ أنهم لايغطون

أغصان الصفصاف في بَرَشه. وفي سقف كل سقيفة يعلقون عناقيد من الفاكهة لأكبر عدد من أنواع الفاكهة؛ وأكياس صغيرة من الملح والفلفل وما الى ذلك؛ و"يقطينة النبي يونس" *قَره مايه* (في العماديه، يعلقون البطيخ؛ وكذلك في سنه)، وكذلك بيضة عليها كتابات عبرية من سِفر ليڤي ٢٣:٢٤، "ستسكنون السقائف سبعة أيام" (في العماديه وأشنويه). ويطوي الأطفال قطعاً من الورق لتشكيل صور طيور، *چوچكييثا* ويعلقونها في السوكّه، ويقولون عنها بأنها أرواح الحاخامات[١].

يجلس الناس على الأرض على مفارش صغيرة، حول طاولة مستديرة قليلة الإرتفاع (*كورسي*) توضع فوقها *سينيه* الطعام. وطبقاً للعادة الكابّالية[*]، يوضع في السوكّه كذلك كرسي يطلق عليه *كورسي باباويثا*، "كرسي الآباء" ليجلس عليه *أوشپيزين* "الضيوف المقدسون". وفي كل يوم يُهيّأ وعاء من الطعام للـ*أوشپيزين* ليقدم بعد ذلك للفقراء[٢].

عندما يعود مالك السوكّه من الكُنيس في أول ليلة من ليالي العيد، لايدخل سقيفته مباشرة بل ينتظر إجتماع كل ضيوفه لكي يدخلوا كلّهم معاً. وليس بين الضيوف في هذه المرحلة نساء. لأنهن يتسلقن الى سقف السقيفة حيث يلقين من هناك بالحلوى لأطفالهنّ الذين يدخلون السقيفة. وهم يرمون العريس أيضاً في هذا الوقت بالحلوى (في أربيل). والمضيف لايقيم الوليمة. لأن كل ضيف يحضر معه العرق والمزّه، فيما تقوم الزوجات بعد فترة بإحضار الطعام لأزواجهن.

اللولاڤ (باقة السوكوت)

في كُردستان يوجد *اللولاڤ* في الكُنيس فقط [والـ*إتروگ*. ويتألف *اللولاڤ* – كما في كل المجتمعات اليهودية – من سعف النخيل، المحاط بأغصان الآس والصفصاف. والـ*إتروگ* الذي يسميه اليهود الكُرد شعبياً "ترنجه" هو الأُترج. وهذه "الأصناف الأربعة" التي يشار اليها عادة بهذا الإسم تحمل معاً في كلتا اليدين، وتتلى عليها البركات الملائمة، ثم تحرك الى الأعلى والأسفل في الإتجاهات الأربعة. إن التبريك

١- [فيما يتعلق بعادة تقديم الروح في صورة طير أنظر: موسوعة الأديان والأخلاق، طبعة هاستنگز، ١، ٥٢٥أ، ١١، ٧٢٩ب و٧٤٥أ، مادة إسلام؛ سر جيمس جورجس فريزر، الغصن الذهبي، الطبعة الثالثة، لندن، ١٩٢٢-١٩٢٥، الفهرس، مادة "الروح"].

*- الكابالاه: منهج لتفسير الكتب الدينية وفق القيم الرقمية للحروف، إستحدثه بعض أحبار اليهود في القرون الوسطى. وتسري التسمية في الإنگليزية كذلك على أي معتقد صوفي أو سري.

٢- هناك حاخامات ينقلون كرسي إيليا من الكُنيس ويضعونه في السوكا العائدة لهم(في زاخو).

والتحريك للإتجاهات الأربعة، واللذين يمارسان في كل يوم من أيام عيد السقائف الثمانية، تعد جانباً هاماً من طقوس العيد].

إن الآس (*آسه*) والصفصاف (*خيلاپثا*، وبالكردية: *بي*) ينموان في كل مكان في كردستان؛ ولكن لا يقدر الفرد على توفير *اللولاڤ* و*الإتروگ*[٣]، لأنهما يستوردان من بغداد أو القدس، وفي المقاطعات الفارسية من مدينة رَشت.

وفي العماديه إعتاد رجلان مسنان الذهاب الى بغداد لجلب اللولاڤ والإتروگ. وحينما كان أهل المدينة يعلمون بإقتراب القافلة التي يرافقها حاملا سعفات النخيل والأُترج من المدينة، كان المعلم وتلاميذه، وكل مَن يستطيع أن يترك عمله – حتى من الكُرد– ينطلقون بسرور للقائهما (في زاخو والعماديه).

يؤخذ الإتروگ واللولاڤ في البداية الى بيت الگاباي، حيث يباعان عن طريق المزايدة. وفي اليوم الذي يسبق عشية السوكوت، يجلب الناس – وهم يسيرون في موكب يغنون فيه أغنية *دي خاملولا* (أنظر ص ١٤٧) – الإثنين الى بيت *ميري لولاڤ* [سيد اللولاڤ] أو الذي رست عليه المزايدة على شراء اللولاڤ. وتقوم زوجة *ميري لولاڤ* من على سطح دارها بإلقاء الحلوى والمكسرات على المشاركين في الموكب، وتقدم للحضور أطعمة خفيفة[٤].

في الصباح الباكر من اليوم التالي يوقظ الشَمّاش الناس لكي يجلبوا اللولاڤ من دار ميري لولاڤ الى الكُنيس، حيث يعاد ثانية الى نفس الدار بعد انتهاء المراسيم المتعلقة به في الكُنيس. ومن بين واجبات مَن يحظى بشرف كونه ميري لولاڤ تقديم الطعام لنحو ستين شخصاً يومياً وهو أمر مكلف جداً. ويُلفُّ اللولاڤ في قماش حريري، وليس هناك صندوق لحفظ الإتروگ.

يقدم ميري لولاڤ اللولاڤ للجميع في الكُنيس، ليقرأوا عليه تبريكاتهم. وكانت العجائز أيضاً يحملن اللولاڤ فيما مضى ويتلون عليه تبريكاتهن مثل الرجال.

قبل مراسيم *المِنحه* في اليوم الأول، يجتمع المحفل بأكمله في *السوكّه* العائدة

٣- هناك على مايبدو أسباب إجتماعية أيضاً لهذا: إذ ليس من المرغوب أن يكون للأغنياء فضل كهذا على الفقراء.

٤- في زاخو يبقى *اللولاڤ* في دار الگاباي ولايطرح للمزايدة إلاّ في اليوم الأول. ويكون سعره مرتفعاً يصل في كثير من الأحيان الى (١٠) جنيهات استرلينية، ولايعيدونه الى بيت *ميري لولاڤ* إلاّ بعد إنتهاء المراسيم. ويأخذونه في كل يوم من الدار المذكورة ليعيدوه اليها بعد إنتهاء المراسيم في الكُنيس.

للگَڤير، وفي اليوم الثاني في *سوكّه* الحاخام. وهم يرقصون ويغنون في هذه الإجتماعات، ويؤدي بعض الرجال المسنين رقصة السيف بسيوف خشبية. ولأجل المِنحه يتوجه الى الكُنيس موكب يتقدمه الشباب وهم يرقصون ملوحين بالمناديل، وخلفهم يسير الرجال الأكبر سناً وهم يرقصون بالسيوف (في العماديه)[٥].

هوشانا رابا

يطلق على الليلة التي تسبق [*هوشانا رابا* "الهوشانا العظيمة] (*ليل أُريڤه* "ليلة الصفصاف". وفي *ليل أُريڤه* يغتسل الرجال الإغتسال الشرعي ويرتدون ثياباً بيض، كما في يوم كيپور. وفي العماديه يجتمع ا لرجال من أجل القراءات الليلية في الكُنيس، وفي زاخو وسنه يجتمعون في السوكّه. وفي العماديه يأمر الگاباي بإحضار كمية كبيرة من العنب الى الكُنيس، فيما يحضر الناس معهم في الصباح إناءً مملوءً بالفاكهة والكعك (*زلوبيه*). ويتم توزيع الفاكهة والكعك عدة مرات خلال الليل. وللمشاركة في هذه القراءات الليلة تحضر النسوة كذلك الى الكُنيس، لكنهن يجلسن في الباحة في صمت (في العماديه). وتبدأ قراءة الأناشيد مع ظهور القمر. إذ ينقسم الرجال الى مجاميع مؤلفة من عشرة، ويتم تعيين حصة لكل مجموعة. وفي سنه ينفخون في الشوفار عقب الانتهاء من كل كتاب. ويجب أن لا يغلب النوم أياً من الحاضرين أثناء القراءة، وهو ما يتأكد منه الگاباي بسيره بين صفوف الرجال. وقد إعتاد المتعبدون إيقاظ مَن ينام أثناء هذه القراءة بطريقتهم الوحشية بأن يدوسوا بقوة على ساقه؛ ولكنهم يكتفون الآن، بسبب تعرض مَن يدوسون على ساقه للكسور، بأن يدوسوا على أصابع قدميه (في العماديه).

تفحص ظل الإنسان

في كُردستان أيضاً تجد الإعتقاد الشعبي الشائع عن "تقرير مصير المرء في هذه الليلة"، إذ أن رأس الرجل المقدر له أن يموت في هذه السنة لا يكون له ظل. وقبل قراءة الأناشيد يخرج بعض الرجال وخصوصاً الحاخامات لمعاينة الظلال التي تلقيها رؤوسهم وأذرعهم وسيقانهم.

٥- [رقص الرجال المسنين يمكن مقارنته بالرقصات التي يؤديها "المتدينون والمحسنون" في الهيكل الثاني أمام الجمهور المحتفل بالسوكوت في الباحة المخصصة للنساء (أنظر: پاتاي، الإنسان والهيكل، ص ٢٨)].

وفي أربيل يقال بأن أشخاصاً معينين فقط هم المؤهلون لتفحص هذه الظلال أثناء الليل. إذ يخرج هؤلاء خلسة ويتفحصون الظلال التي تلقيها أجسامهم في ضوء القمر. ومن علامات معينة يمكنهم معرفة ما إذا كان سيصيبهم أو يصيب آخرين من أفراد عائلاتهم أي مكروه. وهم لا يبوحون بما إكتشفوه لأحد بل يسعون لتحويل تهديد الشر من خلال العهود التي يقطعونها على أنفسهم.

وقد أخبرني يهودي من سنه بأنه لاحظ فجأة بينما كان يتمشى في *هوشانا رابا* مع عدد من أصحابه الشباب بأن ظل أحد أصحابه بلا رأس. فأشار الى صديق آخر ولفت نظره الى هذه الحقيقة المقلقة. فأيد الصديق قوة ملاحظته. ومات الشاب الذي كان ظله بلا رأس خلال مدة قصيرة.

الضرب بأغصان الصفصاف

جرت العادة على جمع أغصان الصفصاف التي تستخدم في اللولاڤ خلال الليل أو عند الفجر. وقد إختصت عائلة بي هودا في العماديه بشرف أداء المهمة المذكورة. إذ يتوجه عدد من أفرادها الى النهر عند منتصف الليل، يقطعون أغصان الصفصاف، *هوشانوت*، ثم يحضرونها الى الكُنيس. أما في زاخو فيشترك كل الرجال من السقائف المختلفة في قطع أغصان الصفصاف ومن ثم تسليمها *ميري لولاڤ*. ويقطع كل فرد سبعة أغصان ولكنه لا يضرب الناس إلاّ بخمسة منها (في العماديه)[٦]. والنساء، اللواتي يتوجهن من كل مكان الى الكُنيس لمراسيم *هوشانا رابا*، يحصلن أيضاً على أغصان الصفصاف وكذلك الأطفال الصغار.

ويختار الجاهلون من الناس أغصاناً قوية وكبيرة، لإعتقادهم بأنه كلما كان الغصن كبيراً كلما كان تنفيذ التعاليم أفضل. وفي زاخو يتخذ بعض الشباب عدداً من الأغصان ويجعلونها في حزمة تشكل عموداً يبلغ سقف الكُنيس، يعلقون على نهايته باقة زهور أو بضع تفاحات أو رمانات. فيما يختار آخرون أغصاناً قوية يحنون رؤوسها فيما يشبه الهراوة يضربون الناس بها (وكذلك في العماديه).

رغم أن *هوشانا رابا* هو العيد الذي تتحدد فيه شرعاً أقدار الرجال، فإن ذلك لا يمنع اليهود الكُرد من اللجوء الى المرح حتى في هذه المناسبة الحزينة. ففي أشنويه

٦- [الضرب بحزمة من خمسة أغصان هو بالضبط ما أوصى به كهنة الكابالاه؛ أنظر إيشعيا لوري "*كاڤانوت*" في أبراهام دانزيگ هايي آدم (ڤيلان، ١٨٢٠)، ما سبق ١٥٢. أنظر كذلك إيسدور شيفتلوويتز، *AltPalästinensischer Bauernglaube*، هانوڤر، ١٩٢٥، ص ٩١].

يسرق الشباب قطعة القماش التي تمثل صرة الطعام التي يحضرها الرجال معهم الى الكُنيس أثناء بقاءهم للقراءة الليلية. ويأخذون الصرّة التي سرقوها الى زوجة الضحية ويخبرونها بأن زوجها يطلب المزيد من الطعام وقنينة من العرق. وتقدم لهم الزوجة لإنخداعها بقماشة الطعام ما طلبوا، فيعود الشباب الى الكُنيس لتناول ماحصلوا عليه بهذه الطريقة. أما في سنه فيخرج هؤلاء قبل شروق الشمس الى الحقول ويلجأون لمختلف الحيل هناك. فهم يسرقون الفاكهة ويهيئونها في العراء ويأكلونها ويحتسون بعدها العرق.

في الصباح يؤخذ اللولاف الى دار ميري لولاف، ومن هناك تُحمل في موكب خاص الى الكُنيس؛ وهي المرة الأخيرة التي يقومون فيها بهذه المراسيم في هذا العيد. ويعينون مَن يقوم بالطواف سبع مرات رجالاً يحملون أسماء: إبراهيم، إسحاق، يعقوب، يوسف، موسى، هارون، ديڤيد[٧].

ويتعرض الرجال الذين يطوفون الى الضرب بأغصان الصفصاف. كما يضرب الواقفون بعضهم بعضاً بها. والضرب قد يكون شديداً في بعض الأحيان. وقد ذهبت كل الجهود الرامية لإبطال هذه العادة سدى (في زاخو والعماديه)[٨]. وتقع

٧- [هؤلاء هم الأشپيزين (الأصدقاء) السبعة التقليديين الذين يفترض تواجدهم الروحي في السقيفة].

٨- [لهذا التقليد أيضاً جذور تاريخية تعود لأيام الهيكل الثاني، حين إعتاد الناس في سبت عيد الهيكل المتنقل تبادل الضرب بأغصان *اللولاف* التي يحملونها، (قارن: *ميشنا سوكا* ٤:١). وضرب الناس بعضهم بأغصان الصفصاف في طرابلس الغرب أمر شائع، فحسب بنيامين الثاني: "في طرابلس يتلون بين كل قسم *السَليحوت* ويُنفخ في الشوفار؛ ويشربون الكثير من القهوة. وفي الصباح يتوجه الجميع الى الكُنيس، ويحتفلون ويرددون الهوشينوت. وبعد ذلك يأخذ كل واحد *الهوشينا* العائدة له ويضرب بها كتف زميله. ولاتؤخذ المكانة والحالة الإجتماعية بنظر الإعتبار في هذه المناسبة؛ وتشترك النسوة ايضاً في هذه المراسيم، ويعتبر الكلّ تلقيهم ضربات الهوشينا شرفاً لهم" (ثمان سنوات، ص ٣٣١). ولازال هذا التقليد سارياً الى اليوم (أنظر ن. سلوچز، *ماساعي بئيريتز لوڤ*، المجلد ٢، (تل أبيب ١٩٤٣)، ص ٨٦. وقد تم شرح مراسيم الضرب بالأغصان بالمقارنة مع مراسيم مماثلة لشعوب أخرى تدخل في طقوس الخصوبة. أنظر: مانهارت، *Wald und Fieldkulte*، المجلد١، ص٢٥١ وما يليها، المجلد ١، ١٠٠، ١٠٨، المصدر السابق، أسطورة پيرسيوس (لندن ١٨٩٤-١٨٩٦)، المجلد الأول، ١٧١، أوڤيد، فاستي٤٢٥, ٢؛ السر جيمس جورج فريزر، لندن ١٩٢٩، النسخة الثانية، الص ٣٣١ وما يليها، المصدر السابق. وكذلك الغصن الذهبي، المجلد ٢، ص٧٩. ل. پريلر، *Romische Mzhodologie* (برلين ١٨٨١-١٨٨٣)، المجلد ١، ص ٣٨٩؛ أنجيلو دي گوبرناتيس، *Thiere in der indogermanisch Methologie* (لايپزگ، ١٨٧٤)، الص ١٧٣-١٧٤؛ بارتلز، الأنثى، المجلد ٢، ص ٣١٥ (قارن =

مراسيم الضرب بأغصان الصفصاف هذه في باحة الكُنيس. في كُردستان لايمارسون مراسيم خاصة بمناسبة [*شيميني أَصَرَت* [أيام السوكوت الثمانية]. أما مناسبة *سيمحات تورا* فتعد في المقابل عيداً شعبياً حقيقياً؛ إذ تسير فيه عدة مواكب علاوة على الطواف في عشية وصباح *سيمحات تورا*.

سيمحات تورا

يجري الطواف عشية *سيمحات تورا* بعد انتهاء *المِنحه* وبعد *مَعاريڤ*،وليس هذان طقسين إحتفاليين، وتُباع الطوافات السبعة مجتمعة بدلاً من بيعها منفردة، كما في *سيمحات تورا* نفسها[٩].

مع بدء صباح سيمحات تورا، تباع إمتيازات وظائف ومهام الشرف المخصصة للسنة بأكملها في المزاد (أنظر ص ١٩١). وفي العماديه يعرضون مهمتي *حاتان تورا* (أي: *حاتان ميعونا وَاييعال*) و*حاتان بَريشيت* للبيع في المزاد؛ وعادة ما يحصل رجل واحد على كلتا المهمتين[١٠]. أما في زاخو فلا تُطرح المهمتان للمزاد: لأن من يفوز بشرف كونه "السادس" يكون *حاتان ميعونا* أيضاً، بينما يحصل الرجلان اللذان يحظيان بشرف كونهما "السابعان" يحظيان بشرف *حاتان وَاييعال* و*حاتان بَريشيت* ايضاً.

في العماديه، يرافق الوجهاء الحاتان بوقار الى داره حيث يحظون بوليمة. ويأتي بقية أعضاء المحفل ايضاً، لكنهم يجلبون معهم طعامهم، ولايقدم لهم *الحاتان* غير العرق. كما يجب على *حاتان تورا* أن يقدّم عدة زجاجات (*بيتونا*) من العرق للحاڤيريم. إذن فالحصول على شرف حاتان تورا سعادة مكلّفة للغاية. وفي زاخو يتوجه جزء من أعضاء المحفل في موكب إحتفالي يرافق *حاتان تورا* (*وَاييعال*) الى داره، والجزء الثاني يرافق *حاتان بريشيت*؛ ويقدم هذان لضيوفها المقبلات.

بعد تناول الوجبة في بيت الحاتان يعود الناس الى بيوتهم؛ بعدها يقوم الشَمّاش قبل بضع ساعات من *المِنحه* بإستدعاء أفراد المحفل الى *سيمحات تورا* (في العماديه). وفي العماديه يعود أفراد المحفل، عقب الانتهاء من الطواف في كُنيس

= ما ورد في المجلد ١، ص٧٦٤)؛ پاتاي، الإنسان والأرض، المجلد٢، ص١٧١-١٧٢].

٩- في كثير من الأحيان يبدأ الموكب في سنه في عشية *سيمحات تورا*؛ وفي بعض الأحيان في اليوم الموعود نفسه أثناء المِنحه.

١٠- وفي الأزمنة الأحدث تباع ثلاثة مناصب شرف خاصة بالحاتان عن طريق المزاد.

ناڤي حزقييل، الى كُنيس عزرا هاسوفر، حيث يتأخر الطواف لحين وصولهم. أما في سنه فيقع الطواف في الكُنيس الأول بعد صلاة المساء وفي الكُنيس بعد منتصف الليل. وعادة ما يشترك الشباب في الطواف في كلا الكُنيسين، ولكنهم مولعون بشكل خاص بالطواف الذي يقع بعد منتصف الليل. إذ يتبعون الطواف الثاني بليلة من الأكل والشرب والرقص والغناء.

أما في زاخو فيقع الطواف الأول في حوالي الحادية عشرة قبل الظهر. وليس غريباً إجراء الطواف عند اليهود الكُرد ثلاث مرات، وبالتحديد بعد صلاة المساء.

الطواف

يتم لهذه المراسيم إخراج كافة رقوق التوراة من حرزها (*هيخال*). ويزينون الرقوق بالأزهار، ويحمل مجموعة من الرجال الراقصين أجمل تلك الرقوق المزين بالزهور الى *السيده* (في زاخو والعماديه). أما في سنه فيحملون الرقوق كلها واحداً واحداً الى *السيده*، لكي تحظى كل الرقوق بشرف طواف (*هاكّافوت*) الرجال حولها. والى جانب الرقوق يقف رجلان مسنان كـ(*شوشبنيم*).

ويبيعون شرف حمل رقوق التوراة في المزاد ايضاً، حيث تطرح كل *هاكّافا* للمزاد على حدة. ويعتبر بيع *الهاكّافوت* في المزاد من أغنى مصادر الدخل الخاصة بالكُنيس (في العماديه وسنه وأربيل؛ وليس ثمّ بيع في زاخو). ويسود جو من المرح في الكُنيس خلال هذه المراسيم. إذ يحمل الآباء الذين نجحوا في نيل شرف حمل أحد رقوق التوراة أبناءهم الصغار على أكتافهم أثناء طوافهم. وخلف الرجال حاملي الرقوق يأتي الأطفال. ليس هناك وجود للأعلام في كُردستان، ولكنهم يعطون الأطفال في بعض المناطق شموعاً ليحملوها. وفي العماديه يطرحون [حق حمل] *لوحوت* [الألواح الفضية التي نقشت عليها الوصايا العشر] للبيع في المزاد، حيث يشتريه الآباء لأبنائهم. وهناك حوالي ستة عشر لوحاً من هذه، يتبع حملة الألواح من الأطفال الرجال خلال طوافهم. بينما يشترك الصبية في سنه في المراسيم وهم يضعون كتب الصلوات فوق رؤوسهم.

يرافق الطواف إنشاد التراتيل. ويحمل الشباب الحازان والمغنين الآخرين على أكتافهم طوال إنشاد هذه التراتيل[11]. وخلال الطواف يرقص الرجال والشباب،

١١- [وكذا الحال عند يهود أشالجك في القوقاز. حيث يكتب چورني: "بعد الإنتهاء من هذه المسائل، يحمل كل رجلين رجلاً ثالثاً على يديهما خلف رقوق التوراة. وكان الأمر ينتهي بـ: =

على أن يكون الراقصون بعيدين عن الرجال الذين يقومون بالطواف، لئلا يصطدم الشباب الذين يرقصون باندفاع كبير بأحد المتطوفين فيسقط بسبب ذلك رق التوراة الذي يحمله الأخير. وتكتسب الرقصات حيوية زائدة بمزج أساليب الرقص المتنوعة معاً. إذ يشكل أربعة شباب على سبيل المثال مجموعة يرقص منها إثنان وهما يحملان زميليهما الآخرين على أكتافهما فيما يشبك الشابان المحمولان على الأكتاف يديهما معاً. أو يشكل ثلاثة شباب مجموعة يرقص منهم إثنان فيما يقف الثالث وقدماه على كتفي زميليه. بينما يبني الآخرون أهراماً إرتفاعها ثلاث قامات، يُحمل الشاب الذي على قمة الهرم - والذي عادة ما يكون متعمماً بعمامة ضخمة جداً مكونة من عدة عمائم مربوطة الى بعضها (في العماديه وأربيل وفي سنه يسمونها *پوشـيّه*). وفي بعض الأحيان يلفون "القروي الساذج" في شال ويحمله الشباب الراقصون على أكتافهم كحزمة (في زاخو).

يُشرب العرق بكثرة أثناء هذه المراسيم، ويشرب العديد حتى الثمالة. أما النسوة فيصفقن ويزغردن ويسكبن ماء الورد على الرجال خلال هذه المراسيم. وكثيراً ما تستغرق مراسيم الطواف هذه ساعتين. وفي العماديه يعود طلبة المدارس بعد انتهاء مراسيم الطواف الى بيوتهم حاملين عناقيد من العنب من الكُنيس كحلويات مباركة *تُباركه* للتلاميذ الموجودين في البيت. أما الفترة التي تلي المينحه فيتم إستغلالها في القيام بزيارات للگڤيريم. وكثيراً ما تلي *المعاريڤ* مراسيم أخرى.

يحيّي الأطفال انتهاء العيد بصيحات: "*نونه، نونه كودخا قام كانونه*! "نونه، نونه، كل واحد الى فرنه!" (في العماديه). [وتظهر هذه التحية أن الشتاء في نظر يهود كُردستان يبدأ بعد انتهاء العيد، لأن من المعتاد الجلوس حول الفرن في الشتاء].

وعند المساء يفككون *السوكّه* ويزيلون السقائف. في البدء يستهل سيد الدار هذا العمل بإنزال بعض الفاكهة التي ظلت معلقة داخل السقيفة، وبعدها يقوم الضيوف بالشيء نفسه. والعديد من الناس يذهب الى عدة سقائف لكي يحظى بالإشتراك في عمليات إنزال الفاكهة. وهم يحتفظون بقنينة الزيت التي كانت معلقة في *السوكّه* لعلاج المرضى.

= كانوا يحملون على أيديهم رجالاً ضخاماً أو ضئيلي الجثة" (سفر *هاماساعوت*، ص ١٥٤). ومن ملامح الطواف الأخرى(الرقص، الغناء، الشموع، الخ) التي غالباً ما توجد في معظم المجتمعات الشرقية والأشكنازية اليهودية. أنظر: پاتاي، الإنسان والأرض، المجلد ٢، الص ١٥١-١٥٢، و١٦٩ وما بعدها، و١٧٥ وما بعدها.]

هناك عادات متنوعة ترتبط باللولاف. ولهذا يحتفظون بالإتروگ واللولاف للاستخدامات الأخرى. ويحتفظون بالإتروگ لغاية الخامس عشر من *شيڤات*(*)، عام الأشجار الجديد، وبعدها يؤكل مع التبريكات (في زاخو وأربيل وسنه). كما يعطون قطعاً من الإتروگ للنساء الحوامل درءً لـ"العين الشريرة" (في زاخو والعماديه)[١٢].

وأما اللولاف، فهو كالإتروگ، تُعزى اليه قوى سحرية. إذ يكتب الحاخام للنساء العواقر وللمرضى أسماء شياطين معينين على ورقة لولاف. وبعد ذلك يحرق تلك الورقة، أو يقوم المريض بشرب الماء الذي محيت به تلك الكتابة. ويستخدم اللولاف كذلك لإحراق *الحاميص* قبل عيد الفصح ولتاجيج الفرن عند خَبز *ماصّا شيمورا* (أنظر ص ٣٢٩).

وتستخدم أغصان الصفصاف كاللولاف. ففي زاخو يقوم صاحب *السوكّه* بجمع كل الأغصان من الضيوف ويحفظها بعناية. وإذا ما مرضت إحدى الأبقار، يأخذونها الى الحاخام. فيضربها الحاخام على رأسها وكتفيها وظهرها بغصن الصفصاف، ثم تقتطع من الغصن قطعة صغيرة يربطها الى قرن البقرة (في العماديه).

وفي العماديه يخرج الناس في اليوم الذي يلي السوكوت في أكبر *سَرينه* في السنة؛ لأن على المرء – حسب تعاليم التلمود (بي سوكّه ٤٥ب) – أن يكون مسروراً في مثل هذا اليوم.

*– شيڤات أو شَبات *Shevat*، *Shebat*: الشهر الحادي عشر من التقويم الإكليريكي اليهودي والخامس من التقويم المدني ويبدأ في كانون الثاني. (فصل ٢٦، ص ٨٧) – (المترجم).

١٢– يلاحظ وجود هذه العادة في العديد من المجتمعات اليهودية؛ أنظر پاتاي، الإنسان والأرض، العدد١، ص ٢١٥. وكذلك في: "لعنة العقم في الفلكلور اليهودي" (أنظر ص ٨، ن، أ)، الص ١١٨–١١٩].

24

التحكم بالمطر

[بما أن الفصل الماطر في كُردستان، كما في معظم أنحاء الشرق الأوسط، يبدأ عادة في الخريف بعد فترة قصيرة من انتهاء السوكوت، فإن أفضل مكان لمناقشة الطقوس التي تُمارس في حالات الجفاف تتمثل في الفترة الواقعة بين مراسيم السوكوت ومراسيم الخامس عشر من *شيڤات* (كانون الثاني– شباط). لقد جمع براوَر مادة بحثه في القدس عبر مقابلات أجراها مع اليهود الكُرد وضمّن نتائج بحثه أطروحةً (بالعبرية) قدمها في *سفر ماگنيس* (عدد اليوبيل على شرف د. يهودا ل. ماگنيس، رئيس الجامعة العبرية، أنظر منشوراته)[١]. وفيما يلي ترجمتي لهذه الدراسة].

زيارة الأضرحة

من بين التقاليد المتنوعة التي يتبعها اليهود الكُرد بهدف وضع حد للجفاف، تعتبر زيارة الأضرحة – علاوة على العناصر السحرية وكذلك الدينية – التقليد الوحيد الذي لم يقتبسه اليهود من المجتمعات المجاورة لهم. وفي الإمكان العثور على ما يماثلها من عادات في المجتمعات اليهودية الأخرى.

ففي أربيل يتم في حال الجفاف تعيين يوم خميس يوم صيام. إذ يجتمع اليهود في الكُنيس يوم الأربعاء الذي يسبقه ويتبرعون بالمال لشراء الأضاحي. وفي صباح اليوم التالي يتغيب الجميع عن صلاة *شاهاريت*. ويُنفخ في *الشوفار*، وبعد الصلوات يذهبون الى المقبرة، حيث يذبح *الشوحيط* الأضاحي. ففي إحدى المناسبات "ضحّوا" بثور وبقرتين وثلاث شياه. يدور الحَبر والمذكّي بهذه الحيوانات قبل التضحية بها حول الأضرحة سبع مرات، وذلك بعدد *الأوشپيزين* السبعة [الضيوف المقدسين] الذين يدعون رمزياً الى *السوكّه*، إبرهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون ويوسف وديڤيد (أنظر ص ٣٧٩)، وينفخون في الشوفار. بعدها تؤخذ الحيوانات الى مكان مجاور وتُذبح ويوزع لحمها على الفقراء. وطبقاً لحسابات

١– [وجدت لدى ترجمة هذه المقالة، من الضروري إضافة بعض الملاحظات التوضيحية التي وضعتها بين الأقواس المربعة [ ]. أما الهوامش التي لم توضع بين هذه الأقواس فهي موجودة في مقالة براوَر الأصلية في سفر *ماگنيس*].

الأهالي يبدأ سقوط الأمطار في اللحظة التي يأخذ فيها الشوحيط السكين بيده. ويبقون واقفين تحت المطر لغاية وقت المينحه، ليعود بعدها مغنين مسرورين الى المدينة، حيث يستقبلهم الكُرد المسلمون بما يليق بهم من تشريف.

إستيقينا عن هذه العادة معلومات من تيشوڤوت (ريسپونسا؛ أو آراء حول القضايا الدينية) المعنون راڤ پوعاليم، الذي ألّفه حَبر بغداد يوسف حاييم، الذي توفي في ١٩٠٩:

> **"هناك عادة في مدينة أربيل (أعاد الله إعمار مدينتنا) في موسم الجفاف تتمثل في: إصطحاب خمس أو ست من المواشي وإصطحابها الى أضرحة الرجال المقدسين في المقبرة، حيث يذبحون كل واحد منها أمام أحد الأضرحة[٢]، ثم يصلون ليسقط المطر، ويرددون "الصفات الثلاثة عشرة" لله، وينفخون في الشوفار، ويعودون في هدوء [الى المدينة] ويوزعون اللحم على الفقراء".**

رأي الحَبر يوسف حاييم يميل الى تحريم ممارسة هذه العادة قطعاً، وبأن عليهم التخلي عنها[٣]. إلاّ أن تقصياتي أظهرت بوضوح أن العادة المذكورة أعلاه، والعادات الأخرى المرتبطة بالجفاف لازالت حية الى يومنا هذا.أما العبارة التي تصف ذبح الحيوانات على الضريح فهي موضع شك، لأن على المرء أن يفترض حدوث عملية ذبح الحيوانات في مكان ما خارج المقبرة.

وفي سنه بكردستان الفارسية يمارسون عادة مماثلة. إذ يعلنون الصوم ويجمعون التبرعات لشراء الذبائح. ويتوجه الجميع في الصباح التالي الى الكُنيس ويُذبح الثور أو الكبش الذي إشتروه في باحة الكُنيس. ويقف جميع أفراد المحفل حول "الأضحية" وهم يصرخون كپاره (كفّاره!). ويحاول الجميع لمس الحيوان ويوزع لحمه على الفقراء. بعدها يظل الناس في الكُنيس ويرتلون الأناشيد. وبعد الظهيرة يتوجهون الى المقبرة، ويأخذون معهم رقاً من رقوق التوراة وكرسياً لوضع الرق

٢- [إن دماء الحيوانات التي تتم التضحية بها وتذبح على القبور أو بالقرب منها خلا طقوس الإستسقاء اليهودية الكُردية. تذكرنا بدور الدم في مسابقة الإستسقاء التي جرت بين النبي إيليا وأنبياء بعل على جبل الكرمل، المذكورة بإسهاب في سِفر الملوك الأول ١٨: ٢٠-٤٠. أنظررافائيل پاتاي، "التحكم بالمطر في فلسطين القديمة"، (النشرة السنوية للكلية العبرية الإتحادية) ١٤ (١٩٣٩): ٢٥١:٨٦].

٣- قارن ر. يوسف حايين، راڤ پوعاليم، القسم الثاني، القدس، ١٩٠٣، ص١٠، الفقرة ٣١. كذلك قارن مع سميحة أساف، *"لو تولودوت ها يهوديم"*، صهيون ميعاسف ٦ (١٩٣٤): ٨٥-١١٢.

عليه. ويباشرون ترتيل صلوات الجفاف بالقرب من القبور، ليقرأوا بعدها عادة هذه الفقرات من *الپينتاتيوچ* (أسفار موسى الخمسة)[*]: للكوهين، سِفرالخروج ٣٢:١١، لليڤي، سِفر الخروج ٣٤:٤-٣؛ لإسرائيل، سِفر الخروج ٤٣:٤-١٠. وبعدها يطوفون حول قبور المقدسين سبع مرات، ثم ينفخون الشوفار ويبدأ الجميع بعدها بالعويل والنواح.

أما في العماديه فيعلنون يوم الإثنين يوم صيام، ويذهبون الى ضريحي الحازان يوسف والحازان ديڤيد في باحة كنيس ناڤي يحزقييل (أنظر الص ٦٨-٦٩). وإذا لم يسقط المطر رغم أداء هذه المراسيم، فإنهم يفرضون صياماً على المجتمع اليهودي كله. ويصومون في أيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ويتقيدون بالمحرمات الأربعة الأخرى التي تؤلف الصيام: الإمتناع عن الإغتسال ودهن الجسد بالمراهم، وإرتداء الصنادل الجلدية، والإتصال الجنسي بين الزوجين. وينتعلون *الرَشكه*، الحذاء الكُردي الصيفي، عوضاً عن الصندل (أنظر ص ٣١١). وفي يوم الإثنين التالي يرتلون *السَليحوت* (صلاة التوبة) عقب صلوات *الشاهاريت*، وينفخون في الشوفار. وإذا لم تستجب دعواتهم رغم ذلك يُخرجون رق التوراة من تابوت العهد المقدس ويغطونه بعباءة سوداء ثم ينثر الحَبر الرماد على التوراة وعلى رأسه[٤]، حيث ينخرط أفراد المحفل في البكاء برؤيتهم الحَبر يقوم بذلك. ثم يتوجهون بعد ذلك الى المقبرة، الى البقعة التي دُفن فيها الحكماء والقديسون والتي يسمونها *تيڤيا أدوني*، ربوة الأسياد. ويوجد قرب هذه الأضرحة صخرة تشبه الطاولة الى حد ما يسمونها *كيڤات سفر توراه*. وعلى هذه الصخرة يضعون رق التوراة ويصلون ويرتلون *السَليحوت*، ويقرأون فقرات من سفر التثنية ٣٠:٤ - ٣٠:٥ من *الپينتاتيوچ* ونم كتاب يونس كهفتطَرا ليُنفخ في الشوفار بعدها. ولم تجر العادة في العماديه على ذبح الحيوانات، لأنهم يقومون عوضاً بالتبرع بالصدقات.

أما في حال عدم إستجابة الدعوات وعدم سقوط المطر رغم كل ما قاموا به، فإنهم يفرضون الصيام على المحفل، ويخرجون في يوم الإثنين ثلاثة من رقوق التوراة وينثرون عليها وعلى رؤوس سبعة من أكبر الرجال سناً في المحفل الرماد، ويذهبون الى المقبرة. أما في حال لم تثمر حتى هذه الممارسة، يعلنون عن صيامهم يومي

*- الپينتاتيوچ *pentateuch*: أول كتب العهد القديم الخمسة ويضم أسفار: التكوين، الخروج، ليڤيتيكوس، الأعداد. وسفر التثنية الذي يحتوي الإعلان الثاني من الشريعة الموسوية (المترجم).

(٤) راجع: ميشنا تاعانيت ١:٢.

الثلاثاء والأربعاء، فيما يلتزم المسنون بالـ*مَهبوسه* أي صيام يومين وليلتين. ويجلسون في ليلة الأربعاء ويرتلون *السَليحوت*. وفي يوم الخميس يخرجون سبعة من رقوق التوراة وينثرون عليها الرماد، وينثر سبعة رجال – لايقل عمر أيٍّ منهم عن ثمانين عاماً – الرماد على رؤوسهم ويلطخ جميع أفراد المحفل جباههم بالرماد. وينوحون أثناء توجههم الى المقبرة مناحة عظيمة، فيما يتعهد كبار السن بعدم مغادرة المقبرة حتى يسقط المطر.

وفي دهوك، عادة الذهاب الى المقبرة معروفة، لكنهم يمارسون عادات أخرى في الإستسقاء. وأما في زاخو فهم لايذهبون لذلك الى المقبرة البتة.

في عقره يصومون ثلاثة أيام متتالية. ويصلون في الكُنيس الذي يقع خارج المدينة، وينفخون في الشوفار. ويدرسون التوراة طوال الليل، في بيت الدراسة الواقع داخل المدينة. وأما إذا لم يأت ذلك بنتيجة، فإنهم يذهبون الى المقبرة حاملين رق التوراة.

وفي الموصل وفي حال عدم سقوط المطر بعد صيامهم ونفخهم الشوفار في الكُنيس، فهم يذهبون الى المقبرة. ويزورون في الغالب أشهر الأضرحة فيها، وهو ضريح الحبر شموئيل بارزاني الذي يعتبرونه من الـ"*أدوني*". عاش شموئيل بارزاني في بارزان وأُجبر على مغادرتها في شيخوخته والإلتجاء الى آشور (أي الموصل). وهو والد شيمون بارزاني المسمى *شيرا دين* "الأسد المجنون الذي هرب هو الآخر من بارزان الى العماديه التي مات فيها. ويزور قبره اليهود والمسلمون على حد سواء ويكنون له التقدير والإعجاب. وقد وردت ملابسات هروبه من بارزان في قصة شجرة الرمان الشافية التي أوردناها فيما سبق (أنظر الص ٣٠٩-٣١٤)[٥].

وقد قاموا بزيارة كهذه الى قبر الحبر شموئيل بارزاني في الموصل خلال عيد الفصح في ١٩٣٧، حينما ساد المنطقة جفاف طال أمده. وقد أقام المسلمون كل طقوس الإستسقاء ولكن دون جدوى. وفي تلك الفترة أرسلت الحكومة [كذا] تطلب من كبير الأحبار اليهودي تطلب منه قيام اليهود بشعائر الإستسقاء الخاصة بهم. وأخذ اليهود يرتلون *السيليحوت* والتراتيل، ونفخوا في الشوفار، وقرأوا الفقرات الملائمة من الكتاب المقدس لتخفيف الجفاف. ولكن رغم ذلك لم تسقط الأمطار. وكان محرماً عليهم الصيام والذهاب الى المقابر خلال عيد الفصح. لكنهم توجهوا بعد

٥- [يذكر براوَر في هذه القصة ان إسم الوالد هو الحبر ناتانيل هاليڤي، وإسم ولده الذي فر من بارزان ومات في العماديه هو الحبر شموئيل].

العطلة الى المقبرة الى حيث ضريح الحبر شموئيل بارزاني، يرافقهم الجنود والمسلمون. ومكثوا هناك طوال النهار يصلون، ثم بدأ المطر ينهمر بعد *المينحه*.

وفي أشنويه (القريبة من بحيرة أورميه) يذبحون الحيوانات المخصصة للأضحية على ضفاف النهر بدلاً من ذبحها في المقبرة. وعلى العموم تحتل الأنهار مكانة هامة في شعائر اليهود الكُرد. لذا ترى إعتيادهم على سبيل المثال، على بناء كنيساتهم على ضفاف الزنهار، وكذلك وجوب قيام العريس وعروسه بالغطس في النهر. وهي كلها طقوس ترتبط بإيمانهم بالقدرة التطهيرية للماء المتدفق. وفي حال عدم سقوط المطر، يخرجون رقّين من رقوق التوراة ويذهبون بها الى النهر، وهم يأخذون الأضاحي كذلك الى النهر. وللبدء بالمراسيم، يغطس الرجال في النهر، ليعودوا بعدها لذبح الأضاحي، حيث يرسم الأطفال والبالغون خطوطاً حمر على جباههم من دم هذه الحيوانات. ويسكبون الدم المتبقي في النهر. أما اللحم فيوزّع على الفقراء.

وبما أننا مهتمون هنا أساساً بالعادات الشعبية السحرية، فإننا لن نبحث بعمق في عادة زيارة الأضرحة. إننا نجد في طقوس الإستسقاء هذه بعضاً من السمات القديمة. ولكننا نظل غير قادرين، كما هي الحال كثيراً في دراسة الإثنولوجيا اليهودية، على التحقق مما إذا كانت السمات المذكورة قديمة بحق، أم حديثة ولا تشبه القديمة إلاّ عن طريق الصدفة.

فمن بين العادات القديمة رفع رقوق التوراة عن تابوت العهد المقدس ونثر الرماد عليها وعلى رأس الحبر مثلاً[٦]. وقد كانت العادة تتمثل في إخراج رق التوراة من الكُنيس الى الشارع، وقراءة ما فيه في الهواء الطلق[٧].

وبالنتيجة امتزجت هذه العادة بأخرى هي مناشدة الآباء – الرجال المقدّسين العظام ذوي "القدرات" التي تمكنهم من جعل الأمطار تسقط. ولهذا إعتادوا زيارة أضرحة هؤلاء. ويرد ذكر عادة الإلتجاء الى القديسين وزيارة قبورهم في التلمود[٨]. وأما عادة قراءة التوراة في الهواء الطلق فقد إمتزجت بعادة زيارة أضرحة

٦- راجع: ميشنا تاعانيت ١:٢.

٧- ولازالوا في اليمن أيضاً يمارسون عادة إخراج رقوق التوراة من الكُنيس في مواسم الجفاف واحتباس المطر. راجع إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراوَر، ص ٣٦٧.

٨- راجع: بابلونيا تلمود تاعانيت ١٦أ، ٢٣ب؛ سانهردين ٤٧ب؛ إنسايكلوپيديا جودياكا، مادة "گراب" حول زيارة أضرحة الرجال المقدسين بسالونيكا، قارن مع. مقالة م. گاسترز في (ERE)، مادة "ماء"، ص٧١٦. ب لدى يهود فلسطين، قارن: موشي ريشر، سفر شعاره يوروشالايم، ليمبيرگ ١٨٧٠، unpaginated: (أعيد طبعه، في القدس ١٩٦٦-١٩٦٧)، ٣٣-٣٤.

القديسين، رغم تحريم قراءة التوراة في المقابر. وامتزجت هذه العادة لدى اليهود الكُرد بعادة تقديم قرابين حقيقية للآباء، والتي لاتعتبر قرابين تكفير بل هدايا وهو ما يشهد عليه نوع الحيوان الذي يتم تقديمه كأضحية. فهم يقدمون الديكة والدجاج والأغنام والأكباش كقرابين للكفّارة، ولكنهم لا يقدمون الماشية أبداً لهذا الغرض، وهي العادة التي تقتصر على اليهود الكُرد الذين يقدمونها كقرابين في شعائر الإستسقاء. ومع أن الگاون[*] الأوائل سمحوا بلمس الحيوانات المقدمة كقرابين للكفّارة باليد وذبحها الفوري بعد ذلك، إلاّ أن على المرء أن يؤكد بأن وضع اليد وذبح الذبيحة بعد ذلك فوراً هما في الواقع من السمات المميزة للتضحية الحقيقية[٩].

عروس المطر

هناك الى جانب زيارة الأضرحة بضع عادات وتقاليد سحرية بين اليهود الكُرد تتعلق بالإستسقاء والتي، كما سيتضح، إقتبسوها من المسلمين الكُرد. هذا ومن الممكن بالطبع بأن يكون اليهود الكُرد هم مَن جلب هذه العادات من أماكن إستيطانهم القديمة. ولكن من الصعب حتى في هذه الحالة إتخاذ قرارين حول صحة

*- گاون: بالعبرية تعني الكمال في الجودة، وجمعها (گيونيم)، وهو اللقب الذي يطلق على الزعماء الروحيين والمثقفين اليهود الذين تزعموا المدارس التلمودية التي ازدهرت - رغم فترات إنقطاع طويلة - بين القرنين السابع والثالث عشر في بابل وفلسطين. وكان هدف الگيونيم الرئيس تفسير وتطوير التشريع التلمودي والحفاظ على التقاليد الشرعية اليهودية بإصدار الأحكام في القضايا القضائية التي كانت موضع جدل. وكانت ردودهم (*ريسپونسا*) تُقتبس في أماكن تتعدى مجتمعاتهم المحلية وذات قيمة لدارسي التاريخ واللاهوت اليهوديين للفترة المذكورة. سار الگيونيم على النهج الدراسي الذي اختطه قبلهم *السوفيريم* (معلمو ومفسرو قوانين الكتاب المقدس) وأداموه، والذي أبقاه من بعده مستمراً لقرون عدة *التاناين* و*الأموراين* (الذين جمعوا على التوالي مجموعة القوانين المعروفة بال*ميشنا*، وكتبوا حواشي للميشنا سميت *جيمارا*).
وفي القرن العاشر بدأت المنافسة طويلة بين گيونيم بابل وگيونيم فلسطين. وقد تفوق سعاديا بن يوسف گاون بابل الشهير في أكاديمية سورا على منافسه هارون بن مائير من القدس في نقاش يتعلق بأيام العيد في التقويم اليهودي. فلم يعد أحد بعد ذلك يشكك في تفوق گيونيم بابل إلاّ نادراً. إلاّ أن مكانة الگيونيم بدأت بالتدهور تدريجياً مع بدء تأسيس أكاديميات تلمودية في المناطق الأخرى وقبول المثقفين المحليين الدارسين فيها كسلطات مؤهلة في مجال التشريع اليهودي. وبعد الفترة الگاونيّة، أخذوا يستخدون كلمة گاون كلقب فخري لبيان علو ثقافة المتعلم اليهودي. وأصبح إيليا بن سليمان (١٧٢٠-١٧٩٧) لذلك يعرف بگاون ڤيلنا أو الگاون. (المترجم).

٩- إنسايكلوپيديا جودياكا، مادة "كاپارو"، ص ٩١٤ بابل، تلمود بيراخوت، ٤٢أ.

أي من الإحتمالين، ذلك أن الأول يبدو أكثر إحتمالاً سيما وأن الأغاني التي ترافق المراسيم أغاني كُردية ليست باللغة الآرامية الجديدة التي يتكلم بها اليهود الكُرد.

لنبدأ بعادة عروس المطر، وبما أن هذه العادة شائعة بين الشعوب الأخرى فلا تتطلب لذلك توضيحاً كبيراً. ففي زاخو يلعب دور *بوك بارينه* عروس المطر شاب يرتدي أسمالاً بالية، يضع في عنقه لجاماً من عظام الماشية وعلى رأسه سلة. ويرافق هذا الشاب أربعة شباب آخرين ويتبعهم جمهور من الصبية والأطفال. ويسير هؤلاء في الأزقة والحواري وهم يرقصون. ويصفق إثنان من الشباب المرافقين فيما يغني إثنان آخران أغنية:

عروسنا جميلة، جميلة
وأين العلاج للعريس؟
عروسنا تبحث عن المطر
آه، يا إلهي، إنها تطلب الطعام
لوف، لوف، لوف

ولدى اجتياز الموكب أيّ بيت، يقوم رب كل أسرة بسكب الماء على عروس المطر، ويمنح المشاركين في الموكب الطعام كهدية. وتتشابه مع شعائر بوكه *بارينه* هذه تلك التي تُجرى في دهوك القريبة من زاخو. إذ يقوم أحد الشباب فيها بخلع ملابسه إلاّ سرواله القصير. ويلطخ رجليه بعصير العنب ثم يلصق بها قطناً منتوفاً. ثم يصنع لنفسه لحية بنفس الطريقة. ويضع حول عنقه لجاماً، ويربطونه بحبل يجرّه به مجموعة منالشباب في شوارع المدينة. وهم يدخلون البيوت مغنين: "بوكه *بارينه*، بوكه *بارينه* "عروس المطر، عروس المطر" فيما يرد الآخرون عليهم قائلين: "*بارينه* دَويت، *بارينه* دَويت "تطلب المطر، تطلب المطر"

وهنا أيضاً يصبّ رب الدار الماء على عروس المطر، ويعطي الأطفال والصبية الزبيب ومبلغاً من المال يتقاسمونه في نهاية الموكب الإحتفالي.

يعود هذا التقليد الى أحد أوسع أصناف التقاليد إنتشاراً يسمى "عروس المطر" وكانت طقوس اللعبة الأصلية تتطلب إشتراك فتاة عارية، كانت تُساق في الشوارع فيما كان الناس يصبّون عليها الماء. وقد قاموا في المراحل اللاحقة بتغطية الفتاة بثوب من أوراق الشجر[١٠]. ويمكن إعتبار هذا التقليد مثالاً نموذجياً للسحر

١٠- مانهارت، *Wald- und Feldkulte* ١:٣٢٧؛ دبليو، وندت، سيكولوجيا التراث، القسم الرابع، الأساطير والدين، ١:٥٣٦؛ فريزر، الغصن الذهبي، المجلد الأول (فن السحر)، ١:٢٧٢ =

التعاطفي أو سحر المحاكاة. فالفتاة تمثل النباتات على الأرض، أو إلهة النباتات، التي تعود الحياة اليها بعد صبّ الماء عليها في محاكاة لسقوط المطر.

ويحل شاب مكان الفتاة في كثير من الأحيان عند اليهود الكُرد، كما عند الشعوب الأخرى. وهكذا هي الحال في جنوب أوروپا مثلاً في مقدونيا ودالماتيا[١١]. وفي پونا في الهند أيضاً يُلبسون أحد الشباب ثوباً من أوراق الشجر ويطوفون به في الشوارع بصفته ملك المطر، وفي كل بيت يصلونه يصبّ رب الدار وزوجته الماء عليه، فيما يتلقى الأطفال الذين يرافقون الموكب الهدايا[١٢].

وفي العماديه من ناحية أخرى يلبسون إمرأةً ثياب رجل. وتصنع لنفسها لحية من شعر الماعز وتربط حول رأسها منديلاً، ويجوبون بها شوارع المدينة بهذه الهيئة.

وفي بعض المناطق يستعيضون في هذه العادة عن الإنسان الذي يجسّد روح إله المطر بصورة أو تمثال. ولهذا تراهم في سنه يصنعون صورة أو هيكل من عارضتين خشبيتين يغطونها بالملابس والتعاويذ، ويسمونها (بوكه *بارينه*) ويحمل أحد الشباب الصورة بكلتا يديه، ويصب الأطفالُ الماء عليها. ويجوب الشاب يحيطه شباب آخرون من بينهم مسلمون كُرد – شوارع المدينة حاملاً الصورة وهو يغني:

بوكه بارينه، هاوو هاوو "عروس المطر، هاو هاو" ويرد عليه الأطفال بالقول: *ياخوا ڤوييره* "الغيث، يا ربّنا".

وهنا أيضاً يصب أصحاب الدور الماء عليه، ويقدمون للآخرين الهدايا. وإذا ما رفض سكان أحد البيوت صب الماء أو تقديم الهدايا، فإنهم يكسرون له الأواني التي يحفظ فيها الماء. وعند انتهاء الموكب، يرمون الصورة في النهر. وتجري المراسيم في أشنويه على نفس الشاكلة، وهنا أيضاً يلقون الصورة في النهر.

وهناك عرض إحتفالي يتم فيه استخدام صورة كهذه في أرمينيا. وهناك [يُلبس الأطفال عصا مكنسة ملابس الفتيات ويطوفون بها من بيت الى آخر وهم يغنون:

نورين، جاءت نورين

ها قد جاءت العروس الجميلة...

= ٧٢. قارن أيضاً "أم الذُرة"، فريزر، الغصن الذهبي، المجلد الخامس (أرواح الذرة وأرواح البرية)، ١:١٣٤–٣٦.

١١– فريزر، الغصن الذهبي، ١:٢٧٤–٧٥.

١٢– فريزر، الغصن الذهبي، ١:٢٧٥. صب الماء من قبل إمرأة هو أكثر أصالة، من وجهة نظر سحرية، من أداء الرجل المهمة.

هاتوا الماء وصبّوه على رأسها،

أعطونا زبدة لكي نلطخ بها شعرها،

لكي تسقط الأمطار المباركة،

لينمو ويخضر حقل أبيك...

ويصبّ الناس الماء على نورين، ويتلقى المشاركون هدايا من الزبدة والبيض والرز وما الى ذلك. وبعد ذلك يأخذون نورين الى النهر ويلقونها في الماء[١٣].

وتوجد العادة نفسها في إيجين بأرمينيا حيث يحمل الأطفال هيكلاً لصورة يسمونها "چيچي ماما أو "الأم المبتلة"[١٤]. وفي أورفه يصنع الأطفال في أوقات الجفاف عروس مطر يسمونها "چَمچه *گالن*" والتي يقال أنها تعني في التركية "عروس المجرفة" وهنا أيضاً يلقون العروس في النهر[١٥].

وهناك صيغة مختلفة لهذه العادة بين يهود أربيل. حيث يظهر هنا الى جانب العروس عريس، ويمثلهما شابان بدلاً من الصور أو التماثيل. والشابة التي تمثل بوكه *بارينه* ترتدي ثياب النساء بينما يرتدي العريس كما في زاخو – سروالاً قصيراً فحسب، وهو أيضاً يلطخ جسده بالصمغ ويلصق به القطن المنفوش ولحية من شعر الماعز. ويضع كذلك على رأسه قبعة من الكرتون ويضع حول رقبته حبلاً من الخرق البالية. وقد تحولت المراسيم كلها هنا الى مسرحية هزلية قصيرة. فعلى الرغم من أن الهدف الرئيسي من هذا العرض الفني هو تمثيل الشياطين بهدف السحر، ولكن الملامح الكوميدية تلعب فيه دوراً هاماً عادة. ولهذا فعندما يجوبون الشوارع يرافقهم جمهور كبير، يحاول "العريس" معانقة "العروس" إلا أنها تدفعه بعيداً. فيتعثر هذا ويقع. فتجلس "العروس" عند رأسه وتبكيه كأنه مات. بعدها ينتقل "العريس" و"العروس" يرافقهم الجمهور من بيت الى بيت ويصب الناس الماء عليه ويقدمون لهم الهدايا.

لاشك بأن التمثيلية الساخرة لموت العريس وبكاء العروس عليه تستند الى عرض فني سحري لموت إله النباتات والحداد عليه وعودة الروح اليه.

١٣– فريزر، الغصن الذهبي، ١:٢٧٥، عن مانوك أبيغيان *Der armenische Volksglaube*، لايبزگ، ١٨٩٩، حح. ٩٣–٩٤.

١٤– فريزر، الغصن الذهبي، ١:٢٧٦، إقتباس من كتاب جَي. ريندل هاريس "ملاحظات مخطوطة حول التراث جُمعت في الشرق".

١٥– المصدر السابق.

ولابد من الإشارة هنا الى أن عريساً وعروسه يظهران في حفل الختان لدى المسلمين الكُرد. ففي زاخو يتعرى إثنان من الصبية من ملابسهما ويلطخان أجسادهما بعصير العنب ويلصقان القطن الملون على جسديهما. ويرتديان قبعتين عاليتين تغطيان وجهيهما مع ثقوب فيهما للعينين ويحمل كل منهما بيده سيفاً ويسيران في الشوارع بهذا الشكل بجانب الحصان الذي يحمل الطفل المختون. وعند إجتيازهما دار أحد الأغنياء يتلقيان الهدايا وخاصة من والد الطفل المختون الذي يكون مسرفاً في هداياه.

سرقة القطعان

تعتبر "سرقة القطعان" من التقاليد المميزة التي يلجأ إليها اليهود الكُرد في أوقات الجفاف وإنحباس المطر. ويبدو أن هذا التقليد ايضاً قد اقتبسه اليهود الكُرد عن المسلمين الكُرد، ولكن اليهود يقومون به على طريقتهم الخاصة، بينما يبدو بأن المسلمين قد تركوا أمر التقيّد به لليهود.

لقد جمعت معلومات عن هذا التقليد من مصادر متعددة. والتقليد في زاخو يتمثل في ارتداء ثلاث سيدات ثياب الرجال، وربط مناديل حول رؤوسهن حتى يتعذر التعرف عليهن كنساء. ثم يستعيرون من المسلمين الكُرد الأسلحة فتتسلح النسوة بالبندقيات وأحزمة الخراطيش والخناجر وينتظرن قدوم راعي زاخو أو إحدى القرى المجاورة، لكي يسلبنه قطيعه[١٦]. إذ يهاجمن الراعي حين قدومه ويربطنه بالحبال ويحضرنه والقطيع الى المدينة. وتقع زاخو على جزيرة في نهر الخابور يؤدي اليها جسر من ضفة النهر. حينها يقف بالقرب من الجسر جمهور من المسلمين الكُرد، والنصارى واليهود في إنتظار قدوم النسوة. ولدى قدومهن والراعي يدفع بعض الرجال الراعي الى النهر ثلاث مرات. وتجري كل هذه المراسيم في صمت، دون أن يرافقها غناء أو كلام. فالكل يتحدث بلغة الإشارات فقط. وهم يقولون بأنهم يتصرفون على هذا النحو لكي لايكشفوا بأن اللصوص نساء. ويبدو أننا هنا أمام نوع من العنف الطقوسي، كما نلاحظ في التغطيس في الماء أثناء عيد الفصح في جنوب وشرق ألمانيا[١٧]. يأخذون الراعي بعد تغطيسه في الماء ثلاث مرات - وهو

١٦- أكد محدثي على أنه لا فرق بين كون القطيع من زاخو أو من مكان آخر. وهذا يدل على تدهور هذا التقليد في زاخو.

١٧- دبليو. ووتك، *Der deutsch Volksberglaube der Gegenwart*، الطبعة الثالثة (برلين، ١٩٠٠)، *par*. ٨٣؛ جي. جنگباور، *Deutsche Volksmediyin* (برلين ولايبزگ، ١٩٣٤).

يقطر ماءً - برفقة قطيعه الى القلعة حيث الحاكم، الذي يستقبلهم مهللاً ومثنياً عليهم. ثم يقدم الحاكم هدايا للنسوة الثلاث، فيما يحصل الراعي على تعويض منه ليذهب بعدها الى مقصده مع قطيعه.

وفي دهوك القريبة من زاخو، توجد نساء لهن خبرة في هذه السرقة الطقوسية. يرتدين ثياب الرجال، ويستعرن الأسلحة من المسلمين الكُرد بعد إبلاغهم مسبقاً. وتخرج النسوة مع إنبلاج الفجر الى ظاهر المدينة ويبقين في إنتظار قدوم أحد الرعاة مع قطيعه. وحال قدومه ينقضضن عليه ويقيدنه، ويحضرنه مع قطيعه الى المدينة. ويعلنَّ عن قدومهنَّ بإطلاق العيارات النارية والزغاريد. ويتجمع الرجال في حشود، حتى أنّ الجنود ومسؤولي الحكومة يشاركون في إستقبال النسوة. وعند قدومهن يتوجه الجميع الى الحاكم، الذي يعطي كل واحدة منهن هدية مالية، يضيف اليها زعماء المجتمع اليهودي هداياهم المالية أيضاً. بعدها يأمر الحاكم بفك قيود الراعي، ويعطيه تعويضاً مالياً، ويسمح لهم بالعودة الى داره مع قطيعه.

إن "سرقة القطيع" عادة معروفة في العماديه أيضاً، رغم أن ممارستها توقفت خلال السنوات الأخيرة. فقد إعتادت النسوة تغطيس الراعي في النهر، ورش القطيع بالماء، وكذلك رش بعضهن والرجال الذين يأتون لإستعادة القطيع بالماء.

وفي أشنويه يمارسون هذه الطقوس على نحو مختلف. إذ يتنكر عدد كبير من النسوة يصل الى خمسين إمرأة - ويلبسن ثياب الرجال ويحملن الأسلحة والعصي. وتخرج النسوة من المدينة بهدف سرقة قطيع أقرب القرى الى المدينة. ولدى وصولهن الى أحد الرعاة يضربنه بالعصي. فيصرخ الراعي طالباً العون، فتتولى بعض النسوة سياقة القطيع، فيما تمسك أخريات بالراعي والرجال الذين جاؤوا لمساعدته. وقد تتحول المواجهة الى ضرب وعراك عنيف، تصاب فيه بعض النسوة بجروح. ويأخذن القطيع الى الحاكم، لينتهي الأمر كما في أعلاه.

وتُفسر أصول هذه العادة كالتالي: إنهم يأخذون القطيع الى المدينة لكي تبدأ الحملان الصغيرة التي فارقت أمهاتها - بالثغاء الذي يزيد بدوره من صراخ ونحيب الناس إستجداءً للمطر[١٨]. إن هذا التفسير الأدبي، تدعمه بعض الدلائل في التلمود القدسي (مقالة طعانيت ٦٥ب [الفصل ٢، هالاخا ١]، الذي يسهب في السرد الذي يحتويه عن يونس ٣:٧-٨ حول توبة أهل نينوى و] الذي يرد بهذا النص: "ماذا

١٨- قارن مع، يونس ٣:٧: فرض أهل نينوى صوماً على الحيوانات (وكذلك على الرجال) وذلك لكي "يبكوا بألم للرب". أنظر كذلك بابل. تلمود تاعانيت ١٧أ.

فعلوا؟ وضعوا العجول في الداخل وأمهاتها في الخارج، والمهور في الداخل وأمهاتها في الخارج") وذلك لكي تصرخ صغار الحيوانات في طلب أمهاتها، ويصل صراخها الى الله. ولازالت هذه العادة قائمة بين البدو[١٩]، وكذلك عند المسلمين من سكان الموصل، كما حدثني بذلك يهودي كُردي إشترك في طقوسها. ولكني لازلت أجد هذا التفسير غير مقنع.

ولانجد في كتاب فريزر؛ الغصن الذهبي؛ أي أثر لهذه العادة أو لأخرى شبيهة بها. كما لم يجد أبيجان لها وجوداً بين الأرمن. وتشير الصيغة التي تُمارس بها تلك العادة في أشنويه بوضوح لا لبس فيه الى أمر واحد لانجده في الأماكن الأخرى. فالحديث عن ممارستها يتطرق الى التأكيد على حدوث قتال تصاب فيه النسوة بالجروح. وكذلك تشمل الصيغة الأساسية لهذه العادة إختطاف قطيع قرية "مجاورة". فلابد والحال هذه أن يكون الغرض منها هو القتال، الذي يمثل جانباً هاماً من سحر المطر في عدد من المناطق. ولهذا تشمل طقوس هذه العادة في إيگهيو بأثيوبيا دخول القرى المتجاورة في قتال في شهر كانون الثاني، ولأسبوع كامل، بهدف ضمان سقوط المطر[٢٠].

ولكن رغم هذا فنحن لم نكتشف بعد المغزى الحقيقي من وراء سرقة القطيع في هذه الطقوس. وعلينا طالما لم يتبين لنا مصدر الدائرة التراثية (كولتوركريس) التي أتت منها هذه العادة[٢١]، أن نتأنّى في تقديم تفسير لها. لكن الإنطباع الذي يتكون لدينا هو أنها تتبع العادات الأخرى التي تدور حول آلهة الخصب والغطاء النباتي القديمة. ومن آلهة الخصب القديمة (هيرميس)، الذي هو في نفس الوقت إله الخصوبة والمطر[٢٢]. هذا علاوة على كونه حامياً للرعاة، وكذلك سارقاً لقطعانهم، فهو الذي سرق قسماً من قطيع أخيه أپوللو[٢٣]. ولهذا فليس من المستبعد أبداً أن تقف هذه المعتقدات الميثولوجية [وربّما تقف فعلاً] وراء "سرقة القطيع" في طقوس اليهود الكُرد.

١٩– گوستاف دالمان، *Arbeit und Sitte in Palästina*، گوترسلوه ١٩٢٨ ١:١:١٤٢.

٢٠– فريزر، الغصن الذهبي، ١:٢٥٤، عن كتاب كولبو: البعثات الكاثوليكية" ٣٠ (١٨٩٨):٤٥٥.

٢١– [هذه واحدة من المناسبات النادرة التي يظهر فيها براوَر تمسكه بنظرية الدوائر التراثية في الأنثروپولوجيا. قارن كذلك مع ص ٣٣٤].

٢٢– پاولي – ويسوما، الموسوعة، شتوتگارت ١٩٨٤، المجلد الخامس عشر، مادة "*Herms*"، ص٧٧٦.

٢٣– پاولي – ويسوما، الموسوعة، شتوتگارت ١٩٨٤، ص٧٧٥.

عادة الجمجمة

يمكن للمطر أن ينحبس أيضاً كنتيجة للممارسات السحرية. ففي كُردستان، كثيراً ما يُعزى الجفاف وإنحباس المطر الى تجار الحبوب والخبازين. فهاتان الحرفتان بأيدي المسلمين والنصارى. ولكلا المحترفين مصلحة في قلة الأمطار، طالما أن أسعار الحبوب ترتفع في مواسم الجفاف، الأمر الذي يعود عليهما بأرباح طائلة. عادة ما يخبز اليهود خبزهم في بيوتهم، وهم يخبزون كمية تكفيهم لشهر كامل في كل مرة. ويشترون الحبوب في مواسم الحصاد بكمية تكفيهم مدة عام كامل، ولكنهم يضطرون في مواسم الجفاف لشراء كميات إضافية من الحبوب.

في سنه، عندما يحلّ عام جفاف يُتوقع فيه حصول نقص في الحبوب، يرفع الخبّازون سعر الخبز فوراً ويدعون زبائنهم ينتظرون أمام مخابزهم ساعات، كي يظهروا الى أي مدى يعتمد الناس عليهم. وفي حال بدأت الأمطار بالتساقط فجأة يشترك المسلمون والنصارى واليهود في احتفالات صاخبة على أنغام الناي والطبول أمام دار الخبّاز لكي يظهروا له مدى سرورهم بمصيبته.

ويرد ذكر الخبّازين وتجار الحبوب في الأشعار التي تُغنّى في مراسيم الإستسقاء لدى اليهود والمسلمين كذلك. وتشير الأبيات الشعرية التالية من سنه الى محادثة تجري بين خبّاز وإبنته:

يا بنيتي اخرجي وانظري ما إذا كان المطر يسقط.

نعم، يا أبي، المطر يسقط قطرةً قطرة.

آه، يا ابنتي، إنه يعمي عيني والدك قطرة فقطرة.

وتتحدث أغنية أخرى من سنه أيضاً عن محنة والدة تاجر حبوب:

إندفاع المطر، إندفاع المطر،

يدفع بوالدة تاجر الحبوب الى قبرها

يعتبر الخبّازون وتجار الحبوب في نظر اليهود قادرين على حبس المطر فعلاً بسحرهم، وبأن السحر الذي يلجأون اليه عظيم جداً، وخصوصاً سحر النصارى منهم. وسحر واحدهم يتمثل في أخذ كمية من العجين ووضعها حول قدميه مثل حذاء، ومن ثم ربطها جيداً بالخرق ثم يخرج بعدها الى الشوارع (في العماديه).

والأقوى من ذلك السحر الذي يمارسه النصارى في هذا المجال في ضواحي زاخو. فهم (الخباز أو تاجر الحبوب) يصنعون لأنفسهم أحذية من العجين،

ويخرجون بهذه الأحذية الى الحقول لحراثتها[٢٤].

وكسحر مضاد يمارس اليهود والمسلمون ما يأتي: في منتصف الليل يذهب خمسة أو ستة من الشباب الأقوياء الى المقبرة المسيحية. حيث ينبشون قبراً يخرجون منه الرفات ويقطعون رأس الميت، ويأخذون الجمجمة ويلقونها في ماء النهر. وكما يبدو فإن أصل هذا السحر يعتمد المحاكاة: فعن طريق الفقاعات الناجمة عن إلقاء الجمجمة في النهر يبطل السحر الذي يحبس المطر (في دهوك وزاخو).

أما في العماديه فيمارسون هذه الطقوس على نحو مختلف قليلاً. إذ يذهب كوهينان يرافقهما أربعة من اللاوية وأربعة إسرائيليين[*] الى المقبرة المسيحية. ويبقى إسرائيليان لحراسة بوابة المقبرة. فيما يقوم إسرائيلي بفتح قبر مسيحي مات حديثاً، ويقطع أحد اللاوية رأس الجثة. ويثبت إسرائيلي الجمجمة في نهاية عصا، ويذهبون بها على هذا النحو الى النهر. وعند ضفة النهر يسلم الإسرائيلي العصا التي تحمل الجمجمة لأحد الكوهينين، الذي يغطسها في النهر ثم يرمي الجمجمة في النهر. فيبدأ المطر بالهطول على الفور. وكان اليهود في أيام السلطة التركية يحصلون على موافقة القائمقام لممارسة هذه الطقوس.

وقد ذُكر السحر المضاد باستخدام الجمجمة، ولجأ إليه المسلمون ايضاً. ولهذا ترى المسلمين في عقره ينبشون قبر أحد النصارى ويخرجون جمجمة الجثة ويضعونها في الماء مدة ثلاثة أيام - فيتسبب هذا في سقوط المطر.

تنتشر هذه العادة بين الأرمن كذلك. فهم كذلك يرمون جمجمة في النهر، أو يذبحون عجلاً ويلقون رأسه في مياه النهر[٢٥]. وهم في الغالب يستخدمون جمجمة شخص من ديانة أخرى. فنصارى أورفه على سبيل المثال يرمون جمجمة يهودي في "بحيرة إبراهيم"[٢٦].

وفي سنه، يمارسون نوعاً آخر من السحر الجالب للمطر يستخدمون فيه أيضاً

٢٤- الحراثة في الماء، والحراثة بصورة عامة هي طريقة لجعل المطر يسقط. وفي الشكل الأصلي لهذا التقليد كانت فتيات عاريات يقمن بهذه الحراثة. قارن مع أبيجان، *Der armenisch Volks-glaube*، ص ٩٣؛ فريزر، الغصن الذهبي ١:٢٨٢ ٨٣. وكانت عادة الحراثة الطقوسية تتبع بين يهود العماديه، حيث كان بعض النسوة المرتديات زي الرجال يقمن بالحراثة.

*- إسرائيلي: يهودي، عبري من نسل إسرائيل إبن يعقوب. وهناك استخدام مجازي للكلمة المقصود منه وصف أي فرد من أفراد المجموعات التي إختارها الله من العبريين. (المترجم).

٢٥- أبيجان، *Der armenisch Volksglaube*، ص ٩٣.

٢٦- فريزر، الغصن الذهبي، ١:٢٨٥، إقتباس من ريندل هاريس.

جمجمة. واليهود الذين يمارسونه يستخدمون جمجمة حمار. فهم يحملون الجمجمة الى سطح الدار ومن عليه يصبون فيها ماءً ليتساقط الى الأرض كما يتساقط من الميزاب الى الأرض. وفي هذه الأثناء يمر الأطفال وهم يجمعون الحطب من الناس. وبعدها يجمعون الحطب في كومة على سطح الدار ويشعلون النار، ويلقون الجمجمة فيها. وعندما تأتي النار على الجمجمة يصبون عليها الماء ويقذفون الجمجمة من على السطح.

إن هذا الإستعمال لجمجمة الحمار الذي لايُعرف في الأماكن الأخرى له أهمية خاصة، لأنه دون شك يمثل إستمرارية للدور الميثولوجي الذي لعبه الحمار. فقد كان السيدونيون والسوريون يعتبرونه حيواناً مقدساً لدى إله الطبيعة[٢٧]. والعلاقة هنا نابعة من الشهوة غير المحدودة التي تُعزى للحمار. ولهذا قال عنه القديس الصوفي الألماني هيلديگارد الذي عاش في القرون الوسطى (١٠٩٨-١١٧٩م): "الحمار غبي، وأعمى تقريباً بسبب شهوته".

وفي الحضارة الإغريقية ايضاً كان للحمار دور يلعبه في طقوس ديونيزيوس[*] والباخانتس[**]، حيث كانوا يصورونه في وضع فالوسيّ[***][٢٨]. وقد إعتاد الإغريقي أن يضع في حديقة داره جمجمة لأتان ولدت جحشاً، معتقداً أن قوى الإخصاب ستشع منها[٢٩]. وهذا يفسر استخدام جمجمة الحمار في طقوس الإستسقاء. ويعود هذا الطقس دون شك الى الثقافات التي تعزو قوى النمو والخصوبة للحمار.

لقد أكد محدثيَّ الذين تحدثوا عن طقوس الإستسقاء الكُردية بإستمرار بأن المسلمين والنصارى هم الذين يبادرون للسعي لوضع حد للجفاف، وفي حال فشلهم يلجأون الى اليهود ليمارسوا طقوسهم الخاصة بالإستسقاء. فقد ظل مسلمو ونصارى أشنويه ذات المرات يصلون خمسة أيام، ويضربون الأرض برؤوسهم

٢٧- قارن ذلك مع حزقييل ٢٣:٢٠.

*- ديونيزيوس: إله الخمر عند الإغريق (المترجم).

**- الباخانتس: أتباع الإله باخوس إله الخمر عند الرومان (المترجم).

***- فالوسيّ: متعلق برمز الخصوبة أو صورة العضو التناسلي الذي كانوا يحملونه في أعياد باخوس. (المترجم).

٢٨- أنظر پاولي - ويسوما، الموسوعة، مادة *Esel*، ص ٦٧٠.

٢٩- نفس المصدر السابق، ص ٦٥١. وفي ألمانيا توضع جمجمة حمار على سقف الدار كوقاية من كل الشرور. قارن إيريك وبيتل، *Wörterbuch*، مادة *Esel*.

ويدقون الطبول ساعات طويلة[٣٠] دون جدوى. وبعدها ناشد ملا المسلمين حبر اليهود، الذي نظّم الزيارة الى المقبرة. فهطل المطر على الفور. وفي أماكن كثيرة في العالم الإسلامي يتمتع اليهود بسمعة كونهم أصحاب السحر الخاص بالمطر[٣١].

إن الحقيقة التي غالباً ما تتكرر في قصص اليهود عن طقوس وشعائر الإستسقاء تتمركز حول فشل جهود المسلمين والنصارى في هذا المجال، في حين تتكلل مساعي اليهود بنجاح فوري حتى يهطل المطر على أثره وقبل أن يعود المشاركون في الطقوس الى بيوتهم. إن المقابر اليهودية في كُردستان تقع في الغالب خارج المدن وعلى المنحدرات الجبلية. ويهطل المطر فجاة بحيث أن المشاركين في طقوس الإستسقاء يصلون الى بيوتهم يقطرون ماءً من المطر الذي يصيبهم.

ويحكى على سبيل المثال أنه في أشنويه بعد ذبح الحيوانات وتوزيع اللحم على الفقراء، وضعوا اللحوم في سلال حملوها على رؤوسهم. وأثناء سيرهم في طريقهم، هطل المطر فجأة وبغزارة حتى انه غسل اللحم في السلال من الدماء التي إنسابت بدورها على وجوه الرجال. لذا فلمّا بلغوا المدينة واستقبلوا من قبل المسلمين والنصارى المستبشرين بالمطر، تساءل هؤلاء ما إذا كانت طقوس الإستسقاء اليهودية تتضمن الدخول في معارك دامية فيما بينهم بسبب وجوههم الملطخة بدم الذبائح التي كانوا يحملون لحومها على سلال فوق رؤوسهم.

لقد ساهم الإعتقاد القائل بان السحر الخاص بالمطر يقتصر على اليهود مساهمة كبيرة في تعزيز مكانة وإحترام اليهود في كُردستان. وقد عبّر أحد الحكام الكُرد عن امتنانه لليهود في إحدى المرات بقوله: "أنتم أصحاب عقيدة راسخة. إن الكُرد يدنسون عقيدتهم وهم غارقون في الفسوق".

٣٠- [إن إستمرار جهود الإستسقاء لساعات هو بعد كل شيء ملامح وسمة مميزة لهذه الطقوس أصلاً في الأزمنة التوراتية، قارن سفر الملوك الأول ١٨:٢٦-٢٩. وكذلك قارن المعلومات الخاصة بطقوس الإستسقاء الشرق أوسَطية التي جمعها رافائيل پاتاي "السيطرة على المطر في فلسطين القديمة"، النشرة السنوية للجامعة العبرية ١٤ (١٩٣٩): ٢٥١ - ٨٦].

٣١- قارن مع براوَر، إثنولوجيا اليهود اليمانيين، ص ٣٦٧؛ أديلا . م. گودريچ- فرير، العرب في الخيام والمدن (لندن، ١٩٢٤)، ص١٨١-٨٤ إشارة الى قدرات اليهودية الإستسقائية في "الحديث" الإسلامي، وقارن مع د. گيوتين، قوڤيتز عال ياد ٢(١٢):٢٠٢. [وقارن كذلك مع ر. پاتاي، بذرة إبراهيم: عرب ويهود في إتصال وصراع (سولت لَيك سيتي، ١٩٨٦، ص ١٧٢].

هانوكّه

لايعتبر اليهود الكرد *الهانوكّه* واحداً من الأعياد، وهو ما يظهر بجلاء من خلال عدم إمتناعهم عن العمل أثناءه، رغم أنهم لايفوتون أي فرصة لإعلان عطلة. كما لايعتبر التشريع [اليهودي التقليدي] الإمتناع عن العمل إلزامياً في شبه العطلة هذا. ولكن النساء مع ذلك لايعملن أثناء *الهانوكّه*؛ لا في الأمسيات كما جرت العادة الشائعة (أي بمعنى اخر حينما تكون مصابيح *الهانوكّه* مضاءة) بل طوال فترة العيد. ومحظور عليهن أشغال الإبرة على نحو خاص. والشعر التالي يشير الى ذلك:

***حانوكّه دَرزي بي نوكه:* حانوكّه، إبرة دون رأس حاد،**

***نوك نوكي چَفته:* رأسها ملتوي. (في سنه).**

المصطلح الشائع لهذا العيد هو *حانوكّه*؛ وهناك ايضاً إسم *حَنوكيا*، الذي يرتبط بمصباح *الهَنوكا*. إن التسميات الكُردية لها علاقة بعيد الأضواء: *إيدات چرا هويركا*، عيد المصابيح الصغيرة (في زاخو) و*عَيدات شيرعه*، عيد المصابيح (في العماديه). ويمثل الـ*حانوكّه* بالنسبة للمسلمين الكُرد بداية فصل الشتاء. وعن هذا يقولون: *چرا هويركا جويهيانا سَري زڤستانا*، "مصابيح اليهود الصغيرة، بداية الشتاء". كما يسمونه في العماديه: *هانوكّا سره زڤستانا*، بداية الشتاء. ويطلقون على العيد في سنه *شَو چَره زوسان*، ليلة مصباح الشتاء؛ ويطلقون عليه في السلميانية *چيراعي زستان*، مصباح الشتاء.

أما بالنسبة لكُرد العماديه، فيمثل الـ*حانوكّه* بداية تساقط الثلوج، كما يمثل السوكوت بداية هطول الأمطار. ونجد لهذا المفهوم تعبيراً في سجع الأطفال هذا من العماديه:

***حانوكّه*: حانوكّه**

***تَلگه دوكه*: ثلج على الأرض.**

وقد دخلت كلمة هَنوكه في الأمثال الشعبية الشائعة لتعبّر عن حالة الطقس. ففي زاخو، التي تقع في وسط سهل ذي مناخ ماطر، يغني الناس [بالعبرية]: *حانوكّه، بئمايم، بئراخا ميشامايم* "حانوكّه مع الماء، بركات من السماء". ويغنون في العماديه:

حانوكّه *مايه*: حانوكّه المبلله –

براخا بيسه مين شيمي: بركات تنزل من السماء.

حانوكّه *يوخه*: حانوكّه التي تجلب الرياح –

براخا گو خوخي: والبركة في (الخوخ).

إن حانوكّه عيد لايتطلب إستعدادات خاصة للإحتفال به. ففي الأمسيات يتوجه الرجال الى الكُنيس كما يفعلون في أيام الأسبوع الأخرى، ويوقد الحازان الشموع. ويشبه مصباح الحانوكّه[1] الموجود في الكُنيس مثيله الموجود في البيت. ولم تكن لدى اليهود الكُرد في الماضي شموع أو مصابيح *الحانوكّه* أصلاً، ولازال الأمر كذلك حتى اليوم في بعض المناطق•في زاخو، ودهوك، ونيروه، وريكان، وبيتَنوره، وفي السابق في العماديه أيضاً). ويستعيضون عن مصباح الحانوكّه بعمل عدة شموع رفيعة (الكُرد والعرب يسمونها: فنده؛ قاموس ژابا، ص ٢٩٥) من شمعة كبيرة ويلصقونها ببساطة بالحائط في صف واحد. ويضعون *الشَمّاش* [الضوء الخادم][2] في نفس الصف بدلاً من لصقه في مكان أعلى قليلاً كما جرت العادة. ويسمون هذا النوع من أضوية الحانوكّه (*فيندات حانوكّه*).

أقدم أنواع مصابيح الحانوكّه الكردية يصنع من الحديد. والمصباح في العماديه مكون من قسمين في كل منهما أربع حاويات للزيت. ويستخدمون شمعة بمثابة شماش. وكانوا فيما مضى يستخدمون إناءً حديدياً فيه فتيلة كمصباح حانوكّه (في زاخو).

وهناك أيضاً مصابيح *حانوكّه* مصنوعة من الطين. وتتألف المصابيح التي تصنعها نساء العماديه من تسعة مصابيح منفصلة، يشبه كل منها مصباحاً رومانياً. وفي سنه كان المصباح الطيني فيما مضى مجرد مصباح من الطين يحفرون فيه بقدر موضع إصبع للفتيلة والزيت. وأكثر هذه المصابيح بدائيةً – وكُرديةً في الوقت نفسه – هو صف من قشرات الجوز المملوءة بالزيت والمزودة بالفتائل. ولا يزال هذا النوع من المصابيح شائعاً في كُردستان (في زاخو، ودهوك، وريكان، وسابقاً في سنه). وكانوا يستخدمون قشرة البيضة الفارغة كذلك لهذا الغرض.

١– في زاخو ودهوك والسليمانية وأشنويه: حَنوكه؛ وفي العماديه *رشراءات حَنوكه*؛ وفي سنه: حَنوكايه.

٢– في العماديه والسليمانية: *شَماش*؛ وفي زاخو والعماديه وأشنويه بالكردية: *خادم*؛ وفي سنه: *پروانه*.

وبما أن زيت الزيتون غير متوفر في كُردستان، فهم يستخدمون كل أنواع الزيوت الموجودة من زيت السمسم والخروع والشحم الحيواني والزبدة الذائبة وما الى ذلك. *الشَمّاش* يكون عموماً في شكل شمعة منفصلة عن المصباح. ويتكون في أشنويه من قصبة تحتوي شحماً حيوانياً وفتيلة.

كانوا في الماضي يلصقون الشموع في الحائط المقابل للباب. أما عادة وضع المصباح في المدخل فقد ظهرت متأخراً، حيث يضعون المصباح على بروز في الحائط أو رف فوق إطار الباب (في زاخو: *بنونتا*، وفي العماديه: *دوكيت حانوكّه*) في مواجهة *الميزوزا*. وقد يوضع المصباح في سنه في كوة (*تاق*) داخل الجدار.

وإذا كانت العائلة كلها تعيش في بيت واحد، فيجتمع الأبناء المتزوجون في غرفة الوالد، فيتولى الوالد وحده مهمة إيقاد الشموع. فيما يوقد الأبناء الشموع لعائلاتهم. وفي بعض الأحيان يتخلى الوالد عن ميصفا إيقاد الشموع لأحد أبنائه (الذي يجب أن يقوم بهذا الواجب أيضاً أثناء غياب الوالد).

أما في حال غياب رب الأسرة عن البيت وعدم وجود من ينوب عنه في إيقاد الشموع، أو عندما يعجز الرجل عن ترتيل التبريكات الضرورية، فيستعان بطلاب المدارس اليهود المنتشرين في الحي اليهودي والمستعدين لتنفيذ هذه المهمة للناس. وبعد تلاوة التبريكات، يغنون هذا السجع بالعبرية: "*صور يَئشوعاطي عانيني – أدوناي عانيني* "صخرة خلاصي، أجبني، يا إلهي، أجبني"؛ ويرتلون النشيد (٣٠) من سِفر الأناشيد. ويحصل الصبيان الذين يوقدون الشموع على هدايا إما على الفور أو في نهاية العيد. ولهذا إعتادوا القول – بعد إنشاد اخر كلمات النشيد (٣٠): *خا جانگا فيكا* "حفنة من الثمار" (في زاخو والعماديه).

ولايوجد في كُردستان طعام خاص بعيد *حانوكّه*. ويتناول يهود سنه القرع (*شَويتيا*. وبالكردية: *هاني*) في أول أمسيات الحانوكّه، وهي ممارسة أخذوها عن الكُرد، الذين يتناولون القرع لآخر مرة في الفصل في *شَو چَره زوسان* [أي في الحانوكّه].

يقوم الناس بعد تناول العشاء كل مساء بزيارات لمختلف البيوت، حيث يرقصون ويغنون ويلعبون حتى ساعة متأخرة من الليل. وفي العماديه يذهب الناس الى دار الگَڤير[3] في أول وآخر مساء من أمسيات العيد. ولاتوجد هناك ألعاب خاصة

٣– في ريكان وبيتَنوره ونيروه يجتمع الملتزمون بعيد الفصح معاً في اليوم الأول بدار ميري پيسحه للإحتفال بالحَنوكه (وفي العماديه يجري هذا في الپيوريم، وفي زاخو في سيمحات تورا).

بالـ*حانوكّه*. فهم يلعبون ألعاب الشتاء الإعتيادية واللعبة المفضلة لديهم "لعبة الخاتم" (في زاخو، والعماديه *ئيسيقسا*، أنظر ص ٤٢١)، والتي تشبه *گورڤه بازي*، "لعبة الجوارب" التي يلعبونها في سنه.

وفي هذه الأمسيات يجتمع الأطفال في غرفة منفصلة ويقلدون الكبار. وللأطفال *شماش* يخدمهم ويقدم لهم الشاي والفاكهة؛ ويلعبون الألعاب، وخاصة لعبة: *ميرا*، *وَزيرا*، *أوقـزيرايا* "الملك، الوزير، والشرطي" التي يلعبونها بعظام براجم المواشي (تسمى في اللهجة العراقية الدارجة چعاب وتستخدم فيها عظام خاصة من مفاصل الغنم – المترجم). ولا يوقدون في هذه المناسبة مصباح حانوكّه آخر؛ إلاّ أنهم يلصقون أكبر عدد ممكن من الشموع بالحائط حتى تغرق الغرفة في أضواء إحتفالية بهيجة.

وفي كل بيت تصنع البنات شموعاً جديدة من بقايا الشموع المحترقة؛ ويوقدنها وهنَّ يرتلن التبريكات. ويسعى الصبية أيضاً للحصول على كمية من الشمع، ويوقدون ما يصنعون من شموع في المدرسة في صباح اليوم التالي. ولازالت عادة إيقاد مصابيح الحانوكّه في الكُنيس صباحاً شائعة في زاخو، وريكان، وبيتَنوره، ولكنها إختفت في العماديه وسنه[٤].

وفي حال كان الطقس جيداً خلال العيد يقوم تلاميذ المدرسة بالـ*سَرينه*؛ ولكن سعادتهم تزداد في حال سقوط الثلوج أو الأمطار لأنهم حينها سيذهبون الى الكُنيس للإحتفال بالـ(*قورمو بيقا*)[٥]. وهم يبتهجون بنفس الطريقة التي يبتهجون بها في الأعياد الأخرى، ويغنون:

قورمو بيقا: (حطب وقنينة)

ديكلا خينيقا[٦]: إختنق الديك (أو غرق). (في زاخو. وفي السابق في العماديه ايضاً).

٤- في الكُنيس بكرمانشاه تشتعل شموع *الحَنوكه* على مدار الساعة.

٥- معنى عبارة قورمو *بيقا* غير واضح. ولم يعد اليهود الكُرد يعرفون لهاتين الكلمتين معنى، إذ لم يعد لها وجود في قاموسهم الفلاحي. وقد فسروا لي معناهما لي على أنهما يعنيان "بارد جداً". بينما من بين معاني قورمو: الجذر، الجذع، الساق. ليدزبراسكي، ص ٥٥٨؛ ماكلين، القواعد، ص ٢٧٥). ويقال أن *بيقا* كلمة قديمة تعني قنينة العرق. [وعلى نحو مماثل قال لي محدثي الحاخام أڤيداني بأن قورمو *بيقا* تعني: حطب وقنينة"]. ومن أجل هذا الإحتفال يحضر المحتفلون معهم قورمو: الحطب، لتلقيم النار المضطرمة في الفرن، بالإضافة الى العرق.

٦- لاحظ التشابه الصوتي مع كلمة حَنوكه.

ويحتفل الراشدون كذلك بالقورمو بيقا حينما تمطر؛ ويحتمل أن يكون لهذه المهمة علاقة مع الحانوكّه بإعتبارها بداية فصل الشتاء.

ويقرؤون في كُردستان الـ(*ميگيلات أنتيوچس*) في البيت أثناء *الحانوكّه*، وهو ما نشأ عنه عادة إحراق الدمى[٧]. إذ يحضرون دمية مصنوعة من الخشب والخرق، في شكل رجل ملتحي يضع غليوناً في فمه ويحمل في يده شمعة كبيرة. ويأخذ أحد الأطفال هذه الدمية – التي تحمل إسم حانوكّه – ويجوب بها الأزقة منادياً طالباً الحصول على الهدايا. ويركض وراءه أطفال آخرون وهم يغنون.

وعند نهاية أسبوع الحانوكّه يمزق الأطفال لحية الدمية ويصبون النفط على الدمية ويضرمون فيها النار وهم يصيحون "*أنتيوچس*، *أنتيوچس*!". أما في سنه فلم يحافظ إسم *أنتيوچس* على إرتباطه بهذه العادة. ففي الحانوكّه يُلبسون شاباً ثياب شيخ ويصنعون له لحية بيضاء طويله ويطوفون به من بيت الى آخر[٨].

يُحفظ الزيت المتخلف عن مصابيح *الحانوكّه* بعناية. ويعتبر دواءً للأطفال على وجه الخصوص. وتدهن النساء الحوامل أجسادهنَّ به في الكُنيس، فيما تخلط النساء العواقر هذا الزيت بالماء الذي يستحم به *الكوهنيم* في يوم كيپور ويشربنه كدواء (في زاخو).

ويُنظر الى أعقاب الشموع المتبقية كمواد ذات قدرة علاجية (في زاخو). وتقوم النسوة والفتيات بخلط هذا الشمع المتخلف من شموع *الحانوكّه* مع الـ(قَچكه) وهو نوع من أنواع اللبان، معتقدات بأن ذلك سيجلب لهنَّ البركة (في العماديه).

وتُجمع البقايا التي تخلفت خلال أسبوع العيد من زيت، وفتائل وما الى ذلك، وتلقى في نار كبيرة عقب انتهاء هذا العيد في باحة الكُنيس ويرقص الناس حولها (في سنه).

[لقد عاش في العماديه قبل عدة أجيال ثري يهودي إسمه حانوكّه. وكان أحدهم ينهض في أول يوم من أيام الحانوكّه ويقول لهذا اليهودي: *حانوكّه، ما بودا؟ تَلگه ميپلي ئلدوكه* "حانوكّه، ما الذي تفعله؟ لقد سقط الثلج في مكانه". فكان حانوكّه يجيبه: *ما بودا؟ بَخلا أوبشاتيا أوبدَمكا باخاڤود كولوخون كيسليني* "ماذا أفعل؟ آكل وأشرب وأنام، متشرفاً بوجودكم جميعاً في داري" (أي: أنا أدعوكم جميعاً لداري). فكانوا يذهبون جميعاً في المساء لتناول العشاء في داره. وكان أمراً شائعاً

٧- ظلت هذه العادة تمارس في العماديه حتى حوالي عام ١٩٠٠.

٨- وهذه العادة التي لا تفسير لها حالياً، تُمارس أولاً في *الحَنوكه* ثم خلال أشهر الشتاء.

في الأيام الخوالي أن يجتمع معظم الرجال – في الفترة بين الحانوكّه والپيوريم – عقب صلاة المساء في دار أحد أفراد المحفل للترفيه عن أنفسهم حتى منتصف الليل. إذ كانوا يشربون العرق، ويتناولون المزّه ومختلف أنواع الفاكهة "المجففة" كالزبيب، والجوز، واللوز، والفول السوداني وما شابه؛ ويغنون الأغاني الدينية والدنيوية].

26

الخامس عشر من شيڤات*

يعتبر الخامس عشر من *شيڤات* لدى اليهود الكُرد، الى درجة غريبة، عيداً للخصوبة – فيهود كُردستان كما يبدو، كانوا في الأزمنة القديمة أشدّ إلتصاقاً بالزراعة مما هم في الوقت الحالي وكانوا لذلك يولون أهمية كبيرة لممارسة طقوس الخصوبة، تماماً كالمجتمعات الفلاحية الأخرى. وهم في كل الأحوال يتقيدون بالتقاليد التي – رغم مرورها بنوع من التحول الجزئي – تعود أصولها الى الممارسات السحرية الهادفة الى زيادة الرقعة النباتية الخضراء.

ولهذا يحمل عيد الخامس عشر من *شيڤات* عند يهود سنه إسماً يعود لهذه الأصول: مز*داني إلانه* "أخبار الرب الى الشجر". وأما التسمية الكُردية لذلك فهي: *دار ئاوس* "شجرة حبلى"[1]. وفي السليمانية يسمون هذا العيد *سيمحات إلانه* "فرح الأشجار"؛ وفي زاخو: *ئيز إلانه* "عيد الأشجار"؛ [وفي العماديه *ئيديت إلانه* "عيد الأشجار". ويقال في العماديه بأن الأشجار في الخامس عشر من *شيڤات*: جيم*زاروارى ئوگطاني مايه* "تبدأ الأشجار تحمل الماء"].

والعادة اليهودية العامة والمتمثلة في أكل أكثر ما يمكن من الفاكهة في هذا اليوم لازالت شائعة في كُردستان كذلك. إذ يتبادل اليهود أواني مملوءة بثلاثين نوعاً من الفاكهة، وترى في الشوارع حركة نشطة للصبيان والشباب الذين ينقلون هذه الأواني من بيت لآخر. ويرسل المسلمون الكُرد أيضاً الفاكهة لليهود في هذا اليوم، وذلك على أمل أن تطال البركات اليهودية أشجار الفاكهة. إذ يقول اليهود بأن بركاتهم تجعل الأشجار "حبلى" في هذه الليلة.

وأما أسلوب تلاوة التبريكات على الفاكهة فمختلف وليس موحداً. ففي بعض الأحيان يدعو رب الأسرة عشرة رجال بالغين الى داره، يتلو كل واحد منهم التبريك على نوع مختلف من الفاكهة. وهناك من الناس مَن يعتقد بأن على كل فرد أن يبارك كل أنواع الفاكهة ولو مرة واحدة كل سنة؛ وقد يكون هذا العيد الفرصة المناسبة

*- [بالنسبة لهذا الفصل بأكمله قارن مع: پاتاي: الإنسان والأرض، المجلد الأول، ص ١٨٩ – ٢٨٣، الذي يتناول العلاقة الآيديولجية الغنية بين الإنسان وعالم الفاكهة، والتي يتم التعبير عنها من خلال عادات وعقائد وأساطير عند اليهود وغير اليهود].

١- قاموس ژابا، ص ١٦؛ مادة awis.

للقيام بذلك. ومن أجل القيام بذلك على كل واحد منهم أن يتلو التبريكات على كل نوع من أنواع الفاكهة على حدة، ولهذا جرت العادة في سقز أن يوضع إناء مليء بالفاكهة في غرفة جانبية وإحضار نوع من الفاكهة في كل مرة ليتلو عليه الرجال تبريكاتهم مجتمعين.

أما النساء، فإن الخامس عشر من شيڤات هو بالنسبة لهنّ أولاً وقبل شيء يوم لممارسة العادات السحرية المرتبطة بالخصوبة، لأن المرأة تخلط قدرها بقدر الشجرة.

وإذا ما أمطرت السماء أو أثلجت خلال الليل تقول النسوة: *إلانه تڤيلا كولي* **"تغتسل الأشجار الإغتسال الشرعي" - أي بمعنى آخر، يطرق الرجل زوجته بعد الإغتسال الشرعي وتأمل الزوجة أن تحبل منه، وطبقاً لإعتقادهن فإن "الإغتسال الشرعي" سيلقح الأشجار[2]. وتأخذ النسوة الزبيب والحلوى وينثرنه حول الأشجار، لإعتقادهن بأن ذلك سيزيد من خصوبة الأشجار وخصوبتهن. وتسعى العواقر من النساء كذلك الى زيادة خصوبتهن عبر خصوبة الأشجار وذلك عن طريق نقل الحَبَل الذي يحدث للأشجار في هذه الليلة الى أنفسهن. ولإنجاز ذلك، يجب أن تذهب المرأة الى شجرة مثمرة في الظلام وتعانقها وتقول:**

دار ئاوس تو نه ئاوس: **أيها الشجرة الحبلى، لن تحبلي،**

من ئاوس بو نيتا: **سأكون حبلى بهذه النية.**

أي شاتا كاسا ديدي زامطا: **سيمتليء جسدي في هذا العام(في سنه)[3].**

وفي العماديه تقول المرأة حين تعانق الشجرة:

يا إيلانا سيماخيسوخ تالي: **يا شجرة، فليكن حملُك لي،**

سماخيسي تالوخ: **وليكن حَملي لك.**

آشاطا انا سامخان: **سأصبح في هذا العام حَبلى.**

داك آهيت يويت فيكه: **حينما تطرحين ثمارك،**

أنا ياوان فيكه: **سأطرح أنا أيضاً ثمرتي[4].**

٢- وتقول المرأة ايضاً: *إيلانه شاتا مايي، سموخلو إلانا* "الأشجار تشرب الماء، الأشجار حبلى (في العماديه).

٣- قارن مع: پاتاي، الإنسان والأرض، المجلد الأول، ص٢١٣ وما بعدها؛ وقد جُمعت من مجتمعات أخرى وفئات عمرية أخرى الممارسات المماثلة التي تمارسها اليهوديات العواقر. قارن ايضاً: پاتاي "العلاجات الشعبية اليهودية للعقم"، ص ١١٧-١٢٤.

٤- [هذه العادة التي ترافقها طلبات شفاهية مماثلة توجد ايضاً في المجتمعات الأخرى. فقد كان =

وتأخذ النسوة كذلك بناتهنّ البالغات معهن الى حيث الأشجار وتعطى كل بنت الى إحدى الأشجار كقرينة[5]. وبعد بضعة أسابيع يذهبن جميعاً لمعرفة ما إذا كانت الأشجار قد أخرجت براعماً؛ إذ يقررن على ضوء ذلك ما إذا كانت البنات سيتزوجن في خلال عام واحد أم لا (سنه).

بعد تلاوة التبريكات على الفاكهة فإن بعض النسوة وبهدف جعل شعورهن تنمو بغزارة - يطلبن من نساء أخريات صب الماء على رؤوسهن وهنّ يرددن هذه العبارات:

كوداخ أنا إلانا ماسقه پيقخا: **كما تثمر الأزهار**

هَداك ميستاخ يا براتي پيقخا: **فليثمر شعرك وليزهر، يا ابنتي (في العماديه)[6].**

= من المعتاد في القرون الوسطى أن يُقال للنساء العواقر: "إغمسي ورقة في دم طمثك، وأربطيها على شجرة تحمل ثماراً وقولي: أعطيك مرضي وبواري، فامنحيني قوتك على حمل الثمار". قارن مع: موسوعة الأخلاقيات والأديان طبعة هاستنگز، المجلد الثاني، ص ٦٥٦ ب (گاستر). وفي كتاب (مرأه هايلاديم) لرفاييل أوهانا (المطبوع في القدس في ١٩٠٨ والذي شاع استخدامه ككتيب للعلاجات والتعاويذ في نهاية القرن التاسع عشر وبداية اقرن العشرين بين اليهود القادمين من البلدان الشرقية) أيضاً وجدنا هذا العلاج: "خذ قطعة ورق طويلة وأغمسها في دم طمثها ودعها تذهب الى شجرة مثقلة بالثمار لتدخل الورقة في شق أو ثقب وتردد سبع مرات: ياشجرة، ياشجرة، أعطيك مرضي، وأعطيني ثمارك - ويجب أن لاتقترب من الشجرة ثانية" (ص ٣٥أ)، ولهذه العادة تنويعات عدة إما مع أو بدون الطلب الشفاهي. وقارن مع: پاتاي "العلاجات اليهودية الشعبية للعقم"، ص ١٢١ والصفحات التالية بما في ذلك ن. ٢٤ لمقالات المسائل المتعلقة بهذا الموضوع لدي الشعوب الأخرى. وهكذا يتضح لنا بأن هذه العادة التي تمارسها المرأة اليهودية الكُردية العاقر نسخة محلية لعادة عالمية يمارسها اليهود وغير اليهود في مناطق عدة].

٥- [ليست هذه العادة سوى نوع من عادة "زواج الأشجار" الشائعة التي تمارسها شعوب عديدة بأشكال متنوعة ولأغراض مختلفة لكنها ترتبط دائماً بالخصوبة؛ قارن: پاتاي، الإنسان والأرض، المجلد الأول، ص٢٢٦ وما بعدها. وهناك شروحات في الملاحظات].

٦- [يمكن العثور على مقارنة شعر الإنسان بالأشجار في *آڤوث ديراباي ناثان*، مدراش أو تفسير التانايمي (تانا *tanna* وتُجمع على تانايم *tannaim* المعلمون اليهود الذين توجد تعاليمهم في الميشنا. وقد عاش هؤلاء في الفترة من ١٠-٢٠٠ ميلادية): "وخلق في الإنسان كل الأشياء التي خلقها في عالمه. فقد خلق الغابات في العالم وخلق الغابات في الإنسان، وتلك الغابات هي شعور الرجل" (الفصل ٣١، طبعة سولومون شيگتر، الطبعة الثانية (نيويورك، ١٩٤٥)، النسخة أ ص ٩١). وكذلك في أغاداث عولام كاطان، طبعة جيلينيك، بيث هاميدراش (القدس، ١٩٣٨)، المجلد ٥، ص ٥٧-٥٩: "شعر رأس الرجل ولحيته يشبه غابة من الأشجار". هذه المقارنة ليست سوى سلسلة طويلة من المعادلات بين كافة أجزاء العالم وأجزاء الجسد البشري بوصفه صورة =

ولـلأطفال أيضاً سجع يستخدمونه في هذه الليلة ولكن فحواه غامض نوعاً ما:

وايبقرا قورقورا: **ثم تكلم قورقورا(؟)**[7]

تَبَقه شيلاني: **رغيف كبير من المشمش**[8]

ريشوخ قَطينَو: **رأسك سأقطعه**

بَقا ليله ميزداني إلانه: **من أجل ليلة "الأخبار الجيدة" للأشجار(في سنه).**

[وفي العمادية يجتمع الرجال في الخامس عشر من *شيڤات* **في باحة بي حازان جالبين معهم كل أنواع الفاكهة المجففة والخبز، ويحضرون** *الزلوبي* **فطائر صغيرة. ويقرأ الحاخام موعظة مستوحاة من عبارة "ثم ستغني كل أشجار الغابة في إبتهاج" (سِفر الأناشيد. ١٢:٩٦)].**

= مصغرة عن العالم، وُجدت كذلك في العصور الوسطى وفي خاتمة كتاب (*أورحوث صديقيم*) نقرأ: "وكما يجعل الأعشاب تنمو في الأرض، ذكلك يدع الرجل شعر رأسه ولحيته ينموان". ويكتب ر. مير آلدابي (القرن الرابع عشر): "إن الشعر الذي يتركه الرجل لينمو هو مثل ترك نباتات حديقة لتنمو"، *سِفر شئقيله ئيموناه*، "السبيل الثالثة". أما بالنسبة لمعادلة الإنسان "العالم، فأنظر: پاتاي، الإَنسان والأرض، المجلد الأول، ص١٦٥–٧٦؛ أنظر ما سبق، الإنسان والهيكل].

٧– يشير وايبقَره الى بداية الكتاب الثالث من الپينتاتيوچ. تم تفسير "*قورقورا*" ككلمة طبقاً لصوتها (*onomatopoeic*). قارن مع قاموس ژابا، ص ٢٠٨: قير–قير، "إشاعة؛ *mot onomatopeique*). وقارنها مع الكلمة العربية (قرقرق) أيضاً التي تعني التذمر.

٨– هذه إشارة الى أرغفة عجين ثمار المشمش الشائعة والمجففة تحت الشمس، والتي تُذاب عندما في الماء قبل تناولها. للمزيد من التفاصيل راجع مجلة ناشيونال جيوگرافيك، ص٧٤، العدد ٧١٥.

الپيوريم

[يعتبر الپيوريم عند اليهود الكُرد، كما هو لدى كافة المجتمعات اليهودية الأخرى، أساساً عطلة للأطفال. وتماشياً مع خشونة اليهود الكُرد، تتحول قراءة *الميگيلا* **(رِق عيد إستر اليهودي) في كُنيسهم الى فوضى حقيقية، تُطلق أثناءها النيران من مختلف أنواع الأسلحة النارية، وتُسمع أصوات إنفجار مثانات الحيوانات المجففة، والصيحات من قبيل "لقد سحقنا الخصية البشرية!". وفي خارج الكُنيس أيضاً تتسم هذه العطلة بالتصرفات الجامحة للأطفال والشباب، حيث يتقاتلون ويتبادلون الشتائم، ويلعبون الألعاب النارية، ويتراشقون بالقاذورات وما شابه ذلك].**

تقاليد آدار*

يقول التلمود بأن على المرء أن يكون في شهر *آدار* **مرحاً: "حينما يحل** *آدار*، **يتضاعف مرح المرء" (ب. تاعانيت ٢٩أ). وهكذا يبدأ الجو الإحتفالي لعيد** *الپيوريم* **مع إطلالة هلال شهر** *آدار*. **ويطلق يهود العماديه على هذا اليوم** *إيسيهريت بيناثا* **"بنات أول الشهر". وفي صباح هذا اليوم، يدعو رب الأسرة بناته المتزوجات وأزواجهنَّ الى العشاء في داره**[1].

وفي زاخو يطلقون على *روژ حوديش* **[الهلال الجديد] لشهر** *آدار غيلاقيت تارئه*[2] **"إقفال الباب. وحينما يعود الوالد الى داره بعد مراسيم الصباح في الكُنيس يجد الباب موصداً بالقفل ولايفتح له الأطفال الباب حتى يقدم لهم هدية، والتي يجب أن تكون هدية نقدية. وتوضع الهدية في أيديهم التي يمدونها من خلال فتحة القفل في الباب. وفي العماديه حيث لازالت العادة نفسها سارية يهدي الآباء**

*– آدار، *Adar*: الشهر الثاني من التقويم الإكليريكي اليهودي والسادس من التقويم المدني، ويبدأ في أواخر شباط أو أوائل آذار. وهناك شهر *Vedar* أو *Adar Sheni* الذي يدخل في السنة اليهودية الكبيسة ليكمّلها ويجعلها توافق التقويم الشمسي. (المترجم).

١– النصارى أيضاً يمارسون هذه العادة. ولهذا يدعو نصارى برويلنايا بناتهم المتزوجات وأنسباءهم لإحتفال يستمر حتى المساء. بعدها تأخذ كل بنت معها كمية من الطعام الى بيتها. واذا كانت إحدى البنات مخطوبة فإنهم يدعون خطيبها وعائلته أيضاً الى هذا الإحتفال.

٢– قاموس ژابا، مادة *غَلقاندن*؛ (والكلمة العربية: خَلَقَ). وعادة "غلق الباب" موجودة بين النساطرة أيضاً.

بناتهم قطعة من الجواهر [*خيزمتا*] أو في بعض الأحيان حلية ذهبية. [وقد إعتادوا بهذه المناسبة ثقب آذان وأنوف الفتيات][٣].

وفي أشنويه يمارسون هذه العادة عشية *الپيوريم*. وهنا أيضاً يعترض سبيل الوالد لدى عودته من قراءة *ميگيلا* باب موصد [رق عيد إستر اليهودي، في الكُنيس]؛ ولن يُتاح له الدخول إلاّ بعد أن يقدم هدية.

ولايُنسى الموتى في أفراح *آدار* هذه. إذ ترسل العائلات التي خطف الموت أحد أفرادها خلال العام أو الأعوام القليلة الأخيرة *الزلوبي* (فطيرة مقلية بالدهن محشوة بالجوز والتمر) الى الأقارب والى الفقراء، إضافة الى إرسال كمية كبيرة من هذه الفطائر الى المدرسة للمعلم والتلاميذ، وذلك ليتلو هؤلاء التبريكات عليها لأمواتهم (في زاخو ودهوك). [ويرسلون مع *الزلوبي* خمساً أو عشر بيضات مقلية بالسمن للمعلم (في العماديه)]. وفي العماديه، حيث لايوزعون الزلوبي إلاّ في الثالث عشر من *آدار*، يوم فصح *تاعانيت* [وبالعبرية، يوم صوم الفصح]، حيث يردد التلاميذ أثناء تسلمهم حصتهم من المعلم قائلين:

إلاها مابيخلو: ليمنحهم الرب الراحة،
إلاها مَقرو: وليقرّب الرب
وَعدو *ميجالو*: ساعتهم وأجلهم.

وفي أربيل يختارون في كل يوم بدءً من الأول من *آدار* ولغاية الپيوريم، وذلك وفق خطة محددة، لتقوم بتوزيع الكعك على الأقارب وتلاميذ المدارس على "أرواح الأموات".

سبت البنات

إتخذ السبت الأول من آدار – تماماً مثل اليوم الأول منه – إسمه من البنات، وهو *شَبثيت بيناثا* "سبت البنات أو *زوتياثيت كيلو* "كعكة العروس (وفي العماديه وزاخو: *زودياث كيلو*). وتتشابه التقاليد الخاصة بهذا اليوم تشابهاً كبيراً جداً في زاخو ودهوك والعماديه.

في هذا اليوم تشكل البنات مجاميع، *خوليواثا* (في العماديه) لكل منها زعيمة، *إيستاثا*. وتشرع هذه المجاميع مع بدء الأول من آدار بالتجوال لجمع الحطب – كما

٣- وفي زاخو يقوم تلاميذ المدارس بالخروج الى النزهة سَرينه مع معلميهم، والتي يسمونها هي الأخرى *غَليقت تارعي*.

في بعض مناطق أوروبا – (مثلاً في سويسرا *Holzheischen*) للنار الكبيرة التي يوقدونها في عيد إستر اليهودي أو الإحتفالات الأخرى. وإحدى "الأغاني التوسلية" التي يغنينها هي:

پاتيكه بينه بينه: [پاتيكه (إسم إمرأة) هاتي، هاتي،
مَحلا جومه پير حاجومه: مَحلا (إسم إمرأة) في حفرة الحياكة[٤] إمرأة عجوز منتهية
إشاللا إلاها ياويلوخون: إن شاء الله منحك ولداً،
خا بيرونا هالولان خا صيوا: أعطينا قطعة حطب] (في العماديه وزاخو).

وأما الأغنية التالية فموجهة الى رب الدار:

بيل بيلاوه، بيل بيلاوه: [ظل بيتكم معموراً، ظل بيتكم معموراً،]
إشاللا خودي أڤراهام بِكت زاوا : إن شاء الله سيصبح إبراهيم عريساً (في زاخو والعماديه).

ويتوجهون بأغنية مماثلة الى ربة البيت:

بيل بيلوكا ، بيل بيلوكا[٥]: [ظل بيتكم معموراً، ظل بيتكم معموراً،]
إشاللا خودي غَزال بِكت بوكا: إن شاء الله ستصبح غزال عروساً (في زاخو وكذلك في العماديه)[٦].

وإذا ما رفضوا في أحد البيوت المساهمة بحصتهم من الحطب. فإن البنات يغنين بحقهم أغاني هجائية، وكذلك يظهرن براعة كبيرة في تشتيت إنتباه سكان الدار

٤- [هذه الكلمات إشارات غير مباشرة الى أسلوب الحياكة التقليدي: تجلس المرأة الحائكة في حفرة تبلغ خصرها ويكون النول أمامها على الأرض. (في العماديه)].

٥- [نهايتي الكلمتين: بيلاوه، بيلوكه تُغيّر بشكل عشوائي كي تطابق نهايتي كلمتي زاڤا وبوكا على التوالي].

٦- قارن ذلك مع "أغنية التسول" في غناء الميريندا أثناء الحانوكّه، كما يغنيها اليهود السفاردي في تركيا. وهي على النحو التالي:

Damemos azete, el Dio vos empreseinte أعطنا بعض الزيت، ليمدّ الرب في عمركِ
Damemos oun ajico, el dio vos de oun ijico أعطنا فص ثوم، ليهبكِ الله ولداً
Damemos ouna seroyika, el Dio vos de ouna ijico. أعطنا قليلاً منَ البصل، ليهبكِ الله بنتاً.

وقارن أيضاً مع *Reve des Écoles de l'Alliance Israélite Universelle 4 (1902) :273.* [هذه السطور الثلاثة ليست سوى جزءً من أغنية ميريندا. وتردد أغنية الميريندا بين يهود السفاردي في القدس].

ليتسنى لبعضهن سرقة بعض الحطب. وهذا الإنغماس في السرقة التي تخدم الأغراض الطقوسية شائعة على نحو كبير. فنحن نجد هذه العادة على سبيل المثال بين يهود طرابلس الغرب، عندما يجمعون الحطب لنار الپيوريم[٧]؛ ولا يمكن أن تكون هذه العادة مفتقدة في الفلكلور الأوروبي[٨].

تقوم البنات بتخزين الحطب في أحد البيوت التي تخصص لهنّ. فيبعن قسماً منه ويستخدمن الباقي في الإغتسال الشرعي. وتستحم بنات يهود العماديه هذا الإغتسال في *شَبثيت بيناثا* وفي *ليل* پيوريم (بالعبرية وتعني "عشية الپيوريم")؛ وبنات زاخو في *ليل الپيوريم* فقط.

تجمع البنات في العماديه *لشَبثيت بيناثا* كل ما يحتجنه في عملية الخَبز، ويأخذنه الى *الإستاتا* في باحة الدار التي تم إختيارها كمكان لإجتماعهن. وهناك يبنين لأنفسهن فرناً جديداً ويشرعن في تحضير *زوتياثوت كيلو* "كعكة العروس"، وذلك بأواني العجن والخبز الجديدة التي حصلن عليها، لأن الأواني القديمة لن تفي بالغرض، لإحتمال إستخدامها من قبل سيدة أخرى خلال فترة طمثها. وتقوم البنات بتزيين الكعكة عن طريق رسم دوائر عليها بخاتم الزواج (*إيسقيست قادوشه*).

خيابيت كالويثا (إغتسال العروس)

يتم في يوم الجمعة تسخين الماء المعد للإغتسال على نار تصطلي بالحطب الذي جمعته البنات. وتستحم الإستاتا قبل البنات، إذ تقوم البنات بتحميمها وغسل ثيابها وشعرها المضفور في الضفائر العديدة التي تهواها المرأة الكُردية. ويغنين خلال هذه الطقوس:

صوصياساخ ياريخه خاموست إيستر هَمَلكه آسيا طالَك: ستكون ضفائرك طويلة. وطهارة[٩] ملكة الپاسوڤر ستكون لك

٧- ["قبل الپيوريم بوقت طويل يدور أطفال يهود طرابلس الغرب على البيوت... ويزيلون البُسُط، والمكانس... ويأخذون أعقابها، وهم فخورون لقيامهم بالميتزڤا. طالما أن السرقة تعتبر في هذه المناسبات أمراً مسموحاً به، لا بل يوصى بها" *Reve des Écoles de l’Alliance Israélite Uni-verselle 4 (1902) 424.* ترجمها عن الفرنسية رافائيل پاتاي].

٨- والأكثر من ذلك أنهم ينظرون في بعض المناطق الى سرقة احطب على أنه واجب، لأن الحطب المسروق يزيد من القوة العلاجية للنار (مارك براندنبرگ). *Eric & Beitl: Wörterbuch d. duetsechen Volkskunde (Leipzig, ca. 1936),* مادة "*Ostern*". ص ٥٥٨.

٩- في العماديه يفسرون الكلمة بأنها تعني "الجمال". ماكلين، القواعد، ١٠١، *هاموتا*: البكارة، البنوتة، الشباب.

إشاللا شوعه برونه هاويلاخ زئوريت كولو ماخيلاخ: فليمنحك الرب سبعة أبناء، وليضربك أصغرهم.

وعند نطق الكلمة الأخيرة يضربن *الإستاتا* على ظهرها، وبعد ذلك تستحم البنات الأخريات واحدة بعد الأخرى؛ وتتلقى كل واحدة منهنّ ضربة على ظهرها من قبل *الإستاتا*. وبعد الانتهاء من الإستحمام يلبسن ثياب العطلة المزركشة ثم يعدن الى بيوتهنّ. وفي المساء يجتمعن ثانية في المنزل المخصص لهنّ للرقص والغناء.

ويستأنفن احتفالهن صباح يوم السبت. ويحضرن جميعاً الفاكهة، حيث تقوم الإستاتا بتوزيعها فيما بينهنّ. بعدها تعين الإستاتا مهمة لكل فتاة: واحدة ترقص، والأخرى تغني، وهكذا دواليك، وفي النهاية ترش إحداهن ماء الورد على الحاضرات مع إنشاد الشعر التالي:

ريخوخون *هاوا مايا ريخا*: ليكن عطركنّ كهذا العطر،

مَسكيرتولو طَليبوخون بايا ريخيت *كادياواثوخون*: وليسكر عرسانكنّ بعبير نهودكنّ

بعدها تتجه الفتيات الى الحقول في خارج المدينة ويشاركن في ألعاب (كلعبة *بوسلمان*، مثلاً) لحين دخول وقت صلاة المساء، حيث يعدن الى ال المخصصة لهنّ. وهناك تقدم الإستاتا زوتياثيت كالو واحدة لكل فتاة، والتي تلفها بدورها في قطعة قماش حريرية وتأخذها الى البيت وتخفيها. ولكن حينما يصل صديق الفتاة أو خطيبها في زيارة لها بعد هذا بقليل يسأل أين *زوتياثيت كيلو*، فتجيب بخجل أنها لاتملك منه شيئاً. ولكن الشاب يعرف أنها موجودة، فيبدأ في البحث حتى يجدها، وبعد أن يجد قطعة *زوتياثيت كيلو* يقبّلها ثم يعبر عن دهشته بالقول: "يالها من عروس جميلة!". بعدها تقطع الفتاة الكعكة وتوزعها على شريكاتها وأخواتها وإخوانها وصويحباتها. ثم يقول الشاب بعد أن يأكل حصته من الكعكة: "*كوداخ خيلالي آيا زَناتاخ خاداخ إلاها أويدلاخ رزقي* "فليجعلك الله من نصيبي بينما آكل من كعكتك هذه"(في العماديه، وزاخو كذلك).

جمع الحطب من قبل الصبيان

يشرع الصبية وكذلك الشباب مع بدء اليوم الأول من *آدار* في جمع الحطب لإحتفال الپيوريم، حتى أنهم يخزنون هذه الپاتيكه *ديلونكه* "حطب الصبيان" في دهوك في الكُنيس. ويجوب أولاد العماديه الشوارع وهم يصرخون "حطب لهامان!"

بلغة ملائمة. فهم يوجهون نداءهم لليهود بقولهم "*قاديت هامان*!" وللمسلمين بقولهم "*داري هاماني*!" وللمسيحيين بقولهم "صيويت *هامان*!".

ولا يتردد المسلمون الكُرد ولا النصارى في إعطاء "حطب هامان" للصبيان، وحتى في حال (كما يحدث عادة) عدم إكتفاء الصبيان بالحصول على الحطب وتعدي ذلك الى سرقة الدجاج، فإن ضحاياهم لايوقعون بهم عقوبات شديدة. ويكتفون حينها بالتساهل والقول: "لقد فعلها (بچُيكيت *هامان*) أطفال هامان".

وفي العماديه كانت توجد عائلة نسطورية من الطائفة الطالنائية كان اليهود ينظرون اليهم على أنهم متحدرون من هامان؛ لأن الأطفال حينما كانوا يصلون الى دارهم وينادون (صيويت *هامان*) كانوا يجيبونهم قائلين (صيويت *موردخاي*) ولم يكونوا يعطونهم شيئاً. وهذا كان يدفع الأطفال الى إحداث جلبة ولغط كبيرين أمام منزلهم عن طريق محدثات الضجيج الكثيرة الخاصة بالپيوريم التي يحملونها.

[إعتاد الأطفال خلال الأسبوعين الأولين منذ بداية *آدار* ولغاية *الپيوريم* جمع ما يتراوح بين سنتر واحد وسنتريْن (١١٠–٢٢٠ رطلاً) من الحطب. وحين يجمعون ما يكفي من الحطب يجلسون في الشارع وحطبهم زمامهم وهم يصيحون "عندنا حطب!". وعندها يتوجه الناس إليهم ويشترون منهم الحطب بأسعار جيدة. فيذهب الأطفال حينها ليشتروا بثمنه البيرة أو الدجاج أو حملاً لوليمة الپيوريم (في العماديه)].

إغتسال الفتيات الثاني

يجري الإغتسال الثاني الذي تقوم الفتيات به بما جمعنه من حطب في *ليل* پيوريم. وتصبح العذارى - كما يقال - نتيجة لهذا الإغتسال الثاني في جمال (إستر) لدى ظهورها أمام الملك أهاسورس. ولهذا يطلقن على هذا الإغتسال: *خيابيت بيناثا، آسه إيليني شيپريت إستر* "إغتسال العذارى، عسى أن ينتقل جمال إستر إلينا".

وكما في المرة الأولى تجتمع الفتيات لهذا الإغتسال في مكان إجتماعهن (والذي يكون على الدوام ولأسباب واضحة في بيت يهودي ثري)؛ ولكن ترافقهن في هذه المرة أمهاتهنّ. ويتم إعداد *الحنّه*. وتقوم أجمل الفتيات بصب الماء على *الحنّه* قبل عجنها، فيما تغني المجموعة *دي موسولو* "هيا اجلبن". وبعدها تصبغ كل فتاة شعرها بالحنّه (في العماديه).

وبعد الانتهاء من وضع الحنه تقوم الأمهات بتحميم بناتهن وهنّ يغنين "*تاريكي*" وكأنهن يغنين لعروس، وينثرن عليهنّ الورود والجوز. وهكذا تأخذ كل فتاة دورها في الإغتسال في ترتيب وضع مسبقاً (في العماديه وزاخو).

پيوريم أو ميگالا

لايستخدم اليهود الكُرد تسمية پيوريم لهذا العيد إلاّ نادراً. فالتسمية الأكثر شيوعاً بينهم هي *ميگيلا* أو *ميگالا* أو موعيد *ميگيلا* [عيد الرَّق] (في زاخو ودهوك والعماديه). وهناك أيضاً تعبير "*جيژنا هامان*" "عيد هامان" (في أشنويه والسليمانية)؛ ولهذا يطلق الكُرد على هذا العيد اليهودي تسمية "*ئيدا هاماني*" (في العماديه). وفي الجنوب (السليمانية) وفي المقاطعة الفارسية (في سنه) يطلق على الپيوريم "*ليلانجي*"[١٠].

كنا قد تطرقنا الى الإستعدادات التي تتم في الأسبوع الذي يسبق الپيوريم، ففي اليوم الأخير قبل حلول العيد نفسه *وتاعانيت إيستر* "صيام إستر" يلتزم به اليهود في كل مكان. الصبيان والبنات في عمر السابعة أو أكبر يصومون في هذه المناسبة - ويفعلون ذلك طبعاً طمعاً في الظفر بهدية في شكل أفضل هدايا الپيوريم.

يشتمل جانب من عيد الپيوريم على إعداد أنواع مختلفة من الكعك وأكثرها إنتشاراً الـ(*زلوبييه*) (في زاخو ودهوك والعماديه). إن الكعك المسمى "*ناحاله ديهامان*" "آذان هامان" هو المفضل في أشنويه، أما في السليمانية فيفضلون كعكات بأنواع وأحجام مختلفة (مثلاً كالده "العروس"، *خيوا* "الأفعى" وما الى ذلك").

قراءة الميگيلا

عند المساء يتوجه الجميع، شيباً وشباباً، نساءً ورجالاً الى الكُنيس من أجل قراءة الميگيلا، حتى أنهم يحضرون الأطفال الرضع بهدف الإستماع للقراءة. وتجلس النسوة في باحة الكُنيس.

ويمتليء الشباب بروح فرح هذا العيد. وترتدي الفتيات أبهى حللهن مثل إستر لدى إستدعائها للمثول بين يدي أهاسورس. وفي العماديه أثناء توجههم الى الكُنيس - يغني الشباب أغاني الزواج معظم الوقت كالأغنية الكُردية "*هَري خزيمي ژاري، خزيمي ته بَژن بلندي*" "يا خزام (بالعراقية الدارجة حلية كالقرط تثبت على أحد

١٠- يطلق كُرد سنه على الپيوريم نَوروز (عيد رأس السنة) لتزامنه مع إحتفال الفرس برأس السنة.

جوانب الأنف – المترجم)، خزام الفقيرة، ذات القوام الممشوق"٠(في العماديه).

يمتلك كل قادر على القراءة *الميگيلا* المكتوبة على رَقٍّ. وكانت *الميقيلوث* تُكتب في العماديه من قبل النسّاخ حاييم بن ياكوف هاگاباي بعشر روپيات. والميگيلا الكُردية خالية تماماً من الزخارف.

ولغرض قراءة الميگيلا يقوم الشَمّاش، كما في عشية يوم كيپور، بصنع شمعة كبيرة ثخينة ذات سبعة فتائل تسمى "*شَمئيت ميگالا*". وتُطفأ هذه الشمعة حال الانتهاء من القراءة، حيث تستخدم طوال العام (حتى *روژ هاشانان*) كضوء لقراءة التوراة. ويباع شرف حمل الشمعة أثناء قراءة الميگيلا عن طريق المزايدة حيث يصل ريع المزايدة الى مبلغ كبير (حوالي أربعة جنيهات)، إلاّ أن المشتري يحتفظ بحق حمل الشمعة أثناء القراءة لما تبقى من السنة. والى جانب *شَمئيت ميگالا* يصنع الشَمّاش حوالي مائة شمعة أصغر توزع على الناس في الكُنيس. إذ تحصل كل مجموعة عندها ميگيلا على شمعة تعطى لأحد الأطفال كي يحملها.

وأما في العماديه فيقوم الشَمّاش بعمل "*مسرجه*" وهي شمعة ضخمة تحيط بها شموع أصغر – تشبه *شَمئيت خيتنا* "شمعة العريس (أنظر ص ١٥٤) عدا أن الشمعات الأصغر غير ملونه. ويطرح شرف حمل هذه الشمعة كذلك للمزاد. ويقوم الشَمّاش كذلك بصنع شموع صغيرة أخرى لأصحاب *الميگيلوث* وكذلك سبعة شموع إضافية تمثل أعمدة الدنيا السبعة وتوضع على *السِيده*، ومنضدة القراءة، وفي الأماكن المخصصة لها.

وفي بعض المناطق يبيعون شرف قراءة رَقّ التوراة بالمزاد (في زاخو ودهوك). وفي العماديه غالباً ما يُمنح الحازان شرف القراءة. وفي المدن الأخرى إذا لم يستطع الفائز بالمزايدة القراءة، يتنازل هو الآخر بهذا الإمتياز الى الحازان. ويقرأ الأخير الميگيلا بصوت عال، ويقرأ معه المحفل – ولكن بصوت خفيض عدا قراءة فقرات معينة ينبغي قراءتها جميعاً بصوت مرتفع.

وقبل الشروع بقراءة *الميگيلا* يغنون (پيزيم) إحدى قصائد يفيت *بينايا*، وأدناه مقطع منها:

[يا أيها المختارون، تغنوا وأنشدوا
للرب في السموات واقرأوا الميگيلا.
يا أصدقائي، أثنوا على صاحب الأعمال العظام،
الذي تجدونه عوناً لكم في النوائب،

والذي ينجي عباده من الشر المقدر
في كل جيل – لا أستطيع أن أعدهم.
الذي سحق جذور إبن أگاگ ومحقها
وحوّل مكيدته الى مسرة لي[١١].

في كُردستان ليس الحازان وحده (كما جرت العادة) بل أصحاب *الميگيلوث* كذلك ينشرون رق التوراة بأكمله قبل قراءتها[١٢]. ويقرأ المحفل بأكمله الفقرات بصوت مرتفع، علاوة على الفقرات الإعتيادية (أي بمعنى إستر ٤:٢–٥، ١٥:٨–١٦ و٣:١٠) هي الأشعار ١:٦ و٦:٧. يقرأ المحفل هذه الأشعار أولاً، ثم يعيد الحازان قراءتها. وفي زاخو يقرأ المحفل بصوت عال من ٣٠:٩ الى النهاية، ويعيدون ترديد ٣:١٠ ثلاث مرات. أما في العماديه فيقرأ المحفل كامل الفصل العاشر بصوت مرتفع. [تقرأ الميگيلا في عشية الپيوريم بالعبرية الأصلية، ولكنها تُقرأ في صباح اليوم التالي عن طريق التارگوم فقط، أي أن الحازان يتابع النص العبري بعينيه وينطق بترجمة التارگوم (في العماديه)].

عند الوصول الى الشعر ١٦:٢ "وهكذا أخذوا إستر الى الملك أهاسورس" تمسح الفتيات وجوههنّ بكلتا اليديْن (في العماديه). وعند الوصول الى الشعر ٥:٣ "إستشاط هامان غضباً"، يردد أفراد المحفل في زاخو *خوما تاله تا* يمه "الحر له ولوالدته". وعند الوصول الى الشعر ٢٦:٩ يرفع الحازان *الميگيلا* ويهزها.

العادات الشائعة عند القراءة

تعد القراءة الشعبية من الميگيلا لدى اليهود الكُرد، كما هي لدى كافة المجتمعات اليهودية، مناسبة لإنطلاق مشاعر الفرح. فالناس يجلبون معهم الى الكُنيس كافة أنواع الأدوات لإحداث الضوضاء؛ وكلما ورد إسم هامان أو ولده يستخدمون تلك الآلات بكل ما أوتوا من قوة. وعندما يرد إسم هامان في صلاة المساء، يصدر الناس جلبة تصم الآذان بتصفيقهم بحيث يصعب إستعادة النظام بعدها.

يمتلك الصبية والشباب أنواعاً مختلفة من المسدسات (في زاخو والعماديه تسمى *دَبانچه*. وفي سنه تسمى *تَپانچه*)، بكبسولات ذات صدى إما يصنعونها بأنفسهم

١١- [ترجمها عن العبرية رافائيل پاتاي]

١٢- [لا يمكن القول بأن هذه العادة عامة. فيهود مشهد، في إيران، على سبيل المثال يشرعون في القراءة من الميگيلا الملفوفة صحائفها، والتي تنشر صحائفها ببطء مع إستمرار القراءة].

بطريقة بدائية أو (وقد ظهر هذا حديثاً) يشترونها من السوق. في السليمانية كان الشباب اليهود في الماضي يستعيرون البنادق من الكُرد. وهناك أيضاً أنواع مختلفة من الكرات المتفجرة[١٣] يمكن شراءها من السوق. وفي سنه يجلب الناس معهم الى الكُنيس مطارق صغيرة يطرقون بها على الأرض حال ورود إسم هامان. ويمتلك الكُرد أيضاً المفرقعات (في العماديه يسمونها *رَشرَشينقه*. وفي أربيل *رَشرَژي*) التي يصنعها لهم النجارون؛ ولهذه المفرقعات في العماديه ألسنة جلدية بدلاً من الخشبية (المعتادة).

ويضاعفون ضوضاء وصخب هذه الآلات بضرب أرجلهم بالأرض لدى ورود إسم هامان أو أبنائه – وهم يضربون بحماس أكبر إذا ما كانت أسماء هؤلاء الأعداء التاريخيين لليهود مكتوبة مسبقاً على الأرضية بالفحم ليمسحوها هم بالدوس عليها بأقدامهم (في العماديه وأربيل والسليمانية).

ويماثل هذا عادة كتابتهم لأسماء هامان والعماليق على حجارتين وضربهما ببعض (في سنه). وهذا يماثل التقليد الذي يمارسه الرجال في العماديه خلال حفلات شربهم أثناء البيوريم. إذ يأخذ هؤلاء قطعتي خشب يكتبون عليهما بالعبرية "ملعون هامان الشرير" و"ملعون زَرَش الشرير". وبعدها يصبون العرق على قطعتي الخشب وهم يرددون بالعبرية "أعطي مشروباً قوياً لمن هو على وشك الوفاة" (الأمثال ٣١:٦).

وتعتبر *بَمبَله* "المثانات"[١٤] من أشهر محدثات الضجيج لدي اليهود الكُرد. ففي السوكوت يشرع الجميع في جمع مثانات الحيوانات المذبوحة، حيث ينفخونها ويعلقونها بالسقف. وفي عيد البيوريم تأخذ العائلة قدر ما يمكنها من هذه المثانات المجففة معها الى الكُنيس وتزع ما يزيد عن حاجتها على مَن لم يستطع جمعها من الأصدقاء. وفي زاخو يبلغ ما يجلبه الناس الى الكُنيس من هذه *البَمبَله* بضعة مئات. وعندما يصل الحازان الى آخر جمل سِفر إستر (٩:٦ "خمسمائة رجل") يفجر كل واحد من الحاضرين بَمبَلته. [وفي العماديه يفجر الأطفال بَمبَلاتهم حينما يقرأ الناس عبارة "إستشاط هامان غضباً" (سُفر إستر ٩:٥) التي يعاد تكرارها عدة مرات، ثم يقرأون عبارة "ولكن هامان رغم ذلك تمالك نفسه" ١٠:٥ وكلمة "*ڤيزاثا*" (٩:٩)]. والدوي الناجم عن إنفجار هذه البَمبَلات لايختلف عن صوت البندقيات في

١٣- في العماديه: يَقپَقوشكه. وفي أربيل: تويپَتَرَقه. وفي سنه: *تَقَه*. وفي أشنويه: بومبه، *بارود*. وفي سنه يطلقون على عصا ذات كبسولة متفجرة (*فيشَك*).

١٤- في العماديه: *بُمبَله*. وفي زاخو ودهوك: *بُمبَله* وبومبَله. وفي أشنويه: *دَمبَله*. وفي أربيل: *باتوته* وتجمع على *باتوتي*. وفي سنه: *تيزانق*. وهذه تُفجر بالبارود.

ساحة المعركة. ويضيف الأطفال الى هذه الضوضاء ضوضاءهم الخاصة بإطلاق النار من مسدساتهم التي يحملونها وهم يصيحون *يَقيئيلان إشكاسيت هامان* "لقد سحقنا خصيتي هامان!". وفي العماديه ينطقون بهذه العبارة في ختام الميگيلا. ويستمر هذا الضجيج لربع ساعة تقريباً؛ وحينما تنفجر آخر البَمبَلات، يشرع الحازان في إستعادة الهدوء بالطرق على *السيده*. وبعدها تُستأنف قراءة الميگيلا. وفي الختام تردد اللعنات والتبريكات المعتادة.

وفي سنه (وفي العماديه) يغنون الأغنية التالية بالعبرية في ختام الميگيلا:

[هؤلاء الواثقون بآمالي،

وكل بذرات أبنائي المباركين،

قولوا، جميعاً "مبارك، مبارك، مبارك مُردخاي"

فالشَرَك الذي أعدّه [هامان]

هو نفسه وقع فيه،

قولوا، جميعاً "ملعون، ملعون، ملعون هامان"

له الفخر العظيم، ذلك الذي سكن سراً [مُردخاي]،

لقد أحضر هاداساه [إستر] وعلى رأسها تاج،

قولوا، جميعاً "مباركة، مباركة، مباركة إستر"

لقد تكلموا سراً،

غصن وجذور أگاي [هامان]،

قولوا، جميعاً "ملعون، ملعون، ملعون زَرَش"

(ترجمه عن العبرية رافائيل پاتاي)]

بعد قراءة الميگيلا يقرأ الأولاد [*هَشكاڤات هامان* "إستراحة هامان الأبدية"] وهي محاكاة ساخرة لـ*هَشكاڤات هاميثه* "إستراحة الميت الأبدية". ويقرأ الناضجون هذه المحاكاة الساخرة أثناء وليمة عشاء البيوريم. وهناك روايات مختلفة لهذه المحاكاة الساخرة، تم طبع إحداها، وهي الموجودة في دهوك، من قبل جَي. ريڤلين[١٥].

يجلس الناس وحال عودتهم من الكُنيس لتناول عشاء البيوريم، فينهون بذلك صيامهم. والعشاء يكون باذخاً. وذلك حتى إن الفقراء يسمحون لأنفسهم بالإنغماس

١٥- قارن: يوسف ي. ريڤلين: تفسير هاميليخ. زايون يديعوث ١ :٤٣-٤٥.

في هذا البذخ بذبحهم دجاجتين لعيد الپيوريم (في زاخو). ولا توجد أطباق أو مآكل خاصة بهذا العيد.

إذا تعذر على رب الأسرة، لمرض ألم به أو أي طاريء اخر، حضور مراسيم قراءة الميگيلا في الكُنيس فإنه يدعو الحاخم الى داره ليقرأها له. بعد تناول العشاء يقرأ رب الأسرة الميگيلا لنساء العائلة عن طريق التارگوم. وفي زاخو تجتمع النسوة من عدة عائلات في أحد البيوت ويستمعن للميگيلا التي تُقرأ بالعبرية وبالتارگوم. والعادة في المناطق الأخرى هي قراءتها للنساء بالعبرية مساء وبالتارگوم صباحاً. وفي سنه يقرأون الميگيلا بالعبرية قبل تناول العشاء وبالتارگوم بعده.

ألعاب المساء ولهو الشباب

يشغل الناس الأماسي والليالي باللهو. لقد وصفنا قبلاً "إغتسال العذارى" في عشية الپيوريم. يجتمع الناضجون في هذه الليلة (أو في كلتا ليلتي الپيوريم) في دار أحد الأقارب الذي يحظى بإحترام خاص؛ جالبين معهم قناني العرق ليغنوا ويرقصوا ويتبادلوا النكات حتى ما بعد منتصف الليل. كما يلعبون الألعاب أيضاً؛ ولكن هذا الشكل من أشكال تسالي الپيوريم ليس شائعاً بين الناضجين في كُردستان، كما يشيع في أوروپا الشرقية على سبيل المثال. إذ يكتفي اليهود الكُرد في هذه الحالة بلعب الورق والنرد أو الجعاب (چگه *هامان* "عظمة مفصل ركبة هامان)[١٦].

ويلعب أطفال يهود العماديه لعبة *إيسيقسه* [خاتم] كذلك. [وفي هذه اللعبة ينقسم الأطفال الى فريقين يجلس لاعبوهما متقابلين. ويؤتى بصينية نحاسية كبيرة يضعون عليها كاسين نحاسيين صغيرين مقلوبين يخفي أحد الفريقين تحت أحدهما خاتماً. بعدها يرفع أحد الأطفال من الفريق الخصم الكأس وإذا وجد الخاتم تحتها يبدأ فريقه اللعبة، أي أن هذه اللعبة هي فقط لتحديد مَن سيبدأ اللعب. بعدها تبدأ اللعبة بإحضار سبعة كؤوس بدل إثنين، فيخفي الفريق الذي يبدأ اللعب الخاتم تحت أحد الكؤوس السبعة. وفي الواقع يكون لطفل واحد من كل فريق دور فعال في اللعبة، ويكتفي الآخرون بالفرجة. وعلى الطفل الذي يمثل الفريق الخصم أن يحزر الآن مكان الخاتم المخفي. وله قبل أن يرفع الكأس أن يشير الى كأس ويقول پويچ "فارغ" أو *دَستگول* "باقة ورد" (وهو يعني بهذا أن الخاتم موجود تحت الكأس المذكور). أما

١٦- قاموس ژابا، ص ١٣٣، *چوك*، *جاريت*، جينو.

إذا قال پويچ وإتضح أن الكأس تحتها الخاتم، فإنه يخسر سبع نقاط. بعدها يجيء دور الفريق المقابل ليجرب حظه. فإذا قال لاعبه پويچ ولم يوجد الخاتم تحت الكأس، فإنه يسمح له برفع كأس أخرى. وإذا قال في المرة الثانية پويچ وإتضح أن الخاتم كان تحت ذلك الكأس، فإنه يخسر ست نقاط بعدد الكؤوس المتبقية دون أن يرفعها وهكذا دواليك. وإذا قال *دَستگول* وظهر أن الخاتم موجود تحت الكأس التي رفعها، فإنه يفوز بسبع نقاط، أما إذا قال *دَستگول* ولم يظهر الخاتم تحت الكأس المشار اليه فإنه يخسر سبع نقاط. وإذا قال *دَستگول* – وكان عدد الكؤوس المتبقية ستة أو خمسة – ووجد الخاتم تحت الكأس التي عناها فإنه يربح نقاطاً بعدد الكؤوس المتبقية في الصينية، وإذا خسر يخسر نقاطاً بعدد الكؤوس كذلك. أما إذا ظل اللاعب يطرح الكؤوس قائلاً پويچ، پويچ في كل مرة حتى يبقى في الصينية كأسان فقط، فإنه يفوز بالنقاط السبعة، أي أنه فاز بالصينية كلها، فإن من حقه لذلك إخفاء الخاتم مرة ثانية. وحينما تصل خسارة أي من الفريقين الى مائة نقطة تبلغ اللعبة نهايتها ويتعين على الفريق الخاسر أن يدفع للفائز أربعاً أو خمس قناني من العرق. وبهذا الشكل يخسر الأطفال عموماً كل المال الذي حصلوا عليه من جميع الحطب (أنظر ص ٤١٥)، ويذهبون الى آبائهم في يوم الپيوريم ليطلبوا منهم بعض النقود. كما قد يذهبون الى بيوت الأغنياء ليسرقوا من الطعام الذي يعده هؤلاء للفقراء. وحين يجمعون ما يحتاجون بهاتين الوسيلتين يعدون العدة للخروج في *سَرينه* (نزهة) الى النهر، وتتم هذه النزهة في *شوشان* پيوريم اليوم الذي يلي الپيوريم.

ويقوم الأطفال كذلك في عشية الپيوريم بخياطة ملابس زملائهم الذين يغلبهم النوم الى زوايا البساط الذي ينام عليه هؤلاء (قارن هذا مع العادة المشابهة التي تمارس في التاسع من *آَڤ*).]

أما مَن يتسلّى حقاً في الپيوريم فهم الشباب. إذ يعتبر الپيوريم بحق عيداً لهؤلاء، ونحن نلمس في كُردستان – كما في غيرها – التقارب بين الپيوريم وبين العادات التي تُمارس في أوروپا خلال *شروڤيتايد* (الأيام الثلاثة السابقة لأربعاء الرماد، وهي أيام للإعتراف والإحتفال – المترجم).

بينما لازال الناس يتناولون عشاءهم، يتسلق الأطفال، وخصوصاً أطفال الفقراء، جدران أحد المنازل الى السطح، حيث ينزلون خيطاً من خلال أنبوب المدفأة الى الغرفة. وفي العماديه يربطون *بَمبَله* بنهاية هذا الخيط. ويربط أهل الدار هدية من نوع ما (نقود، كعكة، حلوى أو ما شابه) بهذا الخيط أو يضعونه في *البَمبَله*. [وإذا

أراد رب الدار أن يخدع هؤلاء الأطفال، فإنه يضع قطعة من الجمر في *البَمبَله* (في العماديه)]. كما يغني الأطفال الموجودون على السقف "أغاني إستجداء". وتشابه أغنية الإستجداء التالية من العماديه التي تُغنى خلال "حملة" الغابة في زاخو (أنظر ص ٤١٢) :

بيل بليوه بيل بليوه: [ليظل بيتكم معموراً، ليظل بيتكم معموراً

خا مينديِ بييه كيوا: شيء ما في الشباك،

عازو أوداخلي زيڤا: عزو (إسم رجل) دعنا نجعله عريساً،

مال بيڤا: ليظل البيت معموراً].

وأما بالنسبة لفتاة فهم يغنون:

بيل بيلوكه بيل بيلوكه: [ليظل بيتكم معموراً، ليظل بيتكم معموراً،

خا مينديِ بييه بيزوكه: شيء ما في هذه الفتحة،

إيستير ئوداخلا بوكه: إستر، لنجعلها عروساً،

مال ياڤوكه: ليظل البيت معموراً].

أما في سنه فيغني الأطفال الأغنية الكُردية التالية:

هاتيته ماتيته: [هاتيته ماتيته،

كور وكَنيشتان نيمريته: لا مات أبناؤكم ولا بناتكم

لَيلا ژني برسيه: أم الشيطان جائعة

هاوار أَكا قولوجا نيه: وهي تصرخ "ليس هناك كعك"].

وقد ذكرنا كيف أن الشباب – وكذلك الفتيات – يجمعون الحطب من أجل إحتفال البيوريم. وهؤلاء أيضاً يبيعون قسماً مما يجمعون ليشتروا بثمنه الدجاج والعرق والمواد الأخرى. ويشكّل الشباب والأولاد كذلك "*خولاويڤا*" "جمعيات" مثل البنات ويختارون لنفسهم مكان إجتماع حيث يجتمعون في عشية ويوم العيد للأكل والشرب والرقص والغناء. وهنا يلعبون الألعاب التي تزيد من بهجة إحتفالاتهم هذه (كلعبة "بيع الجلود" على سبيل المثال).

الحفلات التنكرية

من أشهر حفلات البيوريم التنكرية تلك التي يسمونها *ليبوكه*، والتي يختارون لها شاباً بديناً جداً. فيُلبسونه ملابس النساء ويتنكر ليبدو كإمرأة حامل[١٧] ذات أرداف ضخمة وبطن كبيرة. ويصبغون وجه الشاب، ويضعون له لحية وشارباً، وقرنين من اللباد ويربطون جرس بقرة حول عنقه. وتجوب جماعة من الشباب به بهذه الهيئة شارع المدينة وهم يسحبونه بحبل وراءهم، ويغني "مرافق" الشاب المتنكر أغاني صاحبة[١٨].

وعندما يصل *الليبوكه* باب أحد البيوت، يُسأل "من أين جئت؟" فيجيب "من بابل":

هي ليبوكه، ته چ إينا؟: ليبوكه، ما أحضرت معك؟

مِن هامان إينا: أحضرت هامان

بوچي إينا؟: لماذا أحضرتيه؟

دا رتليت وي يَقينن[١٩]: لنسحق خصيتيه (في العماديه بالكُردية).

ويرقص الأطفال ويدورون حول *ليبوكه* وهم يصيحون *هامان هَرَشَع* [هامان الشرير]. وفي كل بيت يعطونهم اللحم والبيض والزبيب، إضافة الى بعض النقود؛ ولكنهم بدلاً من نثر الجوز عليه مثل العروس ينثرون عليه الحصى ويرشونه بالماء (في العماديه).

ولدى يهود سنه حفلة تنكرية مماثلة. فهم يجعلون أحد الشباب يرتدي ثياب شيخ مسلم، ويضعون له لحية طويلة، ونطاقاً من قماش يلف حول خصره عدة لفات، وكذلك عمامة كبيرة جداً. لكن الشاب المتنكر لايغامر بالخروج الى الشوارع بهذا الزي. فهذا التنكر لايتعدى نطاق المنزل.

وليهود سنه أيضاً دمية خيالية أخرى، يدورون بها في الشوارع في البيوريم، ترافقهم فرقة موسيقية لجمع المال. وهذه الدمية، مثل *الليبوكه* في العماديه، ذات قرون. ويقول اليهود إنها مأخوذة عن المسلمين، الذين كانوا يستخدمون الأقنعة *كالا*

١٧– يقول الناس: *ليبوكه قويرا اهيت أورزا وليت سميخا* "مدفون (؟) ليبوخ، أنت ذكر ولكنك أصبحت حاملاً". وقد تم شرح معنى(*قويرا*) على أنها تعني "مدفون". قارن ذلك مع اللعنة "سَر *قويرا* "ثكلتك أمك"(في العماديه).

١٨– مثلاً، أغنية *هات ياراومان، هات ياراومان* "أعلى، فلنرقص، فلنرقص".

١٩– قاموس ژابا، ص ٢٠٥ : *روتل* وتجمع على *روتلان*: خِصى.

دّيو (رأس الشيطان) خلال عيد نوروز (إحتفال رأس السنة) الذي يتزامن تقريباً مع عيد اليپوريم. إذ يثبّت المحتفلون بعيد النوروز عموداً خشبياً طويلاً في أحزمتهم، يقوم بعدها أحد الصبية بتسلق هذا العمود ويؤدي عليه حراكات بهلوانية. اليهود إما يستعيرون الأقنعة ذات القرون من المسلمين أو يصنعونها بأنفسهم من الورق. وبعد ذلك يجوبون الشوارع ترافقهم فرقة موسيقية لجمع المال.

الألعاب النارية

تدخل الألعاب النارية ضمن الألعاب التي يلعبها الشباب في الليل أو النهار هناك وهي مشابهة لتلك الموجودة في أوروپا بأعداد كبيرة خلال أربعاء الرماد (شروڤيتايد). وتجد طقوس الألعاب النارية هذه بين يهود اليمن ايضاً[٢٠].

قبل اليپوريم بفترة تبدأ جمعيات الشباب في زاخو بالحفر بحثاً عن جذوع الأشجار (قورموكسا). ويحتفظون بهذه الجذور حتى اليپوريم حيث يحرقونها في نار حتى تتوهج. وهذه الجذور التي تكون مدورة كالكرات تقريباً يسمونها *ريش هامان* "رأس هامان". ويأخذ الأولاد القورموكسا المتوهجة هذه الى النهر حيث يتقاذفونها بالعصي كما في لعبة الهوكي، وهم يلعنون هامان ويسبونه بصوت مرتفع مع كل ضربة ترتفع على أثرها شرارات الجمر واللهب من الجذور. ويقوم الأولاد كذلك بكتابة أسماء هامان وأماليك على قطع من الورق يحرقونها على هذه الجذور. وتستمر اللعبة على هذا المنوال حتى يحترق *ريش هامان* تماماً، ثم يتعجب الأولاد قائلين: "*هالاص – ميپيشپيشلي ريش هامان* "إنتهى – تحطم رأس هامان وتناثر".

وفي العماديه يضربون قطعاً مماثلة من الخشب ريشيت هامان [رأس هامان] حتى تتفتت الى ألياف، حينها يضرمون فيها النار. ويشكل الأولاد فريقين يتقاذفان الكرات فيما بينهم ويصيحون: *لو – لو – لو – لوپ – لوپكه*

ويستخدم الأولاد الكرات الإعتيادية (تَپه) بنفس الطريقة. فهم يكتبون *هامان بَرَشَع* على الكرة ويضربون الكرة بعصا. وكل مَن يمسك الكرة يضربها بعصاه (في العماديه). وهي لعبة يلعبها كل اليهود، حتى الحاخامات يلعبونها عشية اليپوريم نصف ساعة أو ساعة (في العماديه). كم ينجذب المسلمون الى ضفة النهر بسبب هذه الألعاب النارية؛ ولاتوجد بين المشاهدين فتيات أو نساء لأنهن قد لايكنَّ بأمان في ليلة الفرح والتحرر هذه.

٢٠- أنظر: إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراوَر.

إحراق الدمية البشرية

عادة ما تُحرق دمى بشرية في عشية اليپوريم؛ وتختلف هذه الممارسة من مكان لآخر في أنحاء كُردستان، وذلك لأن اليهود يقومون في بعض المناطق بعدة نشاطات من هذا القبيل خلال إحتفالات اليپوريم. وتمارس العادة حالياً من قبل الشباب لأجل التسلية فقط، وذلك لأن العنصر الميثولوجي في هذه الممارسة قد أخلى مكانه لعنصر المرح. ففي أربيل يقومون بلف الخرق حول صليب خشبي كبير حتى يبدو وكأنه دمية لإنسان بالحجم الطبيعي. فيُلبسون الدمية حينها ملابس قديمة ويضعون على رأسها *ماشاح* قبعة يرتديها النصارى. ويضعون في فم الدمية غليون تدخين يملأونه بالروث، ويعلقون في عنقها قلادة مصنوعة من روث الحمار اليابس. ثم يصبون النفط على الدمية ويضرمون فيها النار. وبعد أن تلتهمها النيران وتحترق تماماً يرمون بقاياها بالحجارة، حتى تُدفن الدمية تحت الحجارة التي يرجمونها بها.

وفي أشنويه يصنع أطفال كل حي يهودي دميتين أو ثلاث من هذه الدمى من الخشب والخرق. ويحرقون هذه الدمى في المساء قبل قراءة *الميگيلا* في صبيحة اليپوريم بعد المراسيم. وخلال عملية حرق الدمية يردد الطفال الأشعار التالية التي يدرجون فيها أسماء عائلات متنوعة:

هامان زيله بيل خينه: ذهب هامان الى عائلة هانان

ميندَلو *إيلِو گي أَدَبخينه*[٢١]: فألقوا به في دورة المياه.

أو:

هامان زيلي بيل عزيزا: ذهب هامان الى عائلة عزيز،

بيلَو تيقير بَنورا: فإلتهمت النار بيته.

مِن إيلا هوليعي ليفاركيخ بيعاي شولا: لن تنجو من اليهود في هذه المسألة.

أو:

هامان زيله بيل ميزالا: ذهب هامان الى عائلة ميزالا،

بيولو بائيلو مَسيلا: فوضعوا ميزاناً(؟) في يده.

في السليمانية تشرع الفتيات في صنع دميتين لهامان وزَرَش من الخشب والخرق قبل أسبوع من موعد اليپوريم. ويصبغن وجهي الدميتين بالفحم. ويضعن لهامان

٢١- بالكُردية والفارسية (أَدَبخانه) وتعني دورة المياه. أنظر: سون، قواعد الكرمانجية، ص ١٥٨.

لحية، ولزَرَش قلادة غريبة. وفي كل منزل تصنع الفتيات هذه الدمى، ولهذا عندما تبدأ مراسيم حرق هذه الدمى من قبل الفتيات فإنها تجري في عشرين مكاناً في المدينة تقريباً. ويجري حرق هامان (*مَقليه هامان*) في الليلة الأولى، وحرق زَرَش (*مَقليه زَرَش*) في الليلة الثانية. ويشترك في هذه المراسيم الكُرد المسلمون كذلك. وتبدأ مراسيم الحرق بغرز الدميتين في الأرض، ثم إغراقهما بالنفط وإضرام النار فيهما، وتبدأ الفتيات بغناء أغاني مشابهة لتلك التي تُغنّى في أشنويه.

وفي سنه أيضاً يصنع أطفال كل مقاطعة دميتين لهامان وزَرَش، ويلفون حول دمية هامان سلاسل من بعر الماعز على هيئة قلائد. أما الأغاني التي يغنونها فتماثل التي تُغنّى في أشنويه والسليمانية، وهي على سبيل المثال:

هامان زيله بي يوخي: ذهب هامان الى بيت جوشيبيد،

ميتولو كامه تولوخي: فقدّموا له العدس.

تصنع البنات في العماديه دميتين على أنهما تمثلان ڤاشتي وزَرَش. والدمية التي تمثل ڤاشتي لها ذيل – ولهذا فإن المصطلح (العام) المشين الذي تستخدمه النسوة للدمية هو "*ڤاشتي ماري دوما*" "ڤاشتي ذات الذيل". بعض جمعيات الفتيات يحرقن الدميتين خلال الإستعدادات للإغتسال في *ليل* پيوريم، والأخرى يحرقنها في اليوم التالي قبل تناول وجبة الطعام.

وفي العماديه، كما في المدن الأخرى، تتألف دمية هامان من هيكل خشبي ملفوف بخرق يُلبسونها ملابس النساء ولكنهم يصنعون للدمية لحية، فهي بذلك تمثل كائناً خنثياً أيضاً. ويتم حرق هامان (*ماكوديت هامان*) صبيحة يوم الرابع عشر من *آدار*، في موقع النزهة. ويكون من بين جمهور المشاهدين في الموقع الكُرد المسلمون، بمن فيهم أعيانهم. وهنا يسأل القائمقام "ماذا فعلتم بهامان ؟ هل أحرقتموه؟" وهو السؤال الذي يعتبر إشارة بدء لعملية الإحراق.

وقبل إضرام النار في الدمية يرميها الأطفال بالقاذورات ويدخلون في فمها غليوناً مشتعلاً مملوءاً بالروث. هذا فيما تحضر النسوة بول أطفالهنّ الرضع ويسكبنه فوق الدمية وهنّ يقلن: *شيكولوخ مايّت وَرده ميريخلو* "هاك ماء الورد، شمّه".

ويكوَّم الحطب الذي جمعه الأولاد حول هامان، ويضرمون فيه النار فيما تغني البنات والنسوة أغنية *ميلتاشا* على إيقاع الدفوف (*تَمبيلوشكه*) التي تُصنع من قدور قديمة مغطاة بقطعة من الجلد المشدود على فوهاتها يحملها العازف تحت أحد إبطيه. بعدها يرمي الأطفال رماد هامان في الهواء ليتناثر أو يرمون الرماد في النهر.

الرابع عشر من آدار

مع إحراق دمية هامان، في العماديه، نكون قد دخلنا الرابع عشر من *آدار*، يوم الپيوريم الحقيق؛ لذا فإنّ لنا هنا عودة الى العادات التي تمارس في صباح ذلك اليوم:

يقضي الشباب نصف الليلة في اللعب والرياضة، ويسهر كبار السنّ ايضاً. وبحلول الصبح تجدهم جميعاً في الكنيس من جديد ويتكرر مشهد قراءة الميگيلا الذي سبق وقدمّنا وصفه.

وفي زاخو تجتمع مجاميع البنات المختلفة في صباح هذا اليوم في نفس الدار التي إجتمعن فيها للإغتسال الشرعي. ويجلبن معهن الرز والدجاج الذي إشترينه من ثمن بيع قسم من الحطب الذي جمعنه. وبعدها تتجه كل مجاميعهن الى السَرينه. وبعدها يلتحق بهنّ الشباب في موقع النزهة بعد إنتهائهم من أداء المراسيم.

ومع إقتراب الظهيرة، تعود مجاميع البنات الى مقراتهن في البيوت المخصصة لهن. واذا ما كان في أي مجموعة من هذه المجاميع فتاة ثرية يمكن الإستفادة من بيتها كمحل إجتماع لمجموعة الفتيات، فإن من الشائع أن يضع والدها مساعداً تحت إمرة إبنته لتحضير وجبة الدجاج والرز للفتيات. وتجلس الفتيات في الشرفة (*بَربانكه*) لتناول وجبة الطعام. ويكون الفتيان قد عادوا في هذه الأثناء من نزهتهم، فيتسلقون الى سطح الدار التي تجلس مجموعة الفتيات فيها. ويبدأون بإزعاج الفتيات، اللواتي يقمن بالمثل ويتبع ذلك مزاح بهيج. وعند تناول وجبة الطعام، تتظاهر الفتيات اللواتي يخشين أن تُنسب اليهن صفة الشراهة، بالخجل ولا يبدأن بتناول الطعام إلاّ بعد بدء الفتيان بذلك. ويحاول الوالد مراراً وتكراراً طرد هؤلاء المتطفلين دون جدوى – فسرعان ما يعودون بعد أن يختفي لتناول الطعام مع الفتيات. وفي النهاية تكتفي كل فتاة بتناول بضع لقيمات من الطعام، ويلففن الباقي في قطعة قماش ويذهبن الى بيوتهن. ولهذا يسرع كل فتى ليلحق بفتاة يختارها ويرافقها الى دارها، ويتناول هناك وجبة الپيوريم معها – ولم يُسمع بوقوعه في أي وقت آخر.

هدايا الپيوريم

عقب المراسيم يأتي وقت تقديم هدايا الپيوريم. في بعض المناطق (زاخو وأشنويه) يقف الفقراء أمام الكُنيس ويتلقون قطعة نقدية من كل فرد من أعضاء المحفل لدى خروجه. وفي سنه يتجول الفقراء في الكُنيس بعد الانتهاء من قراءة التوراة لجمع

النقود، فيما يقف أبناؤهم في الخارج عند باب الكُنيس لتلقي الصدقات من الخارجين.

تتألف هدية الپيوريم التقليدية من طبق من الطعام. وفي زاخو على كل شخص أن يرسل طبقين من الطعام الى إثنين من أصدقائه. هذا علاوة على إعتيادهم تقديم هدية نقدية لأطفال أحد الأقرباء. ولايتلقى الأطفال إلا مقداراً ضئيلاً من هديتهم النقدية هذه، لأن مبلغ الهدية يجب أن ينفق على شراء ملابس لهم في عيد الفصح. وتعتبر هذه الهدايا في الواقع من الرسميات، أو على الأغلب تودداً رمزياً، سيما وأن الجميع يتلقى من الهدايا مثلما يقدم منها.

يتألف شيدوريت *كيلياثا* "إرسال الهدايا" في العماديه من إرسال المرء طبقاً من اللحم والفاكهة المجففة لأقاربه. كما يرسلون السَنبوسَك وهو طبق يتم إعداده خصيصاً لمناسبة شيدوريت *كيلياثا*. ويتكون الطبق من حورتومانه "البقول" المطحونة بالرحا، واللحم المدقوق في الهاون، وحوالي إثنتي عشرة بيضة. تخلط المكونات وتتبَّل بالفلفل والبهارات الأخرى وتخبز بعد غمسها في سمن إلية الغنم.

وفي حال إرسال هذه الهدية الى صديق حميم، يضعون قطعة حلي، كزوج أقراط مثلاً في *السَنبوسَك* لإبنة العائلة - أو خاتماً لإبن العائلة.

ويسمون إرسال الهدايا في سنه والسليمانيه "*ليلانگينه*". فهنا إعتاد الأقرباء أن يتبادلوا تهادي إناء مليء بالفاكهة والكعك والحلوى. فيما يحصل الأطفال على بيوض ملونة. وعلاوة على ذلك يحضر المعلم لكل تلميذ في مدرسته ورقة كتب عليها بالعبرية وبالتارگوم وبخطوط مزخرفة التبريكات التي تُتلى قبل وبعد الانتهاء من قراءة الميگيلا والپزمون *تَنو شيرا ويزيرا*، التي تُغنى قبل قراءة الميگيلا[٢٢]. ويحصل التلاميذ في العماديه ايضاً على هذه الصحائف المكتوبة.

وبعد إنتهاء المراسيم الصباحية، يجلس الناس لبدء *سيعودات* پيوريم. وفيما عدا *السَنبوسَك* - التي يعدونها في السليمانية أيضاً (ويسمونها *سَمبوسكه*)، لاتوجد هناك أطباق خاصة بالپيوريم؛ ولكنهم يجعلون الإحتفال بالعيد باذخاً قدر الإمكان. فالمشروبات موجودة بكثرة؛ ويشرب الرجال - إلتزاماً منهم بالتعاليم التلمودية - الى حد السكر، وهذا ليس بالشيء النادر طبعاً بين اليهود الكُرد المولعين أصلاً بالعرق. ويكتبون إسم هامان على قصاصة ورق ويلصقونها بالقنينة وبعدها يمسحون الإسم بالنبيذ أو العرق (في زاخو). وتعطينا أغنية موشي بن يصحاق الخاصة بالپيوريم

٢٢- الجامعة العبرية، مجموعة براوَر.

صورة جيدة لما يحدث في إحتفال كُردي بالپيوريم:

[دعونا نشرب نبيذاً معتبراً،
دون خوف من خبيث غادر،
لنعود بسرور الى القلب، للإبتهاج بمسرات الپيوريم
فليجلس الأصدقاء الأوفياء
وكل منهم يحمل قنينةً بيده
وأمامهم الأطعمة الدسمة، للإبتهاج بمسرات الپيوريم
أرسل الهدايا للرجال المعوزين
ثم اشرب المشروبات الحلوة
وأفرغ كأسك في سرور للإبتهاج بمسرات الپيوريم
كن متأهباً للوجبة
بقيثارتك وكمنجتك وارقص
لأجل فرح ميتزڤا، مرتعشاً للإبتهاج بمسرات الپيوريم
وهلم من الصباح الى المساء
وأعد الكرّة مرتين وثلاثاً
ثم مزّق لحية هامان، للإبتهاج بمسرات الپيوريم[٢٣].

يتوجه الشباب في العماديه الى نزهتهم صباحاً ويعدون وجبة الپيوريم في موقع النزهة. بينما يتناول الحاڤيريم وجبة الپيوريم في بي حازان، ثم يتوجهون بعدها الى موقع النزهة لمراقبة إحراق الدمية التي تمثل هامان كما وصفناها سابقاً. ويغني الناس ويرقصون؛ وبحلول المساء تخرج البنات - اللواتي يتقدمن في خطوات إيقاعية - *الزلوبي*. ويتلون *المينحه* عند النهر، وصلاة المساء عند أبواب المدينة.

وفي أربيل وبيتَنوره وسنه يقرأون الميگيلا في عشية وصباح الخامس عشر من *آدار*، لأن الإعتقاد السائد أنها كانت مدناً مسورة حتى في عهد يشوع.

٢٣- [مقتبسة من كتاب الحاخام باروخ مزراحي: *شيري زيمراه*، القدس، ١٩٣٠، ص ٦٥. القصيدة: آني (١)، موشي بن يصحاق. ترجمه من العبرية رافائيل پاتاي].

شـابات بَشـالاح وشـابات ناحـامو

من بين أيام السبت التي تحظى بإهتمام خاص من لدن اليهود في كُردستان هو *شابات بَشالاح* (سفر الخروج ١٧:١٣)، والذي يطلقون عليه عادة *شَبسيت شيرا* "سبت الأغنية «أغنية موسى»". ويمثّل هذا السبت نهاية الشتاء – ولهذا يقول الفلاحون : "*شَبسيت بَشالاخيلا سوسوا بيشالاخلا* "شابات بَشالاح، الشتاء ينسلخ عن جلده" (في زاخو).

وهذا السبت في زاخو هو سبت *مِجلِس* – ممثل اليهود – الذي عادة ما يكون أكثرهم ثراءً في المنطقة. يقيم الثري المذكور في هذا السبت مأدبة كبيرة أعد لها منذ وقت طويل لأن عليه أن يوفر فيها كميات كبيرة من العرق و*مَزات شيرا*. وهو يحتاج للمزه الى الدجاج والسمك. ولهذا فهناك تفاهم ضمني بين اليهود على عدم شراء الدجاج في هذا الوقت لئلا يضطر *المِجلِس* – الذي ينبغي عليه شراء خمسين دجاجة لهذه المناسبة – الى شراء الدجاج بأسعار كبيرة، علاوة على أن صيادي السمك حين يجلبون صيدهم الى زاخو لهذا السبت فإنهم يُعفون من دفع الضريبة المعتادة، لأنهم يقولون "إننا نجلب السمك *لِمجلِس* اليهود".

ينادى في *شابات بَشالاح* على *المِجلِس* على أنه "الرابع". وفي العماديه حيث تُمنح هذه *العَلّيا* لأغنى وأعظم رجال المحفل شأناً، فإن الرجل المذكور هو الذي يتولى القراءة بنفسه، ولكن في زاخو لاينطق *المِجلِس* من القراءة سوى التبريكات. ويقف الجميع أثناء ذلك ويمنع بعض الرجال النسوة عن إطلاق الزغاريد. وكان معتاداً في العماديه فيما مضى أن يجلبن الدف معهنّ الى الكُنيس، وأن يبدأن حال سماع الشعر "ومريم النبية، أخت هارون، أخذت بيدها دفّاً؛ فخرجت النسوة جميعاً خلفها يحملن دفوفاً وهنّ يرقصن" (سِفر الخروج ٢٠:١٥) بنقر دفوفهنّ وإطلاق الزغاريد ونثر الحلويات على *ميري شيرا* "سيد الأغنية".

بعد انتهاء المراسيم في الكُنيس يعود الناس الى بيوتهم لتناول طبق الميبوسه، الذي يتألف في *شابات شيرا* في كل مكان من *الـهَريسه* وهي عصيدة معدة من القمح المطحون (*گيرسه*). ويعود استخدام عصيدة القمح المطحون أصلاً الى العبارة العبرية *بئشَبات شيراء ليحيم حطِّه* "خبز الحنطة في شَبات شيرا" (في سنه)، [التي تلفظ حروفها الأولى ب *ش ل ح*، والتي تقابل *بَشلاح*]. و"عطاء للفرعون" توضع دجاجه (فرّوج)[1] على *الـهَريسه*، إذ يفسرون هذه العادة بالقول *وئناهاگو يسرائيل، هاشم يشمئرم، بئشَبات شيرا لئڤاشيل حطّيم پاروگ روخيڤ عال هَريسه* "كان من عادة إسرائيل، حفظهم الله، أن يطبخ الدجاج والحنطة في *شابات شيرا*، والدجاج فوق *الـهَريسه*"، [وتلفظ حروفها الأولى هكذا *وي هـ ي/ ب ش ل ح/ پ ر ع هـ*، التي تقابل *وايئهي بئشالاح پارعوح* "وحدث، حينما فسح الفرعون المجال... (سِفر الخروج ١٧:١٣).]

بعد هذا يتوجه الناس الى دار *ميري شيرا*، حيث يغنون ويرقصون فيما يقدم لهم الأخير المزه والعرق والهَريسه[2]. وفي هذه المناسبة كذلك تجتمع العائلات التي في بيوتها مرضى لترسل في طلب *الميبوسه* من دار *ميري شيرا*، سيما وأنهم يعزون لها قوى علاجية.

ويرسل *ميري شيرا* الهدايا في يوم *شابات بَشالاح* الى "*شيخ خياپه*" و"*شيخ خپيره*" (أنظر ص ٢٢٧) والشَمّاش.

ولمنطقة ريكان تقليد خاص. إذ أنهم يقدمون في هذا اليوم عرضاً فنياً لغرق فرعون ورجاله. وقد شاهد محدثي "عرض الدمى" هذا يقدم في كان من قبل رجل إسمه عزرا. إذ كان الناس يأتون اليه ويقولون له: "عزرا، دع فرعون يمتطي جواده". ولعزرا وعاء كبير للماء، حيث كان يمد زوجته فوق هذا الوعاء حبلاً عُلّقت عليه عدة دمى صغيرة. وبينما كان عزرا يغني، كانت زوجته تهز الدمى للأمام والخلف لتسقط في الماء في النهاية. وتبدو على المسرحية في هذا الصدد تأثيرات من المسرحية الفاضحة *آشوراگا* التي يقدمها جوالة كُرد يجوبون بها العراق وسورية، وفيها يعلقون دميتين لرجل وإمرأة على حبل.

السبت الذي يلي التاسع من *آڤ* يسمى [عموماً] *شابات ناحومو* "سبت السلوى"، والتسمية جاءت من إفتتاحية سِفر الأنبياء، ويسمى هذا اليوم *شَبسيت ياكولتا* "السبت العظيم" في كُردستان أيضاً. يقومون في هذا السبت بإعداد وجبة طعام خاصة، حيث يعدون *الميبوسه* بطريقة خاصة ومن دجاج تم إختياره بعناية. ويرسلون قسماً من هذه *الميبوسه* الى الفقراء والمرضى. ومع انتهاء اليوم التاسع من

١- كلمة *پاروگ* هي الترجمة العبرية لكلمة فوروج التارگومية، وهي تعني الدجاج.
٢- أغنية لموشي بن يصحاق حول *شابات شيرا*، في *شيره زامراه* لباروخ مزراحي، القدس ١٩٣٠، ص٦٤.

آڤ، ومن أجل إرتدائها في شابات ناحومو، يفصلون ملابس جديدة وخاصة للأطفال. ويجب أن يمتلك الجميع في هذه المناسبة قطعة ملابس واحدة جديدة على الأقل. وإن سُئل الناس في چالا لماذا ترتدون ملابس جديدة لهذا السبت، يجيبونك: "لأننا ننحدر من الإنهيار الثلجي (*رانيا*)". ويسمون الرانيا "*رانيا نڤوزار آدّان*".

ويباع إمتياز قراءة الهَفطَرا تباع بالمزاد وبسعر مرتفع. ويعتبر *شابات ناحومو* وقتاً مناسباً للخطبة *قيدّوشيم*، وهذه حقيقة ربما يكون لها نوع من العلاقة مع تسمية هذا السبت سبت البنات.

وفي صبيحة *شابات ناحومو* تجتمع البنات مرتديات ثياب العيد في باحة إحدى الدور ويرقصن هناك لحين انتهاء الرجال من المراسيم في الكُنيس. بعدها يتوجهن الى الكُنيس، وعادة يرافقهنّ الموسيقيون، وذلك لغرض لقاء العريس ومرافقته الى البيت (في العماديه وزاخو).

وفي اليوم التالي يخرجون في *سَرينه ناحومو* وهي نزهة خاصة بالشباب فقط. إذ يتجه الشباب والشابات الى موقع معين خارج المدينة، حيث يغنون ويرقصون هناك. ويخرج تلاميذ المدارس كذلك في *سَرينه* خاص برفقة معلمهم (أنظر الص ٢٩٥–٢٩٦)، ويوجهون الدعوة كذلك الى الگڤيريم لمرافقتهم (في العماديه).

ثبت المراجع

Abeghian, Manuk. *Der armenische Volksglaube.* Leipzig, 1899.

Adler, M. N., ed. *The Itinerary of Benjamin of Tudela.* London, 1907. Reprint, London, 1964.

Ainsworth, W. F. "Account of a Visit to the Chaldeans Inhabiting Central Kurdistan." *JRGS* 11 (1841):21–76.

———. *Travels and Researches in Asia Minor, Mesopotamia, Chaldea and Armenia.* London, 1842.

Albala, N. Report in *BAIU,* 1911.

Albrecht, K. *Die im Tahkemoni vorkommenden Angaben über Harizis Leben, Studien und Reisen.* Göttingen, 1890.

Aldabi, Meir. *Shvile Emunah.* Riva di Trento, 1558; Warsaw, 1874.

Allgemeine Zeitung des Judentums. Leipzig and Berlin, 1837–1922.

Alliance Israélite Universelle. *Bulletin de l'Alliance . . .* Paris.

———. *Revue des Ecoles de l'Alliance . . .* Paris, 1901–4.

Anglo-Jewish Association, London. *Sixth Annual Report.* 1897.

Ashbel, Dov. *Annual Report: The Climate of Palestine and Adjacent Countries.* Tel Aviv, 19 (1938/39).

———. *Rainfall Map of the Near East.* Jerusalem, 1940.

Assaf, Simḥa. "Le-Toldot ha-Yehudim be-Kurdistan u-Shkhenoteha." *Zion-Meassef* 6 (1934): 85–112.

———. "Nosafot le-Toldot ha-Yehudim be-Kurdistan." *Qiryat Sefer* 13 (1936–37): 266–71.

Badger, George Percy. *The Nestorians and Their Rituals: With a Narrative of a Mission to Mesopotamia and Coordistan.* 2 vols. London, 1852.

BAIU: reports on Kurdish Jews, 1889:48; 1892:53; 1895:64; 1896:52, 54; 1897:84; 1901:277; 1911.

Barukh, Ḥakham. *See* Mizraḥi, Barukh Sh'mu'el

Banse, E. *Die Türkei.* Braunschweig, 1919.

Bassan, J. Report on Kurdish Jews. *BAIU* 26 (1901):277.

Benisch, A., ed. and trans. *Travels of Rabbi Petachia of Ratisbon.* London, 1856.

Benjamin, Joseph Israel ("Benjamin II"). *Acht Jahre in Asien und Afrika von 1846 bis 1855*. Hannover, 1858.
———. *Cinq années en Orient (1946–1851)*. Paris, 1856.
———. *Drei Jahre in Amerika*. Hannover, 1863.
———. *Eight Years in Asia and Africa from 1846 to 1855*. Hannover, 1859.
———. *Sefer Massa'e Yisrael*. Trans. David Gordon. Lyck, 1859.
Ben-Ya'aqov, Abraham. *Q'hillot Y'hude Kurdistan*. Jerusalem, 1961. Reprint, Jerusalem, 1981.
Ben-Zvi, Yitzḥaq. *Okhlosenu ba-Aretz*. Jerusalem, 1929.
———. *The Exiled and the Redeemed*. Philadelphia, 1961.
Binder, Henry. *Au Kurdistan en Mésopotamie et en Perse*. Paris, 1887.
Borchart, Paul. "Benjamin von Tudela." *EJ*, s. v.
———. "Der Reiseweg des Rabbi Benjamin von Tudela und des Rabbi Petachia aus Regensburg in Mesopotamien und Persien." *Jahrbuch der jüdisch-literarischen Gesellschaft*, Frankfurt a. M., 16 (1924): 139–62.
Brawer, A. J. "Mi-Parashat Massa'otay be-Faras." *Sinai* 1, no. 9–10 (1938): 239–50; no. 11 (1938): 430–38.
Bruhl, J. H. "Journal." *JI*, 1864, pp. 89ff.
Buschan, Georg. *Die Sitten der Völker*. 4 vols. Stuttgart, 1914–22.
———. *Völkerkunde*. Stuttgart-Berlin, n. d.
Clauss, L. F. *Von Seele und Antlitz der Rassen und Völker*. München, 1929.
Cluckhohn, Clyde. "Some Reflections on the Method and Theory of the Kulturkreislehre." *American Anthropologist* 38 (1936): 157–96. Dalman, Gustav. *Arbeit und Sitte in Palästina*. 7 vols. Gütersloh, 1928–42.
David d'Bet Hillel. *Travels of Rabbi David d'Bet Hillel: From Jerusalem Through Arabia, Koordistan, Part of Persia and India to Madras*. Madras, 1832.
Davidson, Israel. *Thesaurus of Medieval Hebrew Poetry*. 4 vols. New York, 1924–33.
Dictionary of National Biography. London, various dates. S. v. "Stern, Henry Aaron," and "Wolff, Joseph."
Diwan, Yehuda ben 'Amram. *Ḥuṭ ha-Meshullash*. Constantinople, 1739.
Donaldson, Bess Allen. *The Wild Rue*. London, 1938.
Dozy, R. P. A. *Dictionnaire detaillé des noms des vêtements chez les Arabes*. Amsterdam, 1845.
Duval, R. *Les dialectes néo-Araméens de Salamas*. Paris, 1883.
EI. S. v. "Kurdistan."
EJ. S. v. "Benjamin, Joseph Israel."
Endres, Franz Carl. *Die Türkei*. Munchen, 1918.
Eppstein, J. M. "Journey to Kurdistan." *JI*, 1893.
———. "Visit to Kerkuk." *Jewish Records*, London, Oct. 1893, pp. 167ff.
Erich, Oswald Adolf, and Richard Beitl. *Wörterbuch der deutschen Volkskunde*. Leipzig, n. d. (ca. 1936).
Field, Henry. *Arabs of Central Iraq*. Chicago, 1935.
Fischel, Walter. "Bei den Juden im kurdischen Bergland." *JR*, Jan. 8, 1937.
———. "Iggerot Kurdistan. *Sinai* 6 (1939).
———. "Kurdistan." *EJ*, vol. 10, 1934, pp. 514–19.

———. "Massa' le-Kurdistan, Paras, u-Bavel," *Sinai* 3:3–4 (1939): 218–54.
Frazer, Sir James George. *The Fasti of Ovid*. 6 vols. London, 1929.
———. *The Golden Bough*. 3rd ed. 12 vols. London, 1922–25. Garbell, Irene. *The Jewish Neo-Aramaic Dialect of Persian Azerbaijan*. The Hague, 1965.
Gerson-Kiwi, Edith. "Kurdistan." In *Encyclopaedia Judiaca*, vol. 10. Jerusalem, 1972, pp. 1299–1300.
———. "The Music of the Kurdistani Jews." In Amnon Shiloaḥ ed., *Yuval* 2 (1972):59–72.
———. *Studia Musicologica* 7 (1965): 61–70.
Goitein, S. D. In *Qovetz 'al Yad* 2 (12): 272.
Goodrich-Freer, Adela M. *Arabs in Tent and Town*. London, 1924.
Gottheil, I. "The Judeo-Aramaic Dialect of Salamas." *JAOS* 15 (1893): 297ff.
Grant, Asahel. *The Nestorians, or The Lost Tribes*. London, 1841.
Gubernatis, Angelo di. *Thiere in der indogermanischen Mythologie*. Leipzig, 1874.
Hamilton, Archibald M. *Road Through Kurdistan*. London, 1937.
Hartland, Edwin Sidney. *The Legend of Perseus*. 2 vols. London, 1894–96.
———. *Primitive Paternity*. 2 vols. London, 1909–10.
Hay, William Rupert. *Two Years in Kurdistan*. London, 1921.
Hovorka, Oskar von, and Adolf Kronfeld. *Vergleichende Volksmedizin*. Stuttgart, 1908–9.
Ibn Verga, Joseph. *Shevet Yehuda*. Hannover, 1855. Reprint, Hannover, 1924.
Idelsohn, Abraham Z. "Aramäisch sprechende Juden." *Die Welt*, Berlin, 30 (1912): 906–7.
———. *Hebräisch-Orientalischer Melodienschatz*. 5 vols. Leipzig, 1912–32.
———. "Sippurim ba-Lashon ha-Aramit ha-Hadasha." *HaShiloaḥ* 29 (1913): 121ff.
Isaacs, A. A. *Biography of H. A. Stern*. London, 1886.
Jaba, A. *Dictionnaire Kurde-Français*. St. Petersburg, 1879.
Jellinek, Adolph, ed. *Beth HaMidrash*. 2nd ed. 6 vols. Jerusalem, 1938.
Jewish Chronicle, London, May 3, 1864. Necrology on J. I. Benjamin.
Jewish Expositor. London.
JI. London.
Jewish Records (Supplement to *JI*, 1861–83).
Jüdisch-Literarische Gesellschaft. *Jahrbuch*. Frankfurt a. M., 1903–32.
Jungbauer, Gustav. *Deutsche Volksmedizin*. Berlin and Leipzig, 1934.
Kasdai, Zvi. *Mamlekhet Ararat*. Odessa, 1912.
ha-Kohen, Joseph. *'Emeq haBakha*. 1558, and numerous editions.
Lagarde, Paul de. *Iudae Harizi Macamae*. Göttingen, 1883.
Laufer, O. "Totenkronen." *ZVV* 26: 16ff.
Lauterbach, Jacob Z. "Tashlik." *HUCA* 11 (1936): 207–8.
Layard, A. H. *Niniveh and Its Remains*. London, 1867.
Lidzbarski, Mark. Geschichten und Lieder aus den neu-Aramischen Handschriften der kön. Bibliothek zu Berlin (Beiträge zur Volks- und Völkerkunde 4). Weimar, 1896.
Löwy, Albert. "Notes on the Jews of Kurdistan." Anglo-Jewish Association, *Sixth Annual Report*. London, 1897, pp. 94–97.

———. "On a Unique Specimen of Lishana shel Imrani." *Transactions of the Society of Biblical Archaeology* 4 (1876): 98–117.
———. "On Kudish Folk Lore in the Kurdo-Jewish Dialect." *Transactions of the Society of Biblical Archaeology* 6 (1878):600–602.
MacLean, A. J. *Grammar of the Dialects of Vernacular Syriac.* Cambridge, 1895; Oxford, 1901.
Mann, Jacob. "Ha-T'nu'ot ha-M'shiḥiyot bime Massa'e ha-Tz'lav ha-Rishonim." *HaTequfa* 24 (1928): 335–58.
———. *Livre d'Hommage a la mémoire du Dr. Samuel Poznanski.* Warsaw, 1927.
———. "Obadia le Proselyte." *REJ* 71 (1920): 89–93. ———. *Texts and Studies in Jewish History and Literature.* 2 vols. Cincinnati, 1931.
Mannhardt, Wilhelm. *Wald- und Feldkulte.* Berlin, 1875–77.
Marçais, Georges. *Le Costume musulman d'Alger.* Paris, 1930.
Minorsky, V. "Kurds." *EI* 4:1132–35.
Mizraḥi, Barukh ben Sh'mu'el. *Shire Zimrah.* Jerusalem, 1930.
Morgan, J. de. *Mission scientifique en Perse,* Paris, 1895.
Mulinen, E. Graf von. "Beiträge zur Kenntnis des Karmels." *ZDPV* 30 (1907): 117–207; 31 (1908): 1–258.
Naumann, H. *Grundzüge der deutschen Volkskunde.* Leipzig, 1922.
Newmark, Ephraim. "Eretz haQedem." *HeAsiph* 1889:39–75.
Nikitine, Basil. "La vie domestique Kurde." *RETP* 3 (1922):334-44.
———. "Rawandiz." *EI* 3:1130–32.
Obermeyer, Jacob. *Die Landschaft Babylonien.* Frankfurt a. M., 1929.
Ohana, Raphael. *Mar'eh ha-Yeladim.* 3rd ed. Jerusalem, 1908.
Orḥot Ṣaddiqim. Quoted in Meir Aldabi, *Shvile Emunah.*
Palmer, H. D. *Joseph Wolff: His Romantic Life and Travels.* London, 1935.
Patai, Raphael. *Israel Between East and West: A Study in Human Relations.* Philadelphia, 1953.
———. "The Hebrew Education in the Marrano Community of Meshhed" (in Hebrew). *Edoth* 1:4 (July 1946): 213–26.
———. Historical Traditions and Mortuary Customs of the Jews of Meshhed. (In Hebrew) Jerusalem, 1945. (In English in) Raphael Patai, *On Jewish Folklore.* Detroit, 1983, pp. 238–50.
———. "Jewish Folk Cures for Barrenness." *Folk-Lore,* London, 55 (Sept. 1944):1170024; 56 (Dec. 1944 and March 1945):208–18.
———. *Jewish Seafaring in Ancient Times* (in Hebrew). Jerusalem, 1938.
———. "Ha-Ledah ba-Minhag ha-'Amami." *Talpioth,* New York, 6 (1953):226–68, 686–705; 9 (1965):238–59.
———. *Man and Earth in Hebrew Custom, Belief and Legend* (in Hebrew). Jerusalem, 1942–43.
———. *Man and Temple in Ancient Jewish Myth and Ritual.* Edinburgh, 1947.
———. "Marriage Among the Marranos of Meshhed." (In Hebrew) *Edoth* 2 (1947):165–92. (In English in) Patai, *On Jewish Folklore,* pp. 203–37.
———. *On Jewish Folklore.* Detroit, 1983.
———. "Problems and Tasks of Jewish Folklore and Ethnology." *Journal of American Folklore* 59:231 (Jan.–March, 1946): 25–39.

———. *The Seed of Abraham: Jews and Arabs in Contact and Conflict,* Salt Lake City, 1986.
Pauly, A. and G. Wissowa, *Realenzyklopädie der klassischen Altertumswissenschaft.* Stuttgart, 1842–61.
Perkins, Justin. *Residence of Eight Years Among the Nestorian Christians With Notices of the Muhammadans.* Andover, 1843.
Pfannenschmidt, H. *Das Weihwasser im heidnischen und christlichen Kultus.* Hannover, 1878.
Ploss, Heinrich, Max Bartels, and Paul Bartels. *Das Weib.* 11th ed. 3 vols. Berlin, 1927
Ploss, Heinrich, and Barbara Renz. *Das Kind in Brauch und Sitte der Völker.* 2 vols. Berlin, 1911–12.
Preller, L. *Römische Mythologie.* Berlin, 1881–83.
Prym, Eugen, and Albert Socin. *Der neu-Aramäische Dialect des Tur-Abdin.* 2 vols. Gottingen, 1881.
Ratzel, Friedrich. *Völkerkunde.* 2nd ed. 2 vols. Leipzig and Vienna, 1894.
Reich, Sigismund. *Etudes sur les villages araméens de l'Anti-Liban.* Damascus, n. d. (ca.1938).
Reischer, Moshe. *Sefer Sha'are Y'rushalayim.* Lemberg, 1870. Reprint Jerusalem, 1966–67.
Rich, C. J. *Narrative of a Residence in Koordistan.* London, 1836. Ritter, Carl. *Die Erdkunde von Asien.* Vol. 9. Berlin, 1840.
Rivlin, Yosef Y. *Shirat Yehude ha-Targum.* Jerusalem, 1959.
———. "Shabtit Dilomkhe." *Zion-Yedi'ot* 1, no. 1 (1930): 9–112, 43–45; no. 4:59–61.
———. "Sippur David we-Goliat bi-Lshon Targum." *Zion-Meassef* 4 (1930): 109–20.
———. "Tafsir ha-Melekh." *Zion-Yedi'ot* 1, no. 1 (1930): 43–45.
Rosenthal, Franz. *Die Aramäistische Forschung seit den Arbeiten Theodor Nöldekes.* Leiden, 1939.
Rubashov, Zalman. "Urmia." *Davar* (Tel Aviv daily), Sept. 6, 1940.
Saad, Lamec. *Sechszehn Jahre als Quarantänarzt in der Türkei.* Berlin, 1913.
Sabar, Yona. *The Folk Literature of the Kurdish Jews.* New Haven, 1982.
Sassoon, David Solomon. *Ohel David.* 2 vols. London, 1932.
Scheftelowitz, Isidor. *Altpalästinensischer Bauernglaube.* Hannover, 1925.
Schmidt. Wilhelm. *Culture Historical Method of Ethnology.* New York, 1939.
Schrader, O. *Die Totenhochzeit.* Jena, 1904.
Schrire, T. *Hebrew Amulets.* London, 1966.
Schur, Zev Wolf. *Maḥazot ha-Ḥayyim.* Vienna, 1884.
Schwarz, Paul, ed. *Der Diwan des 'Umar ibn Abi Rabi'ah.* Leipzig, 1901.
Schwarz, Walter. "Bei den kurdischen Juden." *JR,* July 12, 1935.
Slouschz, Nahum. *Massa'i be-Eretz Luv.* 2 vols. Tel Aviv, 1943.
Smith, Eli, and H. G. O. Dwight. *Missionary Researches in Armenia Including a Journey Through Asia Minor to which is Prefixed a Memoir on the Geography and Ancient History of Armenia.* London, 1834.
Soane, E. B. *To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise.* London, 1912.

Stafford, Ronald S. H. *The Tragedy of the Assyrians*. London, 1935.

Stern, Henry A. *Dawnings of Light in the East, With Biblical, Historical, and Statistical Notices of Places Visited During a Mission to the Jews in Persia, Coordistan, and Mesopotamia*. London, 1854.

Streck, M. "Irbil." In *EI* 3:521–23.

Tacitus. *Germania*.

Tchorny, Yosef Yehuda. *Sefer ha-Massa'ot*. St. Petersburg, 1884.

Tilke, Max. *Studien zu der Entwicklungsgeschichte des orientalischen Kostüms*. Berlin, 1923.

Vambery, Arminius. *Sittenbilder aus dem Morgenlande*. Berlin, 1876.

Virchow, Hans. "Die armenische Wiege." *Zeitschrift für Ethnologie* (1924):208.

Wigram, W. A., and Edgar T. A. Wigram. *The Cradle of Mankind*. London, 1914.

Wirth, Alfred. *Anhaltische Volkskunde*. Dessau, 1932.

Wolff, Joseph. *Missionary Journal and Memoirs of the Rev. Joseph Wolff*. 3 vols. London, 1827–29.

———. *Researches and Missionary Labours*. London, 1835.

Wundt, Wilhelm. *Vökerpsychologie*. Part 4: *Mythus und Religion*. Leipzig, 1920.

Wuttke, A. *Der deutsche Volksaberglaube der Gagenwart*. 3rd ed. Berlin, 1900.

Ya'ari, Abraham. "Massa'ot R. David." *Sinai* 2:24–33.

———. *Sh'lihim me-Eretz Yisrael l'Aseret ha-Shevaṭim*. Jerusalem, 1940.

Yosef Ḥayyim. *Rav Po'alim*. Jerusalem, 1903.

Zlotnick, Juda L. *Ma'ase Yerushalmi*. Jerusalem, 1946.

Zobel, M. "Bräuche nach der Geburt eines Kindes." *Almanach des Schocken Verlags*. Berlin, 1938–39, p. 103.

Zohar, The Book of. Many editions.

THE JEWS
OF
KURDISTAN

By

ERICK BRAUER

COMPLETED AND EDITED BY

RAPHAEL PATAI

TRANSLATED BY

SHAKHAWAN KERKUKI & ABDULRAZZAq BOTANI